

شَرَحَ

# مَقَامَاتُ الْحَمِيرِيِّ

لِلأبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشيباني

تحقيقه  
محمّد أبو الفضل إبراهيم



المكتبة العصرية  
بيروت

الجزء الثالث









# شرح مقاييس الجري

للأبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الثالث

المكتبة الحصرية  
بمكة

جميع الحقوق محفوظة

١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م

شركة البناء شريف لايف ستايل  
للطباعة والنشر والتوزيع

المكتبة العصرية للطباعة والنشر

الدار البيضاء - المغرب  
المطبعة العصرية للنشر

بسموت - ص.ب. ٨٣٥٥ - تلكر - BCST-12VLE

مكتبا - ص.ب. ٢٤١ - تلكر - ٢٩١٩٨ LE

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقامة الحادية والعشرون وهي الرازية

حَدَّثُ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : عُثِيتُ مُذْ أَخْكَمْتُ تَذْيِيرِي ،  
وَعَرَفْتُ قَبِيلِي مِنْ دَيْبَرِي ، بَأَنْ أَصْنَيْ إِلَى الْعِطَاتِ ، وَأُنْسِي  
الْكَلِمَ الْمُحْفَظَاتِ ، لِأَتَحْلِيَ بِمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ ، وَأَتَحْلِيَ بِمَا  
يَسِمُ بِالْإِخْلَاقِ . وَمَا زِلْتُ أَخَذَ نَفْسِي بِهَذَا الْأَدَبِ ، وَأَخْذُ  
بِهِ جَمْرَةَ الْأَمْضَبِ ؛ حَتَّى صَارَ التَّطَبُّعُ فِيهِ طِبَاعًا ، وَالتَّكَلُّفُ  
لَهُ هَوًى مُطَاعًا .

عُثِيتُ ، أَيْ شَغِلْتُ . أَخْكَمْتُ : أَتَقَفْتُ . قَبِيلِي مِنْ دَيْبَرِي ، أَيْ مَا أَقْبَلُ  
عَلَيْهِ مِنْ أُمِّي وَمَا أُدْبِرُ عَنْهُ . ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ : مَا يَعْرِفُ قَبِيلًا مِنْ دَيْبَرٍ ، أَيْ  
مَا يَعْرِفُ الْإِفْئَالَ مِنَ الْأَدْبَارِ ، أَيْ مَا يَعْرِفُ مَا أَقْبَلَ بِهِ مِنَ الْقَبْلِ إِلَى الصَّدْرِ  
تَمَّا أُدْبِرُ عَنْهُ . وَقِيلَ : مَعْنَاهُ : مَا يَعْرِفُ الشَّاةَ الْمُقَابِلَةَ مِنَ الْمَدَابِرَةِ ، وَالْمُقَابِلَةَ الَّتِي شُقَّ  
أُذُنُهَا إِلَى قُدَامِ ، وَلِلْمَدَابِرَةِ الَّتِي شُقَّ أُذُنُهَا مِنْ مُؤَخَّرِهَا ، وَتُرِكَ مَاقِطَعٌ مَعْلَقًا إِلَى  
خَلْفِ لَايِسِينَ .

أَصْنَيْ : أَمِيلُ . الْعِطَاتُ : هِيَ الْمَوَاعِظُ . أُنْسِي : أَتْرُكُ . الْكَلِمَ : جَمْعُ كَلِمَةٍ .  
الْمُحْفَظَاتُ : الْمُنْضَبَاتُ . أَتَحْلِي : أَزِينُ وَأَنْصِفُ . وَأَتَحْلِي : أَزُولُ وَأَتَفَرِّغُ ،  
وَتَحْلِيَّتُ مِنْ كَلِمَةٍ تَرْكَنُ . يَسِمُ : يُجْعَلُ سِمَةً . الْإِخْلَاقُ : الْعُيُوبُ وَتَمْزِيقُ الْعِرْضِ  
وَأَصْلُهُ فِي الثَّوْبِ . أَخْذُ : أَسْكَنُ .

### [ الطبع والتطبيع ]

والتطبيع له في الطبيعة أثر، وإن لم تذهب الطبيعة بالجملة، لأنه اتفقت العرب والدجم على قولهم : الطبع أملك . وكان ملك من ملوك الفرس ، له وزير مجرب حازم ، فكان يعرف الثمن في مشورته ، فهلك وقام ابنه بعده ، فلم يرفع به رأساً ، فذكر له مكاتته من أبيه ، قال : كان أبي يغلط فيه ، وسأريكم ذلك . فأحضره ، وقال له : أيهما أغلب على الرجل ؟ الأدب أو الطبيعة ؟ فقال : الطبيعة لأنها أصل والأدب فرع ، وكل فرع يرجع إلى أصله . فدعا الملك بسفرة فوضعت ، وأقبلت سنانير بأيديها الشمع ، فوقفت حول السفرة ، فقال له : اعتبر خطأك وضعف مذهبك ، متى كان أبو هذه السنانير شجاعاً ؟ فقال له : أمهلي في الجواب إلى الليلة المقبلة ، قال : لك ذلك . فخرج الوزير ، وأمر غلامه أن يسوق له فارة فساقها حية فربطها بخيط وعقدتها في سنيته . فلما راح إلى الملك وضعها في كتمه ، ودخل فأحضر السفرة والسنانير ألقى لها الوزير الفارة ، فاستبقت السنانير إليها ، وتطايير الشمع حتى كاد البيت يضطرم عليهم ناراً . فقال للملك : كيف رأيت غلبه الطبع للأدب ! قال : صدقت ورجع له ما كان عليه أبوه . وقال ذو الإصبع : كل امرئ راجع يوماً لشيئته وأن تخلق أخلاقاً إلى حين<sup>(١)</sup>

وقال المتنبي :

أبني خلق الدنيا حبيباً تُدِيمه فإطاي منها حبيباً تردّه<sup>(٢)</sup> ؟  
وأيسر مفعول فلت تغيراً تكلف شيء في طباعك ضده

وقال العرجي :

يأتيها المتعلّي غسير شيمته ومن شمائله التبديل والمَلق<sup>(٣)</sup>

(١) من مفضيته ٣١ من ١٦٣ ، وفيه : « سائر » . (٢) ديوانه ٢ : ١٩ .

(٣) ديوانه ٣٣ ، وفيه : « ومن شمائله الإقصار » .

ارجع إلى خلقك المعروف بدينه<sup>(١)</sup> إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخَلْقُ  
وقال المتنبي أيضاً :

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل<sup>(٢)</sup>  
وقال الشريف :

هيأت لا تتكلفن لي الهوى فضح التطيع شيمة المطبوع<sup>(٣)</sup>  
وقال ابن طاهر الأندلسي :

نقل الطباع من الإنسان محتمع صعب إذا رامه من ليس من أربه  
يريد شيئاً وتأباه طبائمه والطبع أملك للإنسان من أديه  
فيريده أنه راض نفسه على اتباع الخير وبعد الشر ، حتى انقادت له إلى ما يريد ،  
والتطيع استعمال غير مافي طبعك ، والتكلف استعمال ما لا تقدر عليه إلا بمشقة .

\*\*\*

فَلَمَّا حَلَّتْ بِالرَّيِّ ، وَقَدْ حَلَّتْ حَبَا أُنْثَى ، وَعَرَفْتُ  
الْحَيَّ مِنَ اللَّيِّ ، رَأَيْتُ بِهَا ذَاتَ بُكْرَةٍ ، زُمَرَةٍ فِي إِثْرِ زُمَرَةٍ ،  
وَهُمْ مُنْتَشِرُونَ انْتِشَارَ الْجَرَادِ ، وَمُسْتَنْوُونَ اسْتِنَانِ الْجِيَادِ ،  
وَمُتَوَاصِفُونَ وَاِعْظَا يَقْصِدُونَهُ ، وَيُحِلُّونَ ابْنَ سَمُومٍ دُونَهُ .

[ الرّى ]

قوله : « فلما حلت بالرّى » :

الرّى : أرض على جادة خراسان ، واسم مدينة الرّى اللمدية ، سميت

(١) في الديوان : « ارجع إلى الحق إما كنت فاعله » .

(٢) ديوانه ٣ : ٢٢ .

(٣) ديوانه ١ : ٤٩٦ .

بهذا الاسم ، لأنّ للهدى تولّاداً في خلافة المنصور لما توجه إلى خراسان لمحاربة عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزديّ ، وبها ولد الرشيد ، والمهديّ أقام بها عدة سنين ، فشيّد بناءها وأتقنه ، وأرضع نساء الوجوه من أهلها الرشيد . وأهل الرىّ أخلاط من العرب ، والمجم قليل فيها . وافتتحها قرط بن كعب الأنصاريّ في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ويشرب أهلها من عيون كثيرة وأودية عظيمة ، وبها وادٍ عظيم يأتي من بلاد الديلم يقال له نهر عيسى ، ولكثرة مياه البلد كثرت ثماره وجنّاته وأشجاره ، وله رساتيق <sup>(١)</sup> وأقاليم . ونسب إليها الرازيّ ، وهو من شاذّ النسب .

وكتب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم : ما يقيمك بأرض الفراعنة والجبابرة ! سرّ إلى خراسان ، أرض الفضة والعيان ، والجوارى الحسن .

\* \* \*

وتقدّم الجبا . والنّى : الضلال ، والعرب تقول : ما يعرف الحىّ من اللىّ ، والحوّ من اللو ، قوله لمن تستجمله وتنفي عنه الفطنة ، وتصريفها أنّ الحىّ مصدر حويت الشيء حزته وجمعه ، ولويت الرجل : مطلته ومنعته حقّه لوّاً وليّاً ولياناً ، فالحىّ مدح واللىّ ذم ، فكأنّه إذا قال : عرفت الحىّ من اللىّ إنما قال : عرفت الخير من الشرّ ، وما يضرّ بما ينفع ، وعرفت الحىّ من اللىّ . وقبيل من ديري ، إنما يستعملان في النفي . وتجوز أبو محمد في استعمالهما في الإيجاب حيث كان أصلاً للنفي .

الزّمرة : الجماعة ، وتقول : فلان إثر فلان أى خلفه وقريناً منه ، كأنه يتبع أثره إذا رضع هذا قدمه وضع الآخر قدمه في الموضع . منقشرون : متارقون . مستثنون : جارون . متواصفون : يصفه بعضهم لبعض .

\* \* \*

(١) الرساتيق : القرى ، واحده رستان ، مررب

## [ ابن سمون ]

ابن سمون : هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن<sup>(١)</sup> عيسى بن إسماعيل المعروف بابن سمون، الواعظ . وكان وحيد عصره وفريد عصره في الإخبار عما هجس في الأفكار ، ولثا من الأولياء الأخيار ، كلامه في الوعظ نافع ، ونصحه في القلوب ناجع ، ومجمله في تصاريف الكلام على الخواطر رحب واسع . وكان يقال : له الشيخ المنطق<sup>(٢)</sup> بالحكمة .

وحدث أبو الطاهر محمد بن عليّ العلاف قال : حضرت ابن سمون يوماً وهو في مجلس الوعظ على كرسيه ، وكان أبو الفتح القواس جالماً إلى جنب الكرسي ، فشبه النعاس فنام ، فأمسك أبو الحسن عن الكلام ساعة حتى استيقظ أبو الفتح ورفع رأسه ، فقال له : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في نومك؟ قال نعم ، فقال أبو الحسن : لذلك أمسكت عن الكلام خوفاً أن تنزعج وتنقطع عن الكلام الذي كنت فيه<sup>(٣)</sup> .

وذكر أبو عليّ الهاشمي ، قال : حكى لي مولى<sup>(٤)</sup> الطائع لله تعالى ، قال : أمرني الطائع أن أوجه إلى ابن سمون فأحضره دار الخلافة ، ورأيت الطائع على صفة من الغضب - وكان يتقي في تلك الحال ، لأنه كان ذا حدة - فبعثت إلى ابن سمون وأنا مشغول القلب لأجله ، فلما حضر ، أعلمت الطائع حضوره - فجلس مجلسه ، وأذن له في الدخول فسلم عليه<sup>(٥)</sup> بالخلافة ، ثم أخذ في وعظه فأول ما ابتداء به أن قال : روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ... وذكر خيراً ، ولم يزل يجرى في ميدان الوعظ حتى بكى الطائع وسمع شهيقه ، وابتل منديل بين يديه بدموعه ، فأمسك ابن سمون حينئذ ، ودفع إلى درجاً فيه طيب

(١) المنتظم : « ابن عنبس » .

(٢) المنتظم : « التاطق بالحكمة » .

(٣) المنتظم : ٧ : ١٩٩ .

(٤) المنتظم : « دجى مول الطائع » .

(٥) المنتظم : « فسل وسلم بالخلافة » .

وغيره ، فدفعته إليه وانصرف . وعدت إلى الطائع ، وقلت : يامولاي ، رأيتك على صفة من الغضب على ابن سمعون ، ثم انتقلت عنها عند حضوره ، فالسبب ؟ قال : رُفِعَ إلى أنه ينتقص علياً رضى الله عنه ، وأُحِبَّتْ أن أتيقن ذلك ، فإن صح منه قلته ، فلما حضريين يدى افتتح كلامه بذكره <sup>(١)</sup> والصلاة عليه ، وأعاد في ذلك وأبدى ، وقد كان له مندوحة في الرواية عن غيره وترك الابتداء به ، فعلت أنه وفق <sup>(٢)</sup> لما تزل به عنه الظنة ، وتبرأ ساحتها عندي ، ولعله كوشف <sup>(٣)</sup> بذلك .

وله كتاب المجالس وهو كله أحاديث متصلة الأسانيد .  
ومن كلامه أن القلب بمنزلة المرأة فإذا أصابها لطخة عوجلت بالزيت ، فإذا زادت زيد فيها من حثات الآجر ، فإذا زادت جليت بالحديد ، فإذا زادت على ذلك حتى ركبها الصدأ لم يكن لها بُدٌّ من عرضها على النار حتى يتم جلاؤها .  
توفي ابن سمعون في ذي القعدة سنة سبع وثمانين وثلثمائة ، ودفن بداره بشارع العباسي ، فلم يزل هناك حتى قتل يوم الخميس الحادي عشر من رجب سنة ست وعشرين وأربعمائة ودفن بباب حرب ببغداد . وقيل : إن أكفانه لم تكن بليت بعد .

\* \* \*

فلم يتكادني لاستماع المواعظ ، واختيار الواعظ ؛  
أن أقاصي اللاغظ ، وأحتمل الضاغظ . فأصحبت أصحاب  
المطوعة ، وانخرطت في سلك الجماعة ؛ حتى أفضيتنا إلى  
ناد جمع الأمير والمأمور ، وحشد النبوة والمنصور ، وفي وسط  
هالته ، ووسط أهله ، شيع قد تقوس واقعنس ،

(١) النظم : « يذكر على » .

(٢) النظم : « وقف » .

(٣) الخبر في النظم : ٧ : ١٩٩ ، وانظر بقية أخباره هناك .



وَتَقْلَنْسَ وَتَطْلَسَ ؛ وَهُوَ يَصْدَعُ بَوْعُظٍ يَشْفِي الصُّدُورَ ،  
وَيُلِينُ الصُّخُورَ ؛ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ ، وَقَدْ افْتَنَنْتَ بِهِ الْقَوْلُ :

. . .

قوله : يتكأء دنى ، أى يشقّ على . أقامى : أباعد . اللاغط : الصائح بكلام  
لا يفهم ، والضابط : الذى إذا زاحمك ضنطك لحائط أو غير محتى ينقطع نَفْسُكُ ،  
يريد أنه لم يمنه ما أصابه من السبّ والصياح به والضغط واللكز من مزاحمة  
الناس حتى قرب من الواعظ .

وبين هذا قوله فى الحسين : « ولم أزل أُنقل فى المراكز ، وأغضى للأكز والواكر » .  
أصحبت : انقدت . المطوعة : المتقادين للطاوعين . والانخراط : دخول  
الإنسان فى الأمر بغير علم . وتقدّم السلوك .

أفضينا : وصلنا ، وأراد أن هذا المجلس جمع العامة والأمير ، ومن له ذكر رفيع  
وشهرة . ومن هو مجهول مخمول . وأراد بالهالة حلقة الناس ، وبالأهالة أشراف  
الناس والعلماء . وحرك السين من « وسط » ، مع الهالة لأنها دائرة وساحة ، العرب تقول :  
فلان جلس وسط الدار واحتجم وسط الرأس بالتحريك ، وسكن مع الأهلة لأنه  
أراد معنى بين ، والعرب تقول : جلس وسط القوم ، فحملوه على بين ، لما حلّ  
محلها وكان فى معناها ، ولا يجوز جلس بين الدار ، فلها لا يقال جلس وسطها بالتسكين .  
تقوس : انحنى . اقلنس : تقبّض واحد ودب . والقفس : دخول الظهر  
وخروج الصدر ، والحذب ضده وبينه الراجز بقوله .

\* أقس عشى مشية التتاعس \*

تقْلَنْسَ : لبس القلنسوة . تطْلَسَ : لبس الطيلسان وهو كساء أخضر يلبسه  
الغلاص . يصدع : يشقّ .

\* \* \*

ابن آدم، ما أغراك بما يُفرك، وأضرأك بما يضرأك،  
وَأَلْهَجَك بما يُطْهِيك، وَأَهْجَك بِمَنْ يُطْرِيك. مُعْنَى بَمَا  
يُغْنِيكَ، وَتُهَيِّجُ مَا يَغْنِيكَ، وَتُزْعِجُ فِي قَوْسِ تَعْدِيكَ،  
وَتَرْتَدِي الْحَرْصَ الَّذِي يُرْدِيكَ؛ لَا بِالْكَفَافِ تَقْتَسِعُ،  
وَلَا مِنَ الْحَرَامِ تَقْتَنِعُ، وَلَا لِلْمِغْطَاتِ تَسْتَمِعُ، وَلَا بِالْوَعِيدِ  
تَرْتَدِعُ. دَأْبُكَ أَنْ تَقْلُبَ مَعَ الْأَهْوَاءِ، وَتَخْبِطَ خَبْطَ  
الْمَشْوَاءِ، وَهَذِكِ أَنْ تَدَابَّ فِي الْأَحْثَرَاتِ، وَتَجْمَعَ الثَّرَاثُ  
لِلْوَرَاثِ؛ يُعْجِبُكَ التَّكَاثُرُ بِمَا لَدَيْكَ؛ وَلَا تَذْكُرْ مَا بَيْنَ  
يَدَيْكَ، وَتَسْعَى أَبَدًا لِغَارِيكَ، وَلَا تَبَالِيَ أَلَاكَ أَمْ عَلَيْكَ.  
أَنْظُرْ أَنْ مَسْتُرَكَ سَدَى، وَأَلَّا تَحَاسِبَ غَدًا؛ أَمْ تَحْسِبُ أَنَّ  
الْمَوْتَ يَقْبَلُ الرِّشَا، أَوْ يَمُتُّ بَيْنَ الْأَسَدِ وَالرِّشَا. كَلَّا وَاللَّهِ  
لَنْ يَدْفَعَ النَّدُونَ، مَالٌ وَلَا بَنُونَ؛ وَلَا يَنْفَعُ أَهْلَ الْقُبُورِ؛  
سِوَى الْعَمَلِ الْمَبْرُورِ. فَظُوبَى لِمَنْ سَمِعَ وَوَعَى؛ وَحَقَّقَ  
مَا ادَّعَى؛ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى، وَعَلِمَ أَنَّ الْفَائِزَ مَنْ  
ارْغَوَى، وَأَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، وَأَنْ سَعْيِهِ سَوْفَ  
يُرَى. ثُمَّ أَنْشَدَ إِنْشَادَ وَجِلٍ، بِصَوْتٍ زَجَلٍ:

قوله: «ما أغراك» ما أكثر لصوفك. بفرك: بذلك على الغرر. أضرأك: أشد  
ملازمتك. ألهجك: أشد حبك.

يطنيك: يردك طائفاً متجاوزاً قدرك. أهجك: أشد سرورك. يطريك:

يمدحك في وجهك، والنفس ميالة كثيرة الانخداع بمن يعظم شأنها ويشئ عليها،  
فرارة ممن يحقرها ويذمها، ولذا قال صلى الله عليه وسلم: «احتوا التراب في وجوه  
المداحين» تذليلهم بذلك حيث أكسبوا غيرهم عزة النفس والكبر. قال الشاعر:

وخدعته بخديعة لما أبى والخِرَ يُخدَعُ بالكلام الطيبِ

تعنى: تشتغل . يفتيك : يتمبك . تنزع : ترمى . تمدك : ظلك الخرص :  
أسوأ العلم . يردك : يهلكك .



### [ نبذ من الأقوال الحكيمة ]

كعب بن مالك قال: قال رسول الله صلى عليه وسلم: «ما ذئبان جائعان أرسلا  
في غنم بأفسد لها من حرص المرء على اللال والسرف لدينه» .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أقربت الساعة ولا يزداد الناس إلا حرصاً  
على الدنيا ولا تزداد منهم إلا بلاء» .

وقال محمود الوراق :

كم إلى كم أنت للحسر من وللآمال عبد  
ليس يمدى الخوص والسعوى إذا لم يك جد  
ما لما قلده الله من الأمر مرث

وفي كتاب للهند : لا ينبغي للمتمسك من عيشه إلا الكفاف الذي يدفع به  
الحاجة عن نفسه ، وما سوى ذلك فإنما هو زيادة في عمه .

وقالت الحكماء : أقل الدنيا يكنى ، وأكثرها لا يكنى .

وقال أبو ذؤيب :

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا وَإِذَا نُرِدَّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ <sup>(١)</sup>  
وقال سمد بن أبي وقاص رضي الله عنه لابنه : يا بُنَيَّ ، إِذَا طَلَبَتِ الْغَنَى فَاطْلُبْهُ  
بِالْقَنَاعَةِ ، فَإِنَّهَا مَالٌ لَا يَنْفَدُ ، وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعُ فَإِنَّمَا هُوَ قَرَّ حَاضِرٌ . وَعَلَيْكَ بِالْيَأْسِ  
فَإِنَّكَ لَمْ تَيَأَسَ مِنْ شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا أَغْنَاكَ اللَّهُ عَنْهُ .

وقال : الغنى من استغنى بالله والفقير من افتقر إلى الناس .

قال ابن أبي حازم رحمه الله تعالى :

اسْتَغْنِ بِاللَّهِ لَا تَفْزَعْ إِلَى النَّاسِ واقْنَعْ يَأْسٍ فَإِنَّ الْعِزَّ فِي الْيَأْسِ  
وَاسْتَغْنِ عَنْ كُلِّ ذِي قُرْبَى وَذِي رَحِمٍ إِنْ الْغَنَى مَنِ اسْتَغْنَى عَنِ النَّاسِ  
وَمَنْ دَعَا عَمْرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : اللَّهُمَّ ، لَا تُكْثِرْ لِي مِنَ الدُّنْيَا فَأَطْلُقَ ، وَلَا  
تَقْلِلْ لِي مِنْهَا فَأَنْسَى ، فَإِنَّهُ مَا قَلَّ وَكَفَى ، خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهِى .

وقالوا : ثمرة القناعة الراحة ، وثمره الحرص التمسك .

وقالوا : لا غنى إلا غنى النفس .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عِنْدَكَ مَا يَكْفِيكَ وَأَنْتَ تَطْلُبُ  
مَا بَيْنَ يَدَيْكَ ! لَا قَلِيلٌ تَقْنَعُ ، وَلَا كَثِيرٌ تَشْبَعُ . يَا بَنِي آدَمَ ، إِذَا أُصْبِحْتَ آمِنًا فِي سَرِيكَ  
مَعَاذِي فِي بَدَنِكَ ، عِنْدَكَ قُوَّةٌ يَوْمَكَ فَعَلِيَ الدُّنْيَا الْمَغَاءُ » .

وقيل لأبي حازم : مائلك ؟ فقال : مالان : الغنى بما في أيدي ، واليأس مما في  
أيدي الناس

وقيل لآخر : ما مائلك ؟ فقال : التَّجَمُّلُ فِي الظَّاهِرِ وَالْقَصْدُ فِي الْبَاطِنِ .

ومما قيل من الشعر في معنى ما تقدم ، قال محمود الوراق :

يا عائب الفقر ألا تزدرى عيبُ الفنى أ كبرُ لو تعتبر  
 من شرف الفقر ومن فضله على الفنى لو صح منك النظر  
 أنك تمنى الله تبني الفنى وليس تمنى الله كي تفقر

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

ومن سره أن لا يرى ما يسوءه فلا يتخذ شيئاً يخاف له قدراً  
 فإن صلاح للرء يرجع كله فساداً إذا الإنسان جاز به الحداً

وقال البحتري :

إذا ما كان عندي قوت يومٍ طرحتَ الهمَّ عني يا سعيد  
 ولم تخطر هموم غدٍ بيالي لأن غداً له رزق جديد

وقال ابن طباطبا:

إن في نيل المني وشك الردى وقياس القصد ضد السرف  
 كسراج دهنه غمر له فإذا غرقته فيه طفي

ونال آخر :

وإذا نبا بي منزل جاوزته واعتضت منه غيره لي منزلاً  
 وإذا غلا شيء على تركته فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

• • •

قوله : « ولا بالوعيد ترتدع » أى لا تكف عن غييك ولا ضلالت  
 بما تخوف به من أهوال الآخرة . دأبك ، أى عادتك . الأهواء : جمع هوى ،  
 وهو ما تحبه النفس وتميل إليه . تحبط : تمتشى على حماية . الصنواء : الناة التى  
 لا تبصر . تدأب : تداوم . الاحتراث : الكسب . التراث : المال الموروث .

### [ نَبَذَ مِنَ الْأَقْوَالِ الْحَكِيمَةِ أَيْضًا ]

وفى معناه أنه وجد على حائط مكتوبا : ابن آدم غافص <sup>(١)</sup> الفرصة عند إمكانها ، وكل الأمور إلى وليها ، ولا تَحْمَلْ في قلبك همَّ يوم لم يأت إن يكن من أجلك ، يأتك الله برزقك فيه ، ولا تجعل سعيك في طلب المال أسوة المغرورين ، فرب جامع لبقل حليته . واعلم أن تقتير المرء على نفسه توفير منه على غيره ، فالسعيد من انتعط بهذه الكلمات . قال بديع الزمان :

أيا جامع المال من حله      يبيت ويصبح في ظله  
سيؤخذ منك غداً كله      وتُسأل من بعد عن كله

وله أيضاً :

يا حريصاً على النقي      قاعداً بالمراد  
لست في سعيك الذي      خضت فيه بقاصد  
إن دنياك هذه      لست فيها بخالد  
بسد هذا فإتما      أنت ساعٍ لقاعد

وقال سابق البربري :

فحتى متى تلهو بمنزل باطل      كأنك فيه ثابت الأصل قاطن  
وتجمع مالا تأكل الدهر دائباً      كأنك في الدنيا لميرك خازن  
وقال رجال لمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن فلاناً جمع مالا ، قال :  
فهل جمع له أياماً ! أخذه الشاعر فقال :

ارفه يعيش فقى يضلوا على ثقة      إن الذى قسم الأرزاق يرزقه  
فالمرض منه مصون لا بدنس      والوجه منه جديد ليس يخلفه  
جمعت مالا فتكبر هل جمعت له      يا جامع المال أياماً تفـرقه  
المال عندك مخزون لو ائته      ما المال مالك إلا حين تنفقه

(١) في اللسان : غافص الرجل مغافصة ، أخذه على غرة

قوله : « التكاثر » أى كثرة المال، تقول : تكاثر المال تكاثراً : جاز  
الحدّ في الكثرة .

أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من أمسى وأصبح وهمه الدينار  
والدرهم تكاثراً حشر مع اليهود والنصارى ، والذين قالوا ما هي إلا حياتنا  
الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر » .

تسمى لفارنيك : تمجد في كسبك لتدرك شهوة بطنك وفرجك ، وهما  
الفاران ، قيل : هما الفرج والقم . وقيل : الحنكان : الأعلى والأسفل ؛ وأخذ  
اللفظ من قول الشاعر :

ألم تر أن الدهر يومٌ وليلة وأن الفتي يسعى لفارنيك دأبها

قوله سدى ، أى مهمل مسيب . الرشا بالضم : جمع رشوة وهي العطية تدفع  
بها مضرة من يتدر عليك . الرشا ، بالفتح : الغزال . كلاً : زجر . المنون :  
هي المنية ، المبرور . المتقبل . وعى : حفظ الوصية . ما ادعى ، أى ما ادعاه من أنه  
قبل الوصية . وحققه : داوم عليه بعمله . ارعوى : رجع وتاب . ما سعى ، أى  
ما عمل وتمب فيه . الفائز : الظافر بمحاجته . وجل : خائف . زجل : شديد ،  
وزجل الصوت زجلاً : ارتفع وأيضاً طرب .

وقال أبو العتاهية فيما تقدّم من ذكر الموت :

بين عيني كلّ حين علم الموت يلوح  
كلنا في غفلة والسموت يندو ويروح

وقال البديع :

إنما الدنيا غرور ولن أصنى نصيح

ولسان الدهر بالوعظ لواعيه فصيحُ  
نحن لا هون وآجا لُ المنايا لا تريحُ

\*\*\*

لَعَمْرُكَ مَا تُنْفِي الْمَخَانِي وَلَا أَنْفِي  
إِذَا سَكَنَ الْمُثْرَى الثَّرَى وَثَوَى بِهِ  
فَجَذُّ فِي مَرَاضِي اللَّهِ بِالْمَالِ رَاضِيًا  
بِمَا تَقْتَنِي مِنْ أَجْرِهِ وَثَوَابِهِ  
وَبَادِرُ بِهِ صَرْفَ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ  
بِمُخْلَبِهِ الْأَشْمَى يُؤْمَلُ وَنَابِهِ  
وَلَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ الْخَثُونَ وَمَكْرَهُ  
فَكَيْفَ خَامِلٍ أَخْفَى عَلَيْهِ وَنَابِهِ  
وَعَاصٍ هَوَى النَّفْسِ الَّذِي مَا أَطَاعَهُ  
أَخُو ضَلَّةٍ إِلَّا هَوَى مِنْ عِقَابِهِ  
وَحَافِظٌ عَلَى تَقْوَى الْإِلَهِ وَخَوْفِهِ  
لَتَنْجُوَ مِمَّا يُتَّقَى مِنْ عِقَابِهِ  
وَلَا تَلَهُ عَنْ تَذْكَارِ ذَنْبِكَ وَابْنِكَ  
يَدْمَعُ يُضَاهِي الْمُرْنَ حَالَ مَصَابِهِ  
وَمَثَلُ لَمْنِكَ الْحِمَامِ وَوَقْمَةُ  
وَرَوْعَةُ مَلَقَاهُ وَمَعْلَمُ صَابِهِ



وإن قصارى منزل الحى حُفْرَةٌ  
 سَنَزِلُهَا مُسْتَنَزِلًا عَنْ قَبَائِهِ  
 فَوَاهَا لِعَبْدٍ سَاءَ سَوْءٌ فَعِلِهِ  
 وَأَبْدَى التَّلَافِي قَبْلَ إِغْلَاقِ بَابِهِ

\* \* \*

قوله : تعمرك ، القمر البقاء ، فأقسم به كأنه قال : وحق بقائك الكريم على  
 المحبب إلى .

المغاني : المنازل الشريفة . الثرى : الكثير المال . الثرى : التراب الندى ،  
 وأثرى صار له كثير من المال كالثرى فى كثرته . ثوى : أقام . جُدْ : تكرم  
 بمالك . تفتى : تكتسب ، أى لاتنفع للنازل الرضية البناء ولا المال الكثير إذا  
 آل الحال إلى اللوث . بادر : سابق . صَرَفَ : تقلب .

الأشقى : الموج . يقول : يهلك . نابه : ضره . الخئون : الكثير الخيانة .  
 النابه والنبيه ، من النباهة وهى الجلالة والرفعة ، وانحامل ضده ، وأخفى على :  
 أخذ مالى . ضلة ، أى ضلالة ، وهوى : سقط . عقابه الأول جباله ، والثانى عذابه .  
 تله : تشتغل . يضاى : يشابه . الويل : أكثر المطر . حال مصابه ، أى حال  
 وقوعه ، والمصاب : مصدر صاب يصوب صوباً ومصاباً . الحمام : الموت . روعة :  
 فزع صاحبه حين لقاءه . صابه : مره ، والصاب شجر مرّ . وقصارى : آخر ونهاية ،  
 كأنه قصر عندها أى جلس فلم يجاوزها . واهاً : عجباً . التلافي : التدارك لما فات .  
 إغلاق باب ، أى موته .

[ ملك اللوث ]

وفى روعة لقاءه يحكى أن إبراهيم عليه السلام ، قال ملك اللوث : هل تستطيع  
 ( ٢ - مقامات الحريرى - ج ٣ )

أَنْ تُرَى صُورَتَكَ الَّتِي تَبِضُّ عَلَيْهَا رُوحُ الْفَاجِرِ ، قَالَ : لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ ، قَالَ :  
 بَلَى ، قَالَ : فَأَعْرِضْ عَنِّي ، ثُمَّ التَفَتَ ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ أَسْوَدَ قَائِمٍ الشَّعْرَ مَتْنِ  
 الرِّيحِ ، أَسْوَدَ الثِّيَابِ ، يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ وَمِنْ مَنْخَرِهِ لَهَبُ النَّارِ وَالِدُخَانٍ . فَفُشِيَ  
 عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثُمَّ أَفَاقَ وَقَدْ عَادَ إِلَى صُورَتِهِ : فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : لَوْلَمْ يَكُنْ  
 لِلْفَاجِرِ عِنْدَ مَوْتِهِ إِلَّا صُورَتَكَ لَكَانَ حَسِبَهُ .

وَفِي مَطْعَمِ صَابِهِ ، يَحْكِي أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لَهُ اللَّهُ تَعَالَى : كَيْفَ وَجَدْتَ  
 الْمَوْتَ يَا خَلِيلِي ؟ قَالَ : كَسَفُودٍ جُمِلَ فِي صُوفٍ رَطْبٍ ، قَالَ : أَمَّا إِنَّا هَوْنًا عَلَيْكَ .  
 وَقَالَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : كَيْفَ وَجَدْتَ الْمَوْتَ ؟ قَالَ كَمَعْصُورٍ يَقِلُّ عَلَى الْقَتْلِ ،  
 لَا يَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ ، وَلَا يَطْلُرُ فَيَنْجُو . وَفِي رِوَايَةٍ : كَشَاةٍ تُسْلَخُ مِنْ جِلْدِهَا  
 وَهِيَ حَيَّةٌ .

وَقَالَ كُتُبُ الْأَحْبَارِ لِعَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَقَدْ سَأَلَهُ أَنْ يُخَبِّرَهُ عَنِ الْمَوْتِ ،  
 قَالَ : الْمَوْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَنَصْنِ كَثِيرِ الشَّوْكَ ، أَدْخَلَ جُوفَ رَجُلٍ ، فَأَخَذَتْ  
 كُلُّ شَوْكَةٍ بِمِرْقٍ ، ثُمَّ جَذَبَهُ رَجُلٌ شَدِيدُ الْجَذْبِ ، فَأَخَذَ النَّصْنَ مَا أَخَذَ ، وَأَبْقَى  
 مَا أَبْقَى .

وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ مَوْتِهِ يَقُولُ : « إِنْ لِلْمَوْتِ لَسَكْرَاتٌ ، اللَّهُمَّ  
 هَوِّنْ عَلَى سَكْرَاتِ الْمَوْتِ »

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : « لَا أُعْطِ أَحَدًا يَهُونُ عَلَيْهِ الْمَوْتُ بَعْدَ الَّذِي رَأَيْتَهُ  
 مِنْ مَوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

فَهَذِهِ حَالُ أَحِبَّاءِهِ فَكَيْفَ بِمَنْ غَرَفَ فِي بَحَارِ الْمَعَاصِي ! اللَّهُمَّ عَفْوُكَ  
 وَشِعْرُ الْمُقَامَةِ مَزْدُوجُ الْقَوَائِفِ ، وَعَارِضُهُ الزَّاهِدُ بْنُ عِمْرَانَ فَقَالَ :  
 مَالِي وَلِلدُّنْيَا وَعَلَى بَهَا غَرَارَةٌ خِدَاعَةٌ مَالِي

تفرني حتى إذا مُكِّنْتُ      تَبْتُ في نَفْسِي وفي مَالِي  
 هَمْتُ بها جأ قد أَفْسَدْتُ      ما كان من صَالِحِ أَعْمَالِي  
 أَعْمَى المَوَى قَلْبِي وَجَبِي، لَهَا      رَأْسُ خَطَايَا وَأَعْمَالِي  
 تَبْكِي على الفَائِتِ من حُطَّيَا      عَيْنِي بِشُكْلٍ وإِهْمَالِي  
 يارب زهْدَنِي في حَمَا      ولا تَوَاحِذْنِي بِإِهْمَالِي

وله في مثله :

ارغب عن الدنيا وأوصافها      مشوبة بجأتك أوصافية  
 قل أولى الأبواب من فلها      فاصبح إلى نصحي وأوصافية  
 ما بالنفي يفتّر ذو فطنية      كلاً ولا يفتّر بالعافية  
 كم من غيٍّ قد عاد قرأ وكم      عافية قد أصبحت عافية  
 وله أيضاً :

ما ازهد يا قوم - فلا تجهلوا -      بلبس أَسْمَالٍ وأَخْلَاقِي  
 لكنه لبس ثياب التقى      في حسن آدابٍ وأَخْلَاقِي  
 وله أيضاً :

خِلِّي لا يَفْرُزْك مِنِّي ظَاهِرِي      ومهما سألت الله فاسأله لي صفحا  
 فلو كنت ذا علم كملني بباطني      لأضربت عن ذكرى أيادي النهى صفحا  
 ولكن أرى الله الجليل بفضله      فلم يفس لي سراً ولم يُبَدِّلْ صفحا  
 وقال بعض الزهاد لصاحبه : إني أحبك في الله ، فقال له : لو علمت مني  
 ما أعلم من نفسي لأبغضتني في الله .  
 وله أيضاً :

تحفظ بدينك لا تبعذله      ولا تلغِ عرضك عرضاً كاليما

وعدُّ عن الذنب لآثاته وبادر بإصلاح مامتك ليما  
فأنت ابن عمران موسى المبيء ولست ابن عمران موسى الكاظم

وقال غيره :

لا تأمن الدهر الخنثى ن وخف بواذر بفتحته  
فالوت سهم مرسل والعمر قدر مسافته

\* \* \*

قال : فظلل القوم بينَ عَبرَةٍ يَذرونها ، وتوبةٍ يُظهِرونها ؛  
حتى كادت الشمسُ تزولُ ، والفريضةُ تعملُ . فلما خشعتِ  
الأصوات ، والتأَمَّ الإنصاتُ ، واستكثتِ العبراتُ والعباراتُ ؛  
استصرخ مستصرخٌ بالأمير الحاضر ، وجعل يجأرُ إليه من عاملِهِ  
الجائرِ ، والأميرُ صاغِرٌ إلى خَصَمِهِ ، لا يَزالُ عَنْ كَشْفِ ظُلْمِهِ .  
فلما يئسَ مِنْ رَوْحِهِ ، استنهض الواعظَ لنصحه : فنهضَ نهضةً  
الشَّهيرِ ، وأُشِدَّ مُمرَّضاً بالأمير .

\* \* \*

قوله : «عبرة يذرونها» ، أى جمعة يهتبونها . وتعمل ، تزيد وتضييق ، يريد يضييق  
وقتها ، ويدخل عليها وقت غير هافترج صلاتين . خشعت : ذلت . التأَمَّ الإنصات :  
انصل السكوت . استكثت العبرات والعبارات ، أى سكن البكاء والكلام .  
استصرخ مستصرخ ، أى استغاث مستغيث . يجأر : يصيح . يريد أن رجلا تشكى  
للأمير من عامل له ولأه عليهم ، فجاء ، فقال الأمير مع الوالى ، وترك المشتكى .  
وقوله : صاغ ، أى مائل . ولاه ، أى تارك ومشتغل . يئس : قطع رجاءه . رَوْحُه :

نصرته وعدله الذى يريح المشتكى ، والزّوح الفرح والسرور . استنهض : سأله  
المهوض لينصح الأمير .

عائشة رضى الله عنها : قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان  
ذا صلة لأخيه المسلم إلى السلطان في مبلغ برّ ، وتيسير عسير ، أعانه الله على إجازة  
الصراط : يوم دَحَضَ الأقدام » .  
الشّمير : الماضى فى أموره : معترضا : من التعريض وهو أن مخاطب غيره وأنت تريد .



عجبا لِرَاجٍ أَنْ يَنَالَ وِلَايَةً      حَتَّى إِذَا مَا نَالَ بُعَيْتُهُ بَنَى  
يُسْدَى وَيُدْحِمُ فِي الْمَظَالِمِ وَالْعَا      فِي وَرْدِهَا طَوْرًا وَطَوْرًا مُرِلْنَا  
مَا إِنْ يَبَالِي حِينَ يَتَّبِعِ الْهَوَى      فِيهَا أَصْلَحَ دِينُهُ أَمْ أَوْتَقَا  
يَا وَيَحَهُ لَوْ كَانَ يُوقِنُ أَنَّهُ      مَا حَالُهُ إِلَّا تَحَوُّلٌ ، لَمَّا طَنَى  
أَوْ لَوْ تَبَيَّنَ مَا نَدَامَةٌ مَنْ صَفَا      سَمْنَا إِلَى إِفْكِ الْوَشَاةِ بَأْسًا صَفَا  
فَانْقَدَ لِمَنْ أَضْحَى الزَّمَامَ بِكَفِّهِ      وَتَفَاضَ إِنْ أَلْنَى الرِّعَايَةَ أَوْ لَنَا  
وَارَعَ اسْرَارَ إِذَا دَعَاكَ رِغْبِهِ      وَرِدِ الْأَجَاجِ إِذَا حَمَاكَ السَّيْفَا  
وَاحِلْ أَذَاهُ وَلَوْ أَمَضَكَ مَسَّهُ      وَأَسَالَ غَرْبَ الدَّمْرِ مِنْكَ وَأَفْرَغَا  
فَلْيَضْحَكَنَّكَ الدَّهْرُ مِنْهُ إِذَا نَبَا      عَنْهُ وَشَبَّ لِكَيْدِهِ نَارَ الْوَعَى  
وَلِيَنْزِلَنَّ بِهِ السَّمَاتُ إِذَا بَدَا      مُتَخَلِّيًا مِنْ شُغْلِهِ مُتَفَرِّغَا  
وَلَتَأْوِيَنَّ لَهُ إِذَا مَا خَدَّهُ      أَضْحَى عَلَى تَرْبِ الْهَوَانِ مُعْرِغَا

نال بغيته ، أى أدرك ماطلب . بنى : جار وظلم . يسدى ويلحم ، أى  
تصرف في المظالم طولاً وعرضاً ، ومقبلاً ومدبراً . والسدى : خيوط الثوب طولاً ،

واللحمة خيوطه عرضاً : والنا : شارباً . وردّها : ماؤها . مولناً : مسقيّاً غيره ، ويريد أنه يباشر الظلم بنفسه تارة ، ويؤليه غيره أخرى . أوتغ : أفسد وأهلك .  
ياومحه ، قال الأزهري رحمه الله تعالى : ويح كلمة رحمة ، وويل كلمة عذاب ، والفرق بين ويح وويل أن ويح يقال لمن وقع في بليته : يُرْحَمُ ويُدْعَى له بالتخلص منها . وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ويحك » ، فزعزت فقال لي : « يا حميراء ، إن ويح كلمة رحمة فلا تجزعي منها ولكن اجزعي من الويل » .

يوقن : يحقق . تحول تغفير . طغى : ارتفع وجاز الحد في الجور . صنى : مال . إلفك . كذب . الوشاة : جمع واش ، وقد تقدم . أهد : أطلع ، يقول : من أصبح حاكك فاتبعه وأطلع له . تناقض : تناقل : ألقى : ترك . الرعاية : المحافظة للحقوق . لنا : أخطأ وقال قبيحا ، ثم قال : إن حَمَلَك على الذل فاحتمله ، وكنتى برعى للرأرعه . ردّ الأجاج : اشرب الماء المترو والملاح . حماك السّيئنا : منعتك العذب السهل للشرب . أمضك : أحرقت وصيّرك مهوماً ، والمضّ التوجع من قول أوجرح . مثه : وقعه بحسمك . والفرب : فيض النعم ، والفرب : الدلو .

\* \* \*

هذا أنه وَلَسَوْفَ يُوقَفُ مَوْفِقًا      فيه يُرَى رَبُّ الفصاحة أَثْنًا  
وَلَيَحْشَرَنَّ أَذْلًا مِنْ قَعْرِ الْفَلَاحِ      ويحاسبَنَّ على النَّقيصةِ والشَّفا  
ويؤاخذُنَّ بما اجتنبى ومن اجتنبى      وَيُطَالِبُنَّ بما أَحْسَنَى وبما ارتقى  
ويناقشُنَّ على الدقائق مثل ما      قد كان يصنع بالورى بلْ أَبْلَغًا  
حَتَّى يَمُضَّ عَلَى الْوَلَايَةِ كَهَّهْ      ويودُّ لو لم يَنْتَعِ مِنْهَا ما بَنَى

...

هذا له ، إشارة إلى ذل العزل . الأخرس المحبوس اللسان ، وهو أَيْضاً الذى يُبَدِّلُ الباء والراء غيناً . وربّها : صاحبها . والفتق ضرب من الكمأة مَنْ وطئه كسره لضعفه ، وهو الفَقَّاع ، وبه يضرب المثل ، فيقال : أذلّ من قمع بقرقر .

الشفا : الزيادة . اجتنى : جمع أموال الناس وضبطها لنفسه . اجتنبى : اختار ، يريد أنه يطلب بما أخذ من الدنيا ويحاسب على الوالى الذى اختاره وولاه .  
احتسى : شرب الحسوة من اللبن بعد الحسوة . ارتقى : شرب الرّغوة ، أى يؤاخذ بالقليل والكثير والظاهر والباطن . يناقش : يبحث عليه ويخرج ماعنده .  
أبلغ : أزيد . يبع : يدرك ويطلب .

### [ ذكر الولاية والعزل والتشكى من الولاة ]

ونذكر هنا فصلا من الآداب يحتوى على الولاية والعزل والتشكى من الولاة ، حسبما تضمن هذا الموضوع فى المقامة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ستحرصون على الإمارة ، وتكون حسرة وندامة ، فتمتت المرضة ، وبئست الفاطمة » .

أراد عمر رضى الله عنه أن يستعمل رجلا فبدر الرجل يطلب العمل فقال : قد كنّا أردنا لذلك ، ولكن من طلب هذا العمل لم ينع عليه .

ولقى عمر رضى الله عنه أبا هريرة رضى الله عنه فقال : ألا تعمل ؟ فقال : ما أريد العمل ، قال : قد طلبه من هو خير منك ، يوسف الصديق عليه السلام قال :  
( اجعلنى على خزائن الأرض إناى حفيظ عليم ) .

قال المغيرة بن شعبه : أحب الإمرة لثلاث : لرفع الأولياء ، ووضع الأعداء ولستر خاص الأشياء . وأكرهها لثلاث : لروعة البريد ، وذلّ العزل ، وشماتة الأعداء .

وقال أمير لأعرابي : قل الحق وإلا أوجعتك ضرباً ، قال : وأنت فاعمل به ، فوالله لما وعدك الله على تركه أعظم مما نوعدتنى به .

وذكر أهل السطار عند أعرابي ، قال أملوا الله إن اعتزوا في الدنيا بالجنور قد ذلوا في الآخرة بالعدل ، ولقد رضوا بقليل ، فإن عوضاً من كثير باقٍ ، وإنما نزل القدم حيث لا ينفع الندم .

تظلم رجل للمأمون من عامل له ، قال له : يا أمير المؤمنين ، مترك لنا فضة إلا فضتها ، ولا ذهباً إلا ذهب به ، ولا ماشية إلا مشى بها ، ولا غلة إلا غلها ، ولا ضيعة إلا أضاعها ، ولا علفاً إلا علفه ، ولا عرضاً إلا عرض له ، ولا جليلاً إلا أجله ، ولا دقيقاً إلا دق . فغضب المأمون من فصاحته ، وقضى حاجته .

تصطبة بن حميد : إني لواقف<sup>(١)</sup> على رأس المأمون يوماً ، وقد جلس للظلام ، فكان آخر من دخل عليه وتقدم إليه امرأة وقد همَّ بالقيام ، عليها أهبة السفر وثياب رثة . فوقفت بين يديه ، وقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فظفر المأمون إلى يحيى بن أكرم ، فقال يحيى : وعليك السلام يا أمة الله ، تكلمى في حاجتك ، قالت :

ياخير منتصفٍ يرجى له الترشدُ      ويا إماماً به قد أشرق البلدُ  
تشكو إليك عيمدَ الملكِ أرملةً      عداً عليها فلم يترك لها سبيد<sup>(٢)</sup>  
وابترى منى ضياعى بعد منعيتها      ظلماً وقرق منى الأهل والولدُ  
فأطرق المأمون حيناً ثم رفع رأسه فقال :

فى دون ماقلتِ زال الصبرُ والجلدُ      عنى وأقرح منى القلبُ والكبدُ  
هذا أوان صلاةِ العصرِ فانصرفى      واحضرى الخضمِ فى الوقت الذى أعِدُ  
والجلس السبْتُ أن يقضَ الجلوسُ لنا      ننصفكِ منه وإلا المجلسُ الأحَدُ

(١) الخبر فى العدد ١ : ٣٣ ، نهاية الأوب ٦ : ٢٧٦

(٢) السبدي الأصل : الشعر ، يكنى به عن الغنم ، ويكنى بالغنم عن الشجر الغليل :



تجلس يوم الأحد ، فكانت أول من تقدم إليه ، قالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، قال : وعليك السلام ، أين الخمر ؟ قالت : واقف على رأسك ، وأشارت إلى ابنه العباس ، قال : يا أحمد بن أبي خالد ، خذ بيده فأجلسه معها للخصومة . ففعل . فجلس ، فجعل كلامها يعلو كلامه . فقال لها : أحمد يا أمة الله ، أنت بين يدي أمير المؤمنين وتكلمين الأمير ، فاخفضي من صوتك ، فقال له المأمون : دعها يا أحمد فالحق أنطقها والباطل أخرسه . ثم قضى لها برد ضبا عها وظلم العباس <sup>(١)</sup> . وأمر لها بنفقة وبكتاب إلى عامل بلدها أن يحسن معاونتها .

قال أبو العيناء : كان عيسى بن فرخان شاه يتيه على في وزارته ، فلما صرف رهبنى ، فلما لقينى سلم على فدنوت منه وقلت له : والله لقد كنت أقنع بإيمانك دون بيانك ، وبلحظك دون لفظك ، والحمد لله على ما آلت إليه حالتك ، فلئن أخطأت فيك النعمة فلقد أصابت فيك النعمة ، وإن كانت الدنيا أبدت مقابها بالإقبال عليك ، فلقد أظهرت محاسنها بالانصراف عنك ، والله للنة إذ أغنانا عن الكذب عليك ، ونزهننا عن قول الزور فيك ، فقد والله أسأت حبل النعم ، وما شكرت حق النعم . فقيل له : يا أبا عبد الله ، لقد أبلغت في السب ، فما كان الذنب ؟ فقال : سألته حاجة أقل من قيمته ، فردتني عنها بأقبح من صورته .

وقال ابن الرومي في أبي الصقر ، وكان قد مدحه فلم يرفع به رأساً :  
 فلئن نكيت لطلالاً نكيت بك همة لجأت إلى سديدك  
 لو نسجد الأيام لمسجدت إلا ليوم فت في عضدك  
 يا نعمة ولت غضارتها ما كان أقبح حننها بيدك  
 فلقد غدت برداً على كبدي لما غدت حرّاً على كبدي

وقال فيه :

خفف أبا الصقر فك طائر خر صريعاً بمد تخليق

(١) في العقد : « فظلم العباس لظلمه لها » .

زُوجَتْ نَمِي لَمْ تَكُنْ كَفُوفَهَا فَصَانَهَا اللَّهُ بِطَلْقِهِ  
لَا قَدَسَتْ نَمِي تَسْرِبَتَهَا كَمْ حُجَّةٍ فِيهَا لِزَنْدِيقِهِ

وقال فيه قبل النكبة:

غدا يعلو الجياد وكان يعلو إذا ما استغره السبت الطرافا  
أعنتها الشَّوع فإِنْ عراها حفه الكد أنطها طرافا  
فَزُوجَ بِهِ قَرَمٌ مِنْهُ نَمِي أَرَانِي اللَّهُ صَبَّحَتْهَا طَلَقًا  
ومن غرائب التكاثر في العزل، ما كتب به أحمد بن مهران إلى معزول:  
بلغني أعزك الله انصرافك عن علك، فسررت بذلك، ولم أستغفله لعلني بأن  
قدرك أجل وأعلى من أن يرقمك عمل تتولاه، أو يضعك عزل عنه، والله لو لم  
تختر الانصراف، وترد الانزال، لكان في لطف تدبيرك، وحقوب روييتك،  
وحسن تأنيك، ما تزيل به السبب الداعي إلى عزلك والباعث على صرفك، ونحن  
إلى أن نهنتك بهذا الحال، أولى بنا من أن نعزبك؛ إذ أردت الصرف فأوتيته،  
وأحببت الاعزال فأعطيته، فبارك الله لك في منقلبك وهتاك النعم بدوامها،  
ورزقك الشكر الموجب المزيد لك فيها.

كان<sup>(١)</sup> أبو شراعة لا يسأل ابن المدبر حاجة إلا قضاه، ولا يشفع لأحد إلا شفعه،  
فله عول إبراهيم بن المدبر عن البصرة شيعه الناس، فردم حتى لم يبق إلا  
أبو شراعة، فقال يا أبشراعة، غاية كل مودع الفراق. فانصرف راشدا مكلوا  
من غير قلبي والله ولا ملل. وأمر له بمشرة آلاف درهم. فضاقة أبو شراعة وبكى  
وأطال، ثم قال وهو أحسن ما قيل في التهينة بالقرزل:

يا أبا إسحق سِرْ في دَعَةٍ وامنض مكلوا فامنك خلف  
ليت شمري أي أرض أجذبت وأريحت بك من جهد العَجَف  
نزل اللطف من الله بهم وحُرْمَتُكَ بذنب قد سَلَفَ

إِنَّمَا أَنْتَ رَيْعٌ بَاكِرٌ حِينَمَا صَرَفَهُ اللَّهُ أَنْصَرَفَ

وَمِنْ مَلَحَ هَذَا الْبَابِ أَنَّ بَعْضَ الْوُزَرَاءِ قَلَّدَ ابْنَ حِجَاجٍ عَمَلًا ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْخَلِيسِ ، وَتَبِعَهُ كِتَابٌ عَزَلَهُ يَوْمَ الْأَحَدِ ، قَالَ فِيهِ :

بِأَمْنٍ إِذَا نَظَرَ الْهَلَا لُ إِلَى مُحَاسِنِهِ سَجَدُ  
وَإِذَا رَأَتْهُ الشَّمْسُ كَا دَتْ أَنْ تَمُوتَ مِنَ الْحَسَدِ  
يَوْمَ الْخَلِيسِ بَعَثْتَنِي وَصَرَفْتَنِي يَوْمَ الْأَحَدِ  
وَالنَّاسُ قَدْ غَنَوْا عَنِّي لِتَاخَرَجْتَ مِنَ الْبَلَدِ  
مَا قَامَ عَمْرُو فِي الْوَلَا يَةِ قَائِمًا حَتَّى قَدِمَ

\* \* \*

ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا الْمُتَوَشَّحُ بِالْوِلَايَةِ ، الْمُتَرَشَّحُ لِلرَّعَايَةِ ؛ دَعِ  
الْإِدْلَالَ بِدَوَلَتِكَ ، وَالْاعْتِرَارَ بِصَوَلَتِكَ ؛ فَإِنَّ الدَّوْلَةَ رِيحُ قُلُوبٍ ،  
وَالْإِمْرَةَ بَرْقُ خُلُوبٍ . وَإِنْ أَسْمَعَدَ الرَّعَاةَ ، مَنْ سَعِدَتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ ،  
وَأَشْقَامُ فِي الدَّارَيْنِ مَنْ سَاءَتْ رَعَايَتُهُ ؛ فَلَا تَكُ مِمَّنْ يَذُرُّ الْآخِرَةَ  
وَيُلْقِيهَا ، وَيُحِبُّ الْمَاجِلَةَ وَيَتَنَمَّيْهَا ، وَيَظْلِمُ الرَّعِيَّةَ وَيُؤْذِيهَا ؛ وَإِذَا  
تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ؛ فَوَاللَّهِ مَا يَفْعَلُ الدِّيَانَ ، وَلَا يَهْمَلُ  
يَا إِنْسَانُ ، وَلَا تُتْلَى الْإِسَاءَةُ وَلَا الْإِحْسَانُ ؛ بَلْ سَيُوضَعُ لَكَ الْمِيزَانُ ،  
وَكَيْفَا تَدِينُ تُدَانُ .

قَالَ : فَوَجَّهَ الْوَالِي لِمَا سَمِعَ ، وَامْتَقَعَ لَوْثَهُ وَاتَّقَعَ ، وَجَمَلَ يَتَأَقَّفُ  
مِنَ الْإِمْرَةِ ، وَيُرْدِفُ الزَّفَرَةَ .

### [مما قيل في اللثغ من الشعر]

وذكر اللثغ، وللشراء في اللثغ ما يستحسن، قال ابن شهيد :

مرض الجفون ولثغة في المنطق      شيآن جرّا عشق من لم يعشق<sup>(١)</sup>  
 ينهي فينبو في الكلام لسانه      فكأنه من خر عينيه سقي  
 لا ينمش الألفاظ من عثراتها      ولو أنها كتبت له في مهرق<sup>(٢)</sup>  
 وأحسن ما في وصفه قول الرمادي :

لا الزاء تطمع في الوصال ولا أنا      المجر يجمعنا فنحن سواء  
 فإذا خلوت كتبها في راحتي      فكيت منتعبا أنا والراء  
 اخذه أبو القاسم بن العريف، قال :

أيها الأثلغ الذي شفت قلبي      جدّ بحرف ولو نطقت بسقي  
 هجرك الزاء مثل هجري سواء      فكلانا معذب دون ذنب  
 فإذا شئت أن أرى لى مثالا      في غرامى خططت راء ينهي

\* \* \*

قوله: «المتوشح» أي المحتزم. والمترشح: المهيء للرعاية أي لحفظ الناس. الاغترار  
 الانخداع، صولتك: عزتك وقهرك، يقال: صال الرجل على قرنه، والفحل على إبله،  
 أي قهر وعلا، والفحل أيضاً عض، وربما همز فعل الفعل. قُلب، أي متقلب.  
 خلب: خادع لأماء فيه، يريد أن الولاية تنقل من إنسان إلى آخر. تلقى: تهمل.  
 العاجلة. الدنيا لأن خيرها معجل. تولى: صار والياً. سقى: مشى مسرعاً.

ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ وَلِيَ مِنْ  
 أُمْرَائِي شَيْئًا فَحَسَنَ سِرُّهُ وَزَيَّقَ الْهَيْبَةَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَإِذَا بَسَطَ يَدَهُ لَهُم بِالْمَعْرُوفِ

(١) ديوانه ١٣٢، وفيه: «سبيان» ،

(٢) المهرق: الصحيفة

رزق الحجة منهم ، وإذا أنصف الضعيف من القوى قوى الله سلطانه وإذا عدل مدّة في عمره: «وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . «أقوال الدين ولادة السوء، وأعمال الدين ولادة شيطان من أمور المسلمين فلم ينصح لهم ، ولم يجتهد كنصيحته وجهده لنفسه، كتبه الله تعالى على وجهه يوم القيامة» .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا، ولكن من أخذ من هذه وهذه»

الديان : المجازى وهو الله سبحانه وتعالى ، لأنه يجزى المباد على أعمالهم .

وقال الألبيري :

كل امرئ فيما يدين يدانُ      سبحان من لم يخل منه مكانُ<sup>(١)</sup>  
يا عامر الدنيا ليسلكها وما      هي بالتي يبقى بها سكانُ  
تبقى وتبقى الأرض بذكر مثل ما      يبقى النافع وترحلُ الركبانُ  
أأسر في الدنيا بكلّ زيادة      وزيادتي فيها هي النقصانُ

تهمل ترك هتلاً . وجم : سكت غاضباً وامتنع وانقمع : تنير وذهب الدم من وجهه ، ويقال في مناهما : امتنع وامتنع .

يتأفف : يقول : أف أف ، وذلك فعل النادم للمهموم . الزفرة : النفخة من الهم .

\* \* \*

ثم عمد إلى الشاكي فأشكاه ، وإلى المشكوة منه فأشجّاه ، وألطف الواعظ وحباه ، واستدعى منه أن ينشأ ، فأقلب عنه المظلوم منصوراً ، والظالم محصوراً ، وبرز الواعظ يترادى بين

رُفِقَتْهُ، وَتَبَاهَى بِفَوْزِ صَفَقَتِهِ . وَاعْتَقَبْتُهُ أَخْطُو مُتَقَاصِرَا ، وَأَرِيهِ لَمَحَا  
بَاصِرَا . فَلَمَّا اسْتَشَفَّ مَا أَخْفِيهِ ، وَفُطِنَ لَتَقَلَّبِ طَرَفِي فِيهِ ، قَالَ :  
خَيْرُ دَلِيلِكَ مَنْ أَرَشِدْ ، ثُمَّ اقْتَرَبَ مِنِّي وَأَنْشَدَ :

أَنَا الَّذِي تَعْرِفُهُ يَا حَارِثُ حَدِثْ مُلُوكَ فَكَيْهِ مَنَافِثُ  
أَطْرِبْ مَا لَا تُطْرِبُ الْمَالِثُ طَوْرًا أَخُو جِدِّ ، وَطَوْرًا عَابِثُ  
مَا غَيَّرْتَنِي بِفَدَاكَ الْحَوَاثِثُ وَلَا التَّحَى عَوْدِي خُطْبُ كَارِثُ  
وَلَا فَرَى حَدِّي نَابُ فَارِثُ بَلْ يَخْلِي بِكُلِّ صَيْدٍ صَانِثُ  
وَكُلِّ سَرَحٍ فِيهِ ذُبِّي عَائِثُ حَتَّى كَأَنِّي لِلْأَنَامِ وَارِثُ  
\* سَامَهُمْ وَحَامَهُمْ وَيَافِثُ \*

\* \* \*

أَشْكَاهُ : أَنْصَفَهُ وَرَفَعَ عَنْهُ شُكْوَاهُ ، وَفِي الْحَدِيثِ : شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرَّ الرَّمْضَاءِ فَلَمْ يُشْكِنَا . أَيْ لَمْ يَزَلْ شَكُونَا ، أَيْ شَكُوْنَا إِلَيْهِ مَا  
يَصِيبُ أَقْدَامَهُمْ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ فِي صَلَاةِ الظُّهْرِ ، وَسَأَلُوهُ تَأْخِيرَهَا إِلَى الْإِبْرَادِ ، فَلَمْ  
يُجِبْهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، وَأَنْشَدَ يَقُوبُ :

\* وَنَشْتَكِي لَوْ أَنَهَا تُشْكِنَا \*

\* \* \*

وَالْمَشْكُو إِلَيْهِ الْوَالِي الَّذِي اشْتَكَى إِلَيْهِ . أَشْجَاهُ : آذَاهُ وَأَبْكَاهُ . الْطَفُ : بَرَّهُ  
وَأَكْرَمَهُ . حَبَاهُ : أَعْطَاهُ الْجَبَاهُ . يَشْأَهُ : يَزُورُهُ . مَحْصُورًا . مَحْبُوسًا . يَتَهَادَى :  
يَمْشِي مُتَاَفِلًا مَشَى الْوَقَارَ . يَتْبَاهَى : يَتَنَاظَلُمُ . بِفَوْزِ صَفَقَتِهِ ، بِظَفْرِ قَصْعَتِهِ مَعَ الْوَالِي ،  
وَفَازَ فَوْزًا : ظَفَرَ بِمُخِيرِ دُنْيَاهُ وَأَخْرَاهُ ، وَأَصْلُ الصَّفَقَةِ فِي الْبَيْعِ هُوَ أَنْ تَضْرِبَ يَدُكَ  
عَلَى يَدِ مِبَايِعِكَ . اعْتَقَبْتُهُ : مَشَيْتَ خَلْفَهُ ، كَأَنَّكَ تَطَأُ بِصُورِ قَدَمَيْكَ مَوَاطِيءَ عَقْبِيهِ :  
أَخْطُو مُتَقَاصِرَا ، أَيْ أَمْشِي مُسْتَخْفِيًا مُقْتَسِبًا بِالْقَصَارِ . لِحَا بَاصِرَا ، أَيْ نَظَرًا شَدِيدًا .

استغنى : استغنى . فطن : تنبه وشعر . أرشد : دل ، يقول : إذا كان لك دليلان ،  
غيرهما من هداك الطريق ، فدارآه بنظر وتشكك فيه . قال : خير دليلك من  
ذلك على . اقرب : قرب .

حدث ملوك ، أى يحدّثهم بما يطربون . فكه : طيب الحديث ، والفكه  
للزاح الحسن الخلق ، وفكه فكهها وفكاهة : طابت نفسه وكثر ضحكها ، قال الشاعر :  
فكه إلى جنب الخوان إذا غدت      نكباء تقطع ثابت الأطناب<sup>(١)</sup>

أبو عبيدة : رجل فكه : يأكل الفاكهة ، وفاكهة : عنده فاكهة .  
وقال الشاعر أيضاً :

فكه المشى إذا تأوب رحله      صيف الشتاء مسامح بالميسر  
أى يأكل الفاكهة وقرى « فاكهين وفكهين » : قال الفراء رحمه الله تعالى :  
معناها واحد أى مجيبين بما آتاهم ربهم ، كطمع وطامع ، وفكه وفكه إذا تعجب  
ومنه : « فظلم تفكّهون<sup>(٢)</sup> » ، وقيل : معناه تندمون .

قوله : منافث ، أى محادث . الثالث : من أوتار العود . طوراً : حيناً .  
عابث : لالعاب . الحوادث : ما يحدثه الدهر من خير أو شر . التصى : قشر .  
خطب كارث : أمر تقيل صعب . فرى : قطع . نابى : خرسى . فارت : مفتت  
للكبد ، قال الشاعر :

هوى من صخرة صلي      قرث تحتها كبسده

وفرت الكرش : أخرجت ما فيها من الزيل . ضابت : قابض عليه . السرح :  
المواشى تقذو راعية فى السرح وتروح منه . عاثت : فسد آكل لها .

\* \* \*

(١) اللسان منكبه ، من غير نسبة

(٢) سورة الواقعة ٦٥ .

### [ ذكر سام وحام ويافث ]

وسام وحام ويافث ، أولاد نوح عليه الصلاة والسلام ، وفيهم نزلت : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمُ الْبَاقِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> . وبذلك جاءت الأخبار ، وهم لأُمّ واحدة . وأصاب حام امرأته في السفينة . فدعا نوح عليه السلام أن يغير الله نطقته ، فصعدت بالسودان .

وذكر أهل التوراة أن نوحاً عليه السلام شرب وانقشى وتعمى ، فأبصر حام عورته ، فاطلع عليه أخواه ، فأخذوا رداءه فألقياه على عواتقهما ، ومشيا على أعقابهما ، فوارياه ، فلم نوح عليه السلام بذلك ، قال : ملعون كنمان بن حام ، عبد العبيد يكون لأخويه ، ومبارك سام ، ويكثر الله يافث <sup>(٢)</sup>

وفي تفسير التفاس أن نوحاً لما أهبط من السفينة ، نام فبدت عورته فنظر إليها حام فضحك ، ولم يغير عليه يافث ونظر ذلك سام ، فزجره وغطى عورة أبيه ، فلما استيقظ أخبره ، فدعا نوح ابنه حاماً فقال : يا بني غير الله ماء صلبك ، فلا تلد إلا السودان . وقال ليافث : جعل الله ذريتك عبيداً لأولاد سام ، وقال لسام : جعل الله منك الأنبياء والصالحين والملوك . فكان سام القيم بعد أبيه في الأرض ، ونزل وسطها ، نزل الحرم إلى اليمن إلى الشام . ومن ولده الأنبياء كلهم عريها وعجميها . ومن ولده عاد وثمود وطسم وجديس والماليق ويعرب وجرم ، وهم العرب العاربة ، لأن العربيّة لسانهم التي جبلوا عليها ، ويقولون لبني إسماعيل العرب المتعربة ، لأنهم إنما تكلموا بها حين سكنوا بين أظهرهم ، ومن المالقي الجبارة بالشأم والفرعنة بمصر .

سميد بن السيب : سام ولده العرب وفارس والروم وفي كل خير ، وأما يافث فن ولده الصقالبة وبرجان والأسبان والترك والخزر وأجوج ومأجوج . ابن للسيب : وليس في واحد من هؤلاء خير .

(١) سورة الصافات آية ٧٧ .

(٢) الإصحاح التاسع من سفر التكوين .



وأما حام فن ولدته السند والهند وأجناس السودان كلها مثل كوش والزيح والزغاوة والحبشة والزط والقنيط بن كنعان بن حام ، والخلاف كثير .

\* \* \*

قال الحارث بن همام : ققلت له : تالله إنك لأبو زيد ،  
ولقد قتله ولا عمرو بن عبيد . فهش هشاشة الكريم إذا أم ،  
وقال : اسمع يا بن أم ؛ ثم أنشأ يقول :

عليك بالصّدق ولو أنه أحرقت الصّدق بنار الوعيد  
وابغى رضا الله ، فأغى الورى من أسخط المولى وأرضى الميّد  
ثم إنه ودّع أخدانه ، وانطلق يسحب أردانه . فطلبناه من بعد  
بالرى ، واستشرنا خبره من مدارج الطى ؛ فافينا من عرف قراره ،  
ولا درى أى الجراد عاره .

\* \* \*

[ أخبار عمرو بن عبيد الزاهد ]

قوله : « ولا عمرو بن عبيد » ، هو الزاهد الذى كان يسكن بالبصرة ويحالى  
الحسن البصرى ؛ حتى حفظ عنه شيئاً كثيراً من علومه ، واشتهر فضله بصحبته ،  
وكان له سمت وإظهار زهد .

ورآه الحسن يوماً قال : هذا سيد شباب أهل البصرة إن لم يحدث . ثم  
اعتزله ونهى عنه ، فقال بالزل ودعا إليه ، وترك منهج أهل السنة ، واعتزل  
الحسن البصرى ، ونسبت إليه المعتزلة .

فأما قيامه الذى ذكره فهو دخوله على المنصور فى جماعة من أهل العلم ، فاستشارهم  
فى أمر ، فكلهم أشار عليه بمراده إلا عمرأ فإنه لم يصحبهم ونصحه ، فقال : يا أمير المؤمنين  
( ٣ - شرح مقامات الحريرى ٣ )

إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَوْ كَانَ بَاقِيًا لِأَحَدٍ قَبْلَكَ لِمَا وَصَلْتَ ، ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ \* إِرْمِ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ ، قَالَ : فَبَكَى الْمَنْصُورُ حَتَّى بَلَ ثَوْبُهُ ، فَقَالَ الرَّبِيعُ : يَا عَمْرُو ، غَمَمْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَتَلَ عَمْرُو : إِنَّ هَذَا - يَعْنِي الرَّبِيعَ - صَحْبَكَ عَشْرِينَ سَنَةً ، مَا نَصَحَكَ يَوْمًا وَاحِدًا ، وَمَا عَمِلَ وَزَرَؤُكَ شَيْءًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى . فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : فَمَاذَا أَصْنَعُ ؟ هَذَا خَاتَمِي فِي يَدِكَ ، خُذْهُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ ، فَاكْفُونِي . فَقَالَ عَمْرُو : ادْعُنَا بَعْدَ ذَلِكَ تَسْمَحُ أَنْفُسُنَا بِمَوْتِكَ ، يَبَابُكَ أَلْفُ مَظْلَمَةٍ ، أَرَدَدَ مِنْهَا وَاحِدَةً حَتَّى نَعْلَمَ أَنَّكَ صَادِقٌ .

وَيُرْوَى أَنَّهُ قَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : أَعَنَى بِأَصْحَابِكَ ، قَالَ : أَرْفَعُ عِلْمَ الْحَقِّ يَتَّبِعُكَ أَهْلُهُ . ثُمَّ قَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : مَا حَاجَتُكَ يَا أَبَا عُمَانَ ؟ فَقَالَ لَهُ : تَأْمُرُ بِرَفْعِ هَذَا الْعَلِيلِ سَانَ عَنِّي ، فَرُفِعَ . وَكَانَ أَمْرُ الْمَنْصُورِ أَنْ يَطْرَحَ عَلَيْهِ عِنْدَ دُخُولِهِ . فَقَالَ لَهُ : لَا تَدْعُ إِنْيَانَا ، قَالَ : نَعَمْ ، لَا يَضْمَنِي وَإِيَّاكَ بَلَدٌ إِلَّا أُتَيْتُكَ ، وَإِنْ بَدَتْ لِي حَاجَةٌ إِلَيْكَ سَأَلْتُكَ ، وَلَكِنْ لَا تَعْطِنِي حَتَّى أَسْأَلَكَ ، وَلَا تَدْعُنِي حَتَّى آتِيكَ ، قَالَ : إِذَا لَا تَأْتِينَا أَبَدًا ، فَلَمَّا وَلَّوْا لَخْرُوجِ ، أَتَبِعَهُمُ الْمَنْصُورُ بِبَصْرِهِ ، ثُمَّ قَالَ :

كَلِّكُمْ يَمْشِي زُوَيْدٌ      كَلِّكُمْ مَحَابِلُ صَيْدٍ

\* غَيْرُ عَمْرُو بْنِ عُبَيْدٍ \*

وَكَانَ جَدُّهُ بَابٌ مِنْ سَبِي فَارَسَ ، وَكَانَ أَبُوهُ عُبَيْدُ بْنُ بَابٍ نَسَاجًا ، ثُمَّ تَحَوَّلَ خِصَارٌ لِلحِجَابِ شَرْطِيًّا بِالْبَصْرَةِ . وَكَانَ فَظًّا غَلِيظًا خَسِيسًا ، وَبَلَنَهُ أَنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا ابْنَهُ قَالُوا : هَذَا خَيْرُ النَّاسِ ، ابْنُ شَرِّ النَّاسِ ، فَقَالَ : صَدَقُوا ، أَنَا كَأَزَرَ وَابْنِي كَأَبْرَاهِيمَ .

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ الْفَضْلِ : بَيْنَمَا أَنَا وَاقِفٌ إِلَى جَنْبِ عُمَارَةَ بْنِ حِمَزَةَ بِيَابِ الْمَنْصُورِ ، إِذْ طَلَعَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ عَلَى حَارٍ ، فَزَلَّ وَنَحَّى الْبَسَاطَ بِرِجْلِهِ ، وَجَلَسَ دُونَهُ ، فَقَالَ لِي عُمَارَةُ : لَا تَزَالُ بِبَصْرَتِكُمْ تَرْمِينَا بِأَحَقِّ ، فَمَا فَصَلَ كَلَامَهُ

من فيه حتى خرج الربيع ، وهو يقول : أين أبو عثمان عمرو بن عبيد ؟ فوافقه ما دلّ على نفسه حتى أُرشد إليه . فأتكأه يده ، ثم قال : أجب أمير المؤمنين جعلني الله فداءك ! فرّ متوكئاً عليه ، فقلت لعارة الذي استعحقه : قد دُعِيَ وتركنا ، قال : كثيراً ما يكون مثل هذا ، فأطال اللَّبث ، ثم خرج الربيع ، وعمرو متوكئاً عليه ، وهو يقول : يا غلام ، حار أبي عثمان . فابرح حتى أقرّه على سرجه وضمّ إليه ثوبه ، واستودعه الله عز وجل . فأقبل عماره على الربيع ، فقال : لقد فلتتم اليوم بهذا الرجل فعلا لو فعلتموه بولّي عهدكم لكتم قد قضيت حقه . قال : فما غاب والله عنك مما فعله أمير المؤمنين أكثر وأعجب . قال : فإن اتّسع لك الحديث فحدثنا ، فقال : ما هو إلا أن سمع أمير المؤمنين بمكانه ، فساأمه حتى أمر بمجلس فقرش لبودا ، ثم انتقل هو والمهديّ إليه ، وعلى المهديّ سواده وسيفه ، ثم أذن له . فلما دخل عليه سلّم بالخلقة ، فرد عليه ، وما زال يدينه حتى أتكأه فيخذه وتحنّي ، ثم سأله عن نفسه وعن عياله ؛ يستبهم رجلا رجلا وامرأة امرأة ، ثم قال : يا أبا عثمان عِظْنِي ، قال : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم \* بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ والفجر \* وليال عشر \* والشفع والوتر \* والليل إذا يسر \* هل في ذلك قسم لذي حجر ... ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ يا أبا جعفر ، فسكى المنصور رحمه الله تعالى بكاء شديداً ، وكأنه لم يسمع تلك الآية الشريفة إلا تلك الساعة ، فقال : زدني ، قال إن الله سبحانه وتعالى أعطاك الدنيا بأمرها فاشتر نفسك منه ببعضها ، وإن هذا الأمر الذي صار إليك إنما كان في يد مَنْ كان قبلك ثم أفضى إليك ، وكذلك يخرج منك إلى من هو بعدك ، وإنّي أحذرك ليلة تَمُخَصُ صبيحُها عن يوم القيامة . قال : فسكى والله أشدّ من بكائه الأوّل حتى رجف جنباه ، فقال له سليمان بن مالك : رفقاً بأمر المؤمنين لقد أتعبت في هذا اليوم ، فقال له عمرو : بمثلك ضاع الأمر وانتشر ، لا أبالك ! وماذا خفت على أمير المؤمنين أن بكى

من خشية الله تعالى . قال : فأنت والله الصادق البرّ ، قد أمرت لك بشرة  
آلاف درهم تستعين بها على سفرك وزمانك ، قال : لا حاجة لي بها ، قال :  
والله لتأخذنها ، قال : والله لا آخذها ، قال له المهديّ : يحلف أمير المؤمنين  
وتحلف ! فأقبل على المنصور قال : مَنْ هذا الفتى ؟ قال : هذا ابني محمد ، وهو  
وليّ عهد المؤمنين ، قال : والله لقد سمّيته اسماً ما استحقّه عمله ، وألبسته لبوساً  
ما هو من لبوس الأبرار ، ولقد ملكته أمراً ، أمتّع ما يكون به أشغل ما يكون  
عنه . ثمّ التفت إلى المهديّ وقال : يا بن أخي ، إذا حلف أبوك حلف عمك ،  
لأنّ أباك أقدر على الكفارة من عمك . ثمّ قال : يا أبا عثمان ، هل من حاجة ؟  
قال : نعم ، قال : ما هي ؟ قال : لا تبيث إلى حتى آتيك ، قال : إذا لا نلتقي .  
قال : عن حاجتي سألتني ، ثمّ استحفظه الله عز وجل وودّعه ، وانصرف .  
فلما وليّ أتبّعه المنصور بصره وهو يقول :

\* \* \*  
كلّمكم يمشى رُوَيْدُ \* الأبيات

وقال إسماعيل بن مسلمة أخو القعنبيّ : رأيت الحسين بن أبي جعفر ببتادان  
في المنام ، قال لي يعقوب ويونس بن أبي عبيد في الجنة ، قلت : فمرو بن عبيد ،  
قال : في النار ، ثمّ رأيته في الليلة الثانية والثالثة كذلك ، قلت له في الليلة الثالثة :  
فمرو بن عبيد ؟ قال : في النار ، كم أقول لك !

\* \* \*

قوله : « هش » أي فرح . أمّ : قصد . الوعيد : التهديد . أغبي الوري : أجهل  
الناس به ، قال المنصور : والله ما عزّ ذوباطل ، ولو طلع في جبينه القمر ، ولا ذلّ  
ذو حق ولو أصفق العالم عليه .

وفي معنى قوله : « وابن رضا الله ... » البيت . أن ابن هيرة شاور الحسن

البصري ، قال : يا أبا سعيد ، ما تقول في كتب تأتينا من عند يزيد بن عبد الملك ، فيها بعض ما فيها ، فإن أخذتها خفت سخط الله ، وإن لم أخذها خفت على دمي .  
 قال الحسن : يا بن هبيرة ، خف الله في يزيد ، ولا تخف يزيد في الله ، فإن الله مانعك من يزيد ، ولا يمنحك يزيد من الله . يا بن هبيرة ، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . فاعرض كتاب يزيد على كتاب الله سبحانه وتعالى ، فما وافقه فننزهه ، وما خالفه فلا تنفذه . قال : صدقتني ورب الكعبة .

وشاور معاوية الأحنف في استخلاف يزيد ، فسكت ، قال : مالك لا تقول ؟  
 قال : إن صدقناك أسخطناك ، وإن كذبتك أسخطنا الله عز وجل ، فسخطك أهون علينا من سخط الله تعالى . قال : صدقت .

وكتب أبو الدرداء إلى معاوية : أما بعد ، فإنه من يلتبس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، ومن يلتبس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس .

وكتبت إليه عائشة رضي الله تعالى عنها : أما بعد فإنه من يعمل بسخط الله تعالى يصير حامدًا من الناس ذامًا له . والسلام .

قوله : « أخذناه » أصحابه . وسحب أردانه : يجر أذياله . استنشرنا : طلبنا أن ينشر لنا . والمدرجة : الورقة تكتب فيها الرسالة ، ويدرج فيها الكتاب ، وأضافها إلى الطي لأنها تطوى على ما فيها من الكتاب ، فكأنه قال مما أدرج في الورق من الكتاب وطوى عليه ، يريد أنه أرسل فيه الرسائل إلى البلاد ، فلم يعرف له موضع قر فيه وثبت . عاره : ذهب به وأتلفه .

ويكنون بالجراد عن الناس ، فكأنه قال : ما يدرى أيّ الناس ذهب به .  
 ويقال : عارت عينه ، صارت عوراء ، ووعرتها أنا : قاتتها ؛ فكأنه ذهب كما تنهب العين وهذا بضعف . والله أعلم بالصواب .

## المقامة الثانية والعشرون وهي الفراتية

حكى الحارث بن همام قال : أَوَيْتُ فِي بَعْضِ الْفَرَاتِ ، إِلَى سِقْيِ الْفُرَاتِ ، فَلَقِيتُ بِهَا كُتَّابًا أَبْرَعَ مِنْ بَنِي الْفُرَاتِ ، وَأَعَذِبَ أَخْلَاقًا مِنَ الْمَاءِ الْفُرَاتِ . فَأَطَفْتُ بِهِمْ لِتَهْذِيبِهِمْ ، لِأَلْذَهَبِهِمْ . وَكَأَثَرِهِمْ لِأَذْيِهِمْ ، لِأَمْلَادِهِمْ . فَجَالَسْتُ مِنْهُمْ أَضْرَابَ قَعْقَاعِ بْنِ شَوْرٍ ، وَوَصَلْتُ بِهِمْ إِلَى الْكُورِ بَعْدَ الْكُورِ ؛ حَتَّى إِنْتَهَمُ أَشْرَكُونِي فِي التَّزْيِيعِ وَالتَّزْيِيعِ ، وَأَحْلَوْنِي عَمَلِ الْأَنْمَلَةِ مِنَ الْإِصْبَعِ . وَاتَّخَذُونِي ابْنَ أُنْسِهِمْ عِنْدَ الْوِلَايَةِ وَانْزَلُ ، وَخَازَنَ سِرِّي فِي الْجِدِّ وَالْمُزَلِّ .

...

أَوَيْتُ ، أَيْ مَلْتُ وَانْضَمَمْتُ . الْفَرَاتُ : جَمْعُ فَرَّةٍ ، وَهِيَ الْمَدَنَةُ وَالسُّكُونُ ؛ فَكَأَنَّهُ قَالَ : مَشَيْتُ فِي بَعْضِ السِّنِينَ الْأَمْنَةِ . وَالْفَرَّةُ أَيْضًا : ضَمْفُ الْأَعْضَاءِ ، وَالْفَرَّةُ أَيْضًا مَا بَيْنَ نَبِيٍّ وَنَبِيٍّ .

\* \* \*

[ سِقْيِ الْفُرَاتِ ]

وسقى الفرات بلاد يسقيها الفرات ، والفرات نهر يشق بلاد الروم وبلاد العراق ، ويقع في البحر الحبشي ، وجريانه خمسمائة فرسخ . وقال الرشاشي : ابتداء الفرات وفوهته من قَالِقْلَا من بلاد إرمينية ،

ثم يسير إلى منبج من كور قسرين إلى ميساط ، ثم إلى مَلَطِيَّة ، ثم إلى كيسوم من أرض الرقة ، ثم إلى الرقة وقرقيسيا والرجة وكور الفرات ، ثم إلى الأنبار ، ثم إلى الكوفة ، ويلتقي مع الدجلة ما بين واسط والبصرة ، ومنها انصبابها إلى البحر ، وجربانها من الشمال إلى الجنوب .

وقال شيخنا ابن جبير : هذا <sup>(١)</sup> النهر كاسمه فرات ، وهو من أعذب المياه وأخفها ، وهو نهر كبير زخار ، تصعد فيه السفن وتنحدر . وأما سقيه في أحواز بغداد فنين لك قدره . فذكر أنه عابنه في طريقه من الكوفة إلى بغداد ، وأنه رحل مع أمير الحاج من الكوفة يوم السبت .

قال : ونزلنا قريب الظهر على نهر منسرب من الفرات ، ورحلنا من ذلك الموقع ، وبنا ليلة الأحد سلخ محرم بقرية من الحلة ، ثم جئناها يوم الأحد . وهي مدينة عتيقة للموضع ، مستطيلة متصلة بالفرات من جانبها الشرق ، وهي على شاطئها ، ويمتد طولها . ولها أسواق حافلة جامعة للمزاق ، قوية العمارة وديارها بين حدائق النخيل ، وألقينا بها جسراً معقوداً على مراكب كبار متصلة من الشط إلى الشط ، أمر الأمير <sup>(٢)</sup> بعقدها اهتماماً بالحاج ، فميرناها ، ونزلنا على الفرات على فرسخ من البلد ، والطريق من الحلة إلى بغداد أحسن طريق وأجملها في بسائط وعماير تتصل بها القرى يمينا وشمالا ، ويشق هذه البسائط أغصان من [ماء] <sup>(٣)</sup> الفرات تسقيها ، فلعين في هذه الطريق مسرح انشراح ، وللنفس مزاداً ببساط وانفساح .

ومن مدينة الحلة يقسلسل الحاج أرسالاً وأفواجا ، لا يبرج التأخر على المتقدم ، فحيثما شاءوا نزلوا ، ومن جملة الدواعي لافتراقهم كثرة القناطر المعترضة في طريقهم إلى بغداد لا تكاد تمشي ميلاً إلا ونجد قنطرة على نهر متفرع عن

(١) رحلة ابن جبير ١٩٢ وما بعدها يتصرف (٢) ابن جبير : « الخليفة » .

الفرات ، فلوزاحم ذلك البشر تلك القناطر دفعةً ، لتراكموا وقوعاً بعضاً على بعض .  
فرحلنا من الحلة ضحوة يوم الاثنين أوّل يوم من صفر ، ونزلنا بعصره  
بقرية تعرف بالقطرة ، كثيرة الخصب ، كبيرة المساحة ، متدفقة فيها جداول  
الماء ، وارفة الظلال بشجرات الفواكه ، من أحسن القرى وأجلها ، بها قطرة  
محدودة تصعد إليها وتنحدر عنها على فرع من فروع الفرات ، فعرفت  
القرية بها .

ثم رحلنا عنها بسحر الثلاثاء ، ونزلنا ضحوة بالفراش ؛ قرية كثيرة العمارة  
يشقها الماء وحولها بسيط أخضر جميل المنظر ، والقرى من الحلة إلى بغداد على  
صفة الفراش في الحسن والاتساع .

ثم رحلنا منها ونزلنا عشى الـهـار يزّريان<sup>(١)</sup> ، وهي قرية من أجمل قرى  
الأرض وأحسنها منظرًا ، وأفصحها ساحة وأوسعها اختطاطًا ، وأكثرها بساتين  
ورياحين وحدائق من نخيل ، ولها سوق تقصر عنه أسواق المدن . وحسبك من  
شرفها أن دجلة تسقى شرقيتها والفرات يسقى غربيتها ، وهي كالعروس بينهما .  
ومن شرفها أن يازاها إيوان كسرى ، وهو بناء عالٍ في الهواء على  
مقدار الميل منها وأمامها يسير مدائنه . واجتازنا سحرًا على المدائن ، ففاينًا من  
طولها وآفاقها مرأى عجيبة .

ونزلنا قافلين بعصر ، وهي أخت زّريان حسنا ، يترّ بجانبها القلي نهر  
متفرع من الفرات وهي من القرى التي تملأ النفوس حسنا وجمالًا ، لها أسواق  
خفية ، وجامع وجسر معقود على مراكب من الشطّ إلى الشطّ وهي من بغداد  
على ثلاثة فراسخ ، ورحلنا منها قبل الظهر ؛ وجئنا بغداد قبل العصر ، على بساتين  
وبساتين يقصر الوصف عنها ، فمن أراد أن يعرف قدر سقى القرات فليقف على  
هذا الفصل الذي ذكرناه .

(١) في الأصول : « زريان » ، وصوابه من ابن جبير ومعجم البلدان



وقوله : « كتابا أبرع من بنى القرات » ، أى أحقق وأزيد فضيلة .

[ ذكر بنى القرات ]

والقرات رجل من عجل كان له أبناء مشاهير بالكتابة والحذاقة والبراعة ،  
وتلقّد الوزارة ، قال فى بعضهم صالح بن موسى رحمه الله :

آل القرات ندام على القرات يزيد  
وأنت فضلك فيهم وعليك منه شهود

وقال ابن المعتز فى عليّ بن محمد بن القرات :

أبا حسن ثبتّ فى الأمر وطأى وأدركتنى فى المضلات الهزاهر<sup>(١)</sup>  
وألستنى درعا على حصينة فنأديت صرف الدهر : هل من مبارز !  
وقال عليّ بن بسم :

وقفت شهـ ورأى للوزير أعدّها فلم تشنه نحوى الخنوق السوالف  
فلا هو يرعانى رعاية مثله ولا أنا أستحي الوقوف وآنف

وكان موسى بن القرات عاملا لأحمد بن الخصيب وزير المنتصر بن المتوكل ،  
واستوزر المقتدر أبا الحسن عليّ بن محمد بن القرات ثلاث مرات ، يعزله ثم يرده .  
وقُتِلَ المقتدر وأبو الفتح الفضل بن جعفر<sup>(٢)</sup> بن الفرات وزيره .

وتولّى بعض دواوين المقتدر أبو طالب بن جعفر بن القرات والحسن بن  
أبى الحسين بن القرات . فكان محل آل القرات ، الوزارة والكتابة والبراعة  
والحذاقة .

وحكى أن بعض الأدباء جوّز بحضرة الوزير أبى الحسن بن القرات أن

(١) ديوانه ١١٩هـ

(٢) فى الفخرى ٢٤٣ : « أبو الفضل جعفر القرات » .

السين تقام مقام الصادق في كل موضع فقال له الوزير: «أقرأ: ﴿جنات عدن يدخلونها ومن صالح من آبائهم﴾ ، أو «ومن سلح ؟» فنجعل الرجل واقطع .

ومثل هذا الدائرة أن النضر بن شميل مرض ، فدخل عليه قوم يهودونه ، فقال له رجل منهم : يكتني أباصالح : مسح الله مابك ، فقال له : لا تفل مسح بالسين ولكن بالصاد بمعنى أذهب ، وهو كلام العرب . فقال أبو صالح إيا السين تبذل من الصاد كالصراط والسرائط وصتر وسقر ، فقال له النضر : فأنت إذا أبو صالح ! فنجعل الرجل .

قوله : « أعذب من الماء الفرات » أي أحلى ، والماء الفرات : العذب الحلو .  
أطفت : أي ألمات ونزلت . تهذيبهم : نظرفهم وتخلصهم من عيوب الجفاء .  
كاثرتهم : صاحبتهن فكثرن عدهم في . مآذيتهم : طعامهم . أضراب : أمثال .



### [ التقفاع بن شور ]

التقفاع بن شور ، قال الميرد : هو رجل سيد من عبد الله بن دارم ، وكان إذا جالسه جالس فرفه بالقصد إليه جمل له نصيبا في ماله ، وأعانه على عدوه ، وشفع له في حاجته ، وغدا إليه بعد المجلسة شاكرًا له ؛ حتى شهر بذلك .

قال الفنجديسي : هو التقفاع بن شور بن عمرو بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل الشيباني ، وهو من الأجواد والأسعيا ، يضرب به المثل في حسن المجالسة والمعاشرة وإتيان المجلس بالشيء النفيس .  
قال أبو عبيد : وكان من جساء معاوية ، فأهدى إلى معاوية هدايا يوم المهرجان فيها جامات ذهب وفضة ، فدفعا إلى جلسائه ودفع إلى التقفاع جام ذهب ، وفي الغوم أعراجي إلى جنب التقفاع ، فدفعا إليه لجام فأخذ الأعرابي ونهض ينشد :

وكنت جليس قعقاع بن شوزٍ ولا يشقى بقمقاع جليس<sup>(١)</sup>  
ضحوك السن إن نطقوا بخيرٍ وعند الشر مطراق عبوسٍ  
[أشعار في وصف الجليس]

ومما يستحسن في البر بالجليس قول صاعد اللغوى :

لى من سرّ بنى العباس خـلـ وجليسُ  
شهد الحمد عليه أنه العلق النفيسُ  
فإذا جالسته لم تدر من منا الجليس  
وقال كشاجم :

جليس لى أخوفةٌ كأن حديثه حيرة<sup>(٢)</sup>  
يسرك حسن ظاهره وتحمد منه مخبره  
ويستر عيبَ صاحبه ويستر أنه ستره  
وقال آخر :

جليس لى له أدب رعاية مثله تجبُ  
لو انتقدت خلاقه تبهرج عندها الذهب  
وقال آخر :

لى صديق غلطت بل لى مولىً من لئلى بأن يكون صديق  
تتلاقى التقاء روح بروح بضروب التقبيل والتمنيق  
ليس فى الأرض من يميز منا عاشقاً فى اللقاء من مشوقٍ  
أين ما وصف به القعقاع من قول والبة المشهور :  
قلت لندمانى على خلوة أدن كذا رأسك من راسيا<sup>(٣)</sup>

(١) الكامل للبهرى : ١٧٧ ، غار القلوب ١٢٨

(٢) ديوانه ٧١

(٣) غنار الأغاني ٨ : ٣١٠

ونم على وجهك لى ساعة إلى امرؤ أنكح جُلّاسيا  
والبة بن الحباب شيخ الحسن بن هاني أدّبه صغيراً، فتخلّق بخلفه. وقال الحسن:  
وجليس كان في وجنتيه كلُّ شيء تسمو إليه النفوس<sup>(١)</sup>  
قد أصبأ منه فتستغفر الله كثيراً وقد يصاب الجليسُ

### [ الحوَر والكور ]

قوله : الكَوْر والحوَر ، أى الزيادة والنقصان، وكلام العرب : نعوذ بالله  
من الحوَر بعد الكَوْر ، أى من انقضاء بعد الزيادة ، قلب اللفظ على مراده،  
وهو من كَوْر العمامة ، وهو استعارة من نقض الأمر ، كنقض العمامة بعد  
كَوْرها وهو شدّها ، وكار عمامته : شدّها على رأسه وجمعها وحاربها فنقضها  
وأفسدها .

وأمر الحجاج رجلا على جيش ، ثم بعثه مرة أخرى تحت لواء أمير آخر ، فقال:  
هذا الحوَر بعد الكَوْر ، قتال له الحجاج : وما الحوَر بعد الكَوْر؟ قال : النقصان  
بعد الزيادة ، فعلى هذا أكثر أهل اللغة .

وقيل معناها : نعوذ بالله من الخروج عن الجماعة بعد كوننا في الكور، وهو  
الاجتماع ، من كار عمامته جمعها في رأسه . وحاربها : أفسدها .

ويروى : « بعد الكَوْن » ، من قولهم : حار بعد ما كان ، أى كان على حالة  
جميلة فرجع عنها . وقيل : معناه نعوذ بك من خروجنا عن الجماعة بعد الكَوْن  
على الاستقامة ، فحذف للعلم به .

\* \* \*

في المرتع والمربع ، يعنى المأكل والمنزل ، والمرتع الاتساع في الأكل الكثير  
والشرب ، والمربع : المنزل في الربيع ، من ربت في الموضع أقت فيه . الأئمة .

(١) ديوان أبي نواس ١٩٦ وفيه : « كل حسن » .

طرف الأصبع أى عظموه ورفعوه فوق رؤوسهم .

ابن أنسهم ، أى الذى يأنسون به . عند الولاية والعزل ، أى زمن العمل  
والعطل . خازن : كاتم وحابس .

\* \* \*

فَاتَّفَقَ أَنْ نُدَبُوا فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ ، لَاسْتِقْرَاءِ مَزَارِعِ  
الرُّزْدَاقَاتِ ، فَاخْتَارُوا مِنَ الْجَوَارِيِ الْمُنْشَاتِ ، جَارِيَةً حَالِكَةً الشَّيَاتِ ،  
تَحْسِبُهَا جَارِيَةً وَهِيَ تَمَرُّ السَّعَابِ ، وَتَنْسَابُ فِي الْحَبَابِ كَالْخُبَابِ .  
ثُمَّ دَعَوْنِي إِلَى الْمِرَافِقَةِ ، فَلَبِيتُ بِلِسَانِ الْمَوَافِقَةِ .

. . .

نُدَبُوا ، أى دعوا . اسْتِقْرَاءِ ، أى تَتَبِعْ . الرُّزْدَاقَاتِ : العمالات والأنظار ،  
وأراد أنهم خرجوا عمالاً على الزرع ، وكل موضع أوقرية أو قرية انفصل عن المدينة  
بعملة فهو رزداق ورستاق ومخلاف وكورة ، فالرزداق بخراسان وهو فارسيّ  
عربيّ ، والمخلاف للين ، والكورة لغيرهما من الأرضين .

الجواري : السفن . المنشآت : المصنوعات . حالكَة الشَّيَاتِ : مسوَّدة  
اللون ، والشية في الفرس لون يخالف لونه كالنزة والتجعيد وغير ذلك ، فأراد أن  
موضع البياض في غير السفينة هو منها أسود فهي كلها سوداء جامدة : ساكنة .

[ في وصف السفن ]

وركب السَّلامَى دجلة في زورق ، ولم يكن رأى دجلة قبل ذلك قال :

وميلانيّ تجول به خيولٌ تقود لدرّاعين ولا تقاد<sup>(١)</sup>

ركبت به إلى اللذات طروقاً له جسمٌ وليس له فؤادٌ  
جرى لغسبت أن الأرض وجهٌ ودجلة ناظر وهو السَّوادُ

وقال القاضي التنوخي يصف دجلة في الظلام : والقمر يلمع عليها ، وينتظم في سلك أبيات السَّلامى رحمه الله تعالى :

أحسِّن بدجله والدَّجى متصوَّبٌ والبدر في أفق السماء مقربٌ<sup>(١)</sup>  
فكأنها فيه بساطٌ أزرقٌ وكأنه فيها طراز مذهبٌ

وقال منصور بن كيفلج :

كم ليلةٍ سامرتُ فيها بدرها من فوق دجلة قبل أن يتيمَّبا<sup>(٢)</sup>  
رالبدر يمنح للأفول<sup>(٣)</sup> كأنه قد سلَّ فوق الماء سيفاً مذهباً

وتسميته للسفينة جارية ، لجريانها على الماء ، قال تعالى في السفن المظلم :  
﴿ ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام ﴾<sup>(٤)</sup> .

ولبعضهم :

يا من تاهبَ مزمعا لرواح يمتيماً بنداذاً غير صلاح  
في بطن جاريةٍ كفتك بسيرها رقلان كل شناعة وشناح  
فكأنها والماء ينطح صدرها والخيزرانة في يد الملاح  
جئون من اليتيمان يبتدر الدجى يهوى بصوت واصطفاق جناح

الشَّناح : الجمل التام الخلق .

وقال عبد الجليل بن وهبون يصف الأصطول :

(٢) يتيمة البحر ١ : ٧٥

(١) يتيمة البحر ١ : ٧٥

(٤) سورة الشورى ٣٢

(٣) في اليقظة : « للغروب » .

يا حسنَهَا يوماً شهدتُ زِفَافَهَا      بنت الفضاء إلى الخليج الأزرقِ<sup>(١)</sup>  
 من كلِّ لابسَةِ الشبابِ مُلَاءَةً      حسب اقتدار الصانع المتأنقِ  
 ومجاذفٍ تمكّي أرقامَ رَبْوَةٍ      نزلت لتكرع في غدير مُتَأَنِقِ  
 والماء في شَكْلِ الهواءِ فلا تَرَى      في شَكْلِهَا إلّا جوارحَ تلتقي  
 ولا بن حريق :

وكأنما سكن الأرقامُ جوفها      من عهد نوح صاحب الطوفانِ<sup>(٢)</sup>  
 فإذا رأين الماء يطفح نضضتُ      من كلِّ خَرَقٍ حَيَّةٌ بلسان



قوله : ينساب ، أى تمشى بسلاسة . الخباب : طرائق الماء . والخباب ، بالضم : الحية . وتشبيه المشى السهل بخاب الماء أفشى وأعرف من تشبيهه بمشى الحية ، وتشبيهه بمشى الحية قد استعمل ، وهو متمكن في المعنى ، وبه وقع التشبيه هنا في المقامة ، وقال امرؤ القيس في تشبيهه بخاب الماء :

سموتُ إليها بمد ما نام أهلها      سَمَوَ خَبَابِ الماءِ حالاً على حالِ<sup>(٣)</sup>  
 وقال ابن الرومي :

فصفت ذلك من قولي إلى قري      يلهو بمكتحلٍ طوراً وتُختَضِبِ  
 جرت تدافع من وشي لها حسن      تدافع الماء في وشي من الخَبِيبِ  
 وقال عمر بن أبي ربيعة في مشي الحية :

فلما هَدَّت الصوت منهم وأطْفِئَتْ      مصابيحُ شُبَّتْ بالمشاء وأنورُ<sup>(٤)</sup>  
 وغاب قُمَيْرٌ كنت أرجو غيوبه      وَرُوحَ رُغْيَانٍ وهو مُسْمَرُ  
 وخَفَضَ عني الصوت أقبلت مشية الـ      خُبَابِ بوركني خيفة القوم أُرْوَرُ

(١) قح الطيب ٤ : ٦٠

(٢) قح الطيب ٤ : ٥٧ ، وفيه : « خشبة الطوفان » .

(٣) ديوانه ٢١

(٤) ديوانه ٦٦

ثبت في الكتب الصالح ضم الحاء وقول الإعرابي:  
 من للتصديقات لغير سوء تسيل إذا مشت نسيل الحجاب  
 يروى بالفتح والضم . وابن الإفليل يأتي إلا الضم .  
 وقال أبو القاسم بن هاني<sup>(١)</sup> فجمع بين التشبيهين :

قامت تميمس كما تدافع جدول<sup>(٢)</sup> وانساب أيت في قفا يتهيل<sup>(٣)</sup>  
 وأنت تزجي ردفا بقوامها فاطر الأعلى وماسج الأسفل  
 وقال آخر ورفع الاحتمال :

لما دنا الليل بأرواقه ولأحت الجوزاء واليرزوم<sup>(٤)</sup>  
 أقبلت والوطء خفيف كما ينساب في مكنه الأرقم<sup>(٥)</sup>  
 وما أحسن قول ابن شهيد في معناه<sup>(٦)</sup> :

ولما تمكن<sup>(٧)</sup> من سكره ونام ونامت عيون القس<sup>(٨)</sup>  
 دنوت<sup>(٩)</sup> إليه على رقة دنوت<sup>(١٠)</sup> محب درى ما التمس<sup>(١١)</sup>  
 أدب<sup>(١٢)</sup> إليه ديب الكرى وأسمو إليه سمو النفس<sup>(١٣)</sup>  
 أقبل<sup>(١٤)</sup> منه بياض الظلى وأرشف منه اللى واللى<sup>(١٥)</sup>

\* \* \*

فلما توركنا على المطية الدهاء ، وتبطنا الولية الماشية  
 على الماء ، ألقينا بها شيخاً عليه سخق سربال ، وسب بال ،  
 فصافت الجماعة محضره ، وعثقت من أحضره ، وحثت بإبرازه

(١) ديوانه ١١٠

(٢) ديوانه ١٢٠ ، قمع الطيب ٣ : ١٩٠ ، الذخيرة قسم ١ مجلد ١ : ٢٤٥

(٣) الذخيرة والنفق .



من السفينة ، لولا ما تاب إليها من السكينة ؛ فلما كسح ميثا  
استقال ظلُّو ، واستبرادَ ظلُّه ، تعرَّضَ للعائنة فصمَّت ، وحمدَل  
بعد أن عطسَ فأشُمَّت .

\* \* \*

قوله : اللطية الدماء ، هي السفينة السوداء . وتورَّ كنها : قصدنا عليها  
متكئين . وتبطنا : دخلنا بعثنا . الولية : اللطيمة . وأوهم قول الناس : فلان ولي  
يمشى على الماء ، فلما كانت مطيعة لخدمها ماشية على الماء سماها ولية . أقينا :  
وجدنا . سعنى مر بال ، أى قيص خلق . والسب : الحمار . فيريد أن عليه منزرا  
أو خماراً بالياً ، والمنزى كالحمار للمرأة . عافت : كرهت . عتفت : لامت وأغلظت  
له القول ، والعنف ضد الرفق . تاب : رجع .

قال القراء رحمه الله تعالى : معنى السكينة الطمأنينة .

أبو عبيدة : هي فيلة من السكون . وتشبه حالة أبي زيد هنا في إهاته أولاً  
وإكرامه آخراً حالة مَعْبَد في دخول السفينة ، وقد تقدَّمت في الثامنة عشرة .

لمح : رأى . والظل ، يوصف بالثقل مبالغة في ثقل صاحبه ، يقال للمستثقل :  
ظلك على ثقل ، أى أخف ما يمكن أن يوجد منك الظل السريع الانتقال يثقل  
علينا ، فيصوِّر شخصك أى منزلته من الثقل ، وإنما يتصور ثقل الظل حقيقة إذا  
أخذ عليك إنسان عين الشمس في زمن البرد أو ضوءها وأنت تنظر ما يدق .

[ ذكر الثقل ]

ومما قيل في ثقل :

أنت يا هذا ثَقِيلٌ      وثَقِيلٌ وثَقِيلٌ

أنت في للنظر إنسا      ن وفي الخبر فيلٌ

( ٤ - شرح مقامات الحريري - ٢ )

لو تعرضت لقليلٍ فسد الظلّ الظليلُ

وكان الأعمش إذا حضر مجله ثقیلٌ يُنشد :

فما القيل تحمله ميتاً بأثقلَ من بعض جلاسيّا

وذكر ثقيلاً كان يجلس إلى جانبه ، قال : والله إني لأبغض شقّي الذي يليه متى .

وكان حماد بن سلمة إذا أرى مَنْ يستقله قرأ : ﴿ ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ﴾ <sup>(١)</sup> .

عائشة رضى الله عنها : نزلت آية في الثقلاء : ﴿ فإذا طعمتم فانقشروا ولا مستأنسين لحديث ﴾ <sup>(٢)</sup> .

الشمي : من فاته ركعتا الفجر فليطعن الثقلاء .

وكان أبوهريرة رضى الله عنه إذا رأى ثقيلاً قال : اللهم اغفر له وأرحنا منه . قيل لجاليينوس : لم صار الرجل الثقيل أثقل من الحمل الثقيل ؟ قال : لأن ثقله على القلب دون الجوارح ، والحمل الثقيل يستعين القلب بالجوارح عليه . وقال طيب للحجاج : إياك ومجالسة الثقلاء ، فإننا نجد في الطب أن مجالستهم تفتي الروح .

وقال حكيم لآخر : لا تصحب ثقيلاً ، فمن يصحبه فإنما يمدب روحه .

وقيل : سبخة العين النظر إلى الثقلاء .

وكان بعضهم إذا رأى ثقيلاً غشي عليه . وكان آخر إذا رأى ثقيلاً غص عينيّه .

وكان بعض الظرفاء إذا رأى ثقيلاً قال : قد جاءكم الجبل ، فإن جلس عندهم قال : قد وقع عليكم .

وسمع الأعرش كلام ثقیل فقال : مَنْ هذا الذى يتكلم وقلبي يتألم .  
قال رجل لخالد بن صفوان : أتستقل فلانا؟ قال : أوّه كدت والله أن  
تصدع قاي بذكره ، والله هو أثقل من شراب الترنجيبيل بماء التين فى أيام  
الحكاك بمقب التخمه وأوان الحجامه .

سلم ثقیل على بعض النظراء فقال : وعليك السلام شهراً .  
قعد ثقیل عند ظريف ، فسئل عن ذلك ، قال : كانت فمى قد شمخت  
على فأردت أن أهيئها بذلك .

وقال رجل لفلان هاشمى : يا بنيض ، فشكاه إلى أبيه ، قال : قد علمت أنك  
بنيض ، فكرهت أن أقوله لك حتى يكون بنضك بإسنادك .

وسئل إنسان له ثلاث بنين ثقلاء : أى بنيك أثقل؟ فقال : ليس بعد الكبير  
أثقل من الصغير إلا الأوسط .

كان أبو المتاهية يقول لابنه محمد : أنت والله يا محمد ثقیل الظلّ ، مظلم  
الهواء ، جامد النسيم ، بارد حامض منن .

قال سهل بن هارون : مَنْ ثَقُلَ عليك نفسه ، وغمك سؤاله ، فأعِره أذنًا  
صماء ، وعينًا عمياء .  
وأنشدوا :

مشتلّ بالبُغْضِ لا تَنفُى      إليه لحظًا مقلّة الرامق<sup>(١)</sup>  
يقلّ في مجلسنا قاعدًا      أثقل من واشٍ على عاشق

وقال بعضهم :

يا مَنْ نَبَزْتَ الدنيا بطلعتِه      كما نَبَزْتَ الأجفان بالسَّهْدِ<sup>(٢)</sup>  
إني لأذكره حينًا فأحسُّه      من قلّه جالسًا منى على كِدْرِى

(١) زهر الأدب ٤٤٢ . وورد البيت محرّفًا فى الأصول والصواب : أنته من زهر  
الأدب . (٢) المحاسن والماوى ٢ : ٤٧٧

ولبعضهم :

نظر العين نحوه - علم الله - يمرضُ  
فإذا ما أردتمُ أن تروه فتمضوا  
لا تصبكم ملّة وللنات تمرضُ

وقال بعضهم :

شخصك في مقلة النديم - أوحش من نحسة النجوم -  
يا رجلا وجهه علينا أثقل من منة اللثيم -  
إني لأرجو بما أقامى منك خلاصى من الجعيم -

وقال بعضهم أيضاً :

ولى خلتان على هامتي - جلوسهما مثل حدّ الويد -  
تقيلان لم يبرقا حيفة - فهذا الشّداع وذاك الرمد -  
والأشعار فى التقلّاء كثيرة وفى كتب الآداب مشهورة ، فلتقتصر على  
هذه النبهة .

[ ما جاء فى البارد ]

قوله : استبراد طله . الطلّ : أضف المطر ، وهو الرذاذ ، وأكثر نزوله  
ساكناً بغير ريح ، ولا برّد فى الغالب يكون معه ، فكفى هنا بالطلّ عن كلامه .  
القليل ، وإنه عندهم بارد الحديث ، وإن كان ما جاء منه ثقيل مؤذ .

وقد جاء فى ذلك :

ولو مازج النار فى حرّها - حديثك أطفأ منها الهمب -  
وقال آخر فى شعر الصولى :  
دارى دىلا خيش ولكنتى - عقلت من خيشى طافين -

دارَ متى ما اشتد بي حرّها أنشدت للصوّيّة يتّين  
وكلامه :

ويوم كنتور الطهاة سجرته على أنه منه أحرّ وأوقدُ  
ظلتُ به عند المردّ جالساً فازلت في ألقاظه أتبردُ

لنقى برد الخيار المنى أبا العباس المبرد في يوم ثلج بالجرى ، قال له : أنت  
لتبرد وأنا برد الخيار ، واليوم كما ترى ؛ اعبر بنا لا يهلك الناس من الفالج بسببنا .  
وقال كشاجم رحمه الله تعالى :

غناء مديح بأرض الحجاز يطيب وأما بمحصٍ فلا  
لبرد الفناء وبرد الهواء فإن جما خفت أن يقتلا

قوله : تعرّض ، أى تهاى . المنافة : الكلام معهم . ضُمت : سُكِّت .  
ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « موقع  
حديث الرجل من القوم كموضع من قلوبهم » .

حمدل : قال الحمد لله . ماشمت : ما أدخل عليه السرور بقولهم : يرحمك الله تعالى .  
ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من  
عطس أو تجمأ قال الحمد لله على كل حال دفع بها عنه سبعون داء أهونها الجنان » .

[ ما جاء فى تسميت المطلس ]

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله ، والذى  
بشئت : يرحمك الله ، وليقل هو : يهديكم الله : ويصلح بالكم » .

ومما يستظرف من حديث المطلس أن صوفيّا فى بلدنا كان حافظاً للشعر ،  
فلا يرض فى مجلسه معنى إلا وينشد عليه شعراً ، فاتفق أن عطس رجل بمحضره ،  
فشتمّه الحاضرون ، فدعاهم ، فرأى الصوفى أن تسميته قطع إنشاده بما لا يشاكله .

من النظم ، وإن لم يشمته كان تقصيراً في البر . فأصبح للطلبة راعياً أن ينظم له هذا المعنى ، قال الوزير الحبيب أبو عمرو بن محمد :

يا عا طاً يرحمك الله إنْ      أعلنت بالحمد على عطسِكَ  
ادع لنا ربك يغفر لنا      وأخلص النية في دعوتِكَ  
وقل له يا سيدي رغبتي      حضور هذا الجمع في حضرَتِكَ  
وأنت يارب النداء والندى      بارك ربَّ الناس في ليلَتِكَ  
فإن يكن منك لنا دعوة      فأنت محمود على عودَتِكَ

وهذا الوزير الشريف إنما يعترف شعره في أوصاف الفزلان ، ومخاطبات الإخوان .

وكتب إلى يستهديني كتاب العقد :

أيا مَنْ غدا سلكا بجيد معارفه      وَمَنْ لفظه زهر أُنِيق لقاطفه  
محَبُّك أضحي عاطل الجيد فلتجد      بعقد على لُبـانـه وسولفه  
وتوَعَّك في بعض الأعياد فعاده من أعيان الطلبة جملة ، فلما هموا بالانصراف أنشدهم ارتجالاً :

لله درّ عصابة أجماد      شَرَفَ النداء بفصدم والنّادى  
لما أشاروا بالسلام وأرَبَعُوا      أنشدتهم وصدقت في الإنشاد  
في اليد عدم وهو يوم عروبة      يا قرَحِي بثلاثة الأعياد

\* \* \*

فأخَرَدَ ينظرُ فيما آلت حاله إليه ، ويتنظرُ نُصْرَةَ المينى عليه . وجَلْنَا نَحْنُ في شُجُونٍ ، من جدِّ ومُجُونٍ : إلى أن اعترضَ :  
: كُرَّ الكتابَتَيْنِ وفضلِهما ، وتبيانِ أفضليهما ، فقال قائل : إن كُتِبَ :

الإِنشاء أَنبَلُ الْكُتَابِ؛ وَمَالٌ مَائِلٌ إِلَى تَفْضِيلِ الْحِسَابِ . وَاحْتَدَّ الْحِجَابُ ، وَامْتَدَّ اللَّجْجُ ؛ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ لِلْجِدَالِ مَطْرَحٌ ، وَلَا لِلْمِرَاءِ مَمْرَحٌ ؛ قَالَ الشَّيْخُ : لَقَدْ أَكْثَرْتُمْ يَاقَوْمُ اللَّعْطِ ، وَأَثَرْتُمْ الصَّوَابَ وَالْعَلَطَ ، وَإِنَّ جَلِيَّةَ الْحُكْمِ عِنْدِي . فَارْتَضُوا بِنَقْدِي ، وَلَا تَسْتَفْتُوا أَحَدًا بَعْدِي .

\* \* \*

قوله : أخرد، أى سكت ذلاً، وىروى : خرد ، أى سكت حياء واستتر « تقول : أخردت وأخردت من حرّ الشمس . أى استترت ، وأخردت من لفظ القرد أو القراد ، وأخردت من لفظ الخريدة . آلت : رجعت . المبغى عليه ، أى المظلوم ، وأراد أن ينظر الثمرة على أعدائه، من قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَقِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصِرَنَّهُ اللَّهُ ﴾ جُلْنَا : تصرفنا . شجون : ضروب من الكلام ، ومنه : الحديث شجون ، أى فنون ، ومشتبك بعضه ببعض . وفى الحديث : « الرحم شجنة من الله » ، معناه القراية مشتبك بعضها ببعض ، كاشتباك العروق . اعترض : نصب وظهر . الإِنشاء : الكتابة . وكتبة الإِنشاء هم كتبة بين يدى السلطان وهم المترسلون . أنبل : أعظم قدرا . والحساب : كتبة الزمام

احتدّ : اشتدّ والحجّاج : الحاجة<sup>(١)</sup> واللجّج : ركوب الرجل على الباطل ، مطرح : موضع يطرح فيه . المراء ، قد تقدّم . آثرتم : فضلم . جليّة : بيان . نقدي : تمييزي .

\* \* \*

(١) ط : جمع جعة ، والوجه ما فى ا .

اعلموا أن صناعة الإنشاء أرفع ، وصناعة الحساب أنفع ،  
 وقلم الكتابة خاطب ، وقلم المحاسبة خاطب ، وأساطير البلاغة تُنسخ  
 تُدرس ، ودساتير الحسابات تُنسخ وتُدرس . والنشئُ جُهينةُ  
 الأخبار ، وحقيةُ الأسرار ، ونجىُ العظماء ، وكبيرُ الندماء ، وقلمه  
 لسانُ الدولة ، وفارسُ الجولة ، ولقمانُ الحكمة ، وترجمانُ الهمة .  
 وهوُ البشيرُ والتذيرُ ، والشفيعُ والسفيرُ . به تُستخلصُ  
 الصياصي ، وتُمْلِكُ التواصي ، ويُقْتَادُ العاصي ، ويُستَدْنِي القاصي ،  
 وصاحبُه برئٌ مِنَ التبعات ، آمِنٌ كَيْدَ الشعاة ، مُقَرَّظٌ بَيْنَ  
 الجماعات ، غيرُ مُعَرَّضٍ لِنَظْمِ الجماعات .

\* \* \*

قوله : خاطب ، أى جامع للكلام . خاطب : جامع للحطب ، يريد أن  
 النشئ . كالمخطيب يختار من الكلام النفيس فيسرقه ، ولا يبالي كاتب الحساب  
 بما كتب ، ويكون خاطب بمعنى جمع المال . أساطير : أحاديث ، وهى جمع  
 أسطار ، وأسطار : جمع سطر . وقيل : الأساطير : جمع أسطورة وإسطارة .  
 دساتير : أزيمة . تدرس : تمحى أو تُترك حتى تتغير .

[ أصل اللئل : عند جُهينة الخبير اليقين ]

جُهينة الأخبار ، أى العارف بها . واختلفوا فى اللئل ، قال الأصمى رحمه  
 الله تعالى : جُهينة بالجيم والفاء .

وقال أبو عبيدة رحمه الله تعالى : جُهينة ، بجاء غير معجمة .  
 وقال ابن الكلبي : جُهينة بالجيم والماء ، وهو الصحيح .



وأصله أن حصين بن عمرو بن معاوية بن كلاب خَرَجَ يطلبُ فُرصةً فاجتمع  
 برجل من جُهينة يقال له الأخنس بن كعب، فزلا في بعض منازلهما . وتماقدا  
 ألا يلتقيا أحداً إلا ساءلأه، وكلاهما فاتك يحذر صاحبه، فلقيا رجلاً، فسلباه كلَّ  
 ماممه قال لهما: هل لكما أن تردا عليّ بعض ما أخذتما مني وأدلكما على  
 مغنم؟ فتالا: نعم، قال: هذا رجل غلّميّ قدم من بعض اللوك بمغنم كثير، وهو  
 خلقي في موضع كذا، فردا عليه بعض ماله، وطلبا اللخميّ، فوجداه نازلاً  
 في ظل شجرة وقدامه طعامه وشرابه، فخياها وحيأها، وعرض عليهما الطعام،  
 فزلا وأكلأ، وشربا مع اللخميّ. ثم إن الأخنس ذهب لبعض شأنه، فلما رجع  
 أبصر سيف صاحبه مسلولاً، واللخميّ يتشحط في دمه، فسلب سيفه، وقال:  
 ويحك! قتلت رجلاً قد تحمنا بطعامه وشرابه! فقال: أقمد يا أبا جهينة، فلماذا  
 وشبهه خرجنا. ثم إن الجهنيّ شغل صاحبه بشيء، ثم وثب عليه قتلته، وأخذ  
 متاعه ومتاع اللخميّ. ثم انصرف إلى قومه راجعاً بماله، وكانت حصين أخت  
 تسمى صخرة، فكانت تبيكه في اللوامس وتسال عنه فلا تجد من ينجزها بنجزه،  
 فقال الأخنس حين أبصرها:

وكم من فارس لا نزيديه إذا شَخَصَتْ لرؤيته العيون<sup>(١)</sup>  
 علوتُ يياض مفرقه بفضبٍ  
 بذلّ له العزير وكلّ ليثٍ  
 فأضحت عرسه ولها عليه  
 كصخرة إذ تسائل في مراحٍ  
 تسائل عن حصين كلّ ركبٍ  
 فن بك سائلا عنه فندي  
 مراح وجَرَم: قبيلتان.

(١) قبله في الميدان ٢ : ٤  
 وكم من ضيفهم ورد هوس  
 (٢) الميدان : ٥ وأعار .

أى شبلين مَسْكَنُهُ القَرِينُ

حقيية: وعاء. نجى: متكلم. الندماء: الجلساء على الخمر، يريد أن أصحابه أعيان وأشراف. النذير: الخوف. السفير: الرسول بين القوم. تستخلص: تملك وتحصل. الصيالحى: الحصون. النواصى: الروس، وأصل الناصية شعر مقدم الرأس. القاصى: البعيد. التبعات: اللطافات. السعاة: جمع ساع، وهو جاني الصدقة. مقرط: ممدوح. نظم الجماعات: تجميعها الحساب، والجماع: الأخلاط وضروب من الناس، والجماع: كل شيء انفه بعضه إلى بعض وتجتمع؛ أراد أن كاتب التراسيل قد آمن من مكر عمال الزكوار الذين يسرقون مال الرعية والسلطان ولا يعرض لأن يؤلف ما افترق من الخراج حتى يصير جماعات.

فَلَمَّا انْتَهَى فِي الْفَصْلِ ، إِلَى هَذَا الْفَصْلِ ، حَظَّ مِنْ لَمَحَاتِ الْقَوْمِ أَنَّهُ أَزْدَرَعَ حَبًّا وَبُغْضًا ، وَأَرْزَى بَعْضًا وَأَخْفَظَ بَعْضًا . فَمَقَّبَ كَلَامَهُ بِأَن قَالَ : إِلَّا أَنَّ صِنَاعَةَ الْحِسَابِ مَوْضُوعَةٌ عَلَى التَّحْقِيقِ ، وَصِنَاعَةُ الْإِنْشَاءِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى التَّلْفِيقِ ، وَقَلَمُ الْحَاسِبِ ضَاطِبٌ ، وَقَلَمُ الْمُنْشِئِ خَاطِبٌ . وَبَيْنَ إِتَاوَةِ تَوْظِيفِ الْمَعَامِلَاتِ ، وَتِلَاوَةِ طَوَامِيرِ السَّجَلَاتِ ، بَوْنٌ لَا يُذَرِّكُهُ قِيَاسٌ ، وَلَا يَمْتَوِرُهُ اتِّبَاسٌ ، إِذِ الْإِتَاوَةُ تَمَلُّ الْأَكْيَاسَ ، وَالتَّلَاوَةُ تَفْرِغُ الرَّاسَ ، وَخَرَجُ الْأَوَارِجِ ، يُغْنِي التَّائِظَرَ ، وَاسْتَخْرَاجُ الْمَدَارِجِ يُغْنِي التَّائِظَرَ .

\* \* \*

الفصل ، أى القضاء والحكم ، وأراد أنه فصل في القضاء بين الصنفين من الكتاب . إلى هذا الفصل ، أى إلى هذا الحد . والفرق ، فالأول من فصل الحاكم بين الخصمين فصلًا: قضى ، والثانى من فصلت بين الشئين فصلًا وفصولًا: فرقت ، يريد أنه فصل بين الكلام للتقدم والكلام للتأخر ، وأراد أنه أزدرع؛

قلوب كَتَبَةِ الإنشاء حَبَّه لمدحه لهم ، وفي قلوب كَتَبَةِ الحساب بنفضه لمتا قعصر بهم ، فأخذ يستأنف مدحهم .

أحفظ : أغضب . عَقِب : أتبع ، وأراد بالتحقيق أن صنعة الحساب برهانية محققة . والتلفيق : ضمَّ شئاً لطيف إلى مثله ، ولفقت الشئ تلفيقاً ضمنت بعض أجزائه إلى بعض . ضابط : محقق ، والضبط الأخذ بشدة ، ورجل ضابط للشئ ، إذا قوَّى عليه فلم يفلت منه . ضابط : مقرر ، وخبط : مشى على غير هداية . الإتاوة : الخراج والجباية إلى بيت المال . توظيف : تسييط . ووظف على الناس الفرم : قسَّطه عليهم ، والوظيفة : نصيبك الذي تفرمه . العاملات : أنواع من علم الحساب ، وأصلها مصدر عاملت الرجل معاملة إذا وافقته على بيع أو كراء أو إجازة أو غير ذلك مما يتعامل به الناس بعضهم مع بعض . تلاوة : قراءة . طوامير السجلات : بطائق الترسيل ، والطومار : الكتاب . بون : بعد . يعتوره : يتداوله ويقصده . التباس : شك . الأكياس : أوعية الدراهم . والإتاوة : رشوة المتال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : هدايا العمال رشوة . تفرغ الرأس : تهوَّسه بكثرة الدروس والمهر . الأوارج : أزمة الخراج . وقيل : صنف من الخراج . الناظر : العامل فيها ، وأورجها ، إذا تولى عملها والقيام بها . للدراج : الرسائل ، سميت بذلك لأنها تدرج ، أى تطوى على ما فيها ، واستخراجها : تتبع معانيها بمجودة النظر ودرس ألقاظها . يعنى : يتم . الناظر : سواد العين ، يريد أن كاتب الزمام في راحة وهو يعمل على أكياسه بالدراهم . وكاتب الرسالة متعوب قليل المال .

ثمَّ إنَّ الحِسْبَةَ حَفَظَةُ الْأُمُوالِ ، وَحَمَلَةُ الْأَثْقَالِ ، وَالتَّقَلَّةُ الْأَثْبَاتُ ، وَالسَّفَرَةُ الثَّقَاتُ ، وَأَعْلَامُ الْإِنْصَافِ وَالْإِنْصَافِ ، وَالشُّهُودُ الْقَائِمَةُ فِي الْإِخْلَافِ ، وَمِنْهُمْ الْمُسْتَوْفِي الَّذِي هُوَ يَدُّ السُّلْطَانِ ، وَقُطْبُ الدِّيَّانِ ، وَقِسْطُ الْأَعْمَالِ ، وَالْمُهَيَّنُّ عَلَى الْعَمَالِ ،

وإليه المسآبُ في السُّلْمِ والنَّهْجِ ، وعليه المدارُ في الدَّخْلِ والخَرْجِ ، وبه مناطُ الضَّرِّ والنَّفْعِ ، وفي يده رِباطُ الإعْطاءِ والمنعِ .

ولولا قلمُ الحِسَابِ ، لأودت ثَمَرَةُ الاكِيسَابِ ، ولا تَصَلَّ التَّجَانُّنُ إلى يومِ الحِسَابِ . وَلَكَانَ نِظَامُ المعَامِلَاتِ مَحْلُولًا ، وَجُرُحُ الظَّالِمَاتِ مَطْلُوعًا ، وَجِيْدُ التَّنَاصُفِ مَغْلُوعًا ، وَسَيَفُ التَّظَالُمُ مَسْئُوعًا . على أَنَّ يَرَاعَ الإنْشَاءَ مَتَقَوُّلَ ، وَيَرَاعَ الحِسَابَ مَتَأَوَّلَ . والمحاسِبُ مُنَاقِشُ ، والمنشئُ أَبُو بَرَأَقِشَ ، ولكلِّهما مَحْمَةٌ حِينَ يَرْتَقِ ، إلى أَنْ يُلَاقَى وَيُرْتَقَى ، وإِعْنَاتٌ فِيمَا يُنْشَأُ ، حَتَّى يُنْشَى وَيُرْشَى ؛ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ .

\* \* \*

الثَّقَلَةُ : الأثْبَاتُ ، أَيْ هُمْ عَلَى يَقِينٍ وَثَبَاتٍ فِيمَا يَنْتَلُونَ . السَّقَرَةُ . الكُتْبَةُ . الثَّمَنَاتُ : الأَمْنَاءُ . أَعْلَامُ الْإِنْصَافِ ، يَرِيدُ لِلشَّاهِدِ بِإِنْصَافِ السُّلْطَانِ مِنَ النَّاسِ وَالنَّاسِ مِنْهُ ، وَقَوْلُ : أَنْصَفَ الرَّجُلُ : أَعْطَيْتَهُ حَقَّهُ ، وَأَنْتَصَفْتُ مِنْهُ : أَخَذْتُ حَقَّكَ . وَالْمَقَانِعُ : الَّذِينَ يُقْنَعُ بِفَعْلِهِمْ ، أَيْ يَرْضَى . وَالْإِخْلَافُ : جُودَةُ الزَّرْعِ ، قَوْلُ : أَخْلَفَ الزَّرْعُ ؛ إِذَا طَلَبَ ؛ وَرَدَّ عَلَى أَصْحَابِهِ أَضْعَافَ مَا أَفْقَى عَلَيْهِ . الْمُسْتَوْفَى : رَأْسُ الشَّارِبِ . قُطْبُ : أَصْلُ . وَقُطِبَ الْقَوْمُ سَيَدَمَ الَّذِي يَدْبِرُ أَمْرَهُمْ وَيُدَوِّرُونَ عَلَى رَأْيِهِ ، بِمَنْزِلَةِ قُطْبِ الرَّحَى الَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ . الدِّيُونُ : دَارُ كِتَابِ الْخِرَاجِ ، وَهُوَ فَارْسِيٌّ مُعَرَّبٌ . قِسْطَاسُ : مِيزَانٌ ؛ يَرِيدُ أَنَّهُ مِيزَانُ الْعَمَلِ الَّذِي يَحْتَدِلُ بِهِ . الْمُهَيِّمِينَ : الشَّاهِدَ . الْمَآبَ : الرَّجُوعَ . السُّلْمُ وَالْمَرْجُ : الصِّلَحُ وَالْحَرْبُ . لِلدَّارِ : لِلْعَمَلِ ، أَيْ عَلَيْهِ أَنْ يَعْمَلَ فِي إِدَارَةِ مَا يَدْخُلُ عَلَى السُّلْطَانِ مِنَ السَّالِ مِنَ رَعِيَّتِهِ ، وَمَا يَخْرُجُ عَنْهُ مِنْ لَوَازِمِ الْأَجْنَادِ وَغَيْرِهِمْ ، وَفُلَانٌ كَثِيرُ الدَّخْلِ وَالْخَرْجِ ،

إذا كثر ما يدخل عليه من القوائد وما يخرج عنه من الإضاق .

مناط : تعلق . أودت : هالكت . نظام : خيط . مغلولا ، هدرأ أى باطلا  
لاحق فيه . التناصف : أخذ الحق وإعطاؤه ، واستعمار له عنفاً ، وجعله مغلولا ؛  
أى محبوساً بفل . النظام : ضد التناصف . يراع : أقلام . منقول : منحول  
ما يقوله . متأول : مدبر ؛ يريد أن الملك يلقي للكاتب مقصده ، فيحسن  
الكاتب الألفاظ ويرتب الفقر ، فيزيد في كتابته ألفاظاً على ما حد له بالضرورة ،  
فذلك الزيادة ضرب من القول وهو أن يقول على الرجل ما لم يقل ، وكاتب  
الحساب لا يحتاج إلى قول . مناقش : مباحث . أبو براقش ؛ أى بأتى بأنواع  
مختلفة ، وأبو براقش : طائر فيه ألوان شتى ، مشتق من البرقشة ، وهى النقش  
والرقم ، يقال : برقت الثوب . وأنشد سيبويه وعزاه أبو عمرو بن العلاء  
لبعض بني أسد :

إن يبخلوا أو يعسوا أو يمدروا لا يحفلوا

يغدوا عليك مرجليين كأنهم لم يفعلوا

كأبى براقش كل حين لونه يصعيلُ

وأبو براقش وأبو قلمون ، كنية للرجل الكثير التلون ، القليل الارتباط ،  
وأصل أبى قلمون كنية لثياب إبريسم تنسج بمصر والروم ، تلون للميون ألواناً  
شتى . وفى البدعية :

أنا أبو قلمون فى كل لون أكون

حجة بالتخفيف : سم وشر . يرتقى : يصعد في منزله ، ويرتفع في أصابع الكاتب  
حين يكتب به . يرتقى : إشارة للرشوة لأنها تسكن شره ، كما تسكن الرقية الوجع ،

إعانت : مشقة . يُنشى : يكتب . يُنشى : يقصد ويدخل عليه .

### [ حائك الكلام ]

هذه المقامة بناها أبو محمد على حكاية حائك الكلام المشهور، لأنهم حقروه أولاً في السفينة ثم عظموه آخرًا بعد الاختبار .

(١) ونذكر الحكاية وإن طالت لمواقفتها المقامة : حدث عمرو بن مسعدة (٢) أن المعتصم لما رجع من الثغر ، وصار بناحية الرقة قال لى : ما زلت تسألنى فى الرخجى (٣) حتى وليته الأهواز، وقد فى سرّة الدنيا يأكلها خضماً وقضماً ، ولم يوجه إلينا بدرهم واحد ، أخرج إليه من ساعتك ، واحلف ألا تقيم ببغداد إلا يوماً واحداً ، فحلفت له ، وقلت فى نفسى : أبعد الوزارة أصير مستحقاً لعامل خراج ! ولم أجد بداً من طاعته . فخرجت إلى بغداد ، قرش لى زورق ، وغشى بالسليخ (٤) ، فلما صرت عند دير هز قل (٥) ، وإذا رجل يصيح : يا ملاح ، رجل منقطع ، قلت للملاح : قرب إلى الشط ، فقال : هذا شعاذ ، وإن قد معك ، أذاك فأمرت الفلمان فأدخلوه فى كوثل (٦) الزورق ، فلما حضر النداء دعوته فأكل أكل جائع ، إلا أنه نظيف ، فلما رُفِع الطعام ، أردت أن يستعمل معى ما يستعمل العوام مع الخاصة ؛ أن يقوم فيفسل يده فى ناحية ، فلم يفعل ، ففمره الفلمان فلم يفعل ، قلت : يا هذا ، ما صناعتك ؟ قال : حائك ، قلت فى نفسى : هذه شر من الأولى ، ثم قال لى : جعلت فداك ! سألتنى عن صناعتى فأخبرتكم ، فما صناعتك ؟ قلت : هذه والله أعظم ، فكرهت ذكر الوزارة فقلت : كاتب .

(١) المقد ٤ : ١٧٥ .

(٢) كذا فى الأصول والمعروف أن عمرو بن مسعدة توفى سنة ٢١٧ فى حياة المأمون .

(٣) الرخجى . منسوب إلى رنج ، من نواحي كابل ، وهو عمر بن فرج . كان من

أعيان الكتاب فى أيام المأمون . (٤) السليخ الجلد .

(٥) دير هرقل : بين البصرة وعسكر مكرم ( ياقوت ) .

(٦) الكوثل . مؤخر السفينة أو سكانها .

قال : الكاتب على خمسة أصناف : كاتب رسائل ويحتاج أن يعرف الفصل من الوصل ، وانهائي والتعازي والصدور وجمالاً من الإعراب . وكاتب خراج يحتاج إلى أن يعرف الزرع والمساحة والتقسيم والحساب . وكاتب جند ، يحتاج إلى أن يعرف شِيَاتِ الخيل وحُلَى الناس . وكاتب شرطة يحتاج إلى أن يَعْرِف الجراح والقصاص والديبات ، وكاتب قاض يحتاج إلى أن يعرف الفقه والوثائق وما يتعلق بذلك ، فأيهم أنت أعزك الله تعالى ؟

قلت : كاتب رسائل ، قال : فأخبرني ؛ إن كان لك صديق تكتب له في الحبوب والمكروه<sup>(١)</sup> ، فترَوِّجُ أمه ، كيف تكتب إليه ؟ تهنئه أو تعزيه ؟ قلت : والله لأأدرى ، وهو بالتعزية أولى ، قال : صدقت ، فكيف تعزيه ؟ قلت : والله لأأدرى ، وهو بالتعزية أولى ، قال : صدقت ، فكيف تعزيه ؟ قلت : والله لأأدرى . قال : فلست بكاتب رسائل : فأيهم أنت ؟ قلت : كاتب خراج ، قال : فما تقول وقد ولّك السلطان عملاً ، فجاء قوم يتظلمون من بعض عمالك ، فأردت أن تنصفهم ، وكنت تحب العدل وتؤثر حسن الأعدوة ، وكان لأحدهم قراح<sup>(٢)</sup> فأردت مساحته ؟ قلت : أضرب العطوف في العمود . قال : إذن تظلم الرجل ، قلت : فأمسح العمود على حدة ، والعطوف على حدة ، قال : إذن تظلم الناس ، قلت : والله فأأدرى ؟ قال : فلست بكاتب خراج ، فأيهم أنت ؟ قلت : كاتب جند . فقال : فما تقول في رجلين اسم كل واحد منهما أحمد ، أحدهما مقطوع الشفة العليا ، والآخر مقطوع السفلى ، كيف تكتب عليهما ؟ قلت : أكتب أحمد الأعم وأحمد الأعم . قال : وكيف ورزق هذا مائة درهم ورزق الآخر ألف درهم ، فيقبض هذا على دعوة هذا ، فتظلم صاحب الألف ، قلت : والله ما أدرى ! قال : فلست بكاتب جند ، فأيهم أنت ؟ قلت : كاتب قاض .

قال : فما تقول في رجل توفي وخلف زوجة ورعية ، وللزوجة بنت وللرعية<sup>(٣)</sup>

(١) القراح : المزرعة ليس فيها بناء ولا شجر .

(٢) بعضا في القيد : « وجب الأسباب » . (٣) السرية : الملوكة يتسراها صاحبها .

ابن ، فتنازعا فيه ، فقالت كل واحد منهما هذا ابني وقالت واحدة هذا ابني ، كيف تحكم بينهما وأنت خليفة القاضي ! قلت : والله ما أدري ؟ قال : فلست بكتاب قاض ، قال : فأيتهم أنت ؟ قلت : كاتب شرطة .

قال : فما قول في رجل وثب على رجل ، فشجّه شجّة<sup>(١)</sup> موضحة ، فوثب عليه المشجوج فشجّه شجّة مأمومة<sup>(٢)</sup> ، قلت : لا أعلم ، وقد سألت ففسّر لي ما ذكرت قال : أما الرجل الذي تزوّجت أمه ، فكتب إليه : أما بعد فإن أحكام الله تعالى تجري بنبر محاب الخلقين ، والله يختار للمخلوق ، فغار الله لك في قبضها إليه ، فإن القبر أكرم لها ، والسلام .

قال : وأما القراح فتضرب واحداً في واحد في مساحة المظوف ، فتم بابيه . قال : وأما المقطوع العليا فتكتب عليه أحد الأعم ، زحاح المقطوع السفلى أحد الأشرم ، وأما المرأتان فيوزن لنبهما ، فأيتهما . ١ : أخفت فهي صاحبة البنت . وفي الموضحة خمس من الإبل ، وفي المأمومة ثمانية وعشرون .

قلت : فما زرع بك إلى هنا ؟ قال : ابن عم لي كان عاملاً على ناحية فخرجت إليه فلقيته معزولاً ، فخرجت إلى بعض النواحي اضطرب في المعاش ، قلت : أليس قد ذكرت أنك حائك ! قال : أنا أحوك الكلام ، ولست بمحائك الثياب . فلما بلغنا الأهواز أمرت الحجّام فأحني من شعره ، وأدخل الحمام ، فكسوته من ثيابي ، وكلت الرخّتي فيه في الأهواز فأعطاه خمسة آلاف درهم ، ورجع معي .

فقال لي المتعمم : ما كان من خبرك في طريقك ؟ فأخبرته خبري ، ثم خبر الرجل ، فقال : هذا لا يستغنى عنه ، فلا شيء يصلح ؟ قلت : هو والله يا أمير المؤمنين أعلم الناس بالساحة والمهندسة ، فولّاه البناه ، فكنت ألقاه في الموكب التبيل فينزل عن دابّته فأمنعه ، فيقول : يا سبحان الله ! إنما هذه .

(١) الموضحة من الشجاج : التي بلغت العظم .

(٢) المأمومة : الشجّة التي بلغت أم الوأس .



نميتك ، وبك أفدتها .

ومثل إيهامه هنا أنه حائك إيهام أبي زيد في التاسعة أنه نظام .

\* \* \*

قال الحارث بن همام : فلما أمتع الأسماع ، بما راق ورَاع ،  
استنسبناه فاستتراب ، وأبى الانسَاب ، ولو وجد منساباً لأنساب .  
فحصلت من لبسه على غمة ؛ حتى أذكرت بعد أمة . فقلت : والذي  
سخر الفلك الدوار ، والفلك السيار ، لئن لأجد ريح أبي زيد ، وإن  
كنت أعهد ذارواً وأيد .

فتبسّم صاحكاً من قولي ، وقال : أنا هو على استحالة حالي  
وحولي ؛ فقلت لأصحابي : هذا الذي لا يُفري فريته ، ولا يُباري  
عبريته . فخطبوا منه الود ، ويدلوا له الوجد ؛ فرغب عن الألفة ،  
ولم يرغب في التحفة ، وقال : أما بعد أن سحقتكم حتى ، لأجل سحقي ،  
وكسفتكم بالي ، لإخلاقي سربالي ، فتأ أراكم إلا بالعين السخينة ،  
ولا لكم مني إلا صخرة السفينة .

...

قوله : « أمتع الأسماع » أي متع الآذان وقد ذها ، ومنه يقال في الكتابة :  
أبكاك الله وأمتع بك ، ومعناه : أطل الله عمره ، من الماتم وهو الطويل عند الرب ،  
ومنه متع النهار ، أي علا ، وقال الأنصاري .

وأما لأيام الصبا وزمانه لو كان أمتع بالتمام قليلا !  
وتبلاء الكتاب يكتبون بها إلى الأتباع والأدنياء ، ولا يكتبون بها إلى  
الأكفاء والأعلون .

\* \* \*

( • - شرح مقامات الحريري ج ٢ )

[ طرف وملح بين الأدباء والشعراء ]

وكتب محمد بن عبد الملك الزيات إلى عبد الله بن طاهر كتاباً في صدره :  
وأمتع بك ، فكتب إليه ابن طاهر : <sup>(١)</sup>

أحلتَ عما عهدت من أدبك      أم نلتَ ملكاً قهتَ في كتبك  
أم قد ترى أنَّ في ملاطفة الـ      إخوان قصاً عليك في أدبك  
إنَّ جفا كتاب ذى مقه      يكون في صدره : وأمتع بك  
أنبتَ كفتيك في مخاطبتي      حسبك مما أتيت من تعبك

فأجابه ابن الزيات :

كيف أخون الإخاء يا أملي      وكلَّ شيء أنال من سببك  
إن يك جهل أنك من قبلي      فقد بفضل علي من حسبك  
أنكرت شيئاً ولست فاعله      ولن تراه يُخطُّ في كتبك  
فأعف فذتك النفوس عن رجل      يعيش حتى للمات في أدبك

ومن ملح أجوبة ابن الزيات أن الحسن بن وهب مرض فلم يمهده ، ولا  
تعرف خبره ، فكتب إليه الحسن :

أيهذا الوزير أيدك الله      وأبقاك لي زماناً طويلاً  
أجيلاً تراه يا أكرم النا      س لكياً أراه أيضاً جيلاً  
إنني قد أقت عشراً عليلاً      ما ترى مرسلًا إلى رسولاً  
إن يكن يوجب التمهيد للصحة      بمنأى عنك طويلاً  
فهو أولى باستيد الناس برًّا      واقتضاداً لمن يكون عليلاً

فأجابه ابن الزيات :

دفع الله عنك فائبة الله ر وحاشاك أن تكون عيلاً  
أشهد الله ما علمت وماذا لك من العذر جائزاً مقبولاً  
ولعمري أن لو علمت فلا رمتك حو لاً كان عندي قليلاً  
فاجملن لي وإلى التعلق بالمدن ر سبيلاً إن لم أجد لي سبيلاً  
فديماً ما جاد بالصّبح والغف و وما سامح الخليل خليلاً

وكتب بعض الكتاب إلى صديق له يعاتبه على ترك عيادته :

يا جافياً ترك السؤال ببديءِ  
نفسى فداؤك من ملولٍ قاطع  
اعتلّ عبدك من تشكى رأسه  
سئناً وأردفها يوم سابع  
فحبست رسلك عن تمهد عاتى  
وقطعت من سبب الوصال مطامى  
وعلمت منك تهادياً فى جفوتى  
فرجمت فى عفوى كأحسن راجع

فأجابه الآخر :

لا والذى قسم الجلال بفضله  
فحبأك منه بالضياء اللامع  
ما إن علمت بعلّة لك سيدى  
إلا بخطك فى القريض البارع  
وإذا أنتك رسالتى قرأتها  
فأقبل فديتك من مقر خاضع  
وكان<sup>(١)</sup> الحسن بن وهب يتمشّق غلاماً لأبى تمام رومياً، وكان أبو تمام يتمشّق  
غلاماً للحسن خزرياً، فرآه أبو تمام يبحث بسلامه ، قال : والله لئن أعنقت فى  
الروم لأركضن إلى الخزر ، وما أشبهك إلا بداود وأشبّه<sup>(٢)</sup> نفسى بخصمه ، قال  
الحسن : لو كان هذا منظوماً خفناه ، وللشور عارض للاحقة له ، قال أبو تمام :

(١) الخبر والشعر فى كتاب أخبار أبى تمام لصلوى ١٩٤ .

(٢) أخبار أبى تمام : « وأشبّهى » .

أَبَا عَلَى - لَعْرَفَ الدَّعْرِ وَالْغَيْرِ      وَلِلْحَوَادِثِ وَالْأَيَّامِ وَالْغَيْرِ  
أَذْكُرْتَنِي أَمْرَ دَاوُدَ وَكُنْتُ فَتًى      مَعْرِفُ الْقَلْبِ فِي الْأَهْوَاءِ وَالذِّكْرِ  
أَعْنَدُكَ الشَّمْسُ لَمْ يَحْطَ لِلْغَيْبِ بِهَا      وَأَنْتَ مُضْطَرِبُ الْأَحْشَاءِ بِالْقَمَرِ  
إِنْ أَنْتَ لَمْ تَتْرَكَ السَّيْرَ الْحَثِيثَ إِلَى      جَاذِرِ الرُّومِ أَعْنَقْنَا إِلَى الْخَزَرِ

(١) وكان الحسن يكتب لابن الزيات ، فلما وقف على ما بينهما من أمر  
الغلامين ، تقدم إلى بعض ولده ، وكانوا يجلسون عند ابن وهب أن يعلموه ما يدور  
بينهما ، فزم غلام أبي تمام على الحمامة ، فكتب إلى الحسن يعلمه بذلك ، ويسأله  
توجيه نبذ مطبوخ فوجه إليه مائة دينار وخامسة وبخورا وكتب إليه :

لَيْتَ شَعْرِي يَا أَمْلَحَ النَّاسِ عِنْدِي      هَلْ تَدَاوَيْتَ بِالْحِمَامَةِ بَغْدَادِي (٢)  
دَفَعَ اللَّهُ عَنْكَ لِي كُلَّ سُوءٍ      بِأَكْرِ رَائِحٍ وَإِنْ خُنْتُ عَهْدِي  
قَدْ كَتَمْتُ أَهْوَى بِمِبلغِ جَهْدِي      فَبَدَأَ مِنْهُ غَيْرَ مَا كُنْتُ أَبْدِي  
وَحَلَمْتُ الْعِذَارَ فَلْيَعْلَمْ النَّاسُ      مِنْ بَأَثِي إِلَيْكَ أَصْفِي بَوْدِي  
وَلْيَقُولُوا بِمَا أَحْبَبُوا إِذَا كُنْتُ      تَوْصُولًا وَلَمْ تَرُغْنِي بِصَدِّ  
مَنْ عَذِيرِي مِنْ مَقْتَلِيكَ وَمَنْ إِذْ      مَرَّاقَ وَجْهِ (٣) مَنْ تَحْتَ حِمْرَةِ كَدِّ

ووضع الرقعة تحت مصلاه ، وأعلم ابن الزيات خبرها ، فأرسل في الحين ،  
وشغل بشيء ، ووجه أن جاءه بها . فلما قرأها كتب فيها على لسان أبي تمام :

لَيْتَ شَعْرِي عَنْ لَيْتَ شَعْرِكَ هَذَا      أَبْهَزَلِ قَوْلُهُ أَمْ بِحَيْدَةِ  
فَلَنْتُ كُنْتُ فِي الْقِتَالِ عَمَّا      يَا بِنْ وَهْبٍ لَقَدْ تَطَرَّفْتُ بِعَدِي  
وَتَشَبَّهْتُ بِي وَكُنْتُ أَرَى أَنَّي      أَنَا الْعَاشِقُ النَّتِيمَ وَحَدِي  
إِنْ مَوْلَايَ عَبْدٌ غَيْرِي وَلَوْلَا      شَوْمُ جَدِّي لَكَانَ مَوْلَايَ عَبْدِي

(١) غزوات الوفيات ١ : ٢٦٨ ، وأخبار أبي تمام المصنوع ١٩٦ ، ١٩٧

(٢) المصنوع : ٢٦٨ .

ثم قال : ضموا الرقمة مكانها ، فذا قرأها الحسن قال : إنا لله لأضضنا عند الوزير . وأعلم أبا تمام ، فلتقيه قتالا : إنا جملنا هذين الثلامين سبياً لتكاتبنا بالأشعار ، قال لهما : ومن يظن بكما غير هذا ! فكان قوله عليهما أشد .

محمد بن إسحق : قلت لأبي تمام : غلامك أطوع للحسن من غلامه لك ، قال : إني أعطى غلامه قتيلا وقال ، ويعطى غلامي ثياباً ومالا ، وقال أبو تمام في غلامه :

يا عمرو قل للقتل الطالع اتسع انطرق على الراقع  
يا طول فكري فيك من حامل لرقمة مفكوك الطابع  
ما أنت إلا رشا جوذر حل بمغنى أسد جائع

قوله : راق ، أى أعجب . راع : أفرغ لأفراط حسنه . استسبناه : سألناه عن نفسه ، وهذا من قول النبي صلى الله عليه وسلم « إذا جاء الرجل الرجل ، فليسله عن اسمه واسم أبيه وعن هو ، فإن ذلك أوصل للمودة » . استراب : دخلته الريبة . منسابا : موضعاً يدخل فيه . لبسه : تخليطه . وغمة القلب : ما يعطيه من الشك أو الهم ، فأراد أنه لبس عليه فلم يعرفه .

اذكرت ، أى ذكرت . أمة : حين . القلك : مدار النجوم . والقلك السيار ، أى السفينة السريعة . والقلك لفظ يقع للواحد والجمع . أعنده : أعرفه . رواء : فتوة وحسن هيئة . أيد : قوة . استعالة : تغير . الحول : القوة ، وأيضا الحيلة . ولو خاطبه ابن همام بشعر لكان للشريف الرضى فى جوابه للصباي ، وقد شكوا إليه الهرم والجلوس فى الخفة وامتناعه من التصرف ، قال :

كئن رام قبضاً من بتانك حادث لقد عاضنا منك انبساط جنان<sup>(١)</sup>

وإن أهدمتك الثائبات ظلالاً      سرى موقراً من مجدك للولانِ  
وإن هدمت منك الخطوب بمزما      فسمّ لسان للمناقب بانِ  
قوله: « لا يفري قربة » ، أى لا يقطع قطعه ولا يعمل عمله ، قال الحوافزان :  
وما ارتعشت كفى ولا طلّ ضرْبُها      إذا طرحوا بالفارس التهلّل  
ولكنها إذ ذاك تفرى فريها      وتهرع رأس الفارس المنقلل

مُبَارَى عَقْرِيَّة : يَمَارَى جَنِيَّة ، وَلَفْظُ الْحَرِيرَى كُلُّهُ مُنْتَزَعٌ مِنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ  
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ كَأَنِّي عَلَى بَئْرٍ وَأَرَى  
جَمِيعَ النَّاسِ ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَزَلَّ ذَنْبًا أَوْ ذَنْبَيْنِ . وَفِيهِ ضَعْفٌ ، وَاللَّهُ يَغْفِرُهُ .  
ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَاسْتَحَالَتْ يَدُهُ غَرْبًا ، فَلَمْ أَرِ عَقْرِيًّا مِنَ الرِّجَالِ يَفْرَى  
قَرْبَةً ، حَتَّى ضَرَبَ النَّاسَ بِأَعْطَانِهِمْ » . يُقَالُ رَجُلٌ عَقْرِيٌّ ، أَيْ كَامِلٌ قَوِيٌّ ،  
وَالْعَقْرِيُّ أَيْضًا الْحَسَنُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . الْوَجْدُ : الْمَالُ . رَغِبَ عَنِ الْأَلْفَةِ ، أَيْ  
تَبَاعَدَ عَنِ الصَّحْبَةِ . وَلَمْ يَرْغَبْ فِي التَّحَفَةِ ، أَيْ لَمْ يَطْمَعْ فِي الْعَطَايَةِ ، أَيْ لَمْ يَقْبَلِ  
عَطَايَتِهِمْ وَلَا صَحْبَتِهِمْ . سَحَقْتُمْ : قَضَعْتُمْ وَغَيْرَتُمْ . سَحَقَى : ثَوْبِي الْبَالَى .  
وَكَسَفْتُ بِالْأَيْ : تَنَقَّصْتُ حَالِي وَغَيْرَتُهَا . سَرَبَالِي : قِيَمِي . السَّخِينَةُ : السَّاخِلَةُ .  
الْحَارَةُ السَّمْعُ .

\*\*\*

ثم أنشد :

اسْمَعْ أَخِيَّ وَصِيَّةً مِنْ نَاصِحٍ      مَا شَابَ مَعْضَ الْأَنْصَحِ مِنْهُ بِنَشِ  
لَا تَمْجَلَنَّ بِقَضِيَّةٍ مَبْثُوتَةٍ      فِي مَدْحٍ مَنْ لَمْ تَبْلُهُ أَوْ خَدَشِهِ  
وَقِفِ الْقَضِيَّةَ فِيهِ حَتَّى تَجْتَلِي      وَصَفِيهِ فِي حَالِي رِضَاهِ وَبَطْشِهِ  
وَبَيْنَ خَلْبٍ بَرِّهِ مِنْ صِدْقِهِ      لِلشَّاعِنِ ، وَوَبْلُهُ مِنْ طَشِهِ  
فَهَنَّاكَ إِنْ تَرَ مَا يَشِينُ فَوَارِهِ      كَرَمًا وَإِنْ تَرَ مَا يَرِينُ فَأَفْشِهِ

وَمَنْ اسْتَحَقَّ الْإِرْتِقَاءَ فَرَقَهُ  
 وَاعْلَمْ أَنَّ الثَّبَرَ فِي عِرْقِ الثَّرَى  
 وَفَضِيلَةُ الدِّينَارِ يَظْهَرُ سِرُّهَا  
 وَمِنَ الْغَبَاوَةِ أَنْ تُعْظَمَ جَاهِلًا  
 أَوْ أَنْ تُهَيَّنَ مَهْذَبًا فِي نَفْسِهِ  
 وَلَكِنْ أَخِي طُورَيْنِ هَيْنَ لِفَضْلِهِ  
 وَإِذَا الْفَتَى لَمْ يَنْشِ عَارًا لَمْ تَكُنْ  
 مَا إِنْ يَفْرَّ الْعُضْبُ كَوْنُ قَرَابِهِ  
 وَمَنْ اسْتَحَطَّ مُخْطَئُهُ فِي حَشٍّ  
 خَافَ إِلَى أَنْ يُسْكَرَ بِنَبْشِهِ  
 مِنْ حَكَمِهِ لَا مِنْ مَلَا حَةِ نَقْشِهِ  
 لِيَصْقَالَ مَلْبِيهِ وَرَوْنَقِ رَقْشِهِ  
 لِدُرُوسِ يَرْزِيهِ وَرَنَقِ فُرْشِهِ  
 وَمَقُوفِ الْبُرْدَيْنِ عَيْبَ لَفْحِهِ  
 أَسْمَالُهُ إِلَّا مَرَاقِي عَرْشِهِ  
 خَلَقًا وَلَا الْبَازِي حَقَارَةَ عُشِّهِ

\* \* \*

شاب : أي خاط ، ومُخَضَّه : خالعه . وغشه : عيبه وفساده .

وللزاهد بن عمران في النصيحة :

اسمع أَخِي نصيحتي  
 لَا تَرْضَنْ إِلَى الشَّهَادَةِ  
 تَسْلَمُ مِنْ أَنْ تُنْزَى لَزْوِ  
 وَالتَّضْعُ مِنْ أَهْلِ الدِّيَانَةِ  
 دَةِ وَالْوَسَاةِ وَالْأَمَانَةِ  
 رٍ أَوْ فَضُولٍ أَوْ خِيَانَةِ

وقال آخر فيمن لا يقبل النصيحة :

إِذَا مَا هُدَيْتَ امْرَأَ مَخْطَا  
 وَلَمْ تُكَلِّفْهُ سَامِعًا قَابِلًا  
 أَضَلَّ السَّبِيلَ إِلَى قَصْدِهِ  
 فَحَسَّنْ لَهُ لِلشَّى فِي ضِدِّهِ

وقوله : « لَا تَعْلُجَنَّ » ، وما بعده من قول الشاعر :

لَا تَمْدَحَنَّ امْرَأً حَتَّى تَجَرِّبَهُ      وَلَا تَذُمَّنَّ مِنْ غَيْرِ تَجَرِّيبٍ

ولابن عمران أيضاً :

تحرمت سبيل القصد في الناس ولتكن  
على حذر منهم ولا تُسبِ الظنَّ  
ولا تمدحَنَّ مَنْ لم تجرّب ولا تَقُلْ  
على غير علم ذاك من ذاكمْ أَسْتَفَى  
فما كلَّ مَنْ يرضيك ظاهر حاله  
لدى الخبير محموداً وقد يُحْمَدُ الأذَنَى

القضية : الحكم . مبتوتة : مقطوعة . تَبْلُهُ : تجربته . خدشه : عيبه وإذائه ،  
تجمل : تنظر . بطشه : صولته عند الغضب ، يقول : لا تحكم بشيء على أحدٍ  
حتى تجربته في الشدة والرخاء . وقال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه :  
إن فلانا لرجلٌ صدق ، قال : أسأفت معه ؟ قال لا ، قال : فهل كانت بينك وبينه  
خصومة ؟ قال : لا . قال : فهل ائتمنته على شيء ؟ قال لا . قال : فأنت الذي لاعلم  
لك به ، وإنما أراك رأيته يرفعُ رأسه ويخفضه في المسجد . يبين : يظهر . خَلَبَ  
كاذب . الشائمين : الناظرين إلى البرق . وبه : مطره الكثير . حُشِه : مطره  
القليل . يشين : يعيب . واره : استره . كرمًا ، أي تكرمًا منك عليه . أفشه :  
حدث به وانشره . الارتقاء : الترفيع . رَقَه : ارفقه . استعصط : اتضع . حُشِه :  
كنيفه وهو المستراح . التبر : الذهب قبل السَّبَك . يستثار : يستخرج . التَبَشُ :  
البعث عليه . الفباوة : الجهالة . رونق رَقَشِه : حسن زينته . مهذبًا : مخلصًا .  
دروس : لإخلاق . بزَّته : لبَّسته . رئةٌ : ضعف . طمرين : ثوبين خَلَقَيْنِ .  
هَيْبَ : حَيْف . منوف : مزين . لنحشه : لتبيح كلامه . يَفْش عارًا : يدخله .  
أسماله : ثيابه البالية . مراقى : سلام ومدارج . عرشه : سريره ومنزلته . العضب :  
السيف . قراهه : جفنه .

ومما ينتظم في هذا السلك أن التجَادِ العَدَوِيَّ دخل على معاوية في عبادة  
فاحتقره ، قال : يا أمير المؤمنين إن العبادة لا تكلمك ، إنما يكلمك مَنْ فيها ،  
ثم تكلمَ فَلَاَ سمعه بيانًا ، ثم خرج ولم يسأله شيئًا ، قال معاوية : ما رأيتُ رجلًا  
أبحرَ أولًا ، ولا أجَلَ آخرًا منه .



وقال بعضهم :

إني وإن كنت أنوابي ملققةً      ليست بمنزٍ ولا من نسج كَتَانٍ  
فإن في الجدمِ هَمَاقِي وفي لَتِي      فصاحةٌ ، ولساني غيرُ لَحْمانِ

وقال آخر :

هل يتغنَّك بعد شيبك في الهوى      توقير مكتسبٍ ولُبْس ثياب  
هيئات ما فخر للمهند في الوغى      بحلى غمدٍ فوقه وِقْرَاب

وقال الخابزري :

لا تنتظرنَّ إلى أنوابٍ مغترِب      نائي الحِلِّ بعيد الأهل والدَّارِ  
وانظر إليه إذا ما قام في ملا      بمنطقي لقوى الألباب سَحَّارِ

وقال للمري :

وإن كان في لبس الفتى شرف له      فما السيف إلا غِذَاهُ والحمائلُ (١)

وقال أبو هِثَّان :

لَعَمْرِي لئن بيعت في دار غربةٍ      ثيابي إن ضاقت عليّ الدَّاءُ كُلُّ  
فأنا إلا السيف أخلق جَفْنَهُ      له حاية من نفسه وهو عاطلٌ

وقال لبيد :

أصبحت مثل السيف أخلق جَفْنَهُ      تقادم عهد القين والسيف قاطعُ (٢)

وقال النَّمري :

فإن تلك أنوابي تَمزَّقن عن بلى      فإني كنصل السَّيف في خلق الغنْدِ  
كان بالسكوة رجل يعرف بأبي ذؤيب ، وكان متصدًّا للشعراء ، فدخل مجلسه  
محمد بن حازم الباهلي ، وعليه ثياب رثة ، وهم يتكلمون في مغانٍ الشعر ، فسأله  
بالحازم عن بيت للطِّرَمَاح ، فردَّ أبو ذؤيب جواباً محالاً ، وهو في ذلك

(١) سقط الزند ٥٢٦ . والحمائل : جمع حاملة السيف .

(٢) ديوانه ١٧١ .

كالزدرى لابن حازم ، فوثب مضطجاً فقيل له : ماذا فطحتَ على نفسك الشر؟ أتدرى من احتقرت؟ قال : لا قيل : هو أخبت الناس لساناً وأهجمهم ، هذا ابن حازم ، فوثب حافياً حتى لقيه وحاف أنه لم يعرفه واستقاله فأقاله ، وقال :

أخطأ على ورد غير جوابي      وزرى على وقال غير صواب  
وسكت من حجب لئلا تزدني      فيما كرهت بطنه المرتاب  
وقفى على بظاهر من كسوة      لم يدري ما اشتلت عليه ثيابي  
من عمة وتكرّم وتجمل      وتجلد لمصيبة وعتاب  
لكنه رجعت عليه ندامة      لما يسب وحاف مض عتابي  
فأقلته لما أقر بذنبه      ليس الكريم على الكريم بناب

وكان ابن حازم ساقط المهمة ، يرضيه اليسير على انطباعه في شعره .

وقال حماد بن يحيى : قال لى ابن حازم يوماً : ما بقي على شيء من اللذات إلا بيع السنانير : قلت له : ويحك ! وأى في ذلك من اللذة ؟ قال : بمجبنى أن تبجى المجوز الرعناء تخاصمنى ، وتقول : هذا سنورى مرق ، فأخاصمها ، فقتلتنى ، فأشتيتها وأغيطها ثم أنشد :

صِلْ خمرَةً بِخَمَارٍ      وَصِلْ خَمَاراً بِخَمِيرٍ  
وَحِذْ نَصِيْبَكَ مِنْ دَا      وَذَا إِلَى حَيْثُ تَدْرِي

قلت : إلى أين ويحك ! قال : إلى النار يا أحمق .

\*\*\*

ثُمَّ مَا عَمَّ أَنْ اسْتَوْفَّ الْمَلَّاحَ ، وَصَعِدَ مِنَ السَّفِينَةِ وَسَاحَ ،  
فَنَدِمَ كُلُّ مَنْ عَلَى مَا قَرَطَ فِي ذَاتِهِ ، وَأَغْضَى جَفْنَهُ عَلَى قَدَاتِهِ ،

وتعاهدنا على ألا نحتقر شخصاً لرئاسة بُردِه ، وألا نزدري  
سيفاً غبويها في غمده .

\* \* \*

قوله «ماعثم» ، أى ما أبطأ ولا تأخر ، ويقال: عَثَمَ العَرَى، إذا تأخر، وأعْثَمَ حاجته: أخرها ، ومنه صلاة التَّعَمَّةَ لتأخر وقتها . استوقف الملاح : أمر خادم السفينة بالوقوف . صمد : ارتقى وارتفع . ساح : ذهب في الأرض . فى ذاته ، أى فى نفسه . أغصى جفنه : سد عينه . قذاته : عاره وعيبه الذى تلقى به السروجى عند الدخول فى السفينة . والقذاة : ما يسقط فى العين فيوجعها . نزدري : نحتقر . لرئاسة بُردِه : لإخلاق ثوبه . الله تعالى للوفى .

## المقامة الثالثة والعشرون وهي الشعرية

حكى الحارث بن همام ، قال : نبأني مَأْلَفُ الْوَلَدِ ، في شرح  
 نَزَمَ مَنْ ؛ لِحَطْبِ خُشْيٍ ، وَخَوْفِ غَشْيٍ ؛ فَأَرَقْتُ كَأْسَ الْكَرَى ،  
 وَنَصَصْتُ رِكَابَ الشَّرَى ، وَجُبْتُ فِي سَيْرِي وَغُورًا لَمْ تُدَمِّمْهَا  
 الْخَطَا ، وَلَا اهْتَدَيْتُ إِلَيْهَا الْقَطَا ؛ حَتَّى وَرَدْتُ جَمَى الْخِلَافَةِ ،  
 وَالْحَرَمَ الْعَاصِمَ مِنَ الْخِافَةِ ، فَسَرَوْتُ إِيحَاسَ الرُّوعِ وَاسْتَشْعَارَهُ ،  
 وَتَسَرَّبْتُ لِبَاسِ الْأَمْنِ وَشِعَارِهِ . وَقَصُرَتْ هَمِّي عَلَى لَذَّةِ أَجْنَتَيْهَا ،  
 وَمُلْعَةِ أَجْتَلِيهَا . فَبَرَزْتُ يَوْمًا إِلَى الْحَرِيمِ لِأَرْضِ طَرَفِي ،  
 وَأُجِيلٍ فِي طَرَفِهِ طَرَفِي ؛ فَإِذَا فُرْسَانٌ مُتَالُونَ ، وَرَجَالٌ مُتَالُونَ ،  
 وَشَيْخٌ طَوِيلُ اللِّسَانِ ، قَصِيرُ الطَّلَسَانِ ، قَدْ لَبَّبَ فَتَى جَدِيدِ  
 الشَّبَابِ ، خَلَقَ الْجِلْبَابِ ؛ فَرَكَضْتُ فِي إِثْرِ النَّظَارَةِ ؛ حَتَّى  
 وَافَيْتَا بَابَ الْإِمْلَةِ ، وَهَنَّاكَ صَاحِبُ الْمَوْنَةِ مُتَرَبِّمًا فِي دَسْتِهِ ، وَمَرُوعًا  
 يَسْمَتُهُ .

. . .

قوله « نبأني » أي قلبي ولم يوافقني . الوطن : للنزل . ومألفه . موضع  
 الاجتماع به والتأليف فيه .

شرح : أول ، أراد في أول زمانه وشبابه . خطب : أمر مخوف . خشى :  
 خيف . وغشى : نزل وغطى .

أَرَقْتُ : هزقت ، وجعل للكرى وهو النوم كأسًا مجازًا ، وكنى بهرقما عن

إزالة النوم عن عينه . كَصَصَتْ : زففت وحرّكت ركاب السرى : إيل السرى .  
جُبَّتْ : قطعت . وعوراً : طُرْقاً صعبة . تَدَمَّيْهَا : تسهّلها وتليّنها . الخطأ هنا :  
الأقدام ، وقوائم الحيوان . والقطا : طائر وقد تقدم . وهدياتها : فيما زعموا أنها  
ترك فراخها بالصحراء ، وتذهب عند طلوع الشمس لطلب الماء من مسيرة عشرين  
ليلة فما دونها ، فَيَرِدُّهُ ضَحْوَةٌ يَوْمَهُنَّ فيحملن الماء لفراخهن فيهنّهن ثم يرجعن  
بعد الزوال إلى تلك المسافة ، فيشربن ويأتين فراخهن في عشية يومهن فيستينهن  
علاً بعد نهل ، ولا يخطئن مواضع فراخهن ، فيقال لذلك : أهدى من القطا ،  
قال الشاعر<sup>(١)</sup> :

تم بطرق اللؤم أهدى من القطا      ولوسلكت سُبُلَ الكارم ضَلَّتْ  
ولو أن بُرْعُونَا على ظهر قلة      رَأَتْهُ تَمِيمٌ يَوْمَ زَحْفِ لَوْلَتْ

وقال حيد بن ثور :

كما اتصلت كدراء تسقى فراخها      بِعَرْدَةٍ رِفْهًا والمياه شعوب<sup>(٢)</sup>  
فجاءت ومسقاها الذي وردت به      إلى الصدم مشدود الصام كئيب<sup>(٣)</sup>  
تبادر أطفالاً مساكين دونها      فَلَا لَا يخطأه الرقاب رَغِيبُ  
وصن لها غوثاً بأرض تنوفة      فما هي إِلَّا نهلة وتوبُ

قوله : «حي الخلافة» ، هي بغداد . الحرم : موضع الأمن . الماصم : اللانح .  
سروت : أزلت . إيجاس الروح : إحساس الفزع والخوف . واستشماره ،  
استعمال من شمعت بالشئ . تسربت : لبست ميرالاً . قصرت هي : حبست  
همى وأرادنى . مَلَحَهُ : طُرْفَهُ وشئ عجب . أجتليها : أنظرها . الحرم : موضع  
متنع حول قصر الملك يجتمع فيه أجناده وغيرهم . أروض : أعلم وأسوس .  
طُرْفِي : فرسى . أجيل : أمشى . متالون : متابعون . متالون : منصبون لكثرة

(١) هو الطرماح ، كما في المقد : ١١١ وعبون الأخبار : ١ : ٣٩١ .

(٢) ديوانه ٥٣ وكدراء : من صفة القطاة ، والقطا الكدري : نوع من القطا غير الألوان  
رقص الظبور . وعدة هضبة . والرّه : أخصر الوردو والشعوب : البجدة .

(٣) شمعت ، مروت جادة ، وتوب : ترجع إلى الماء مرة بعد مرة .

جبرهم . الطليسان : ثوب خز أخضر . لبب : جل في عنقه ثوباً وقاده به ، وأخذ بتلابيبه وهي أطواق ثوبه ، والتلابيب مأخوذة من اللبّة وهي وسط الصدر .  
جديد الشباب ، أى فتى السن ، وتقدم الجلباب .

ركضت في أثر النظارة ، أى خلف الناظرين لما يفعل به ، ومن شأن الفوضى والعامة إذا رأوا محبوباً أو مضروراً أن يتبعوه ويتسكثروا عليه . ونظر عمر رضى الله عنه إلى قوم يتبعون رجلاً مريباً ، فقال : لا مرحباً بهذه الوجوه التى لا ترى إلا عند الشر . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : ما اجتمعوا قط إلا ضرّوا ولا تفرقوا إلا نفعوا . قيل له : قد علمنا ضرّ اجتماعهم . فأنفع افتراقهم ؛ قال : ينهب الحجام إلى دكانه ، والحدّاد إلى كيّاره ، وكلّ صانع إلى صنّعه .  
وقال دعبل :

ما أكرّ الناس لابل ما أقامهم      والله يعلم أتى لم أقل فَنَدَا<sup>(١)</sup>  
إنى لأفتح عيني حين أفضحها      على كثير ، ولكن لأرى أحداً

ومرّ على بن الجهم بمبرسم ، والناس قد تجمّعوا حوله ، وحلقوا به ، فلما  
هرّاهم للمبرسم أخذ بعنان فرسه وأنشأ يقول :

لا تخفان بمعر المـ      الذى تراهم  
فبحق من ألى بهم      نفسى ومن عاقم  
لو قيس مولاى بهم      كانوا إذا مولاى

ثم نظر حوله ، فرأى غلاماً جميل الوجه ، حسن اللبسة ، فهجم عليه وشقّ ثيابه وهو يقول :

هذا السيد لديهم      قد صار بي أشقام

وافينا : وصلنا . صاحب المونة : والى الجنابات ، وقال الرستقي : وَلِيَ فلان المونة ، أى ولى المون ، أى ولّاه السلطان عونه على حفظ المدينة ولفظها مفعولة وهى بتأويل المصدر بمنزلة قولهم : ماله مقول ، أى عتل ولا مجلود أى جلد .  
مرّوعاً بسته ، أى مفرعاً بهيته ووقاره .

\*\*\*

فقال له الشيخ : أعزّ الله الوالى ، وجعل كعبه العالى ،  
إِنّى كَفَلْتُ هَذَا الْغُلَامَ فَطِيماً ، وَرَبَّيْتُهُ يَتِيماً ؛ ثُمَّ لَمْ آله تَمْلِكاً .  
فَلَمَّا مَهَّرَ وَبَهَّرَ ، جَرَّدَ سَيْفَ الْمُدَوَّانِ وَشَهَرَ ، وَلَمْ أَخْلُهُ  
يَلْتَوِ عَلَى وَيَتَقِ ، حِينَ يَرْتَوِي مِنِّي وَيَلْتَفِجُ . فقال له  
الفقى : عَلَامَ عَثَرْتُ مِنِّي ؛ حَتَّى تَنْشَرَ هَذَا الْخَزَى عَنِّي ، فَوَاللَّهِ  
مَا سَتَرْتُ وَجْهَ بَرِّكَ ، وَلَا هَتَكْتُ حِجَابَ سِتْرِكَ ، وَلَا شَقَقْتُ  
عَصَا أَمْرِكَ ، وَلَا أَلَيْتُ تِلَاوَةَ شُكْرِكَ .

فقال له الشيخ : وَنِلَكَ وَأَيُّ رَبِّبٍ أَخْزَى مِنْ رَبِّبِكَ ، وَهَلْ  
عَيْبٌ أَفْحَشُ مِنْ عَيْبِكَ ، وَقَدْ ادَّعَيْتَ سِخْرِي وَاسْتَلْحَقْتُهُ ،  
وَأَتَحَطَّتْ شِغْرِي وَاسْتَرْقَتْهُ ، وَاسْتَرَأَى الشَّعْرَ عِنْدَ الشَّعْرَاءِ ،  
أَفْطَعُ مِنْ سَرَقَةِ الْبَيْضَاءِ وَالصَّفَرَاءِ ، وَغَيْرُهُمْ عَلَى بَنَاتِ الْأَفْكَارِ ،  
كَغَيْرِهِمْ عَلَى الْبَنَاتِ الْأَبْكَارِ . فقال الوالى للشيخ : وَهَلْ حِينَ  
سَرَقَ سَلَخَ ، أَمْ مَسَخَ أَمْ نَسَخَ !

\*\*\*

جمل - كعبه العالى ، أى جمل أسفل شئ - منه يعلو أرفع شئ - فى غيره .  
كفلقته : ضمته وقت بمؤنته .

أبو هريرة رضى الله عنه ، قال النبى صلى الله عليه وسلم « أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين - وهو يشير بإصبعيه - وخير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشرها يتيم يساء إليه » .

أبو أسامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من مسح على رأس يتيم لم يمسه إلا الله ، كانت له بكل شعرة مرّت عليها باده حسنة ، ومن أحسن إلى يتيم أو يتيمة كنت أنا وإياه فى الجنة كهاتين - وفروق بين إصبعيه » .  
فطلياً : أى صغيراً كما منع الرضاع . لم آله : أى لم أقصر فى تعليمه . مَمَرٌ : ظهر وصار مامراً أى حادثاً . بَهَرٌ : غلب أمثاله . المدّوان : الظلم . يلتوى : ينعطف ، لضربى وهو من فعل الحية إذا أتبعها الرجل التوت عليه لتسلسه . يتفتح : يسقط حياؤه . يلتفت : يشرب لبن لثقتى ، واللقحة : الناقة ذات اللبن . عثرت : اطلمت . الخزى : العار والشر ، والخزى : الهوان . هتكت : خرقت . حجاب سترك ، أى ثوب طاعتك . ولاشقت عصا أمرك ، أى ماخالقت حكمك ، وشقّ فلان العصا : خرج عن الأمر مخالفاً . وشقّ عصا المسلمين : فرق جماعتهم ، والأصل فى العصا الائتلاف والاجتماع ، ومنه قولهم للمعلمين : ألقى العصا ، وقيل شقّ العصا : صار منها فى شقّ وخرج عن الجماعة ، وفسر قوله تعالى : ﴿ شاقوا الله ورسوله ﴾ بالمباينة ، لأن من صار فى شقّ عن شقّ صاحبه فقد باينه ، وقيل : معنى شقّ العصا ذهب إلى شقّها أى كسرّها ، فجاء بالشقّ الذى هو من صفة العصا ؛ وفى ضمنه المجاهرة بالخروج عن الجماعة قال الشماخ :

تصدّع شعب الحى وانشقّ العصا كذاك النوى بين الخليط شقوق<sup>(١)</sup>

ألفيت : تركت . تلاوة : قراءة ، والريب : الريبة والتهمة : أخزى : أضرّ ،



وأكثر هواناً . أفحش : أقبح . ادّعيته : نسبته لنفسك وليس لك . سحرى :  
 بديع كلامى . استلحقته : ألحقته بنفسك . انتحلت : ادّعيت . أفلح : أتمز . البيضاء  
 والصقراء : الفضة والذهب . بنات الأفكار ، هى الأشعار . سايخ : أخذ المعنى .  
 مسيخ : قلب الكلام وغيره . نسخ : قلبه بعينه .

والقائلون بالتناسخ لهم ألفاظ تشبه هذه ، وهى النسخ والمسخ والرسخ  
 والفسخ ؛ فالفسخ عندهم أن يحول الأدنى إلى الأعلى ، والمسخ أن يحول الأعلى من  
 الحيوان إلى الأدنى ، والرسخ رد الحيوان جراداً ، والفسخ أن يتلاشى فلا يكون  
 شيئاً ، وقال شاعرهم :

نـمـوـذُ بالـإله من السـوـخ وسله أن تـكـونُ من التـسـوـخ<sup>(١)</sup>  
 لقد خاب الذى أضى وأمسى يُنقلُ فى فسوخ أو رسوخ  
 وقال المعرى :

وقال بأحكام التناسخ معشرٌ غلوّاً فأجازوا الفسخ ذاك وأرسنخا<sup>(٢)</sup>  
 [ السرقات الثمرية وأنواعها ]

وتقسيم الحريرى السرقة فى قوله : سايخ ومسوخ ونسخ ، يدخل تحت أحكام  
 السرقات التى عدّها أبو محمد الحسين بن على بن وكيع رحمه الله تعالى فى كتابه  
 للترجم بالنصف فى الدلالات على سرقات المتفنى ، فإنه جعلها عشرين وجهاً عشرة  
 أوجه يفقر فى سرقتها ذنب الشاعر للدلالة على ضلته .

الأول منها استيفاء اللفظ الطويل فى الموجز القصير ، كقول طرفة :

أرى قبر ضحّامٍ يحيل بماله كقبر غوىّ فى البطالة مفسد<sup>(٣)</sup>

(١) من ثلاثة أبيات فى شرح الزرويات ١ : ٢٢٤ من غير نسبة .

(٢) الزرويات ٢٢٥ (٣) ديوانه ٥٢ والنعام : الحريرى على المال

(٦ - شرح مقامات الحريرى ج ٣ )

اختصره ابن الزبيري ، قال :

والمعلّيات خِلس يَنْهَمُ وسواء قبر مثرٍ ومُثِلٌ<sup>(١)</sup>

فضل صدر بيته وجاء بيت طرفة في عجز بيت أقصر منه بمعنى لائح  
ولفظ واضح .

الثاني : قل اللفظ الرذل إلى الرشيح الجزل ، كقول العباس بن الأحنف :

زَعُوا لِي أَنهَا بَانَتْ تُحْمَمُ ابْتَلَى اللَّهُ بِهِذَا مِنْ زَعَمٍ<sup>(٢)</sup>  
اشْتَكْتُ أَكُلُ مَا كَانَتْ كَمَا يُكْسِفُ الْبَدْرُ إِذَا مَا قِيلَ نَمَ

فهذا معنى لطيف أخذه ابن المتز قال :

طَوَى عَارِضُ الْحُمَى سَنَاهُ فَضَالًا وَأَلَيْسَ ثَوْبًا لِلْسَّتَامِ هُزَالًا  
كَذَا الْبَدْرُ مُحْتَمٌ عَلَيْهِ إِذَا انْتَهَى إِلَى غَايَةِ الْحَسَنِ عَادَ هِلَالًا

الثالث : ما قبح مبناه دون معناه إلى ما حسن مبناه ومعناه ، كقول أبي نواس :

يُبَّحْ صَوْتُ الْمَالِ عَمَّا مِنْكَ يَدْعُو أَوْ يَصِيحُ<sup>(٣)</sup>  
مَا لِهَذَا آخِذٌ فَوْقَ يَدَيْهِ مَنْ يَصِيحُ

معناه صحيح ولفظه قبيح ، أخذه مسلم قال :

تَظَلَّمَ الْمَالُ وَالْأَعْدَاءُ مِنْ يَدِهِ لَا زَالَ لِلْمَالِ وَالْأَعْدَاءُ ظَلَامًا<sup>(٤)</sup>

فجود الصنعة وجع بين تظلمين كريمين ، ودعا للمدح بدوام ظلمه للمال  
والأعداء ، وكل ذلك مليح جزل قل عن ضعيف المبنى .

الرابع : عكس ما يهير بالمكس ثناء بعد ما كان هجاء ، كقول الجبلادري :

قَدْ يَرْفَعُ الرِّءُوسَ الْكَلِيمَ حِجَابُهُ ضَمَّةٌ وَدُونَ الرُّؤُفِ مِنْهُ حِجَابُ

(١) المؤتلف والمختلف للأصمعي ١٣٣ (٢) ديوان - ٢٥٢ ، ديوان الماتى ٢ : ١٦٥

(٤) ديوانه ٦٤

(٣) ديوانه ٧٠

ممكوسه :

ملك أغرّ محجّبٌ معروفه لا يُحجّبُ

الخامس : استخراج معنى من معنى احتذى عليه وإن فارق ما قصد إليه ،  
كقول أبي نواس في الحر :

لا ينزل الليل حيث حلتْ فدهرُ شرايها نهار<sup>(١)</sup>

احتذاه البحترى وفارق مقصده ، فجعله في محبوب ، قال :

غاب دجاها وأى ليل يدجو علينا وأنت بدر

السادس : توليد كلام من كلام لفظها مفترق ، ومعناها متفق ، كقول  
أبي تمام :

لأمرٍ عليهم أن تتمّ صدورُهُ وليس عليهم أن تتمّ عواقبُهُ<sup>(٢)</sup>

أخذه من قول الأعرابي ، أنشده الأحمسي رحمه الله تعالى :

فكان على القى الإقدام فيها وليس عليه ما جتِ النونُ

فجرد لفظه من أخذ منه ، وهو في معناه متفق معه ؛ وهذا من أدل الأقسام  
على فطنة الشاعر .

السابع : في توليد ممان مستحسّنات في ألفاظ مختلفات ، وهذا من أشدّ باب  
وأقلّه وجوداً ، وإنّا قلّ لأنّه من أحقّ ما استعمل فيه الشاعر فطنته ؛ كقول  
أبي نواس :

واستقنيها من كميت تدعُ الليلَ نهاراً<sup>(٣)</sup>

(١) ديوانه ٢٧٤

(٢) ديوانه ٤٤

(٣) ديوانه ٢٧٤

ثم قال أيضاً :

لا ينزل الليل حيث حَلَّتْ فدهرُ شُرَّابها نهار<sup>(١)</sup>

ثم قال أيضاً :

قال ابني للمصباح قُلْتُ له ائْتِدْ حسي وحسبك ضوءها مصباح<sup>(٢)</sup>

فكل هذه معانٍ متقاربات وألفاظ متشابهات ، مولد بعضها من بعض .

الثامن : مساواة الآخذ المأخوذ منه في الكلام حتى لا يزيد نظام على نظام ، وإن كان الأول أحقَّ به لأنه ابتدع ، والثاني اتبع ، من ذلك قول العكوك في فرس :

مطرود يرتج من أقطاره كالماء جالت فيه ريحٌ فاضطرب

فذكر ارتجاعه ، ولم يذكر سكونه ، فأخذه ابن المعتز قال :

فكانه موجٌ يذوب إذا أطلقته ، فإذا حبستَ جمدٌ

فجمع بين الصفتين .

التاسع : مماثلة السارق المروق بزيادته في اللحن ما هو من تمامه ؛ كقول أبي حية :

فألت قناعاً دونه الشمسُ واتقت بأحسن موصولين : كفٍ ويفعم

أخذه من قول النابغة :

سقط النصف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد<sup>(٣)</sup>

فلم يزد النابغة على اقتائها باليد ، وزاد عليه أبو حية قوله : « دونه الشمس » وخبر عن الالتقى بأحسن خبر فاستحقه .

الناشر : رُجِحَانَ السَّارِقِ عَلَى الْمَسْرُوقِ مِنْهُ بِزِيَادَةِ لَفْظٍ عَلَى لَفْظٍ مَنْ أَخَذَ عَنْهُ ، كَقَوْلِ حَسَّانَ :

يُفْشُونَ حَتَّى مَا تَهَرَّ كَلَابُهُمْ لَا يَمْلُؤُونَ عَنِ السَّوَادِ الْقَبِيلِ<sup>(١)</sup>

وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

إِلَى بَيْتِ حَانَ لَا تَهَرَّ كَلَابُهُمْ عَلَى وَلَا يَخْشُونَ طُولَ نَوَاسٍ  
وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْمَعْنِيِّينَ .

وَالسَّرَقَاتُ الْحَمُودَةُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تَحْصَرَ .

#### [ السَّرَقَاتُ الْمَذْمُومَةُ ]

وَنَزِيكٌ وَجْهَ السَّرَقَاتِ الْمَذْمُومَةِ ، وَهِيَ كَالْحَمُودَةِ عَشْرَةُ أَقْسَامٍ :

الأول : نَقْلُ اللَّفْظِ الْقَصِيرِ إِلَى الطَّوِيلِ الْكَثِيرِ ، كَقَوْلِ سَالِمِ الْخَلَامَرِ :

أَقْبَلَنَ فِي رَأْدِ الضَّحَى بِنَا يَسْتَقِرُّ وَجْهَ الشَّمْسِ بِالشَّمْسِ

أَخَذَهُ الثَّانِي فَقَالَ :

وَإِذَا الْفِرَالَةُ فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ وَبَدَا النَّهَارُ لَوْقَتِهِ يَتَرَحَّلُ

أَبْدَتْ لِعَيْنِ الشَّمْسِ عَيْنًا مِثْلَهَا تَلْقَى السَّمَاءَ بِمِثْلِ مَا تَسْتَقْبِلُ

الْمَعْنَى صَحِيحٌ وَالْكَلَامُ مَلِيحٌ ؛ غَيْرَ أَنَّهُ تَطْوِيلٌ تَضْيِيقٌ ، وَالْبَيْتَانِ جَمِيعًا نَصَفُ

بَيْتِ سَالِمٍ .

الثاني : نَقْلُ الرَّشِيقِ الْجَزَلِ إِلَى الْمُسْتَضْعَفِ الرَّذَلِ ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ :

كَأَنَّ لَيْلِي صَبِيرٌ غَادِيَةٌ أَوْ دُمَيْةٌ زَيْغَتْ بِهَا الْبَيْعُ

أخذه أبو المتاهية قال :

كَانَ عَقَابَةٌ مِنْ حُسْنِهَا دُمِيَّةٌ قَسْرٌ فَهَتْ قَسَهَا

قصّر لفظه عن الفصاحة ، ومعناه عن الرجاحة .

الثالث : قل ما حَسَنَ معناه ومبناه إلى ما قبح مبناه ومعناه ، كقول امرئ القيس :

أَنْتُمْ تَرَبَّيْتُمْ بِنِي كَلَّةٍ اجْتِثُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طَيِّبًا وَإِنْ لَمْ تَطْيَبِ<sup>(١)</sup>

فأتى بما لا يعلم وجوده في الشر من وجود طيب تمن لم يمس طيباً ، وجاء بيت في مراده ، حسن النظام مستوفى التمام ، أخذه كثير ، قال :

فَارَوْضَةٌ بِالْحَسَنِ مِثْلُ الثَّرَى يَمِجُّ النَّدَى جَنْجَبُهَا وَعَرَارُهَا<sup>(٢)</sup>  
بِأَطْيَبِ مِنْ أَرْضَانِ عِزَّةٍ مَوْهِنًا إِذَا أَوْقَدَتْ بِالْمَنْدَلِ الرُّطْبَ نَارُهَا

فطول وحسن ، وقصر غاية التقصير ، وأخبر أنها إذا تعايبت كالروضة في طيها ، وذلك مما لا يمدح في أقل البشر تنظيماً .

الرابع : عكس ما يصير بالعكس هجاء بعد أن كان ثناء ، كقول أبي نواس رحمه الله تعالى :

فَهُوَ بِالْمَالِ جَوَادٌ وَهُوَ بِالْعِرْضِ شَجِيجٌ<sup>(٣)</sup>

عكسه ابن الرومي قال :

مَا شِئْتُ مِنْ مَالٍ حَيٍّ يَا وَيَّ إِلَى عِرْضٍ مَبِاحٍ

(٢) الكامل للبهرد ٣: ١١٥

(١) ديوانه ٦

(٢) ديوانه ٧٠

الخامس : نقل ماحسنت أوزافه وقوافيه إلى ما قبح وثقل على لسان راويه  
كقول مسلم رحمه الله تعالى :

أَمَّا الْهَجَاءُ فَذَقَّ عَرْضُكَ دُونَهُ      وَالذُّخُّ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ<sup>(١)</sup>  
فَاذْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقٌ عِرْضِكَ إِنَّهُ      عِرْضٌ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

أخذه أبو تمام قال :

قال لي النَّاصِحُونَ وهو مقالٌ      ذَمٌّ مِنْ كَانَ جَاهِلًا إِمْرَاهُ<sup>(٢)</sup>  
صَدَقُوا فِي الْهَجَاءِ رَفْعًا أَقْوَا      مِ طِفَامٍ فَلَيْسَ عِنْدِي هِجَاءُ

فبين الكلامين فرق بعيد .

الثامن :<sup>(٣)</sup> نقل المذهب من القوافي إلى المستكره الجاف ، كقول أبي نواس :  
فَتَمَشَّتْ فِي مَفَاصِلِهِمْ      كَتَفَشَى الْبَرَاءُ فِي السَّعَمِ<sup>(٤)</sup>

فهذا الكلام أتم بهاء من قول مسلم :

تَجْرَى مَحَبَّتُهُ فِي قَلْبٍ عَاشِقِهَا      جَرَى الْمَافَاةُ فِي أَعْضَاءِ مُتَكَسِّرِ<sup>(٥)</sup>

التاسع : نقل ما يصير على التفتيش والانتقاد إلى تقصير وإنساد ، كقول القائل :  
وَلَقَدْ أَرْوَحَ إِلَى النِّجَارِ مَرَجَلًا      مَدَلَى بِمَالِي لِيُنْصَا أَعْيَادِي

وإنما له جيد واحد ، وهذا وإن جاز عند بعض العرب ، فهو عند الآخرين  
غير جيد ولا مديد .

(٢) ديوانه ١ : ٣٠١ (طبع المطرف)

(١) ديوانه ٣٣٤

(٣) قوله : « الثامن » ، سقط السادس والسابع من جميع الأصول .

(٥) ملحق ديوانه ٤٢٥

(٤) الوساطة ٦٠

العاشر : أخذ اللفظ والمعنى وهو أقبح السرقات وأدناها وأوضعها  
وقد أكثر الشعراء ذم السرقة والسارق ، وأول من ذم ذلك طرفة حين قال :  
ولا أغير على الأشرار أسرقها عنها غنيتُ وشرَّ الناس من سرقاً<sup>(١)</sup>  
وقال الأعشى :

فكيف أنا وانتعالى القوا فربد المشيب ، كفى ذاك عاراً<sup>(٢)</sup>  
ومن سرقة اللفظ والمعنى ، ما يحكى عن أبي المعاق أنه لما مدح أبا العباس محمد  
ابن إبراهيم الإمام بتوله :

إليك بمدحتي يا خير أبنا رسول الله من تابد النساء  
ستاتيك المذائح من رجال وما كف أصابعها سواء  
فأخذه آخر وغيره بأن وضع الرجال موضع النساء ، وغير عجز اليد .  
الآخر قتال :

• كما اختلفت إلى الفرض الثبالات •

فاستمدى عليه أبا المعالي صالح بن إسماعيل ، وهو على شربة محمد بن إبراهيم  
بالمدينة ، قتال :

ما سارقُ الشعر فيه ومنمُ صاحبه إلا كسارق يدي دونه غاق  
بل سارق البيت أخفى حين يسرقه والبيت يستره من ظلمة غسق  
من جيد الشعر أن يخفى لسارقه وجيد الشعر قد سارت به الرفق

قال صالح : فأتعب أن أفعل به ؟ قال : تحلفه عند منبر النبي صلى الله  
عليه وسلم ألا ينشد هذا الشعر إلا لي .



وكان محمد بن زهير يشرب ، فإذا سكر لا يفيق إلا بإنشاد الشعر ، فأمر  
يوماً جبار بن محمد الكاتب أن ينشده ، فأنشده أبياتاً لأبي نواس أدعى أنه  
قائلها وهي :

صاح مالي وللرسوم القفار ولتغت المطى والأكوار  
شفتني المدام والقصف عنها وسماع الفناء والمزمار

ومضى في الشعر ، وأبو نواس قاعد ، فوثب وتعلق به قدام محمد بن  
زهير ، وأنشأ يقول :

أعذني يا محمد بن زهير يا عذاب القصوص والذعار  
يسرق السارقون ليلاً وهذا يسرق الشعر جهرة بالنهار  
صار شعري قطعة لجبار أفهذا تـمـلـة الأشعار !  
قل له فليؤثر على شعر حما دأخى الفتك أو على بشر

وسرق محمد بن يزيد الأموي شعراً لحبيب ، فقال حبيب :

مَنْ بنو مجدلٍ مَنْ ابنُ الحباب مَنْ بنو تغلبٍ غداة الكلاب<sup>(١)</sup>  
مَنْ طفيلٌ وعامرٌ ومن الحارثُ أو مَنْ عتيبة بن شهابٍ  
إنما الضيفم المصور أبو الأشبال جبار كل جيش وغاب  
مَنْ عَدَتْ خيله على سرح شعري وهو للحن راتع في كتابي  
غارة أسخت عيون المعاني واستباح محارم الآداب  
لو ترى منطقي أسيراً ولا أصبحت أسيراً لمبرة وانتحاب

يا عذارى الأشعار صرتن من بمسدى سبايا مُبْعَنَ في الأعرابِ  
 طال رهي إليك يارب يارب و رغي إليك فاحفظ ثيابي  
 وعارض أبو أحمد عبد الله بن عبد الله بن طاهر قصيدة البحترى ، فاستعار  
 من ألقاظها ومعانيها ما أوجب أن قال البحترى :

ما الدهر مستنفذ ولا عجبهُ تسومنا انخسف كله نُوبُهُ (١)  
 نال الرضا ماح ومتمدح قتل لهذا الأمير ما غضبهُ  
 أجلى لصوص البلاد يطردكم وغلل لمرء التريض ينهبهُ  
 اردد علينا الذى استعرت وقل قولك يُعرف لغالب غلبهُ

واستمدى ابن الرومى الملاء بن عيسى على البحترى ، فقال :

قل للملاء بن عيسى والذى نصلت به الدواهي نصول الآل في رجب (٢)  
 أيسرُ البحترى الناسَ شمرُمُ جهرأوأنت نكال اللعذى الرئيبِ  
 وتارة يترز الأرواح منطلقهُ فالتوم ما بين مقتول ومقتصبِ  
 نكلهُ إن أناساً قبله ركبوا بدون ما قد أناه باسق الخشبِ  
 إذا أجاد فأوجب قطع مِقْوَلِهِ قد دعا شعراء الناس بالحربِ  
 وإن أساء فأوجب قتله قوداً بمن ألمات إذا أبقى على السلبِ  
 يسى عفا فإن أسكنت وسائلهُ أجاد لصا شديد البأس والكلبِ  
 حتى يغير على الموتى فيسلبهم حر الكلام يحيش غير ذى لجبِ

(١) ديوانه ١ : ٢٠٧

(٢) ديوانه ابن الرومى ٤١٤ ( نكرة شريف سليم) مع اختلاف في الرواية وترتيب الأبيات

وقال فيه ابن الحاجب :

والفتى البعترى يسرق ما قا      ل ابن أوس في المذبح والقشيب  
كل بيت له يمتد معنا      • فعناه لابن أوس حبيب

ولابن الحاجب أيضاً :

هل إلى محنة تخبر منّ فا      ضلنا في القريض والمنضول  
محنة تفصح الاصوص وتقصي      بالذى فيهم قضى التنزيل  
سارق المال تقطع الكف منه      واللسان السروق منها بديل  
ليسود الذى يحق له السو      د دُمنا ويرذل المرذول

وبلغ صاحب بن عبّاد أن بعضهم سرق شعره ، قال أبلغوه عني <sup>(١)</sup> :

سرت شعري وغيرى      يُضام فيه ويُخدع  
سوف أجزيك صفقا      بكل <sup>(٢)</sup> رأسا وأخدع  
فسارق المال يُقطع      وسارق الشعر يُضفع

فأخذ السارق لذلك جملا وهرب من انترى .

وبين السرى الموصلى واغلا الدين مستطرفات في هذه السرقات ، اشتهرت في كتب الآداب ، فلنلمّ ببعض ما قال السرى فيها وفيه . يقول الثعالبي : السرى وما أدراك ما السرى ، صاحب الشعر الجامع بين عقود الدرّ ، والنافع في عقد السحر ؛ ولله دره ! ما أعذب بحره ، وأصنى قطره ، وأعجب أمره ! وقد أخرجت

(١) البقرة ٣ : ١٧٧

(٢) البقرة • يكذب

من شعره ما يكتب على جبهة الدهر ، ويلق في كعبة الظرف <sup>(١)</sup> . وكنت  
منه محاسن وماعاً ، وبدائع وطرفاً ، كأنها أطواق الحمام وصدور البزاة البيض ،  
وأجنحة الطواويس وسواف النزلان ، ونهود المذارى الحسان ، وغمرات  
الحلق لللاح .

قال بتظلم إلى سلامة بن فهد من الخالدين :

تحيف شعري يا بن فهد مصالت عليه فقد أعدمت منه وقد أترسى <sup>(٢)</sup>  
وفي كل يوم للغبيين غارة تروق ألقا في المحجلة الفراء  
إذا عن لي معنى تضاحك لفظه كاضاحك النوار في روضه القدرا  
غريب كفشر الروض لما تبسمت مخائله للفكر أودعته سطرأ  
فوجه من الفتيان يمسح وجهه وصدرو من الأقوام يسكنه القدرا  
تناوله مثير من الجهل معدم من العلم معذور متى خلع العذرا  
لأطفالنا تلك النجوم بأسرها وأدنسا تلك للطارف والأزرا  
فوينحكما هلاً بشطر قنعمنا وأبقينا لي في محاسنه الشطرا <sup>(٣)</sup>

وقال يخاطب أبا الخطاب <sup>(٤)</sup> ، وقد سمع أن الخالدين يرجعان إلى بغداد <sup>(٥)</sup> :

بكرت عليك معرة <sup>(٦)</sup> الأعراب فاحفظ ثيابك يا أبا الخطاب <sup>(٧)</sup>  
ورد العراق ربيعة بن مكدم وعقبة بن الحاح بن شهاب

(١) البيضة : « الفكر » .

(٢) البيضة ٢ : ١٢٥ - تحيف : اغتصب . والمصالت : القس .

(٣) البيضة : « سطرأ »

(٤) في البيضة ٢ : ١٢٨ : « المفضل بن ثابت الضبي » .

(٥) بعده في البيضة ، « وذلك في أيام المهدي الوزير »

(٦) البيضة « مفيرة »

(٧) البيضة ٢ ، ٢٨

أفدنا شكاً بأنهما هما  
 جلباً إليك الشعر من أوطانه  
 شناً على الآداب أقبح غارة  
 فذار من حركات صلي<sup>(١)</sup> غارة  
 تركت غرائب منطقي في غربة  
 أعزز على بأن أرى أشلاءها  
 جرحي وما ضربت بمحد مهتدي  
 إن عز موجود الكلام عليهما  
 كم حاولا أمرى فطال عليهما  
 في الفتك لافي حمة الأنساب  
 جلب التجار طرائف الأجلاب  
 جرحت قلوب محاسن الآداب  
 وحذار من فنكات ليلى غاب  
 مسببة لا تهتدي لإياب  
 تدمي بظفر للعدو وناب  
 أسرى وما حلت على الأقباب  
 فانا الذي وقف الكلام يباب  
 أن يدركا إلا مشار تراب

والقصيدة<sup>(٢)</sup> طويلة جمعتُ منها ما وافق الغرض ، وسنلم بشيء منها في  
 الثالثة والثلاثين بعون الله تعالى .

وقال يتظلم منهما لأبي البركات :

يا أكرم الناس إلا أن تعد أبا  
 أشكو إليك حليفي غارة شهراً  
 ذنين لو ظفرا بالشعر في حرّم  
 سلا عليه سيوف النبي مصلّة  
 وأرخصاه فظل العطر مُتّهماً<sup>(٣)</sup>  
 فات المكرم بآيات وآثار<sup>(٤)</sup>  
 سيف العقوق على ديباج أشعاري<sup>(٥)</sup>  
 لمزقه بآنياب وأظفار  
 في جحفل من شنيع الظلم جرار  
 ليهما يشتري من غير عطار

(١) البيضة « صلي قفرة »

(٢) انظرها كاملة في البيضة ٢ ، ١٢٨

(٣) البيضة ٢ ، ١٢٦

(٤) البيضة ، « سيف الشقاق »

(٥) البيضة ، « ممتناً »

إن قَلْدَاكَ بَدْرٌ فهو من نحبي<sup>(١)</sup> أَوْخَتْنَاكَ فَيَا قُوتِي وَأَحْجَارِي  
كَأَنَّهُ جَنَّةٌ رَأَتْ حَدَاتِهَا بَيْنَ الْغَبِيَّينِ فِي نَارٍ وَإِعْصَارٍ  
عَارٍ مِنَ النَّسَبِ الْوَضَاحِ مَنْقَسِبٍ فِي الْخَالِدِيْنَ بَيْنَ الْغَزَى وَالْعَارِ

وَشَتَّانَ بَيْنَ قَوَا السَّرَى فِي أَبِي بَكْرٍ وَأَبِي عُمَانَ ابْنِي هِشَامِ الْخَالِدِيْنَ ،  
وَبَيْنَ قَوْلِ الثَّمَالِي فِيهِمَا<sup>(٢)</sup> حِينَ قَالَ : إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ ، يُغْرَبَانِ فِيمَا يَجْلِبَانِ ،  
وَيُبْدِعَانِ فِيمَا يَصْنَعَانِ ، وَكَانَ مَا يَجْمَعُهُمَا مِنْ أَخْوَةِ الْأَدَبِ مِثْلَ مَا يَنْظُرُهُمَا مِنْ  
أَخْوَةِ النَّسَبِ ، وَهَامَا فِي الْمَوَاقِفَةِ وَالْمُسَاعَدَةِ يُمِيزَانِ بَرُوحَ وَاحِدَةٍ ، وَيَشْتَرِكَانِ فِي  
قَوْلِ الشَّعْرِ وَيَنْفَرِدَانِ ، وَلَا يَكَادَانِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ يَفْتَرِقَانِ ، وَكَانَا فِي  
النَّسَاوِي ، كَمَا قَالَ أَبُو تَمَامٍ :

رَضِيْعِي لِبَانٍ شَرِبَكِي عَيْنَانِي عَتَقِي رَهْنِي حَلِيقِي صَفَامِي  
بَلْ ، كَمَا قَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

كَأَنَّهُ قَدِيْنٌ إِذَا تَأَمَّلَ نَاطِلُهُ لَمْ يَفْعَلْ مُوَضِعَ فَرْقَدٍ عَنْ فَرْقَدٍ

بَلْ كَمَا قَالَ الصَّبَاحِيُّ :

أَرَى الشَّاعِرَيْنِ الْخَالِدِيَيْنِ نَشَرَا قَصَائِدَ يَفْنَى الدَّعْرَ وَهِيَ تَخْلُدُ  
جَوَاهِرَ مِنْ أَكْبَارِ لَفْظٍ وَعَوْنِهِ يَقْصُرُ عَنْهَا رَاجِزٌ وَمَقْصُدُ  
تَنَازَعِ قَوْمٍ فِيهَا وَتَنَاقُضُوا وَتَمَرَّ جِدَالُ بَيْنِهِمْ يَتَرَدَّدُ  
فَطَائِفَةٌ قَالَتْ سَمِيدٌ مَقْدَمٌ وَطَائِفَةٌ قَالَتْ لَمْ يَلْ عَمْدُ

(١) النِّبْيَةُ « مِنْ الْجَحِي »

(٢) النِّبْيَةُ ٢ : ١٦٥

وصاروا إلى حكي فاصلحت بينهم  
 هما الاجتماع الفضلُ زوج<sup>(١)</sup> مؤلف  
 ومعلمهما من حيث ألفت مفرد  
 عللاً أشكلاً ذاك أم ذاك أجد  
 وفردهما بين الكواكب أسعد  
 وقاموا على صلح وقال جميعهم  
 رضينا وسأوى فرقد الأرض فرقد

وأفاضل الشام والعراق ، بعضهم يفضل السرى عليهما ، وبعضهم يفضلهما .  
 فهذا كله فصل في السرقات مستطرف ، احتوى على فوائد من علم الأدب ،  
 وهي عشرون وجهاً والعشرون وجهاً في السرقة جلبتها من كتاب الوكيي  
 على اختصار .

\*\*\*

فقال : والذي جعل الشعرَ ديوانَ العرب ، وَتُرْمَجَانُ الأدب ،  
 ما أحدث سِوَى أَنْ بَرَّ شَمْلَ شَرَحِهِ ، وأغار على ثلثي سَرَحِهِ .  
 فقال له : أنشدنا أياتك بِرُمَّتِهَا ؛ لِيَتَضَحَّ ما اختاره مِنْ جملتها ؛  
 فأنشد :

يا خاطِبَ الدُّنْيَا الدِّينِ إِنِّهَا      شَرَكُ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الْأَكْدَارِ  
 دارُ مَتَى ما أصْحَكْتَ في يَوْمِهَا      أُنْكِتَ غَدًا مُبْدَأَ لَهَا مِنْ دَارِ  
 وإذا أظَلَّ سَحَابُهَا لَمْ يَنْتَفِعْ      مِنْهُ صَدَى لِحَامَةِ الْغَرَارِ  
 غَارَتْهَا ما تَنْقِضِي وَأَسِيرُهَا      لَا يُفْتَدَى بِجَلَالَةِ الْأَخْطَارِ  
 كَمْ مُزِدُّو بُرُورِهَا حَتَّى بَنَّا      مَمَرْدًا مُتَجَاوِزَ الْمَقْدَارِ

(١) كذا في الأصول ، وما أجنه من البنية .

قَدَبْتَ لَهُ ظَهْرَ الْمَجْنُونِ وَأَوَلَنْتَ فِيهِ الْمُدَى وَنَزْتَ لِأَخْذِ الثَّارِ  
فَارْبَأْ بِمِعْمَرِكَ أَنْ يَمُرَّ مُضْئِلاً فِيهَا مُدَى مِنْ غَيْرِ مَا اسْتَظْهَرَ  
وَاقْطَعْ عِلَاقَ حُبِّهَا وَطِلَابَهَا تَلَقَّ الْهَدَى وَرِفَاقَةَ الْأَسْرَارِ  
وَارْقُبْ إِذَا مَا سَأَلْتِ مِنْ كَيْدِهَا

حَزَبَ الْعِدَا وَتَوَثَّبَ الْقُدَارِ  
وَاعْلَمْ أَنَّ خَطُوبَهَا تَفْجَأُ وَلَوْ طَالَ الْمُدَى وَوَنَتْ سُرَى الْأَقْدَارِ

. . .

قوله : «والذى جبل الشعر ديوان العرب» ، أى كتاباً تدون فيه أخبارهم ،  
قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن هذا الشعر جزل من كلام العرب به يعطى  
السائل ويكظمه الضيف وبه يؤتى القوم فى ناديم » . وعنه صلى الله عليه وسلم  
أنه قال : «إن من الشعر لحكمة» رواه ابن عمر رضى الله عنه قال : تعلموا الشعر فإن  
فيه محاسن تبثنى ومساوى تُنتقى . وحكمة للحكماء ويدل على مكارم الأخلاق .

قوله : « يا خاطب الدنيا الدنية » ، أى التى لا خير فيها . شرك : مصائد .  
الردى : الهلاك . قوارة : موضع يستقر فيه الماء . الأكدار : ما يتكدر به  
الماء الصافى .

أظَلَّ : دنا وقرب . ينتقم : يرتوى . صدى : عايش . جهامه : سحابه  
الذى لا ماء فيه . التقرار : الخداع . تنقضى : تنقطع وتتم ، أراد أن الدنيا تُهلك  
من فيها ، فكفى بالأسير عن ذلك وأسير الموت لا يُفدى . الجلائل : جمع  
جليلة وهى الشئ الرفيع ، وتقدمت الأخطار . مزدو : مُعجب . غرورها :  
خداعها . متمرداً : متجاوزاً الحد فى الفساد .



الجن: الترس . أولت : جعلتها تلغ الدم . المدى ، جمع مُدَّة : السكين .  
 نزت : وثبت عليه . الثَّار : طلب الدم ، وأراد أنها لما بسطت الأرزاق للإنسان  
 فأعجب بها ، وركب رأسه في الفساد تحوَّلت عليه ، وسفَّسَ كَيْفِيَّتَها من دمه ، والعرب  
 تقول : قلبت له ظهر اللَّجْنِ ، أى غيّرت له حاله ، وهو مثل بضرب للمحاربة بعد  
 المسألة ، وأصله في الحرب ، لأن الرجل إذا صالح صاحبه جمل بطن مِجَنَّهُ مما يلي  
 صاحبه المصالح ، فإذا حاربه قلب له ظهره للقتال . ومن جواب رسالة المهلب إلى  
 الحجاج : وزعمتُ أني إن لم ألقهم في موضع كذا أسرع إلى صدر الرمح ، فلوصلتُ  
 قلبتُ إليك ظهر الجن ، ثم إذا كانت الواقعة ، فهذا يبين ما ذكرناه .

أربأ بعمرک ، أى ارفع عنها نفسك واحتفظ فيها بعمرک ، وقول : ربأتُ القومَ  
 أى صرت لهم ريثة ، وهو الخارس لهم ، والمربأ : الموضع المشرف الذى يقدم فيه  
 الناظر ، فعنى أربأ بنفسك : أى ارفع بموضع ممتنع واحترس فيه لتنجو . سُدَى :  
 مهملاً . استظهار : استعداد ، وقد استظهرت بالشيء فظهرت به وأظهرته إذا جعلته  
 خلف ظهرک حماية ووقاية ، والظهير المعاون . والملائق : كل ما يعلق القلب بحب  
 الدنيا . والرفاهة : الخلفض والعيش الهنيء . الأسرار : البواطن ، يريد أن سرَّ  
 الإنسان وخطره إذا قطع علائق الدنيا كان مترفعاً خالى السر والبال . ارقب :  
 احرس . سألت : سألت . كَيْدَها : مكرها . الفدار : الذى يؤمّنك فإذا أمنتَه  
 خانك . وتوثبه : تهَيَّؤْهُ للوثب عليك . حُطوبها : أمورها ونوازله . تنجأ :  
 تأنى على غفلة . ونت : فترت : والسرى : مشى الليل . الأقدار : ما يقدره الله على  
 العبد من خير أو شر ، فيقول : إذا أمنتك الدينامن مكرها ، فلا تأمنها فخطوبها  
 تأنى على غفلة بعد أمد طويل ، وضمت هذا الشعر وصايا في التحذير من الدنيا .

\* \* \*

[ ذكر التحذير من الدنيا وغرورها ]

ونسوق هنا من النظم والنثر ما ينتظم في سلك ما نظم ، قال النبي صلى الله  
 عليه وسلم : « الدنيا سجن للؤمن وجنة للكافر » .

( ٧ - شرح مقامات الحريري ج ٣ )

وقال: « الدنيا حلوة خضرة ، فن أخذها بحمقها بورك له فيها ، ومن أخذها بغير حقها كان كالآكل الذي لا يشبع » .

وقيل لعلّ بن أبي طالب رضى الله عنه : صف لنا الدنيا ، قال : ما أصف من دار أولها عناء وآخرها فناء ، حلالمها حساب ، وحرامها عذاب ؛ من استغنى فيها فُتِنَ ، ومن افتقر فيها حزن .

وقال ابنه محمد بن الحنفية : من كرمته عليه نفسه هانت عليه الدنيا .  
وقيل لبعض الحكماء : صف لنا الدنيا ، قال : أمل بين يديك وأجل مطلق عليك ، وشيطان فتان ، وأمانى جرارة العنان ، تدعوك فتستجيب ، وترجرها فتغيب .

وقيل لآخر : صف لنا الدنيا ، قال : ناقضة للعزيمة ، مرتجعة للعطية ، كل من فيها يجرى إلى مالا يدري .

وقال هارون الرشيد : لو قيل للدنيا : صفى نفسك ، ما وصفت نفسها بأكثر من قول أبي نواس :

إذا امتحن الدنيا ليذب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق<sup>(١)</sup>  
وقال آخر :

يا خاطب الدنيا إلى نفسه تنح عن خطبتها تسلم<sup>(٢)</sup>  
إن الذى تحطب غدارة قرية العرس من المآثم  
وقال أبو العرب الصقلى :

ولا يفررك منها حسن بُرد له علان من علم الذهاب  
فأوله رجاء من سراب وآخره رداء من تراب

(١) ديوانه ١٩٢

(٢) المقدم ٣ : ١٧٤ من غير نسبة .

وقال أبو العتاهية ،

أصبحت الدنيا لنا فتنةً والحمد لله على ذلك<sup>(١)</sup>  
قد أجمع الناس على ذمها وما أرى منهم لها تاركاً  
وله أيضاً :

هي الدنيا إذا كملت وتم سرورها خذلت<sup>(٢)</sup>  
وتنعل في الذين بقوا كما فيمن مضى فملت  
وقال المتنبي :

أبدأ تسترد ما تهب الدنـ يا فباليت جودها كان بخلاً<sup>(٣)</sup>  
وهي معشوقة على الفـدر لا تحـ فظ عهدا ولا تُتَمِّمُ وصلاً  
كلّ دمع يسيل منها عليها وبفك اليدين عنها تخلى  
شيم الغايات فيها فلا أدري لذا أنث اسمها الناس أم لا  
وله أيضاً :

فدى الدار أخون من مؤسس وأخدع من كيفة الحابل<sup>(٤)</sup>  
نفاني الرجال على حبها وما يحصلون على طائل  
وقال المری :

وجدنا أذى الدنيا لذينا كأنما جنى النحل أصفاء الشفاء الذي نجى<sup>(٥)</sup>  
على أم دفر غصبة الله إنما لأجلر أتى أن نخون وأن نخفي<sup>(٦)</sup>

(١) ديوانه ١٨٦ -

(٢) الدند ٣ : ١٧٤

(٣) ديوانه ٣ : ١٣١ -

(٤) ديوانه ٣ : ٣٣ -

(٥) سقط الزند ٩١٩ . وجنى النحل ، هو العمل .

(٦) أم دفر ، كنية الدنيا . والدفر : التئ . وأخفى عليه الدهر : أهلكه .

كعاب دُجاها فرعها ونهارها      عنيأ لها قاهات له الشمس بالحسن<sup>(١)</sup>  
 كأنّ فيها يولدون ومالها      حليل فتخشي العار إن سمعت يابتي<sup>(٢)</sup>  
 وقال ابن عبدربه :

ألا إنّما الدنيا غصارة أيكمة      إذا اخضر منها جانب جف جانب<sup>(٣)</sup>  
 هي القار ما الآمال إلا فجائع      عليها ولا اللذات إلا مصائب  
 فلا تكتحل عينك فيها بعبرة      على ذاهب منها فإنك ذاهب  
 وقال أبو المتاهية :

رضيت بنى الدنيا ككل مكائر      ملح على الدنيا وكل مفاخر<sup>(٤)</sup>  
 ألم ترها تزقي حقي إذا سما      فرت حلقه منها بشقرة جازر  
 وقال أبو بكر البلوي :

إنّ الذي أصبح لا والد      له على الأرض ولا والد  
 قد مات من قبلها آدم      فأى نفس بعده خالدة  
 إن جئت أرضاً أهلها كلهم      عور فقمض عينك الواحدة  
 وقال ابن عمران :

أفّ لدينا قد شغفنا بها      جهلاً وعقل للهوى متبع  
 فتانة تخدع طلائها      فلا تكن تيم بها يتخدع  
 أضفت أحلام إذا حُصّت      أو كومض البرق منها لمع

(١) شبه الدنيا بالكعاب ؛ وهي الفتاة التي تكعب نديها .

(٢) قال البطليوسي في شرح هذا البيت : الواد : وضع التراب على الميت وتركه ؛ شبه الدنيا في إهلاكها لأبنائها بامرأة زانية تخشى الفضيحة إذا ظهر لها ولد ، فهي تدفنه لتعلم أمره والحليل الزوج .

(٣) القد لآين مجر به ١ : ١٧٥ .

(٤) القد ٣ : ١٧٤ :

وقال ابن قاضي ميلة :

لديك نورٌ ولكنه ظلام يحَارُّ به البصرُ  
فإن عشت فيها على أنها كـا قيل قنطرة تُعبُرُ  
فلا تعمُرَنَّ بها منزلاً فإن الخراب لما تُعمرُ  
ولا تذخرنَّ خلاف التقى ففى ويبقى الذى تَذخرُ  
ابن عمران : واعلم أن الإنسان لا يحب شيئاً إلا أن يمانه فى بعض طباعه ،  
وإن الدنيا جانست الإنسان فى بعض طبائمه فأحبها بكله .

وقال :

زُراعٌ لذكر الموت فى حال ذِكْرِهِ وتعرض الدنيا فتلهُو وتَلْمَبُ<sup>(١)</sup>  
ونحن بنو الدنيا خُلِقْنَا لغيرها وما كنت منه فهو شيء محبُّ  
وقال إبراهيم بن آدم :

زُرِّعُ دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبق ولا ما زُرِّعُ<sup>(٢)</sup>  
فطوبى لبعيد آخر الله ربه وجاد بدينه لما يتوقع  
وهذا مثل قول أعرابيٍّ وقد قيل له : كيف أنت فى دينك ؟ قال : أخْرِقه  
بالماعى ، ولا أرقمه بالاستغفار .

وللاعى التعللى :

تنافس الناس فى الدنيا وقد عَمِلُوا أن سوف تقتلهم لذاتهم بِدَدَا<sup>(٣)</sup>  
قل للحدث عن لقمان أو لِبَدٍ لم يترك الدهر لقماناً ولا لِبَدَا  
وللذى همه البنيان يرفسه إن الردى لم ينادى فى الثرى أحداً  
ما لابن آدم لا تفى مطالبه يرجو غدا وعسى ألا يعيش غداً

(١) القد ٣ : ١٧٦ .

(٢) القد ٣ : ١٧٦ .

(٣) ديوانه ٢٧ .

تأمل هذه المقاطع فإنها تفضت حكا وآدابا وكل قطعة منها ، لها تعلق بشعر  
الحريري إما باللفظ أو بالمعنى .

\* \* \*

فقال الوالي : ثم ماذا ، صنع هذا ؟ فقال : أقدمَ للؤمة في  
الجزء ، على أيّاتِي السَّدَاسِيَةِ الأجزاء ، خذف منها جُزْأَيْنِ ، وتقصَّ  
من أوزانها وَزْنَيْنِ ؛ حتَّى صارَ الرُّزْءُ فيها رُزْأَيْنِ . فقال له : بيِّن  
ما أخذ ، ومن أين ؟ فَلَذ ؟ فقال : أرغني سمك ، وأخلِ للتفهم عني  
ذَرَعَكَ ؛ حتَّى تتبين كيف أضلت على ، وتقدرَ قدرَ اجترامِهِ إلى ؛  
ثم أنشد ، وأفحسه تتصعد :

ياخاطب الدنيا الدنيّة إنّها شَرَكُ الرّدى  
دارُ متى ما أضحكّت في يومها أبككت غدا  
وإذا أطلّ سحابها لم ينتفع منه صدى  
غاراتها ما تنقضى وأسيرها لا يفتدى  
كم مُزْدُو بغورها حتّى بدا مُتمرّدا  
قلبت له ظهر المحنّ وأولنت فيه المدى  
فاربأ بيمرك أن يمرّ مضيقا فيها سدى  
واقطع علائق حُبها وطلائها تلتق الهدى  
وارقب إذا ما سألته من كيدِها حربَ العدا  
واعلم بأنّ خطوبها تفجأ ولو طال المدى

فالتفتَ الوالي إلى النُلام وقال: تَبَّا لَكَ مِنْ خِرْيِمٍ مارق ،  
وتَلْبِذٍ سَارِق ! فقال الْفَتَى : برئت من الأدب وبنيه ، ولحقتُ بِمَنْ  
يَنَاولِيه ، ويقوِّضُ مَبَانِيه ؛ إن كانتْ أَيْبَاتِه نَمَتْ إلى عَلِيٍّ ، قبل أن  
أَلْقَتْ نَظْمِي ؛ وإنما اتَّفَقَ تَوَارِدُ الْخَوَاطِرِ ، كما قَدْ يَقَعُ الْخَافِرُ عَلَى  
الْخَافِرِ .



قوله : أقدم أى تقدم . لؤمه فى الجزاء ، يريد أنه جازاه على ما فعل معه  
من الخير مجازاةً لثيمٍ ، فسرَقَ شعره . السادسة الأجزاء ، لأن عروضا من الكامل ،  
وأجزاءها متفاعلين ست مرات : الرّزء : المصاب . قَلَذَ : قطع . أَرَعْنِي سَمْعَكَ :  
أى اسمع منى . ذَرَعَكَ : بالاك وقلبك . أَصَلَتْ : جرد سيفه . تنصعد : تطلع إلى  
فوق . الْخِرْيِمُ : الذى خَرَّجه معلمه ، وفلان خِرْيِمُكَ ، أى الذى خرج بهذيك  
وتعليمك . مارق : خارج عن الطاعة . وتلبذ : طالب متعلم . برئت : رُكْتُ  
وانفصلت . يناويه : يعاديه . يقوِّضُ : يَهْذُمُ . نَمَتْ : انصلت . ونميت الحديث  
أسندته . أَلْقَتْ نَظْمِي : جمعت شعري .

توارد الخواطر : تواطؤ الأذهان ، أى وقع لذهن الفتى من الكلام ما وقع  
لذهن الشيخ ، مثل الخافر الذى وقع على الخافر .

وهذا الكلام يُعَزَى لأبى الطيب المتنبي ، وسئل عن اتفاقات الخواطر ، قال :  
الشعر مَيِّدَان ، والشعراء فرسان . ، فربما اتفق توارد الخواطر ، كما قد يقع الخافر  
على الخافر .

قال الأصمى رحمه الله تعالى : قلت عمرو بن العلاء : أرايت الشاعرين يتفقان  
فى المعنى ويتواردان فى اللفظ لم يلق أحدهما صاحبه ، ولا سمع شعره ؟ قال لى :  
تلك عقول رجال توافقت على ألسنتها .

[ نَبَذَ فِي تَوَارِدِ الْخَوَاطِرِ ]

ومن مشهور ذلك ما وقع في التصيدتين البائتين لامرئ القيس وعلمته ،  
وكذلك اتفاقه مع طرفة في قوله :

وقوفاً بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أمتي وتجلد<sup>(١)</sup>  
وقال امرؤ القيس<sup>(٢)</sup> : وتجلد .

ومن توارِدِ الخواطر قول ربيعة بن مكرم .

لو أنها عرضت لأشعثَ راهبٍ عبدَ الإلهِ صرورةً متبعلٍ  
وقال النابغة<sup>(٣)</sup> : « صرورة متعبد » :  
وقال :

لرنا لرؤيتها وحسن حديثها ولهم من تاملوره يتنزل  
وقال النابغة :

لرنا لرؤيتها وحسن حديثها وغلاله رشداً وإن لم يرشد<sup>(٤)</sup>  
تاموره : صومعته .

ومن ذلك ما حكى أبو علي أنه خرج جرير والفرزدق مردفين إلى هشام  
ابن عبد الملك ، فنزل جرير يبول ، فلفقت الناقة فضربها الفرزدق وقال :

إلامَ تلفتين وأنت تحي وخيرُ الناس كلهم أمامي<sup>(٥)</sup>

(١) من المعلقة ؛ ديوانه ٣٠ .

(٢) من قوله في ديوانه ص ٩ .

وقوفاً بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أمتي وتجلد  
(٣) من قوله في ديوانه ٣١ .

لو أنها عرضت لأشعثَ راهبٍ عبدَ الإلهِ صرورةً متعبدٍ  
وانظر الشعر والشعراء ١١٤ .

(٤) ديوانه ٣٢ .

(٥) الأمان ٩ : ١٦٩ .



مَقَى تَرْدَى الرِّصَافَةِ تَسْتَرِيحِي مِنْ التَّهْجِيرِ وَالذَّبَرِ الدَّوَامِي <sup>(١)</sup>  
 نَمَ قَالَ : الْآنَ يَحْيَى جَرِيرٌ ، فَأَنْشُدْهُ الْبَيْتَيْنِ فَيَرِدَ عَلَيَّ :

تَلَفْتُ أَنَّهَا تَحْتَ ابْنِ قَيْنٍ إِلَى الْكُيْرِينَ وَالْقَاسِ الْكُتَامِ <sup>(٢)</sup>  
 مَقَى تَأَتِ الرِّصَافَةُ تَخْزَنُ فِيهَا كَنْزِيكَ فِي اللِّوَاسِمِ كُلِّ عَامٍ

قال : فَبَاءَ جَرِيرٌ وَالْفَرْزُوقُ يَضْحَكُ ، قَالَ : مَا يُضْحِكُكَ يَا أَبَا فِرَاسٍ ؟  
 فَأَنْشُدْهُ الْبَيْتَيْنِ ، قَالَ جَرِيرٌ : تَلَفْتُ أَنَّهَا الْبَيْتَيْنِ .. كَمَا قَالَ الْفَرْزُوقُ سِوَاءَ ، قَالَ :  
 وَاللَّهِ لَقَدْ قُلْتُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، قَالَ جَرِيرٌ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ شَيْطَانَنَا وَاحِدٌ .

وَمَر <sup>(٣)</sup> رَجُلٌ بِالْفَرْزُوقِ بِالْمَرْبَدِ قَالَ : مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتُ ؟ قَالَ : مِنْ الْيَمَامَةِ ،  
 قَالَ : فَأَيُّ شَيْءٍ أَحْدَثَ ابْنَ الرَّاعِي ؟ فَأَنْشُدْهُ :

• هَاجَ الْهَوَى لِقَوَادِكِ الْمُهْتَاجِ •

قَالَ الْفَرْزُوقُ :

• فَانْظُرْ بِتَوْضُوحٍ بِأَكْرَ الْأَحْدَاجِ •

قَالَ الرَّجُلُ :

• هَذَا هَوَى شَفَفِ الْقَوَادِ مَبْرَحٍ •

قَالَ الْفَرْزُوقُ :

• وَنَوَى تَقَاضِفَ غَيْرِ ذَاتِ خِلَاجٍ <sup>(٤)</sup> •

قَالَ الرَّجُلُ :

• إِنَّ الْغَرَابَ بِمَا كَرِهْتَ لَمَوْلَعٍ •

(١) التَّهْجِيرُ : الْمَقَى فِي الْمَاجِرَةِ . وَالذَّبَرُ : فَرْحَةٌ فِي الْعَابَةِ .

(٢) دِيَوَانُهُ ٥٠٢

(٣) دِيَوَانُهُ ٨٩ ، بِدَائِمِ الْبَلَاءَةِ ٦٣ ، وَالْأَحْدَاجُ : جَمْعُ حُدُجٍ ، وَهُوَ مِنْ مَرَكَبِ النِّسَاءِ .

(٤) الْخِلَاجُ : الشُّكُّ .

قال الفرزدق :

• بنوى الأختية دائم التشعاج •

قال الرجل : هكذا والله قال : أفسعتها من غيري؟ قال : لا ولكن هكذا ينبغي أن يقال ، فقال : أما علمت أن شيطاننا واحد .

ودخل الفرزدق على امرأة من عَقِيل فحدثها ، وأقبل فتى من قومها كانت تألقه ، فدخل فأقبات عليه تحدّثه ، وترك الفرزدق ، ففاظه ذلك ، وقال للفتى : أنصارعني ؟ قال : ذلك إليك فقام الفرزدق فلم يلبث أن أخذه الفتى مثل الكرة فصرعه ، وجلس على صدره ، فصرط الفرزدق ، فوثب الفتى عنه وقال : هذا مقام المائذ بك ، والله ما أردتُ ما جرى ، فقال : والله ما بى ذلك ، ولكن كآفى .  
بأين للراغة جرير قد بلغه الخبر ، قال :

جلستَ إلى ليلَى لتعظَى بقرْبها      فخانك دهرٌ لا يزال خنون  
فلو كنت ذا حزم شددتْ وكأها      كما شدَّ خرْقاً بالداص قيون  
فلما بلغ الخبر جريراً قال البيتين .

وأمر<sup>(١)</sup> سليمان بن عبد الملك الفرزدق أن يضرب رقاب أسرى فاستغاهه .  
فلم يفعل ، وأعطاه سيفاً لا يقطع ، فضرب به عنق رومى فنبا السيف ، فضحك .  
سليمان ومن حوله ، فجلس وهو يقول :

أبِعَجِبُ النَّاسُ أَنْ أُصَحِّكَ سَيِّدُهُمْ      خَلِيفَةَ اللَّهِ بُسْتَنْقَى بِهِ الْمَطَرُ  
لَمْ يَنْبِ سَيِّفِي عَنْ رُعْبٍ وَلَا دَهْشٍ      عَنِ الْأَسِيرِ وَلَكِنْ آخِرُ الْقَدَرِ

ثم قال : ما إن يعاب فرس إذا كبا ، ولا يعاب صارم إذا نبا ، ثم جلس .

(١) الخبر في تاريخ الطبرى ٦ : ٤٧٥ ، ٤٨٠ ، الأغاني ١٥ : ٣٤٣ .

وهو يقول : كَأَنِّي بَابِنِ الْمِرَاغَةِ قَدْ بَلَغَهُ الْخَبِيرُ فَقَالَ :

بِسَيْفٍ أَبِي رَعْوَانَ سَيْفٍ مَجَاشِعٍ      ضَرَبْتُ وَلَمْ تَضْرِبْ بِسَيْفِ ابْنِ ظَالِمٍ  
ضَرَبْتُ بِهِ عِنْدَ الْإِمَاءِ فَأَرَعِشْتَ      يَدَاكَ وَقَالُوا مَحَلْتُ غَيْرُ صَارِمٍ  
ثُمَّ قَالَ : كَأَنِّي بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَابِنِ الْقَيْنِ قَدْ أَجَابَنِي فَقَالَ :

وَلَا تَقْتُلُ الْأَمْرَى وَلَكِنْ نَفْسَهُمْ      إِذَا أَثْقَلَ الْأَعْنَاقَ حَمْلُ الْمَغَارِمِ  
فَأَخْبَرَ الْفَرَزْدَقُ الْقِصَّةَ ، فَقَالَ :

كَذَلِكَ سَيْوْفُ الْمَهْدِ تَنْبُو ظُبْيَانَهَا      وَتَقْطَعُ أَحْيَانًا مَنَاطَ الْقَمَامِ  
وَلَا تَقْتُلُ الْأَمْرَى وَلَكِنْ نَفْسَهُمْ      إِذَا أَثْقَلَ الْأَعْنَاقَ حَمْلُ الْمَغَارِمِ  
وَهَلْ ضَرْبَةُ الرُّومِيِّ جَاعِلَةٌ لَكُمْ      أَبَا عَنْ كَلْبٍ أَوْ أَبَا مَثَلٍ دَارِمِ  
فَهَذَا إِنْ صَحَّ مِنْ أَعْجَبِ انْتِفَاقِ الْخَوَاطِرِ .

وَقَالَ الْأَقْبِشَرُ :

جَرَيْتُ مَعَ الْهَوَى طَلَّقَ الْمُتَّقِي      وَهَانَ عَلَى مَأْثُورِ الْفُسُوقِ<sup>(١)</sup>  
وَجَدْتُ أَلَدَ عَارِيَةِ اللَّيَالِي      قِرَانَ النَّفْسِ بِالْوَتْرِ الْخَفُوقِ  
وَمُسَمَّةٌ إِذَا مَا شَتَّ غَنَّتْ      مَتَى نَزَلَ الْأَحْبَبَةُ بِالْعَفِيقِ  
تَمْتَعُ مِنْ شِبَابٍ لَيْسَ يَبْقَى      وَصَلَّ بِمَرَا الصَّبُوحِ عَمَّا الْغَبُوقِ  
وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

جَرَيْتُ مَعَ الْهَوَى طَلَّقَ الْجُمُوحَ      وَهَانَ عَلَى مَأْثُورِ الْقَبِيحِ<sup>(٢)</sup>  
وَجَدْتُ أَلَدَ عَارِيَةِ اللَّيَالِي      قِرَانَ النَّفْسِ بِالْوَتْرِ الْقَصِيحِ

(١) الوساطة ١٩١ ، ١٩٢ ، قال : وَأَنَا أُرَتَابُ بَايَاتِ الْأَقْبِشَرِ ، فَإِنَّهَا لَا تَنْبُو شِعْرَهُ .  
ولم أرها في ديوانه . وانظر سرقات أبي نواس لمهلل . بن يعقوب ٨٣ .  
(٢) ديوانه ٢٥٧ .

ومسمةً إذا ما شئت غنّت متى كان الخيام بذي طلوح  
تتمتع من شباب ليس يبتقى وصل يمرّ الصبوح عراً الصبوح  
ومن ذلك ما نسب السرى للخالد في قديمه من مرقعة شعره، قال السرى<sup>(١)</sup> :

وكان كأس مدامها لما ارتدت بحبابها

نوريد وجنتها إذا ملاح تحت قايها

وقال أبو بكر الخالدى :

فكان الكأس لنا ضحكت تحت الحجاب<sup>(٢)</sup>

وجنة سمراء لاحت لك من تحت النقاب

وقال السرى في وصف جام فيه فالودج :

بأنحر مبيض الزجاج كأنه رداء عرو من مشرب مخلوق<sup>(٣)</sup>

له في الحشا برد الوصال وطيبه وإن كان تلقاه بلون حريق

كان بياض اللوز في جنباته كواكب دُرّ في سماء صفيق

وقال أبو بكر الخالدى :

مداماً كأن الكف من طيب نشرها وصُفرتها قد خلقت مخلوق<sup>(٤)</sup>

(١) بنية البحر ٢ : ١٦٦ .

(٢) بنية البحر ٢ : ١٦٦ .

(٣) بنية البحر ٢ : ١٦٦ وقبله هناك ،

إذا شئت أن تجتاح حقاً بباطل وتفرق خصماً كان غير غريق

فاسأل أبا بكر تجد منه سالكا إلى غلمات الظلم كل طريق

ولاطفه بالشهد الخلق وجهه وإن كان بالإلطف غير حقيق

(٤) بنية البحر ٢ ، ١٦٣ .

ألا فاسمعي والليل قد غاب نوره لنيفة بدر في النعام غريق

وقد فضح الظلماء برق كأنه فؤاد مشوق مولع بمخوق

نُاعِنِهَا نَوْرًا عِلاَهُ تَجَدَّدُ      وَنَشْرِهَا نَارًا بَصِيرَ حَرِيقِ  
كَأَنَّ حَبَابَ الْمَاءِ فِي جَنَبَيْهَا      كَوَاكِبُ لَاحَتْ فِي سَمَاءِ دَمِيقِ  
وَقَالَ السَّرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

رَأَتْ شَيْئًا بِصَاحِبِي فَصَدَّتْ      وَكَانَ جَزَاؤُهُ مِنْهَا الْعُبُوسُ<sup>(١)</sup>  
وَقَالَتْ إِذْ رَأَتْ لِلشُّطْرِ فِيهِ      سَوَادًا لَا يَشَا كُلَّهُ نَفِيسَا  
تَلَقَّ الْعَاجَ مِنْهُ بِمِشْطِ عَاجٍ      وَدَعَّ لِلْأَبْنُسِ الْآبَنُوسَا  
وَقَالَ أَبُو عُمَانَ أَيْضًا :

وَقَفْتَنِي مَا بَيْنَ هَجَرٍ وَبُوسٍ      وَاتَّخَذْتُ بَعْدَ ضِحْكَةٍ بَعْبُوسٍ<sup>(٢)</sup>  
وَرَأَتْنِي مِشْطَتٌ عَاجًا بِعَاجٍ      وَهِيَ الْآبَنُوسُ بِالْآبَنُوسِ  
وَهَذَا إِمَّا تَوَارَدَ أَوْ تَسَابَقَ ، وَالتَّسَابُقُ أَشْبَهُ بِهِمْ .

\* \* \*

قَالَ : فَكَأَنَّ الْوَالِيَّ جَوَّزَ صَدَقَ زَعْمَهُ ، فَندَمَ عَلَى بَادِرَةِ ذَمِّهِ ؛  
فَظَلَّ يَفْكَرُ فِيمَا يَكْشِفُ لَهُ عَنْ الْحَقَائِقِ ، وَيُمَيِّزُ بِهِ الْفَائِقِ مِنَ  
الْمَائِقِ ، فَلَمْ يَرِ إِلَّا أَخْذَهُمَا بِالْمُنَاصَلَةِ ، وَلَزَمَ فِي قَرْنِ الْمُسَاجَلَةِ .  
فَقَالَ لَهُمَا : إِنَّ أَرْدَمْنَا افْتِضَاحَ الْعَاطِلِ ، وَاتِّضَاحَ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ ،  
فَتَرَا سِلَاقَ النَّظْمِ وَتَبَارِيَا ، وَتَجَاوَلَا فِي حَلْبَةِ الْإِجَازَةِ وَتَجَارِيَا ؛  
كَيْهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ يَتْنَةٍ ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ يَتْنَةٍ ؛ قَتَلَا لَهُ بِلْسَانٍ  
وَاحِدٍ ، وَجَوَابَا مَتَوَارِدٍ : قَدْ رَضِينَا بِسَبْرِكَ ، فَرْنَا بِأَمْرِكَ .

فَقَالَ : إِنِّي مَوْلَعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاغَةِ بِالتَّجْنِيسِ ، وَأَرَاهَا كَالرَّائِسِ ؛

(١) ديوانه ١٥٥ -

(٢) بَيْتِيَّةُ الدَّهْرِ ٧ : ١٨٧ -

فانظماً الآن عشرة أبيات تلحمانها بوشيه، وترصمانها بحليه، وضمناها  
شرح حالي مع الفـ لي بديع الصفة، ألكى الشفه، ملبج الثثنى،  
كثير التيه والتجنى، مُفرى بتناسي المهد، وإطالة الصده، واختلاف  
الوعد؛ وأنا له كالمد.

• • •

قوله : زعمه ، الزعم قول معه اعتقاد . بادرة : سابقة وهي الكلمة الرديئة  
تبدر من للشكلم . الفائق : الفاضل ، وفاق الناس ، فضاهم وعلام بقول أو علم .  
للمائق : الأحق الضعيف التدبير . المناضلة : المراماة . لزما : ضمهما وشدهما .  
قرن : جبل بقرن بين الشيتين .

[ للساجلة ومثل منها ]

للساجلة : أن يستقى ساقيان فيخرج كل واحد منهما من الماء مثل ما يخرج  
الأخر ، فأيهما نكل فقد غلب ، وقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب :

مَنْ يُسَاجِلُنِي يَسَاجِلُ مَا جِدَا يَمْلَأُ الدُّلُو إِلَى عَقْدِ السَّكَرَبِ<sup>(١)</sup>  
وَأَنَا الْأَخْضَرُ مَنْ يَعْرِفُنِي أَخْضَرُ الْجَلَّةِ مِنْ بَيْتِ الْعَرَبِ

ومرّ الفرزدق بالفضل ، وهو يستقى وينشد البيتين ، فشمر ثيابه عن نفسه ،  
وقال : أَنَا أَسَاجِلُكَ ، ثَقَّةٌ بِنَسَبِهِ ، قَبِيلُ لَهُ : هَذَا الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ ، فَرَدَّ ثِيَابَهُ  
وقال : مَا يَسَاجِلُهُ إِلَّا مَنْ عَصَى أَمْرَ أَبِيهِ . ثم صارت للساجلة يقصدها قصد اللقاخرة ،  
وأراد هنا بالمناضلة والساجلة ، أن يقول هذا بيتا ، وهذا بيتاً حتى يُعلمن الغلب .  
وأكثر ما جرت به العادة فيها بأنصاف الأبيات كما شهر في قصة امرئ القيس .

(١) البيت الأول في اللسان — سجل ، وثبه لفضل بن عباس بن عتبة .

والتوهم حين قال امرؤ القيس :

\* أحرار تَرى رُبَّ قَاهِبٍ وَهنا \*

قال التوهم :

\* كنارِ مَجُوسٍ تَسْتَعِرُّ اسْتِعَارًا \*<sup>(١)</sup>

ثم مضى على القطعة بالأنصاف حتى كملت ، وهى مشهورة .

قال أبو العيناء : وقف على غلام يسألنى ما أحسبه بلغ الحلم ولا قاربَه  
وخرج غلام لى أسود قد اغتسل ، وهو يرعد ، وكان خبيثًا ، فأوماتُ إلى  
الأسود قلت :

\* كأنه ذئب غَضَى أَرْكُ \*

قال الغلام :

\* بَلَّتِ التَّدَى يَضْرِبُهُ وَالطَّلُ \*

فوصلته بدارهم وانصرف .

واجتاز ابن أبى الخصال من بلده شقورة بأبدة ، وهو صبي صغير يطلب  
الأدب ، فأضافه بها القاضى ابن مالك ، ثم خرج معه إلى حديقة معروشة ، فقطف  
لهم منها عنقوداً أسود ، فقال القاضى :

\* انظُرْ إِلَيْهِ فِي الْعَصَا \*

قال ابن أبى الخصال :

\* كَرَأْسِ زَنْجِيٍّ عَصَا \*

فعلوا أنه سيكون له شأن فى البيان .

ومثل ذلك ما حدثنى به الشيخ الفقيه أبو الحسين بن زرقون عن أبيه  
أبى عبد الله أن أبا بكر بن البجل وأبا بكر بن الملاح الشبلين ، كانا متواخين

متصافين ، وكان لهما ابنان قد برعا في الطلب ، وحازا قصب السبق في حلبة الأدب ، فهاجى الابنان بأقذع هجاء ، فركب ابن المبجل في سحر من الأسحار مع ابنه عبد الله ، فجعل يمتبه على هجاء ابن الملاح ، ويقول له : قطعت ما بيني وما بين صفتي أبي بكر يا قذاعك في ابنه ، فقال له ابنه : إنه بدأني ، والبادىء أعلم ، وإنما يجب أن يلحق من بالشر تقدم ، فعذره أبوه ؛ فبينما هما على ذلك إذ أقبل على وادٍ تنق فيه ضفادع ، فقال أبو بكر لابنه أجز :

• تنق ضفادع الوادى •

قال ابنه :

• بصوت غير معتاد •

قال الشيخ :

• كأن شقيق مقولها •

قال ابنه :

• بنو الملاح في النادى •

فلما أحست الضفادع بهما صمتت ، فقال أبو بكر :

• وتصمت مثل صمتهم •

قال ابنه :

• إذا اجتمعوا على زاد •

قال أبو بكر :

• ولا غوث للمهوف •

قال ابنه :

• ولا غيث لمرتاد •



والإجازة بالأبيات بكاملها كثيرة مشهورة .

وحكى الماوردى أن الناس تذاكروا حفظ السر بمجلس عبد الله بن طاهر ،  
قال عبد الله :

ومستودعي سرّا تَضَمَّنْتُ سِرَّهُ فَأودعته من مستقرّ الحشى قَبْرًا (١)  
قال ابنه عبيد الله ، وهو صبي :

وما السرّ في قلبي كثاؤٍ بِمَغْفَرَةٍ لَأَنى أرى المدفون يَنْتَظِرُ الحَشْرًا  
ولكننى أخيه حتى كَانَ من الدهر يومًا مَا حَطُّ بِهِ خُبْرًا  
وحكى الفقيه أبو الحسن أن أباه حدثه أن الأديب أبا الطاهر بن أبي ركب (٢) ،  
حضر عنده بِسَبْتَةِ بقرية شنان في عَقَبِ شعبان لاستقبال رمضان ، فأكل مع  
مَنْ حضر ضروبًا من الأَطْعَمَةِ والألوان ، قال أبو الطاهر رحمه الله تعالى  
لأبي عبد الله بن زرقون أجز :

حدثت لشعبان المبارك شِيعَةً تَسْتَلُّ عَنّى الجوع فى رمضان  
قال أبو عبد الله رحمه الله تعالى :

كما حَمِدَ الصَّبُّ المَتَمِّ زورَةً أَطاق لها المجران طولَ زمانٍ  
قال أبو الطاهر :

دَعَوْها بِشِيعَانِيَة فَلو أَنهم دَعَوْها بِشِيعَانِيَة لَكَفَانِي (٣)  
وحدثنى أيضًا أن أباه شيخنا الفقيه أبا عبد الله المذكور قد مع صهره  
أبى الحسن عبد الملك بن عياش الكاتب على بحر الحجاز ، وهو مضطرب الأمواج ،  
قال له أبو الحسن : أجز :

وملتطمح الفوارب موجّة . بوارحُ فى مناكبها غيومُ

(١) الصر والمجر فى كتاب أدب الدنيا والدين ٢٨ برواية مخالفة .

(٢) كذا ضبط فى فتح الطيب ، بفتح الراء وسكون الكاف .

(٣) المجر فى تحفة القادِم ٣٣ ، وفتح الطيب ٤ : ٣٢٣ .

قال أبو عبد الله :

تَمْنَعُ لَانْعُومَ بِهِ سَفِينٌ وَلَوْ حَدَّقْتَ بِهِ الزَّهْرَ النُّجُومُ

\* \* \*

قوله : « اختضاح العاطل » أى شهرة الفارغ من قول الشعر . تراسلا : تجاريا ، والتراسل فى الفناء والنشيد ، أن يتجاذب الصوت المقتبان ، والتراسل فى الخيل ، أن ترسل فرسين فى الطلق <sup>(١)</sup> .

نباريا : تجاريا . وتجاولا : تصرفا . والحلبة يأتى ذكرها فى المقامة ، وأراد تجاريا فى الشعر كما يتجارى خيل الحلبة فى الميدان ، سبرك : قياسك وتجربتك لنا . متوارد : متسابق متتابع . والتجنيس : أن تكون الألفاظ متناسبة والمعانى حبتانية . تلحانها : تنسجها . وشيه : رقه . ترصعها : زينها ، وكل ما خزته أو عقدته فهو مرصع . ألف : معشوق يؤلف ويؤنس به . بدع : غريب . ألتى : أسمر ، وألتى أن تمتشق حمرة الشفة حتى تضرب إلى السواد . التثنى : الانعطاف . التيه : الإعجاب والاحتمار بغيره . الصجى : ادعاء الجنابة على عاشقه ، وذلك أن المعشوق يحسب كل ما يفعله عاشقه ذنباً عليه وجنابة ليتوصل بذلك إلى هجره ، ثم سقى الصد والإعراض تجنياً . مفرى : مولع . والتناسى : استعمال النسيان . أراد أنه بعد عاشقه بالزيارة وغيرها فلذا ذكر بها قال : نسيته . والصد : الإعراض .

\* \* \*

قال : فبرز الشيخ مجلياً ، وتلاه الفتى مُصَلِّياً ؛ وتجاريا بيتاً فيتاً على هذا النسق ، إلى أن كمل نظم الأبيات واتسق ، وهى :

وأحوى حوى رقى برقة نغمه      وغادرنى ألف الشهاد بغيره  
تصدى لقتلى بالصدود وإبنى      لنى أسره منذ حاز قلبى بأسره

(١) الطلق : السوط فى جرى الخيل .

أَصْدَقُ مِنْهُ الزُّورَ خَوْفَازُورَارِهِ وَأَرْضَى اسْتِمَاعَ الْهَجْرِ خَشْيَةَ هَجْرِهِ  
وَأَسْتَعْذِبُ التَّعْذِيبَ مِنْهُ وَكَلَمًا أَجَدَّ عَذَابِي جَدَّ بِي حُبُّ بَرِّهِ  
تَنَاسَى ذِمَامِي وَالتَّنَاسَى مَذْمَةً وَأَحْفَظَ قَلْبِي وَهُوَ حَافِظُ سِرِّهِ  
أَعْجَبَ مَا فِيهِ التَّبَاهِي يُعْجِبُهُ وَأَكْبَرُهُ عَنْ أَنْ أَفُوَّهُ بِكِبَرِهِ  
لَهُ مِثْقَالُ الْمِدْحُ الَّذِي طَابَ نَشْرُهُ وَلِي مِنْهُ طَى الْوَدِّ مِنْ بَعْدِ نَشْرِهِ  
وَلَوْ كَانَ عَدْلًا مَا تَجَنَّى وَقَدْ جَنَّى عَلَى وَغَيْرِي يَجْتَنِي رَشْفَ ثَغْرِهِ  
وَلَوْلَا تَنْتِيهِ ثَنِيْتُ أَعْنَتِي بَدَارًا إِلَى مَنْ أَجْتَلَى نُورَ بَذْرِهِ  
وَإِنِّي عَلَى تَصْرِيفِ أَمْرِي وَأَمْرِهِ أَرَى الْمَرْحُلَ فِي اتِّقَادِي لِأَمْرِهِ

\* \* \*

على هذا النسق ، أى على هذا التتابع والانضمام . اتسق : انضمت واجتمع .  
ونسقت الشيء بالشيء ضمته إليه . أحوى : أسمر الشفة ، وألحوة : حمرة تغرب إلى  
السواد ، يقال : شفة حواء حمراء . رقى ، أى ملكى ، والرقى الملك ، ورقق الرجل  
رققاً : صار عبداً . برقة لفظه : بحلاوة كلامه . غادرني إلف السهاد : تركني صاحب  
سهر . بفدره : بقلة وفائه . تصدَّى : تعرض . أسرته : حبسه . بأسره : بحملته .  
والزور : الكذب . ازوراره : اقتباضه ، والهجْر : الفتحش . أستعذب : أستطيب .  
أجد عذابي : جد عذابي . جد : زاد واجتهد . برته : إكرامه ، يريد متى  
زادني عذاباً وهجراناً زدت فيه حباً وبراً . ذِمَمِي : عهدي . مذمة : عيب .  
أحفظ : أغضب . التباهي : التناحر . أكبره : أعظمه وأراه كبيراً . أفوه :  
أنطق . نشره : تمزق رائحته . رشف ثغره : تقبيل أسنانه . ثنيت : عظمت .  
أعنتي : جمع عنان . أجتلى : أنظر . نور بدره : حسن وجهه ، يقول : لولا حسن  
تقنيته لتركته وملت إلى غيره . ثم قال : وإني على ما يلقاني به من المعجر والجفاء ،

وأقاه به من أئبر والعناء ، ليرجع عندي المرّ من أفضاله - لوأ في انبأى لما يحب  
ويأمر به . وقد أنشدوا في ذلك :

لئن ساءنى أن نلتقى بمساءةٍ لقد سرّنى أى خطوت بياك<sup>(١)</sup>  
وقال في مثله :

وأهتني فأهت نفسى صاغراً ملأ من يهون عليك من يكرم<sup>(٢)</sup> .  
فهذا غاية الاتقياء لمراعاة مراد الحبيب .

وقال الشاعر :

ولقد منعكم المودة محضةً وكنت ما اشتدّ عليّ ضلومي  
جازيتموني بالوصال قطيعةً شتان بين صنيكم وصنعي  
فإذا أتيتك زائراً مقشوقاً قصر الطريق وطال عند رُجومي

وفي معنى قوله : « له متى المدح » يقول ابن رشيّق ، وزاد معنى مستظرفاً :  
أراك أتهمت أخاك الثقةً وعندك مقت وعندي مَقَّة<sup>(٣)</sup>  
وأنتى عليك وقد سوّيتي كما طيب العود من أحرقة

وقال ابن زيدون :

بنى جهنم أحرقتُم بجفائكم جنائي فما بال المذائح نعبق<sup>(٤)</sup>  
تعدوني كالمنبر الندّ إنما تطيب لكم أنفاسه حين يمرقه  
وهما وإن تواردا على هذا المعنى ، فلنأخذاه من قول حبيب :

(١) ديوان الحماسة - يصرح الراجزى ٢ : ١٠٦

(٢) العقد ٥ ، ٣٧٥ من أبيات نسبها لأبي الفيص .

(٣) ماله في التنقيح ٥١

(٤) ديوانه ٥٩٠

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يُعرف طيبُ عَرَفِ العود<sup>(١)</sup>

\* \* \*

ونذكر هنا جملة من الشعر الرائع المستظرف الفائق ، تنسحب على أوصاف الغلام المذكور ، وتعلق بشعر الحريري من جهة التجنيس ، أو من جهة الانقياد للمحبوب وإن جفا وصد .

ونبدأ بذكر حكاية أبي إسحاق الحصري لتعلقها بما انبثت عليه المقامة من توارد الخواطر .

كان أبو إسحاق يختلف إلى بعض مشيخة القبروان ، وكان الشيخ كلنا بالمذرين وهو القائل :

ومعدّرين كأن نبت خدودهم أقلامُ مسك تستمدّ خلوقاً  
قرنوا البنفسج بالشقيق ونظّموا تحت الزبرجد لؤلؤاً وعتيقاً  
فهم الذين إذا نظى رآهم وجد الهوى بهم إليه طريقاً  
وكان يختلف إليه غلام من أعيان أشراف القبروان ، وكان به كافياً ، فبينما هو عنده والحصري قد أخذ في الحديث إذ أقبل الغلام وهو يقول :

في صورة كنت فعلت بأنّها بدرُ السماء ليستة وثمّان  
يعشى العيون ضياؤها فكانها شمس الضحى تفضي بها العينان

قال الشيخ : يا حصري ، ما تقول فيمن هام بهذا التمدّ ، وصبا لهذا الخلد ؟ قال الحصري : الهيان والله بهذا غاية الطرف ، لا سيما إذا شام كافورة خدّه ذلك المسك الفتيت ، وهجم على صبحه ذلك الليل البهيم ، والله ما خلت سواده في بياضه إلا بياض الإيمان في سواد السكر ، أو غيباً في ضوء الفجر . قال للحصري :

صِفْهُ ، قَالَ : مَنْ مَلَكَ رِقَّ الْقَوْلِ حَتَّى افْتَادَ لَهُ صَعَابَهُ ، فَذَلَّ لَهُ جَوْحُهُ حَتَّى سَطَعَ  
لَهُ شَهَابُهُ ، أَقْدَمُ مَنْى فِي ذَلِكَ ، قَالَ : صِفْهُ ، فَإِنِّي مَعْمَلٌ فِي ذَلِكَ فَكْرِي . فَأُطْرُقُ  
سَاعَةً ، قَالَ الْحَصْرِيُّ :

أُورِدَ قَلْبِي الرَّدَى لَأُمِّ عِذَارٍ بَدَا  
أَسْوَدُ كَالْكَفْرِ فِي أَبْيَضَ مِثْلِ الْهُدَى

قَالَ لَهُ الشَّيْخُ : أَرَأَيْكَ أَطْلَمْتَ عَلَى ضَمِيرِي ، أَوْ خُضْتَ بَيْنَ جَوَانِحِي ، قَالَ  
لَهُ الْحَصْرِيُّ : وَلَمْ ذَاكَ ؟ قَالَ : لَأَنِّي قُلْتُ :

حَرَّكَ قَلْبِي فَطَارَ صَوْلِجٌ لَامَ الْمَذَارِ  
أَسْوَدُ كَاللَّيْلِ فِي أَبْيَضَ مِثْلِ النَّهَارِ

فَهَذِهِ غَايَةُ فِي بَابِهِ .

وَقَالَ التَّسْرِيُّ :

بَلَانِي الْحَبَّ فَيْكَ بِمَا بَلَانِي فَشَأْنِي أَنْ تَقْبِضَ غُرُوبُ شَأْنِي<sup>(١)</sup>  
أَبَيْتَ اللَّيْلَ مَرْتَبًا أَنَا حَيٌّ بِصِدْقِ الْوَجْدِ كَاذِبَةُ الْأَمَانِي  
وَيَسْهَدُنِي عَلَى الْأَرْقِ الثَّرِيَّا وَيَعْلَمُ مَا أَقَامِي الْفَرْقَدَانِ<sup>(٢)</sup>  
سَتَصْرَفُ طَاعَتِي عَنْ نَهَائِي دَمُوعُ فَيْكَ تَلَحَّى مَنْ لَحَانِي  
وَلَمْ أَجْهَلُ نَصِيحَتَهُ وَلَكِنْ جُنُونِ الْحَبِّ أَحَلَّنِي فِي جَنَانِي  
فِيَا وَلَعِ الْعَوَاذِلِ خَلَّ شَفِي وَيَا كَفَّ النَّرَامِ خَذْنِي عَنَانِي

وهذا مما يأخذ به جماعة الملوك ، ويحتوى على التوبيخ من المعنى المألوف .

(١) ديوانه ٢٦٨ ؛ من قصيدة يمدح بها أبا المهيابة بن سعيد بن حمد الله ، ويصاتبه على جفوة  
لحقته منه ، وقد نالته علة وجراحات في بعض أسفاره .

(٢) الديوان : « ويعلم — ما أجنى »

وقال السَّلامى :

ما ضنَّ عنك بموجود ولا بَمَحَلَا      أَمَزْتُ ما عنده النَّفْسُ الَّتِي بَدَلَا<sup>(١)</sup>  
يَحْكِي الطَّالِبُ حَتِيئًا وَالْمُجِيرُ جَوَى      وَالْمُزْنَ دَمْعًا وَأَحْلَالُ الدِّيارِ بِلَى

وقال أيضًا :

مُنِيتَ بَمَنْ إِذَا مَنِيتَ أَفْضَتْ      مَنَائِى إِلَى بِنَفْسِجٍ عَارِضِيهِ<sup>(٢)</sup>  
وَفَاضَتْ رَحْمَةً لِي حِينَ وَلَّى      مَدَامُ كَانَتِي وَكَانَتِيهِ

وله فى غلام بدوى :

تَمَلَّقْتَهُ بَدَوًى لِّلسَّانِ وَالْوَجْهَ وَالرَّيَّ تَبَّتَ الْجَنَانِ<sup>(٣)</sup>  
أَعَانِقُ مَنْ قَدَّهَ صَعْدَةً      تَرَى اللَّحْظَ مِنْهَا مَكَانَ السَّنَانِ  
أَدَارَ اللَّثَامِ عَلَى خَدِّهِ      فَأَهْدَى الشَّقِيقَ إِلَى الْآقْوَانِ  
وَمَسَكَ ذَوَابِهُ سَائِلَ      عَلَى آسٍ دِيَابِجِهِ الْمُسْرَوَانِ  
أَحْيَيْهِ بِالرَّوْدِ وَالْيَاسْمِينِ فَيَصْبُو إِلَى الشَّيْخِ وَالْأَبْهَمَانِ<sup>(٤)</sup>

وله فى غلام غَزَّيَّ رَام :

قَرَّ مِنَ الْأَثَرِ أَنْ تَحْسَبَ أَنَّهُ السَّخَّوْدُ الْحِصَانِ عَلَى أَقْبَ حِصَانِ<sup>(٥)</sup>  
يَرْمِي بِلِحْظَتَيْهِ الْقُلُوبَ وَسَهْمُهُ      فَجَبَّتْ كَيْفَ تَشَابَهَ السَّهْمَانِ  
بَطْلٌ حَمَالُهُ كَمَا رَضَهُ وَحَا      جُبُّهُ الْأَزْحُ كَقَوْسِهِ لِلرَّنَانِ<sup>(٦)</sup>  
حَيَّتُهُ فَدَنَا فَأَمْعَارُ رَاحَتِي      قَبْلًا قَلِيتَ فِي مَكَانِ بَنَانِي

(١) بَيْتِيَّة الدَّهْر ٢ : ٣٧٦

(٢) بَيْتِيَّة الدَّهْر ٢ : ٣٧١

(٣) بَيْتِيَّة الدَّهْر ٢ : ٣٧١

(٤) الْأَبْهَمَانُ : عَشْبٌ يَطُولُ وَلَهُ وَرْدَةٌ حَرَاءٌ وَوَرْدَةٌ عَرِيضٌ (٥) بَيْتِيَّة الدَّهْر ٢ : ٣٧٥

(٦) الْقَوْسُ الرَّنَانُ ، سَمِيتَ بِذَلِكَ لِزَيْنِ صَوْتِهَا .

وللشريف الرضى :

يا صاحب القلب الصحيح أما اشتغيت  
أأسأت بالمشاق حين ملكته  
وتركتني ظمآن أرشف غُلَّتِي  
قلبي وطرفي منك هذا في حَيِّ  
كم ليلة جرعتك في طولها  
تغلي أنامله القرب تطلأ  
أبكى ويسم والدجى ما بيننا  
قرُّ إذا استعجلته<sup>(١)</sup> بعتابه  
لو حيث يُستمع السرار وقتها  
أعز علي إذا امتلأت من الكرى

وللوزير ابن المغربي :

دَيْفٌ بمصر وبالمراق طيبه  
ماناله إلا الذي هو أهله  
لزم السهادَ تحميراً وتلدأ  
زعم الفراق دعا به فأجابه  
بضفيه طولٌ بعاده ويذيبه  
إذ غاب عن بلد وفيه حبيبُه  
وتأسفاً إذ أوبقته ذنوبه  
ونعم دعاه فلا أراه يجيبه  
وله أيضاً :

وقد أراه في الندير يشقه من جانبيه  
والماء مثل السيف وهو فرنده في صفحته  
صبغت يياض النيل حمرة وردة في وجنتيه



ولابن الرقاق :

وَرَبَّ مَقَىٍّ لِلْمَرْءِ فِيهَا مَنَابَاهُ<sup>(١)</sup>  
تَنُوبُ لَهَا دَابَا عَنْ الرِّشْقِ عَيْنَاهُ  
وَضَنَّ لَنَا غَلْمًا يَغْلَمُ ثَنَابَاهُ  
لَأَحْوَى حَوَى كُلِّ الْحَاسِنِ مَرَاهُ  
وَقَامَتِهِ وَالرَّدْفِ مِنْهُ وَخَدَاهُ  
وَعُصْنِ النِّقَاوَالِ دَعَى وَالْوَرْدِ أَشْبَاهُ

تَمَيَّتُ مَنْ أَهْوَى بِهِ وَهُوَ قَاتِلِي  
قَسَا فَرْمَانِي عَنْ قَسَى حَوَاجِي  
أَذَلْنَا دَمَاهُ فِي هَوَاهُ وَأَدَمَاهُ  
فَسَا بَرَحَ الشَّوْقِ الْمُبْرِحُ سَامِيَا  
فَنَظَرُهُ وَالشَّغْرِ مِنْهُ وَعَوَفُهُ  
لَشَمْسِ الضَّحَى وَالذَّرِّ وَلِلْمَسْكِ نَفْعُهُ

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

وَاهْتَزَّ أُمُودُ النَّقَا فِي بُرْدِهِ<sup>(٢)</sup>  
صَلَّى الْحَسَامِ الْمُنْتَضَى وَفَرْنَدِهِ  
مَنْ بَعْدَ مَا وَرَدُوا الْجَمَامَ بِصَدِهِ  
أَيَّ الْجَوَى لَجَوَانَحَى لَمْ يَهْدِهِ

وَمَهْفَهْ نَبَتِ الشَّقِيقُ بِخَدِّهِ  
مَاءَ الشَّبِيهِ وَالْجَمَالِ أَرْقُ مِنْ  
يَحْمِي الْأَنَامَ بِلَمْعَةٍ مِنْ وَصْلِهِ  
إِنْ كُنْتَ أَهْدَيْتَ الْفَوَادِلَ قَتْلُ

وقال أيضاً :

وَرَأَى قَضِيبَ النِّقَا عِطْفُهُ<sup>(٣)</sup>  
نَضَا سَيْفَ أَجْفَانِهِ طَرْفُهُ  
فَنَلَّتِ الْأَطْلَحَ دَنَا قَطْفُهُ  
قَالَ فِي لَيْتِي كَقَفُهُ

أَرْقَى نَسِيمَ الصَّبَا عَرْفُهُ  
وَمَرَّ بِنَا يَتَهَادَى وَقَدْ  
وَمَدَّ لِبَسْمِهِ رَاحَةً  
أَشَارَ لِتَقْيِيلِهَا فِي السَّلَامِ

ولإدريس بن اليماني :

وَالْوَرْدُ خَدَاهُ وَاللَّاسُ صُدْغَاهُ<sup>(٤)</sup>  
وَالنَّظْمِيُّ عَيْنَاهُ وَالْمِسْكُ رَيْلُهُ

وَذَى لَمَسْرِهِ لِلْأَصْحَوَانِ ثَنَابَاهُ  
وَاللَّسُوسُ الرِّبَانَ صَفْحَةُ خَدِّهِ

فريد جمالٍ تمّ لي توأم الهوى به ولسكلّ العاشقين فرداهُ  
ولبعض أصحابنا :

كُفّ عني اللامَ بآمنَ بلومُ      إنّ لوم الشجى في الحبّ لومُ  
جلّ همى بأن أهيم حياتي      صغرت همّة امرئ لا يهيمُ  
أبدا أطلبُ الفرام مجدداً      فكأنى إلى الفرام غريمُ  
إن ربما رمت برامة قلبي      مُقلّتاهُ حتى له لا يريمُ  
صحّ حبّي واعتلّ جسي نفسي      أن كلّى إلى هواهُ سقيمُ

وكلّ ما تضمنت هذه الجملة مع قطعة الحريري من التذلل والخضوع إلى  
المحبوب، فهو حكم الباب، والمجتمع عليه عند ذوى الألباب، إلا قوله : « وغيرى  
يحتجى رشف ثمره » ، فإن أكثر أهل هذا الشأن يابون أن يكون المحبوب بين  
عاشقين، وينسبون محبة إلى خسارة الهمة ، ويعتدونها على المحبوب من أكبر التهمة،  
قال امرؤ القيس :

إني بمحبك واصلٌ حَبْلِي      وبريشَ تَبْلِكِ رائشٌ تَبْلِي<sup>(١)</sup>  
مالم أجِدك على هدى أثرٍ      يقرو مقصّك قائف قبلي<sup>(٢)</sup>

يقول : أنا أديم من مواصلتك مالم أجِدْ غيرى يقبك طمعاً في مواصلتك .  
وقال أبو ذؤيب :

تريدين كيما تجميعي وخالداً      وهل يُجتمِع السيفان ويحك في غمدٍ<sup>(٣)</sup>  
فهذا قد أبى الشركة على التساوى ، فكيف الإقامة على الجور الذى.

(١) ديوانه ٢٣٩

(٢) يقرو : يتبع ، والعائف : الذى يعو الأثر . (٣) ديوان الهذليين ١ : ٢٥٩

ذكر الحريري . وقد قدّمنا في العاشرة للمولدين فتنا غير هذا ، على أن المحبوب إذا كان حسن الخلق حسن القبول زاد في أتبّه جماله ، كما أن الجفاء في المحبوب وانخلق الذمّيم يطمس نور حسنه وينقص من كاله ، وأنشدوا :

أيا حسناً أشرت قبائحُ نعيمه      عليه كأزرى الكسوف على البدر

وقال عبد الصمد المصري :

فلو زُيّن الحسنُ من وجهه      بهجر الصدود ووصل الوصال  
لَمْ وَلَسْكَنَ ما إِنْ أرى      جميل الحيا جميل الفصال

وقال آخر :

صَحّا عَنْ خَبكِ الْقَلْبِ لِلشَّوْقِ      فَا يَصْبُو إِلَيْكَ وَلَا يَتَوَقُّ  
جَفَاؤُكَ كَانَ عَنْكَ لَنَا عِزًّا      وَقَدْ يُسْلِي عَنْ الْوَلَدِ الْعُقُوقُ  
فهذه جملة كافة .

### [أنواع البلاغة في صناعة الشعر]

ونرجع إلى ذكر أنواع البلاغة في صناعة الشعر التي سماها المحدثون صنعة البديع ، والشعراء يتفاضلون في سياقها والاعتدال عليها ، وهي في أشعار العرب موجودة ، وفي الشعر المولّد أكثر . وأنا آتٍ منها بما للنّاظر فيه كفاية بمون الله سبحانه وتعالى ، ونبدأ منها بالتجنيس الذي أولع به الحاكم في المقامة .

#### التجنيس

هو اتفاق اللفظ أو أكثره واختلاف الحكم ، قال أبو بكر حازم بن حازم :  
التجنيس أن تسمى الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر أو كلام ، وهو من أضيق أنواع البديع ، فنه قوله تعالى : ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، ﴿ وَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وفي الحديث «عَصِيَّةُ عَصَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَغَفَرَ اللَّهُ لَهَا، وَأَسْلَمَ سَلَامُهَا  
لِلَّهِ، وَالظُّلُمُ ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» .

وقال خالد بن صفوان لرجل من بني عبد الدار : هشمك هاشم ،  
وأمتك أمية ، وخزمتك مخزوم ، وأنت من عبد دارها ، ومنتهى عارها ، تفتح  
لها الأبواب إذا أقبلت ، وتغلقها إذا أدبرت .

والتجنيس أنواع ، فنه تجنيس اللفظ وهو ما تقدم ، ومنه تجنيس الخط  
وهو ما يصح تصحيفه ، كقوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾<sup>(١)</sup> .

وفي حديث سعد بن أبي وقاص : لما أحملت راغمتني أمي ، فهي مرة  
تلقاني بالبشر ، ومرة تلقاني بالبشر .

البحترى : من سعادة جدك ، وقوفك عند حدك .

وفي رسالة : عاد إلى الساحة والحاسنة ، بمالمشاحة والحاشنة . وقال البحترى :  
ولم يكن المتر بالله إذ سرى ليُجْزَ والمتر بالله طالبه<sup>(٢)</sup>  
وقال البحترى أيضا :

وحالاً كرىش النسر مهما رأيت جناحاً لشهم عادرشاً على سهم<sup>(٣)</sup>

ومنه تجنيس السمع كقوله تعالى ﴿ وَجُودٌ يَوْمُذْ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾<sup>(٤)</sup>

ومن رسالة : لم يكن لأمره مضياً ، ولا لسره مديماً .

البسقى : مَنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ نَسِيبًا ، فَلَا تَرْجُ مِنْهُ نَصِيحًا . وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ صَدْرُهُ  
مُحَالِحَاتٍ فَصِيحًا ، فَلَا تَسْمَعْ لَهُ بِهَا لِسَانًا فَصِيحًا . وقال :

أبوك كريم غير أنك سابق مداه فلا ضيمٌ عليك ولا ذمٌ<sup>(٥)</sup>

(١) سورة الكهف ١٠٤ (٢) ديوانه ٢١٥

(٣) ديوانه ٢٦٥٩ ، فلا عن الصريحى (٤) سورة القيامة ٢٢

(٥) ديوانه ٢٨٧

فلا يجبنَ الناسَ بما أقوله وأفضى به فأنيت يقدمه النيم  
 وقال المرّى رحمه الله تعالى :

أعوذُ بالله من قومٍ إذا سمعوا خيراً أسرّوه أو شراً أذاعوه<sup>(١)</sup>  
 وخالد بن سنانٍ ليس ينقصه من قدره الكون في حى أضاعوه  
 ومنه تجنيس المضارعة ، فنه من رسالة : أنايه بين احتفاء واحتفال ، وبين  
 ذكر مطرٍ مطرب . وثناء مغرٍ مغرب .  
 وقال أبو تمام :

يمدّون من أيدٍ عوامٍ عوامٍ تطول بأسيافٍ قواضٍ قواضبٍ<sup>(٢)</sup>  
 وقال المرّى : من اتقى الله فهو السالم السارى .  
 وقال ابن عمار :

إذا ركبوا فانظروا أول طاعنٍ وإن نزّلوا فانظروا آخر طاعمٍ  
 وباب التجنيس فاق الناس فيه حبيب ، والناس له تبع ، كما انفرد بحسن  
 القطع في آخر قصائده ، فلا يكاد الشاعر المهر يزيد يتأ في آخر قصائده في الغالب .  
 كما انفرد الحسن بحسن الابتداء فله ابتداءات لا يحارى فيها ، كما انفرد ابن المعتز  
 بجودة التشبيه يكاد على كثرته في شعره ألا يسقط له تشبيه واحد ، كما انفرد  
 المتنبى بلطف التخلص من التفرّج إلى المدح . ومن تجنيس حبيب قوله :

عداك حرّ الثغور المستضامة عن يرد الثغور ومن سلسالها الحصب<sup>(٣)</sup>  
 السلسال المذب والحصب : الجارى على الحصباء ؛ شبه الريق به ، ففى هذا

البيت من صنع البديع التجنيس والطباق والتسيم والترديد والتبليغ، وتأتي هذه الأنواع في هذا الفصل، وحبيباً أكثر الناس استعمالاً لصنع البديع، ومن شعره يُتَمَلَّم . وقال أيضاً :

كَمْ نِيلَ تَحْتَ سَنَاها مِنْ سَنَا قَمَرٍ      وَتَحْتَ عَارِضِها مِنْ عَارِضِ شَمْسٍ<sup>(١)</sup>  
وقال أيضاً :

يَأْمَنُ تَدَمُّيَ عَيْنِهِ تِلْكَ الدَّمَى      فِيهِ وَيَقْمَرُ لِيَسْلَةَ الْإِقْمَارِ  
أَخَذَهُ الْبَحْتَرَى قَتَالَ :

جَافَى الْمَضَاجِعَ لَا يَنْفَكُ فِي جَلْبٍ      بِكَادٍ يُقَمِّرُ مِنْ لَأْلَائِهِ الْقَمَرُ<sup>(٢)</sup>  
وَأَنْشَدَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَسِيُّ فِي نَوَادِرِهِ لِأَبِي الْغَوْلِ الطُّهَوِيِّ يَصِفُ سَحَاباً :<sup>(٣)</sup>  
وَقَرَى كُلَّ قَرْيَةٍ كَانَ يَقْرَأُ      هَا قَرَى لَا يَحِفُّ مِنْهُ الْقَرَى  
وَفِي الْمَقَامَاتِ مِنَ التَّجْنِيسِ كَثِيرٌ، وَفِي هَذَا الشَّرْحِ مِنْهُ مَا يُسْتَظَرَفُ وَيُسْتَبَدَعُ ،  
فَمَا يَسْتَحْسِنُ مِنْهُ قَوْلُ السَّرِيِّ يَمْدَحُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ :

أَغْرُتُكَ الشَّهَابُ أَمْ النَّهَارُ      وَرَاحَتُكَ السَّحَابُ أَمْ الْبَحَارُ<sup>(٤)</sup>  
خَلَقْتَ مَنِيَّةً وَمَتَّى فَأَضَحَتْ      نَمُورُ بَكَ الْبَسِيطَةَ أَوْ تَمَارُ  
تَحْمَلُ الدِّينَ أَوْ تَحْمِي حِمَاهُ      فَتَنْتَ عَلَيْهِ سُورُ أَوْ سَوَارُ  
سَيُوفُكَ مِنْ شَكَاةِ الثَّغْرِ بَرَّ      وَلَكِنْ لِلْعَدَى فِيهَا بَوَارُ  
وَكَفَّكَ الْغَنَامُ الْجُودَ يَسْرِى      وَفِي أَحْشَاءِهِ مَاءٌ وَنَارُ

(١) ديوانه ١١

(٢) ديوانه ٩٠٨

(٣) مع آخر في الصناعتين ٣٣٥ (الأولى — حلي) منبويان لأبي نضر (٤) ديوانه ١٠٥

فيمتني من سجيته النايَا وَيُسْمِرني مَنْ عَطِيَّتْهَا الْيَسَارَ  
ومن الشعر الذي جمع إلى التجنيس حسن التقسيم والطباق جواب الصابي  
أبا أحمد الشيرازي ، من شعر يشتكى له قرقساً أصابه وأوله :  
إلى الله أشكو ضنى شفى وكَم قبله من ضنى قد شفى  
فأجابه الصابي :

عَنائي من الهم ما قَدَّ عَنائي فَأَعْطَيْتُ صَرَفَ اللَّيالي عِنائي<sup>(١)</sup>  
أَلِفْتُ الدَّموعَ وعَفْتُ المَجْجوعَ فَعِنائي عَيْنانِ نَعْنَأَتانِ  
لَقِمَ الْحَ على سَيْدٍ به قد غَفَرْتُ ذُنُوبَ الزَّمانِ  
وكيف سطا بهما واستطا لَ وأَرْضَ بَساطِهما التَّيرانِ  
وهلاً تَجاوزُهُ قاصِداً إلى عَصَبَةِ عُصْبَتِ المَهِوانِ  
إِذا ماسى لَطِلابُ المَلا فكلَّ أَوانٍ هَمَّ في تَوانِ  
أَتَقى بِالْأَمْسِ أَيْمَـانَهُ تَطَلَّ رُوحِي بِرُوحِ الجَـانِ  
كَبُرْدُ الشَّبابِ وَبَرْدُ الشِّرا بِ وَطَلَّ الأَمَانُ وَنَيْلُ الأَماني  
وعهد الصِّبا ونسيم الصِّبا وَصَفَوُ الزَّمانِ وَرجع القَـوانِ  
أُجِبتَ عَنِ الشَّعْرِ مَسْتَسْلاً بطِيعِ شِجَاعِ وَقَلْبِ جَبَّانِ  
ولولا سَكُونِي إلى فَضله قَبِضْتُ بَنائِي بِقبْضِ اللِّسانِ

وقال أبو الفتح البقي :

إِنَّ أَسِيفانا المَضابِ الدَّوامِ صَيَّرَتْ مَلِكنا قَرينَ الدَّوامِ<sup>(٢)</sup>  
بِاقتِسامِ الأَموالِ مِنْ وَقتِ سامٍ واقتِسامِ الأَموالِ مِنْ وَقتِ حامٍ

(١) البيتة ٢ : ٤٠٣ ، ونسها إلى صاحب

(٢) بيتة البحر ٤ : ١٣٨ مضمومة إلى الحسن بن المؤمل .

### التشبيه

وقد أوردنا في هذا الكتاب منه كل غريب . والتشبيهات على ضروب مختلفة ، فمنها تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة ، ومنها تشبيهه به معنى ، ومنها تشبيهه به لونا ، ومنها تشبيهه به صوتا ، ومنها تشبيهه به حركة وسرعة ، فالأول كقوله :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رُمْنًا وَيَابَسًا      لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي<sup>(١)</sup>  
أَجْمَعُ أَهْلَ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ كَأَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ وَالْأَصْمَى ، أَنْ أَحْسَنَ التَّشْبِيهِ مَا يُقَابِلُ بِهِ تَشْبِيهَانِ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ ، وَأَنْ أَحَدًا لَمْ يَقْلْ ذَلِكَ كَبَيْتِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ ، كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ . وَقَالَ بشار: ما زلتُ مَذْ سَمِعْتُ قَوْلَهُ : كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ أَرَادَ أَنْ يَشْبَهَ شَيْئَيْنِ بِشَيْئَيْنِ وَلَا أُسْتَطَاعَ ذَلِكَ إِلَيَّ أَنْ قُلْتُ :

كَأَنَّ مَثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رَمُوسِنَا      وَأَسْيَافُنَا لَيْلَ تَهَاوَى كَوَاكِبِهِ<sup>(٢)</sup>  
وَيَا بَعْدَ مَا بَيْنَ الْبَيْتَيْنِ عَلَى أَنَّ بَيْتَ بشار غريب ، وَلَا أَحْفَظُ لِلْبَيْتَيْنِ ثَالِثًا ، إِلَّا أَنْ بشارًا قَدْ قَالَ أَيْضًا :

مِنْ كُلِّ مَشْهُرٍ فِي كَفِّ مَشْهُرٍ      كَانَ غَرَّتَهُ وَالسِّيفُ نَجْمَانِ  
وَأَمَّا تَشْبِيهِ الْمَعْنَى فَكَتَشْبِيهِ الشَّجَاعِ بِالْأَسَدِ وَالْجَمِيلِ بِالْقَمَرِ ، وَكَقَوْلِهِ :  
وَكَالسِّيفِ إِنْ لَا يَنْتَهَ لِأَنَّ مَتْنَهُ      وَحَدَاهُ إِنْ خَاشَفَتْهُ حَسَنَانِ<sup>(٣)</sup>  
وَاللَّوْنُ كَقَوْلِ ابْنِ هَرَمَةَ :

وَلَيْلٍ كَسِرْبَالِ الْغُرَابِ أَدْرَعَتْهُ      إِلَيْكَ كَمَا أَخَتُ الْإِمَانِيَّ أَجْدَلُ<sup>(٤)</sup>

(١) ديوانه ٣٨

(٢) ديوانه المختار ١

(٣) المكبري ٣ : ٢٠١ ونسبه لأبي العباس .

(٤) كتاب ديوانه ١١٦٦ ، وفي الأصول : « كَمَا أَخَتُ الْإِمَانِيَّ » .



## والصوت كقول النابغة :

• له صَرِيف صَرِيف القمو بالمَسَدِ •<sup>(١)</sup>

والحركة والسرعة ، كقول امرئ القيس :

• كَجُلُودِ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلِيٍّ •<sup>(٢)</sup>

وربما امتزجت هذه اللغتان بعضها ببعض ، فإذا اتفق في الشيء المشبه بمنيان أو ثلاثة معانٍ من هذه الأوصاف قوى التشبيه ، وتأكد الصدق فيه ، وأصدق التشبيهات ما إذا عكس لم ينتقض ، بل يكون كل مثبه بصاحبه مثل صاحبه ، ويكون صاحبه مشبهاً به صورة ومعنى ، كقول امرئ القيس :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالنَّجُومُ كَأَنَّهَا مَصَائِيحُ رُهْيَانٍ تَشْبُ لِقُفَالٍ •<sup>(٣)</sup>

فتشبيهُ النجوم بالمصاييح لفرط ضيائها صحيح ، وتشبيه المصاييح بالنجوم صحيح ، وربما أشبه الشيء صورة ، وخالفه معنى . وقد تقدم ذكر ذلك في الثانية ، وربما قاربه وداناه وشابهه مجازاً للاحقيقة .

وأدوات التشبيه كأن والكاف ومثله ، وتسقط الكاف مع المصدر فيشبه بالمصدر ، وقد يشبه بقولهم : تخاله وتحسبه ، فما كان منه صادقاً قيل فيه « كأنه » أو كذا ، وما قارب الصدق قيل فيه : تراه أو تخاله ؛ فإذا حقت

(١) ديوانه ١٨ ، صدره :

• ومَقْدُوفَةٌ بِدُخَيْسٍ التَّحَضُّضِ بَازِلُهَا •

المَقْدُوفَةُ : الرمية . والدُخَيْسُ : الهم . والتَّحَضُّضُ : الهم المكثرة والبازل : اللين من الأبل . والصريف : الصياح من النشاط والقمو : ما يضم البكرة . والسد : الجبل .  
(٢) ديوانه ١٩ ، صدره :

• مِكْرٌ مِقْرٍ مُقْبِلٍ مُذِيرٍ مَعَا •

(٣) ديوانه ٣١ .

هذا الفصل انكشفت لك أسرار التشبيه ، وقد تقدم نوع من التشبيه في الثانية ، وسيأتى في الأربعين تشبيهات الغريب المقم في حكاية الأحمسى .

### الاستمارة

هى من المارية لأن الشاعر يُمر للمنى ألقاظاً غير لفظه الموضوع له ، وهى على ثلاثة أوجه : أحدها يستميره الشاعر من الألقاظ على سبيل التثيل وتعميم المعانى ، وهذا الضرب يعدّ في البديع ومحاسن الشعر ، وهو كثير في كلامهم ، وعليه انبنى كتاب المقامات ، وقلماً يوجد بيت يخلو منه ، وما جاء منه في القرآن سمّاه بعضهم مجازاً وأباه بعضهم ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَاخْفُضْ لَهَا جَنَاحَ الذَّلٰلِ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ <sup>(١)</sup> ، ﴿ وَاشْتَلَّ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ <sup>(٢)</sup> وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء » .

وقال امرؤ القيس :

\* وليل كدّج البحر أرخى سُدُوكَه \* <sup>(٣)</sup>

وقال علقمة وهو بديع :

\* والصبح بالكوكب الدرّى منحور <sup>(٤)</sup>

وقال زهير في الحرب :

\* ضروس تُورّ الناس أنباها عُضْل <sup>(٥)</sup>

(٢) سورة مريم

(١) سورة الاسراء آية ٢٤

(٣) ديوانه ١٨ وعجزه :

\* على بأنواع الموم لَيْبَتَلِي

(٤) ديوانه ١٢٧ ، وسدره :

أودّتها وصدورُ العيس مُسْتَفَّة

(٥) ديوانه ١٠٣ وسدره :

إِذَا لَقِيتْ حَرْبٌ عَوَانَ مُفْصِرَةٍ

وقال عمرو بن كلثوم :

ألا أبلغ النعمان عني رسالةً فجعلك حولي ولومك قارحاً<sup>(١)</sup>

وقال الحسن :

في مجلس ضحكك الشرور به عن ناجذيه وحلّت الخمر

وقال العباس بن الأحنف :

قد سحب الناس أذيال الحديث بنا وفرّق الناس فينا قولهم فرقا<sup>(٢)</sup>

فكاذب قد رمى بالظن غيركم وصادق ليس يذري أنه صدقا

الثاني: أن ينتحل الشاعر قولاً لغيره فيدخله في شعره ، وهذا هو الاجتلاب

الذي نفاه جرير عن نفسه بقوله :

ألم تعلم مسرّحي القوافي فلا عيّاً بهنّ ولا اجتلاباً<sup>(٣)</sup>

الثالث : أنه يستعير الشاعر ألفاظاً كان غنياً عنها ، والمعنى غير مفتقر إليها ،

ويسمى الحشو والاستعانة ، ويمحس بقدر ما يتحمل من القوائد ويقبح إذا فرغ منها .

## الإشارة

قال قدامة : الإشارة هي اشتغال اللفظ القليل على المعاني الكثيرة باللمعة

السالة ، ولم يأت أحد منها بمثل قول زهير :

(١) الصناعتين ٢٩٣ . والمولى : ما أتى عليه الحول . والفارح من ذى الحافر بمنزلة البازل

من البعير ، ولا يبرز إلا إذا طعن في التسمية .

(٢) ديوانه ١٩٩

(٣) ديوانه ٦٢

وإني لو قيتك فاجتمعتنا لكان لكل منكراً كفاه<sup>(١)</sup>

وقال امرؤ القيس :

على هينكل يعطيك قبل سؤاله أفانين جرّمي غير كزّ ولا وان<sup>(٢)</sup>  
فتأمل ما اشتملت عليه لفظة « أفانين » بمالوعد كان كثيراً ، وما اقترن به من  
جميع أصناف الجودة طوعاً من غير طلب ولا مسألة ، ثم نفى عنه الكرازة والوني ،  
وهما أكبر عيوب الخليل .

والإشارة من غرائب الشعر ومُلحه ولا يأتي بها إلا شاعر مبرز ، ونسّى  
اللحمة الدالة ، وأصلها الاختصار ، وهي أنواع ، فمنها الوحي ، كقول جاهلي في يزيد  
ابن العيص :

تركت الركاب لأربابها وألزمت نفسي على ابن العيص<sup>(٣)</sup>  
جعلت يدي وشاحاً له وبعض القوارس لا تفتنى

ف قوله : « جعلت يدي وشاحاً له » إشارة بدئية دالة على الاعتناق بنير لفظة .

### الإيماء

ومنها الإيماء ، فمن ملحه قول قيس بن ذريح :

أقول إذا نفسي من الوجد أضعدت لما زفرة تعضدني هي ما هي<sup>(٤)</sup>  
وقول كثير :

تجافيت عني حين لالي حيلة وغادرت ما غادرت بين الجوانح<sup>(٥)</sup>  
ف قوله : « غادرت ما غادرت » إيماء متليح .

(٢) ديوانه ٩١

(١) ديوانه ٨١

(٣) الصناعتين ٣٩٧ من شعر نسي (٤) ديوانه ١٩٠

(٥) ديوانه ٥٢٥ .

### التلويح

ومنها : التلويح ، ومن أجوده قول النابغة في طول الليل :  
تطاولَ حتى قلتُ ليس بمنتقضٍ وليس الذي يرعى النجومَ بأبٍ<sup>(١)</sup>  
فالذي يرعى النجوم هنا الصبح ، أقامه مقام الراعى ، يندو فتذهب الإبل  
والماشية ، فتلويحه هذا عجب في الجودة ، ومنه قول الجنون :  
لقد كنتُ أعلو حُبَّ ليلي فلم يزلْ بيَ النقض والإبرامُ حتى علانياً<sup>(٢)</sup>  
فلوح بالصحة والكتان ، ثم بالسقم والاشتهار تلويحاً عجيباً .

### التعريض

ومنها التعريض ، كقول عمرو بن معد يكرب :  
فلو أن قومي أنطقنِّي رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرتِ<sup>(٣)</sup>  
أى لو أن قومي صدقوا في القتال وطمعوا برماحهم أعداءهم لنطقتُ بمدحهم ،  
ولكنهم صرفوها عن أعدائهم منهزمين ، فكانها أجرت لسانى ، أى شفته كما  
يجرُّ لسان الفصيل ، فكانها أسكتننى . فهذا تعريض بنوب عن التصريح ، وأخفه  
أبو بكر بن دردم قال :

يا بنى مالك علقتم لسانى كيف يجرى القيد المقول<sup>(٤)</sup>  
إن سلكتم إلى الفعّال سبيلاً وضعت لى إلى القال سبيل

(١) ديوانه ٢

(٢) ديوانه ٢٩٤

(٣) الأسميات ١٢٢

(٤) ديوانه ١٠٢

ومن التبريض قوله :

بني عتنا لاندكروا الشعر بعدما دفنتم بصعراء النسيم القوافيا<sup>(١)</sup>

ومنه قول حميد بن ثور، وقد تقدم :

أرأى بصري قد خانني بعد صحتي وحسبك داء أن تصيح وتسلم<sup>(٢)</sup>

### التفخيم

ومنها: التفخيم، كقول الفخوى :

أخى ما أخى لا فاحش عند بيته ولا ورع عند اللقاء هَيُوب<sup>(٣)</sup>

ونحو هذا حكاية الأعرابي في نوادر أبي علي حين سئل : أله بنون ؟ قال :

نعم ، وخالقهم لم تقم عن مثلهم منجبة ؛ فلما ذكر أسماءهم قال : جهم وما جهم ،  
عَشَمَ وما عَشَمَ ، عَشْر وما عَشْر<sup>(٤)</sup> .

ومن هذا التفخيم ما يحمى على التهويل والتعظيم نحو قوله تعالى : ﴿ الحاقة

ما الحاقة ﴾ و ﴿ القارعة ما القارعة ﴾ وهو كثير في كلام العرب .

وما جاء في الإشارة على معنى انشبيه قول الأعرابي يصف لبناً عذوقاً :

• جاؤا بَمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذَّبَّ قَطْ<sup>(٥)</sup> •

فأشار إلى تشبيه لونه إذا غلب عليه المذاق بلون الذب كما صرح به الآخر

حين قال :

فيسرُّهُ مذاقاً ويسقى عياله سحاباً كأقرب الثعالب أوزفاً<sup>(٦)</sup>

(١) من أبيات في البيان والتبيين ٢ : ١٨٦ ، ونسبها لسويد المرائد الحارثي (٢) ديوانه ٧

(٣) هو كعب بن سعد الفزري من قصيدة له في الأصمعيات ٩٠ والورع : البيان

(٤) المقرب : الأسد الشديد

(٥) الخزائن ١ : ١٧٦ ، وقوله

• حَتَّى إِذَا كَادَ الظَّلَامُ يَخْتَابُ •

(٦) اللسان — مذاق من غير لينة . والمذاق : اللبن المخلوط بالماء .

### المطابقة

أبو الفرج علي بن الحسين ، قلت لأبي الحسن علي بن سليمان الأنخشي -  
وكان أعلم مَنْ شاهدته بالشعر : طائفة وهم الأكثرون تزعم أن الطباق ذكر  
الشيء وضده ، فيجمعهما اللفظ لا المعنى ، وطائفة تقول : هو اشتراك المعنيين  
في لفظ واحد ، مثل قول زياد الأعجم :

وُنُبِّئْتَهُمْ يَسْتَنْصِرُونَ بِكَاهِلٍ وَلِئِمْ فِيهِمْ كَاهِلٌ وَسَنَامٌ<sup>(١)</sup>

فكاهل قبيلة وكاهل للمضو ، قال : من ذا الذي يقول هذا ؟ قلت :  
قدامة وغيره ، قال : هذا يا بني هو التجنيس ، ومن ادعى أنه طباق قد ادعى  
خلافاً على الخليل والأصمعي ، قلت : أفكنا يعرفان هذا ؟ قال : سبحان الله ،  
وهل غيرهما في علم الشعر وتمييز خبيثه من طيبه ! قلت : فأنشدني أحسن طباق  
للعرب ، قال : قول عبد الله الزبير الأسدي :

فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوهن البيض سودا<sup>(٢)</sup>  
وقال أبو الفرج : وأنا أقول أن أحسن بيت قيل فيه :

للسود في السود آثار تركن بها . لما من البيض يثنى أعين البيض  
يعني أن الليالي تمرورهن تبيض سواد الشعر .

قال أبو حاتم : سألت الأصمعي عن صنعة الشعر ، فذكر في بعض قوله  
المطابقة ، وقال : أصلها وَضَعَ الرجل في موضع اليد ، قلت : أنشدني أحسن ما قالت  
العرب في ذلك فقال : قول زهير :

كَيْثُ بِمَثَرٍ يَصْطَادُ الرِّجَالُ إِذَا مَا كَذَبَ اللَّيْثُ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقًا<sup>(٣)</sup>

وقيل : المطابقة أن يأتي الشاعر بلتفتين مختلفتين في المعنى واللفظ في بيت واحد أو في كلام ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾<sup>(١)</sup> . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأَنْصار : « إِنكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ وَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ » .

وقال علي رضي الله عنه : من رضى عن نفسه كثر مَنْ يَسْخَطُ عليه .

وقال : أعظم الذنوب ما صغر عند صاحبه .

وقال الحسن : كثرة النظر إلى الباطل تذهب بمعروف الحق .

وقال الفرزدق :

لَمَنِ الْإِلَهِ بَنَى كَلْبِي إِنْهُمْ لَا يَفْهَمُونَ وَلَا يَقُونَ لُجَارَ<sup>(٢)</sup>  
يَسْتَيْقِلُونَ إِلَى نَهْيِ حَيْرِهِمْ وَتَنَامُ أَعْيُنُهُمْ عَنِ الْأَوْتَارِ  
وقال حبيب :

يَرَى الطَّمَعُ الْمَادُومَ بِالزَّأْرِ أَرِيَّةَ يَمَانِيَةِ وَالْأَرَى بِالضَّيْمِ عُلْفَا<sup>(٣)</sup>

### التقسيم

ومنها التقسيم . قال أبو الحسن علي بن هارون بن علي بن حماد بن إسحاق الموصلي : هو أن يستعمل الشاعر تفصيل ما ابتدأ به فيستوفيه ، فلا يفادر قسما يقتضيه إلا وأورده ، وإلى هذا كان يذهب أهلنا ، وأحسن ما قيل في ذلك قول زهير :  
يَطْلُبُنْهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا طَلَعُوا ضَارِبَ حَتَّى إِذَا مَاضَ بَوَا اعْتَقَقَا<sup>(٤)</sup>  
وقول عنتره :

(٢) الصناعتين ٣٢٢ ، نهاية الأوب ٧ : ١٠١

(٤) ديوانه ٥٤

(١) سورة البقرة ١٧٩ .

(٣) ديوانه ٢٩٤



إِنْ يَلْعَنُوا أَكْرَزْ وَإِنْ يَسْتَلْعَمُوا أَشَدُّ وَإِنْ يُرْمَوْا بِضَنْكَ أَنْزِلِ<sup>(١)</sup>  
 أبو العيناء : أجمع علماء الشعر أن أحسن تقسيم أنى به مقدم قول عمر  
 ابن أبي ربيعة :

تَهْمُ إِلَى نَفْسِهِ فَلَا الشَّمْلَ جَامِعٌ وَلَا الْحَبْلُ مَوْصُولٌ وَلَا أَنْتَ مُصْبِرٌ<sup>(٢)</sup>  
 وَلَا قَرَبَ نَعْمَ إِنْ دَنْتَ لَكَ نَافِعٌ وَلَا بُدْعًا يُسْلِي وَلَا أَنْتَ مُقْصِرٌ  
 المبرد : لم أسمع أحسن من تقسيم لقيس بن ذريح ، وهو :

وَقَدْ كَانَ فِيهَا لِلْأَمَانَةِ مَوْضِعٌ وَلِلْكَفِّ مَرْتَادٌ وَلِلْعَيْنِ مَنَظَرٌ<sup>(٣)</sup>  
 وقد تقدم في شرح الثانية بيت المتنبي في التقسيم وهو : بدت قرا ... البيت .  
 ونسج على منواله الزاهر قال :

سَفَرْنَ بِدُورًا وَانْتَقَبْنَ أَهْلَةً وَمَسَنَّ غُصُونًا وَالتَفَنَّ جَاذِرًا  
 وَأَطْلَمْنَ فِي الْأَجْيَادِ بِاللَّدْرِ أَنْجَمًا جَلَمْنَ لِحَبَابِ الْقُلُوبِ ضُرَارًا  
 وقال الناشئ :

رَأَيْتُ عَلَى أَكْوَارِنَا كُلِّ مَا جَدَّ بَرَى كُلِّ مَا يَفِي مِنَ الْمَالِ مَفْنَمًا  
 نَدُومَ أَسْيَافًا وَنَمْلُو قَوَاضِيَا وَنَنْقُضَ عِقْبَانَا وَنَطْلُعَ أَنْجَمًا  
 وقال السلايمي :

مَا ضَنَّ عَنْكَ بِمَوْجُودٍ وَلَا بِخَلَاٍّ أَعَزُّ مَا عِنْدَهُ النَّفْسُ الَّتِي هَذَا لَا<sup>(٤)</sup>  
 يَحْكِي الْمَطَايَا حَنِينًا وَالْمَجْبَرِ جَوَى وَلِلزَّنِ دَمْعًا وَأَطْلَالِ الدِّيَارِ بَلَى  
 والتقسيم في الشعر كثير .

(١) ديوانه ٦٥

(٢) ديوانه ٩٢

(٣) ديوانه ٨٧ ، وفيه : د و القلب .

(٤) ينمية الدهر ٣ : ٣٧٦

### التسليم

قال علي بن هارون : هذا لقب نحن اخترعناه ، وصفة الشعر للتسليم أن يسبق المستمع إلى قوافيه قبل أن ينتهي إليها راويه ، حتى لو سمع الشطر الأول استخرج الآخر قبل أن يسمعه ، وأحسن ما قيل في ذلك قول جندب أخت عمرو ذى الكلب ترى أخاها :

فأقسمتُ يا عمرو لو نَبَّهاك إذا نبها منك ذاء غُضَّالاً<sup>(١)</sup>  
إذا نَبَّها لَيْتَ عَرِيْسَةٍ مُفِيْتًا مُفِيْدًا فَوْسًا وَمالًا  
وَحَرْقِي تَجَاوَزْتَ مَجْهُولَةً بوجناء حَرْفٍ تَشْكِي السَّكَلَالَ  
فكنتَ النهار به تَمْتَسِّمُهم وكنتَ دجى اللَّيْلِ فيه المَلالَا  
قال الخناني : فانظر إلى ديباجة هذا الكلام ، ما أصفها ، وإلى تقسيماته ما أوقفها ، وانظر إلى قوله : مفيتا مفيدا فوسا وما لا ، ووصفها إياه بالشمس بالنهار والليل بالليل ، تجد الطبع المتنوع القريب البعيد .

### التسليم

هو أن يذكر الشاعر معنى فلا يترك شيئاً يتم ويتكامل الإحسان معه فيه إلا أتى به ، وأحسن ما قيل في ذلك قول طرفه :  
فَسَقَى دِبَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيْمَةٌ تَنْهَى<sup>(٢)</sup>  
فقد تم الإحسان في المعنى الذي ذهب إليه بقوله : « غير مفسدها » ، ويتلوه قول خليفة بن نافع العنزي :

(١) الصانعين ١٤٧ ، السدة ٢ : ٢٦ ، نهاية الأرب ٧ : ١٤٧ ، أمالي الرافعي ٢ : ٢٤٣

(٢) ديوانه ١٤٦

رجال إذا لم يقبل الحق منهمُ ويعطوه عادوا بالثيوف التواطع  
فالمعنى تم بقوله « ويعطوه » ، ولولاه كان ناقصاً .  
وقال حبيب :

حتى لقد ظنّ الفواة وباطل أنى تجسم في روح السيد<sup>(١)</sup>  
فتمّ الإحسان في المعنى الذي أراد بقوله « وباطل » ، والسيد المحيرى له في الشيعة  
من مذهب ردىء ، والفواة هنا القائلون بالتناسخ . يقول : لإفراط حبه في أهل البيت ،  
توهم الفواة أن روح السيد تجسم في ، وتوهمهم باطل .

### الترديد

هو تعليق الشاعر لفظة في البيت بمعنى ، ثم يرددها فيه بعينها ويعطها بمعنى  
آخر ، وأكثر ما يستعمله المحدثون ، وأجمعوا أن أباحتية النمرى سبق  
إلى الإحسان جميع من تقدمه وتأخر عنه في قوله :

ألا حتى من أجل الحبيب المخانيأ لبسن البلى بما لبسن اللبائيا  
إذا ما انقضى للمرء يوم وليلة نقاضاه شيء لا يملّ التقاضيا

ابتدأ بالمصراع الأول فأحسن الابتداء ، وردّد في المصراع الثاني فأحسن  
في التردد ، ثم ابتدع في البيت الثاني ما ليس لأحد مثله .  
أبو تمام : لا أعلم أحدا أحسن صنعة في التردد من زهير في قوله :

مَنْ يَلْقَ بَوْمًا عَلَى عِلَّاتِهِ هَرِمًا يَلْقَى السَّاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خَلْقًا<sup>(٢)</sup>

الحاتمي : وأحسن الخليع الباهلي في التردد بقوله :  
لقد ملأت عيني بحسن محاسن مَلَأَنَ فَوَادَى لَوْعَةً وَهُؤُمًا

(١) ديوانه ١١٤ .

(٢) ديوانه ٥٣ .

## التجريد

وهو أن يجرّد الشاعر . ووصوفه من صفته ، ويسندھا لأجنبي في الظاهر ،  
وهو يريد الأول في المعنى ، مثل قول الأعشى :

يَاخِرَ مَنْ يَرْكَبُ اللَّطِيَّ وَلَا يَشْرَبُ كَأْسًا بِكَفٍّ مِّنْ بَحَلَا<sup>(١)</sup>  
فظاهره أنه لا يشرب كأسا بكفّ رجل ينسب إلى البخل إنما يشربها بكف  
كريم ، وذلك الكريم هو المدح في المعنى ، فجرّده في الظاهر ، وهو يريد  
بكفّ بحيل من نفسه . وأبو عليّ الفارسي اختار لهذه الصنعة اسم التجريد ، ومنه  
قول طرفة :

جَازَتْ الْبَيْدَ إِلَى أَرْحُلِنَا آخَرَ اللَّيْلِ بَيْعُفُورٍ حَذِرُ<sup>(٢)</sup>  
يعنى بيعفور حذر ، من نفسها . وقال الأختل :

رَبِيعٌ حَيًّا مَا يَسْتَقِلُّ بِحِمْلِهِ سَثُومٌ وَلَا مُسْتَقْنِشَ الْبَعْرِ نَاضِبُهُ<sup>(٣)</sup>  
أى ما يستقل بحمله سثوم من نفسه ، أى ليس بمولود ، وقال النابغة .  
لَمْ يَجْزَمُوا حَسَنَ الْفِئَاءِ وَأَمَهُمْ طَفَعَتْ عَلَيْكَ بَتَائِقُ مِذْكَارٍ<sup>(٤)</sup>

ومما يتعلق بنوع من التجريد قول امرئ القيس : « على لاحب لا يهتدى  
بمناره » . فظاهره أن المنار الذى يهتدى به إلى الطريق لا يهتدى به . وهو فى المعنى  
قد جرّد الطريق من المنار ، وإنما أراد : ليس به منار أصلا ، فليس ثمّ اعتداء ، فنفى  
للسبب الذى هو الاعتداء ، وأثبت السبب الذى هو المنار فى اللفظ ، واتكل على  
قوة دلالة للمنى ، وأن مراده نفى سبب الهداية الذى هو المنار فتفتى الهداية ، ومثله  
قول النابغة :

يَحْفَهُ جَانِبَا نَيْقٍ وَيُقِيمُهُ مِثْلَ الزَّجَاجَةِ لَمْ تُسْكَنْهُ مِنَ الرَّمْدِ<sup>(٥)</sup>

(٢) ديوانه ١٨

(١) ديوانه ٢٢٥

(٣) ديوانه ٢١٩ . مستكنش البحر ، أى لا ينزع ولا يستغرق ماؤه .

(٥) ديوانه ٣٤

(٤) ديوانه ٣٧

أى ليس بهارمد فضعناج إلى كحل .

وقال الراجز :

\* ولم يقلب أرضها البيطارُ \*

وقال الله عز وجل ﴿ ولم يكن له ولي من الدن ﴾ <sup>(١)</sup> وهو كثير في الكلام .

### التتبيع

وهو أن يريد الشاعر معنى فلا يأتي باللفظ الدال عليه ، بل بلفظ تابع له ، فإذا قال التابع أبان عن المتبوع ، وأبدع ما في ذلك قول عمر بن أبي ربيعة :

بَعِيدَةُ مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا لِنَوْفَلِ أَبُوهَا وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٍ

ذهب إلى طول العنق ، فلم يذكره بلفظ خاص به أتى بمعنى دلّ به على طوله ،

وهو قوله : « بعيدة مهوى القرط » . ومثله قول الآخر :

نَعْلَقَ فِي مِثْلِ السَّوَارَى سَيُوفُنَا وَمَا يَنْهَاهَا الْكَفَّ مَهْوَى كَفَانِيفِ

فأراد نعلق سيوفنا في أعناق مثل السوارى في الطول والاعتدال ، وما بين

العنق والكف طول كثير ، فكفى عن طول القامة بغير لفظه الخاص به ، وأبدع

ما في التتبيع قول امرئ القيس :

\* ثَوَمَ الضُّعَى لَمْ تَنْتَلِقَ عَنْ كَهْفَلِ \*

فدلّ على ترفهها ، وأن لها مَنْ يَكْفِيها المونة باللفظ التابع لذلك .

### التبليغ

وسماه قوم الإيغال ، وهو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تلما قبل

انتهائه إلى التافية ، ثم يبلغ التافية بزيادة مفيدة تزيد معنى البيت براعة .

قيل للأصمعي رحمه الله تعالى : مَنْ أَسْمَرُ النَّاسِ ؟ قال : مَنْ بَاتَى إِلَى  
اللفظ الخسيس فيجعله بلفظ حسناً أو ينقصى كلامه قبل القافية فإذا احتاج إليها  
أفاد بها معنى ، مثل قول ذي الرثمة :

أظن الذي يُجَدِّي عليك سؤالها دموعاً كتبديد الجمان المنفصل<sup>(١)</sup>  
فقم كلامه ، ثم احتاج إلى القافية فقال : المنفصل فزاد شيئاً .  
ومن التبليغ قول امرئ القيس :

كَأَنَّ عَيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِيَانَتِنَا وَأَرْحِلُنَا الْجَزْعَ الَّذِي لَمْ يُنْقَبِ<sup>(٢)</sup>  
قد أتى على التشبيه قبل القافية ، وزاد بقوله : « الذي لم يُنْقَبِ » بلوغاً إلى  
الغاية القصوى في الجودة ، وكذلك قوله :

إِذَا مَا جَرَى شَأُونِي وَابْتُلَّ عِطْفُهُ قَوْلَ هَزِيزِ الرِّيحِ مَرَّتْ بِأَنْثَابِ<sup>(٣)</sup>  
فررت بأنثاب زيادة على التشبيه التام ، والأنثاب شجر يكون للريح في أغصانه  
خفيف شديد ، فأفادت الزيادة في التشبيه معنى بديعاً . وقال زهير :  
كَأَنَّ فُتَاتَ الْمَهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ تَرْتَلْنَ بِهِ حَبَّ الْفَنَاءِ لَمْ يُحْطَمِ<sup>(٤)</sup>  
وسمى أصحاب البديع هذه الزيادة في آخر البيت الإيفال والتبليغ ، وفي حشوه  
المبالغة والتميم .

### التصدير

هو أن يبدأ الشاعر بكلمة في البيت ثم يملأها في عجزه ، أو في النصف منه ،  
ثم يرددها في النصف الآخر عنه ، فإذا نظم الشعر على هذه الصنعة أمكن استخراج

(١) ديوانه ٥٠١ وفيه : وكتبذير (٢) ديوانه ٧٣ . والجزع : الخرز

(٣) ديوانه ٤٩

(٤) ديوانه ١٢ . والفناء : شجر ثمره حب أحمر وفيه قطلة سوداء . والمهن : الصوف .

قوافيه قبل أن يطرُق أسمع مستمعيه ، وأحسن ما فيه قول عامر بن الطفيل :  
 وكنتَ سناماً في فزارة نامكا وفي كلِّ قوم ذروة وسنام<sup>(١)</sup>  
 التامك : الشديد ، وقال الآخر<sup>(٢)</sup> :

سريع إلى ابن العمّ يلطم وجهه وليس إلى داعي الندى سريع  
 وقال آخر :

جهول إذا أُرِى الصَّحْمَ بالفقى حليمٌ إذا لم يزر بالحسب الجهلُ  
 والتصدير والترديد للتقدم بسميه كثير من البلغاء رَدَّ الإعجاز إلى العدد .

### الاستثناء

قيل إن أول من بدأ به النابغة ، وأحسن كل الإحسان في قوله :  
 ولا عَيْبَ فيهم غير أن سيوفهم بهنَّ قولٍ من قِراع الكتابِ  
 وهذا كقول الجعدي :  
 فقي كُلتِ أخلاقه غير أنه جواد فائِيق من المال باقياً<sup>(٣)</sup>  
 فقي تمَّ فيه ما يسرَّ صديقه على أن فيه ما يسوء الأعداء  
 ويستحسن قول أبي هفان :

فإن تسألني عتاً فنحنُ حلُّ الملا بني دارم والأرض ذات المناكب<sup>(٤)</sup>  
 ولا عيب فينا غير أن سمأحنا أضربنا والبأس في كل جانب  
 فأفنى الردى أعمارنا غير ظالم وأفنى الندى أموالنا غير غائب  
 ويسرى هذا تأكيد المدح بما يشبه الذم .

(١) ديوانه ١٢٦ .

(٢) هو النيرة بن عبد الله المروفي بالأبيض والبيت في تحرير التحجيج ١١٦

(٣) ديوانه ٦

(٤) ديوانه ١٧٣

### الالتفات

إسحاق اللوصلي قال : قال لي الأصبى رحمه الله تعالى : أتعرف الالتفات جرير ؟  
قلت : لا ، فأنتدني :

أُنسى إذ تودّعني سُلَيْبِي      يبطن بشامة سُنِّي البَشَامُ<sup>(١)</sup>  
الأتراه مقبلا على شعره ، ثم التفت إلى البَشَام فدعاه !

### الاعتراض

ويسمى الالتفات ، وهو أن يكون الشاعر آخذاً في معنى ، فيعدل عنه  
آخذاً في غيره قبل أن يتم الأول ، ثم يعود إليه فيتمّه ، فيكون فيها عدل إليه بمبالغة  
في الأول وزيادة في حسنه .

قال ابن المعتز : الالتفات انصرافُ المتكلم عن الإخبار إلى مخاطبة ، وعن  
المخاطبة إلى الإخبار ، ومن أحسن ما في قول ذلك قولُ النابغة :  
ألا زعمتُ بنو عبس بَأَنِي - ألا كذبت - كبير السنّ فإن

وقبل : بل قول كثير :

تَوْنُ الباخلين وأنتِ منهم      رأوكَ تَعلّموا منكِ المطايا<sup>(٢)</sup>  
قوله : « ألا كذبت » وقوله : « وأنتِ منهم » اعتراض بين أول  
الكلام وآخره ، وفيه زيادة حسنة ، ويستحسن قول الآخر :  
فإني إن أخطك يفتك مِنِّي      فلا يسبق به عِلْقُ نَظِيرِ

(١) ديوانه ١٢٠

(٢) ملحني ديوانه ٥٠٧ ، وفيه : « اللالاء »



ف قوله : « فلا تسبق به » اعتراض لطيف في معناه وموضعه، ويسى هذا أيضاً  
وما تقدم من قول طرفة الحشو المفيد .  
ومنه قول الأخطل :

وأقسم المجد حقاً لا يحالفهم حتى يحالف بطن الراحة الشمر<sup>(١)</sup>  
قوله : « حقاً » حشو أدام معنى حسناً ، وكذلك قول امرئ القيس :  
كَانَ عُيُونُ الْوَحْشِ حَوْلَ خِيَانَتِنَا وَأَرْحَلُنَا الْجَزَعُ الْقَدَى لَمْ يُثَقِّبِ<sup>(٢)</sup>  
لحول خيانتنا وأرحلنا لوسط لكان التشبيه تاماً والوزن ناقصاً ، فأورده  
حشواً ، وفيه زيادة بارعة رائعة ، وهى الإخبار عن كثرة الصيد والتمدح بأنه  
مرزوق في صيده ، وما أحسن قول ابن المعتز رحمه الله تعالى :

وخيل طواها السَّيْرُ حَقَّى كَأَنهَا أَنَايِبُ مُنْمَرٍ مِنْ قَنَا اْخِلَطُ ذَبَلِ<sup>(٣)</sup>  
صَبَبْنَا عَلَيْهَا ظَالِلِينَ سَيَاطِنًا فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ خِيفَ وَأَرْجُلُ  
فوق « ظاللين » أحسن موقع لأنه تقي بذلك عنها هجعة البطء ، وأخذه من  
قول أعرابي :

وعود قليل الذنب عاودتُ ضربه إذا هاج شوقي من مَمْلَعِدِهَا ذَكْرُ  
وقلت له ذلقاء ونحكك سببت لك الضرب ، فاصبر إن عادتك الصبر  
فحسنة ابن المعتز ما شاء . وأما الحشو التبيح ، فكقول أوس بن حجر :  
وَهُمْ لَمُتْلُ لَلَالِ أَوْلَادُ عَلَقٍ وَإِنْ كَانَ مَحْضًا فِي الْمَوْمَةِ مُخَوَّلًا<sup>(٤)</sup>  
فذكره للمال مع قوله : « مقل » حشواً فائده فيه ، وكذلك قول المهمل<sup>(٥)</sup>  
رحمه الله :

(١) ديوانه ١١٢ . (٢) ديوانه ٥٣ .  
(٣) نهاية الأوب ١١ : ٥٩ ، ديوان الماتى ٢ : ١٠٧ .  
(٤) ديوانه ٩١ .  
(٥) هو أبو اليال المهمل .

ذكرت أخى فساودنى صداع الرأس والوصب<sup>(١)</sup>  
 فذكر الرأس مع الصداع حشولا فائدة فيه ، وأهجن منه قول الأعشى :  
 فرميت غفلة قلبي عن شأنه فأصبت حبة قلبها وطلحالما<sup>(٢)</sup>  
 فذكره ذكر القلب لا فائدة فيه ، وهجنه بذكر «طلحالما» . ودون هذا  
 قول ديك الجن :

فتنفت في البيت إذ مزجت بالماء واستلت سنا الذهب<sup>(٣)</sup>  
 كتفتس الريحان مازجه ما ورد جور ناصر الشيب  
 فذكر الماء مع المزج حشولا فائدة فيه ، وأخذه من قول أبي نواس :  
 سلبوا قناع الطين عن رمي حتى الحياة مشارف الخلف<sup>(٤)</sup>  
 فتنفت في البيت إذ مزجت كتفتس الريحان في الأنف  
 فلم يذكر أبو نواس الماء مع المزج ، وذكره ديك الجن قصر عنه ، وزاد  
 الحسن عليه بذكر الأنف حسنا . وذكر ديك الجن ماء الورد مع الريحان ولم يذكره  
 الحسن ، لأن ذكاء الريحان أكثر ما يكون إذا أصابه بلل ، لكنه في ذكره ماء  
 الورد زيادة معنى بلا شك ، إلا أنه قد انضاف إليها الصوب للتقدمة . ومع هذا  
 فالحسن قد استوفى المعنى في بيت واحد ، وديك الجن في بيتين ، وصاحب بيت  
 أبدا عندهم بافقا أشعر ، كقول امرئ القيس :

أراهن لا يحبني من قل ماله ولا من رأين الشيب فيه وقوسا<sup>(٥)</sup>  
 فما احتوى عليه هذا البيت ، أتى به علقمة في ثلاثة أبيات مشهورة ، وإن  
 كان للمعنى أبسط وأجل فالفضل لصاحب البيت ، والزمان واحد ، لأن من قال  
 علقمة مرقه قد أخطأ ، فأما إذا كان السابق مستوفى للمعنى في بيت واحد ، وبسوقه

(١) ديوان الهذليين ٢ : ٢٤٢ (٢) ديوانه ٢٧ .

(٣) ٢٠٩ (٤) ديوانه ٣٠٣ .

(٥) ديوانه ١٠٧ .

للتأخر في أبيات فالكلام في هذا، كقول امرئ القيس :

نَمْشُ بِأَعْرَافِ الْجِيَادِ أَكُفْنَا إِذَا نَحْنُ قَنَاعِنُ شِوَاءَ مُضْمَرٍ<sup>(١)</sup>  
أَخَذَهُ عَبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ قَالَ :

لَمَّا نَزَلْنَا نَصَبْنَا ظِلَّ أَخْبِيَّةٍ وَفَارَ بِاللَّحْمِ لِلْقَوْمِ لِلرَّاجِلِ<sup>(٢)</sup>  
وَرَدَّ وَأَشْفَرُ لَمْ يُنْهِنْهُ طَائِحُهُ مَا غَيَّرَ النَّفْلُ مِنْهُ فَهُوَ مَا كَوَّلُ  
تَمَّتْ قُفْمَنَا إِلَى جُرْدٍ مَسْرُومَةٍ أَعْرَافَهُنَّ لِأَيْدِينَا مَنَادِيلُ

وقال عبد الملك يوماً لجلسائه ، وكان يجتنب غير الأدباء : ما خير للناديل ؟  
قال قائل : منايل مصر كأنها قفيض البيض ، وقال آخر : مناديل اليمن ، كأنها  
أنوار الربيع ، قال عبد الملك : ما صنعتما شيئاً ، أفضل للناديل ما قال أخوتكم  
- بمعنى عبدة - وأنشد الأبيات ، وهي مع جودتها قصّرت عن بيت امرئ القيس .  
وكذلك قول طرفة :

نَطْرُدُ التُّرْبَ بَحَرٍّ صَادِقٍ وَعَلَيْكَ الْقَيْظُ إِنْ جَاءَ بُقْرٌ<sup>(٣)</sup>  
وقال الأعشى :

وَتَبْرَدَ بَرْدَ رِءَاءِ الرُّوِّ مِنَ الصَّيْفِ رَقْرَقَتْ فِيهِ الْعَبِيرُ<sup>(٤)</sup>  
وتسغن أيلة لا يستطيعُ نبأها بها الكلبُ إلا هرباً

### الاستطراد

البحرئى : أنشد أبو تمام لنفسه يهجو عثمان بن إدريس الشامي :  
وسابح هلال القمء هتان على الجراء أمين غير خزان<sup>(٥)</sup>  
أخلى الفصوص ولم تظلم قوائمه فخل عينيك في ظمان ريانو

(١) ديوانه ٥٤ (٢) المفضليات ١٤١ وفيها : « رفنا ظل أردية »

(٣) ديوانه ٧٣ والطيب : الشديد المر

(٤) ديوانه ٩٥

(٥) ديوانه ٤ : ٤٣٤ (طبع للماروف) .

فلو تراه مُشِجًا والحصى فِلَقٌ بين السنايك من مَثَقَى وَوَحْدَانٍ  
أيقنت إن لم تَبَّتْ أن حافره من صَخَرٍ تدمر أو من وَجْهِ عِثَانٍ  
نم قال : ما هنا من الشر ! قلت : لأدرى ، قال : هذا هو الاستطراد ، قلت :  
فامنى ذلك ؟ قال : يريك وصف الفرس ، وهو يريد هجاء عِثَانٍ ، فأخذ  
البحترى ، قال في فرس :

يهوى كاتهرى الثقاب وقدرأت صيدًا وينقض انقضاء الأجل<sup>(١)</sup>  
ما إن يعاف قذَى ولو أوردته يوما خلائق حدوده الأحول  
وكان حدوده عدوًا لمُدوِّحه ، فاستطرد به . ويقال : إن البحترى لما عيّر  
بسرقه هذا البيت أزاله من شعره . وقال دِعْبَل :

فلو أنى أصبحت في جود مالك وعزته ما نال ذلك مطلي<sup>(٢)</sup>  
ففى شقيت أمواله بساحه كما شقيت قيس بأرماع تغلب  
فخرج في استطارده من مدح إلى ذم ، وهو متلوب استطاد زهير في قوله :  
إن البغيل ملوم حيث كان ولـ كـن الجواد على علاته هـرم<sup>(٣)</sup>  
فخرج من ذم إلى مدح . وقال جرير :

ترى برصًا بجميع إشتكئيه كعنفقة الفرزدق حين شابا<sup>(٤)</sup>  
والسابق إلى هذا المعنى والناس له تبع السموهـل حيث قال :  
وإنما أناس لا نرى القتل سبّة إذا ما رأته عامرٌ وسؤلُ<sup>(٥)</sup>  
وما يُصعّسن ، قول بشار :

خليلى من كُفّ أعينا آخاكا على دَهره ، إن الكَريم مُعين<sup>(٦)</sup>  
ولا تبغلا بخل ابن قذعة إنه مخافة أن يُرحى نداء حزين

(١) ديوانه ١٧٤٥ ، وفيه : « ويتصب اتمصاب »

(٢) ديوانه ٢٦٦ ، وقوله من المريعى .

(٣) ديوانه ١٥٢ (٤) ديوانه ٦٩ ، والعنفقة : ما بين القرن وطرف الشفة السفلى -

(٥) ديوان الخامسة - بصرح التبريزى ٤ : ١١١

(٦) ديوانه ٩٧ ( مطبعة الشباب )

إذا جثته في حاجة سدّ بابَه فلا تَلْقَهُ إِلَّا وَأَنْتَ كَيِّنُ  
 هَفَّ على هذه الجملة من صناعة البديع ، فيها كفاية بمون الله سبحانه وتعالى :  
 وأما قوله : فبرز الشيخ مجلياً ، وتلاه الفتى مصلياً ، فأصل ذلك في الخليل .  
 ونذكر من ذلك جملة تليق بهذا الموضع ، وينتظم المجلي والمصلي في حكاية الرشيد  
 مع المأمون .

### [ حكاية فرسي الرشيد والمأمون ]

وذلك أن الرشيد أجزى الخليل يوماً بالزّقة فوق متلوما حتى طلعت ، فإذا  
 في أولها فرسان في عِنان واحد ، فأملها ، فقال : فرسي والله . ثم تأمل وقال :  
 وفرس ابني عبد الله ، فجاء الفرسان أمام الخليل ؛ فرسه السابق وفرس المأمون  
 المصلي ، فسرّ بذلك الرشيد سروراً عظيماً . قال الأصمعي : قلت للفضل : يا أبا  
 البلس ، هذا من أيامي ، فاحتل حتى توصلني ، قال الفضل : يا أمير المؤمنين ،  
 إن الأصمعي قد أعدّ في أمر الفرسين شيئاً يريد به سرور أمير المؤمنين ، قال :  
 هات يا أصمعي ، قلت : يا أمير المؤمنين ، كنت وابنك اليوم وفرسا كما ، كما  
 قالت الخنساء - وقد قيل لها : كيف تفضّلين أخاك على أهلك ؟ فقالت :

جَارِي أَبَاهُ فَأَقْبَلَا وَمَا يَتَمَارَانُ مُلَاةَ الْخَضِرِ (١)  
 وَمَا كَانَهُمَا وَقَدْ بَرَزَا صَقْرَانِ قَدْ حَطَّآ إِلَى وَكْرٍ  
 حَتَّى إِذَا جَدَّ الْجِرَاءُ وَقَدْ سَاوَتْ هُنَاكَ الْفُئُورُ بِالْغُدُرِ  
 وَعَلَا هَتَافُ النَّاسِ : أَيُّهُمَا ؟ قَالَ الْحَبِيبُ هُنَاكَ : لَا أَدْرِي  
 بَرَقَتْ صَحْفَةُ وَجْهِهِ وَمَضَى عَلَى غُلُوَاتِهِ يَجْرِي  
 أَوْلَى فَأَوْلَى أَنْ يَسَاوِيَهُ لَوْلَا جَلَالُ السَّنِّ وَالْكِبَرِ  
 قِيلَ لِأَبْنَى عُبَيْدٍ : لَيْسَ هَذَا فِي مَجْمُوعِ شَرِّهَا ، قَالَ : الْعَامَّةُ أَسْقَطُ مِنْ أَنْ  
 يَجُودُوا عَلَيْهَا مِثْلَ هَذَا . قَوْلُهَا : « مُلَاةَ الْخَضِرِ » تعني بها غُبْرَةَ الفرسين التي أثارها

جملتها كلعفة يرتديانها ويتجاذبانها . وسياق مَنْ أَخَذَ مِنْهَا الْمَعْنَى وَمَنْ سَبَقَ إِلَيْهِ فِي الْأَرْبَعِينَ .

### [مراتب الخليل في الحلبة]

ومراتب الخليل في الحلبة : السابق منها يسمى المجلّى ثم المصلّى ثم المسلّى ، ثم التالى ثم الأرتاح ثم العاطف ثم الحظّى ، ثم المؤمّل ، ثم العظيم ، ثم الشكّيت . قال الأصمى وأبو عبيدة : لم نسمع في سوابق الخليل اسماً لشيء منها ممن يوثق بطله إلا الثانى واسمه المصلّى . قال الأصمى ، هو من الصّلا وهو جانب ذَنْبِهِ . والماثر واسمه الشكّيت ، وما سواهما فإنما يسمى الثالث والرابع إلى التسع .

وكان عند المتقى المباشى فقيّ راوية للخبر والشريّ أنس به ، فقال ليلة لجلسائه : عودوا إلى ذكر الخليل ، فقال الفقى : يا أمير المؤمنين ، حدثني كلاب بن حمزة الغليلي : قال : كانت العرب ترسل خيلها أراسيل ، عشرة عشرة ، والقصب سبعة سبعة ، فلا يدخل الحجر من الخليل إلا ثمانية : الأوّل السابق المجلّى لأنه جلى عن وجه صاحبه السكر . والثانى المصلّى لأنه وضع جففتيه على قِطَاةِ المجلّى ، وهو صلاه ، والصّلا عَجَبُ الذَّنْبِ . والثالث للسّى ؛ لأنه كان شريكاً في السابق فقلّى عن صاحبه بعضُهم . والرابع التالى ، لأنه تلا للسّى دون غيره ، والغلام للرتاح وهو للقتل من الراحة ، لأنّ في الراحة خمس أصابع ، فلما كان الغلام على خامسة الأصابع سعى مرتاحاً . والسادس حظّى ، لأنه نال حظاً فحظّى به وإن قلّ ، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى السادس نصيباً وهو آخر حظوظ الحلبة ، وسعى السابع العاطف لدخوله الحجر لأنه قد عطف بشيء وإن خَسَ إذ كان قد دخل الحجر ، الثامن للمؤمّل ، على القلب والتناول ، كما سعى اللدّيع سايماً فسمى مؤملاً لقربه من ذوات الحظوظ . التاسع العظيم ، لأنه لورام الحجر لِعِظَمِ دونها ، لأنه أعظم جرماً من السابع والثامن . العاشر الشكّيت ،

لأن صاحبه يملوه خشوع وذلة ويسكت خزيًا وعيًا ، وكانوا يحيطون في عنقه حبلاً ،  
ويحملون عليه فرداً يركضه ليميز بذلك صاحبه .

أبو عبيدة يشدد التكتيت ، وسمى سكتيًا لأنه آخر المدد الذي يقف عليه  
العاذ والتكت الوقوف ، وسميت حلبة ، لأن العرب تحلب إليها خيولها  
أى تضغرها .

وأنشد ابن الأنباري أبياتاً تجمعها وهي قوله :

جاء المجلى والصلّى بعده ثم السلى بمده واتلى  
والخامس الرتاح ينقص عدوه والعاطف الصّال كالزّنبال  
نسقا وقاد حظيها في صهوة ذاك للؤمل غير ذى الأشكال  
ثم اللطيم يقودها بحميمها قبل التكتيت العاشر الذّيبال  
[ أشعار في وصف الخيل ]

ونذكر هنا جملة مقاطيع في أوصاف الخيل بكل بها الغرض المقصود ، قال  
امرؤ القيس :

إذا ماركنبنا قال ولدان أهينا تعالوا إلى أن يأتينا الصيد نخطب<sup>(١)</sup>  
وقال حمارة بن عقيل :

وأرى الوحش في يميني إذاماً كان يوماً عنائه بشالي  
وقال حبيب :

مخاق وجّهه على السبق تخليق عروس الأبناء للعرس<sup>(٢)</sup>  
تقتل عسراً من النعام به بواحد الشد واحد النفس

(١) ديوانه ٣٨٩

(٢) ديوانه ١٦٩ ، ١٧

وقال أيضاً :

لَبَّ زَارَ مِيدَانًا مَضَى سَابِقًا      أَوْ نَادِيًا قَامَ إِلَيْهِ الْجُلُوسُ<sup>(١)</sup>  
 نَرَى رِزَانَ الْقَوْمِ قَدْ اسْتَجَبَتْ      أَعْيُنُهُمْ فِي حُسْنِهِ وَهِيَ شُوسُ  
 كَأَنَّا لَاحَ لَهْمَ بَارِقٍ      فِي الْمَحَلِّ أَوْزُقَتْ إِلَيْهِمْ عَرُوسُ  
 سَامٍ إِذَا اسْتَمَرَّتْهُ زَانِسَ      أَعْلَى ، رَطِيبٌ وَقَرَارٌ بَيْسُ  
 كَأَنَّمَا خَامِرُهُ أَوْلَقُ      أَوْ عَارِضَتْ هَامَتُهُ الْخَنْدَرِسُ  
 عَوْدَهُ الْخَاسِدَ بَخْلًا بِهِ      وَرَفَرَقَتْ خَوْفًا عَلَيْهِ النَّفُوسُ

وقال البعترى :

وَأَغْرَى فِي الزَّمَنِ الْبَهِيمِ مَحْجَلٍ      قَدْ رُحْتُ مِنْهُ عَلَى أَغْرَى مَحْجَلٍ<sup>(٢)</sup>  
 كَأَلْيَكُلِ اللَّبَى إِلَّا أَنَّهُ      فِي الْحُسْنِ جَاءَ كَسُودَةٍ فِي هَيْكَلِ  
 ذَنْبٌ كَأَسْحَبِ الرِّدَاءِ يَذُبُّ عَنْ      عُرْفٍ ، وَعَرَفَ كَالرِّدَاءِ الْمَسْبَلِ  
 تَتَوَقَّمُ الْجُوزَاءُ فِي أُرْسَائِهِ      وَالْبَسْدَرُ غُرَّةٌ وَجْهَهُ لِلتَّهْلِيلِ  
 وَتَرَاهُ يَنْطَلِعُ فِي النَّهَارِ لَهْيُهُ      لَوْنًا وَشَدًّا كَالْحَرِيقِ لِلشَّعْلِ  
 هَزَجَ الصَّهْلُ كَأَنَّهُ فِي نَفْسَاتِهِ      هَزَاتُ مَمِيدٍ فِي الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ  
 مَلَكُ الْمَيُونِ فَإِنْ بَدَأَ أَعْطَيْنَهُ      نَظَرَ الْحَبِّ إِلَى الْحَبِيبِ الْقَبْلِ

وقال عبد الله بن المعتز :

وَقَدْ وَطِئْتُ النِّيثَ بِحِمْلِي      طَرَفٌ كُلُّونِ الصَّبْحِ حِينَ وَقَدَّ<sup>(٣)</sup>  
 يَمْشِي وَيَسْرِضُ فِي الْعِنَانِ كَمَا      صَدَفَ لِلشَّقِّ ذُو الدَّلَالِ وَصَدَّ  
 جَمَاعَ أَطْرَافِ السُّوَارِ فَمَا أَلَّ      أُخْرَى عَلَيْهِ إِذَا جَرَى بِأَشَدِّ

(٢) ديوانه ١٧٤٤ .

(١) ديوانه ١٧٩ .

(٣) زهر الآداب ١٧٧ ، القصد ١ : ٢٠٦ .



بلّ المها بدمائهنّ ولمّ  
وكانه موج يذوب إذا  
يتلّ منه بالحجم جدّ  
أطلقته وإذا حسبت جدّ  
وقال المتنبي :

وعيني إلى أذنّي أغرّ كأنه  
له فضلة عن جسمه في إهابه  
من الليل باقٍ بين عينيه كوكب<sup>(١)</sup>  
تجىء على صدر رحيب وتذهب  
شقتُ به الظلاء أدني عيانه  
فيطنى وأرخيه مراراً فيلبّ  
وأسرع أئى الوحش قفنيته به  
وأنزل عنه مثله حين أركب  
وما أخيلُ إلا كالصديق قليلة  
وإن كثرت في عين من لا يجرب  
إذا لم تعين غير حُسنٍ شيأها  
وأعضائها فالحسن عنك مغيب

وقال ابن نباتة يصف فرساً أغرّ حله سيف الدولة عليه :

قد جاءنا الطّرف الذى أهديته  
هاديه يقعد أرضه بجانه<sup>(٢)</sup>  
تحتال منه على أغرّ محجل  
ماء الدياجى قطرة من مائه  
وكأنما لطم الصباح جبينه  
فاقتصر منه فغاض في أحشائه  
لاتلقى الأحاظ في أعطائه  
إلا إذا كفكفت من غلوائه  
وقال أيضاً :

وأدم يستمدّ الليل منه  
سرى خلف الصباح بطير مشياً  
وتطلع بين عينيه الثريا<sup>(٣)</sup>  
ويطوى خلفه الأفلاك طياً  
فلما خاف وشك القوت منه  
تثبت بالقوائم والحيّا

وقال أبو منصور<sup>(٤)</sup>، يخاطب أبا الفضل الميكالى :

يا مُهْدِي الطّرف الجواد كأنما قد أنعلوه بالرياح الأربع<sup>(٥)</sup>

(١) هو ابن نباتة السعدي ، نهاية الأرب ١٠ : ٦٤ .

(٢) هو أبو منصور التتالي .

(٣) ديوانه : ١ : ١٧٩ .

(٤) نهاية الأرب ١٠ : ٦٤ .

(٥) مساهمة القصص ٢ : ٢٧٠ .

لا شيء أسرع منه إلا خاطري  
ولو أنني أنصفت في إكرامه  
أفضمته حبّ القلوب لحبه  
وخلعت ثم قطعت غير مضيق  
في شكر نائلك اللطيف الموقر  
لجلال مُهْدِيهِ السَّكْرَمِ الأَرْوَعِ  
وجعلت مربيته سواد الأذم  
بُرْدَ الشَّبابِ لجله والبرقع

وقال القسطلی :

سامي التَّليْلِ كأنَّ عَقدَ عذاره  
يَهْدِي بِمِثْلِ التَّرْقُودَيْنِ وَنابَ عَنْ  
فَكَأَنَّمَا أَطَا الأَبَاطِحَ والرُّبَا  
وكَأَنَّهُ مِنْ تَحْتِ سَوَاطِي خَارِجًا  
في رَأْسِ غِصْنِ البَانَةِ المَيَادِ (١)  
رعى السَّمَّاءَ بقلبه الوقارِ  
بُعْثَابِ شَاهِقَةٍ وَحَيَّةٍ وَادِ  
في الرُّوْعِ شَعْلَةَ قَادِحٍ بَزَنَادِ

ولأبي تمام الأندلسي :

وأقْبَ تَنَقَّدَ البروقُ إِذَا جَرَى  
مَلَكَ الرِّيحِ قَوَائِمًا فَجَرَى بِهَا  
من غِيظِهَا حَسَدًا بَأَن لَمْ تَلْحَقِ  
فِيكَاد يَأْخُذُ مَفْرَبًا مِنْ مَشْرِقِ

وقال فيه أيضا :

وَتَحَقَّى رِيحَ تَسْبِقِ الرِّيحِ إِنْ جَرَتْ  
لَهُ فِي الْمَدَى سَبْقٌ إِلَى كُلِّ غَايَةٍ  
وَهَمَّتْ نَفْسُ نَزْهَتِهَا عَنِ الرِّوَى  
فِيَا عَجَبًا، حَتَّى الْمَلَا فِي الْبِهَائِمِ !  
وما خَلْتُ أَنَّ الرِّيحَ ذَاتُ قَوَائِمِ  
كَأَنَّ لَنَا فِيهِ نَفْوَذَ عِزَائِمِ

وكان للمتوكل ببطليوس فرس أخضر أغرّ عجّل على كَفَلِهِ ست قط  
بيض ، فبذل كل شاعر في وصفه جهده ، فاسبق النّاية إلا البجليّ بقوله :  
حلّ البدر جوادٌ سابحٌ    قفّ الرّيح لأدنى مهله

وكانَ الصَّبحُ قد خاضَ به فِداً تَحجِله مِن بَلَلِهِ  
لبسَ اللَّيلَ قِيصاً سابِغاً فالثَّريّاً قَطْ في كَفَلِهِ  
كُلَّ مَطْلُوبٍ وإن طالتَ به رِجلُهُ مِن أَجلِهِ في أَجلِهِ  
والبابُ لا يَدْخُلُ تحتَ الحِصْرِ ، فَانْكَفِ بهذا القَدَرِ .

\*\*\*

فلَمَّا أنشَدَها الوالى مَترامِليْن ، بُهِتَ لِدَكا، نِهايَ المتعادِلَينِ .  
وقالَ : أَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنَّكَما فَرَقَدَا سَماهُ ؛ وَكَرَّ نَدَينِ في وِعا ، وَأَنَّ  
هَذا الحَدَثَ لَيُنْفِقُ بِما آتاهُ اللهُ ، وَيَسْتَعْنِي بِوُجْدِهِ عَمَّنْ سِواهُ .  
فَنُصِبَ أَيُّها الشَّيْخُ مِن اتِّهامِهِ ، وَثُبَّ إلى إِكرامِهِ .  
فقالَ الشَّيْخُ : هِيباتُ أَنْ تراجِعَهُ مِقَتِي ، أَوْ تَمَلِّقَ بِهِ ثِقَتِي . وَقَدْ  
بَلَوْتُ كُفْرانَهُ لِلصَّليحِ ؛ وَمُنِيتُ مِنْهُ بِالْمُعْقوقِ الشَّيْعِ . فَاعترضَهُ  
الفتى وقالَ : يا هَذا ، إِنَّ اللِّجَاجَ شَوْمٌ ، وَالْحَنَقُ لُؤْمٌ ، وَتَعْقِيقُ  
الظُّلْمَةِ إِيْمٌ ، وإِغْناةُ البَرى ظُلْمٌ . وَهَبْنِي أَقْتَرَفْتُ جَرِيرَةَ ، أَوْ  
اجْتَرَحْتُ كَبِيرَةَ ؛ أَمّا تَذَكُّرُ ما أنشَدَ نَتِى لِنَفْسِكَ ، في إِبْيانِ  
أُنَيْكَ :

\*\*\*

قوله : « بِهِتَ » أى تَعَيَّرَ . المتعادِلينِ : التَّماثلينِ ، وشَبَّها بالفرقَدينِ لِرَفْعَتِهما  
وتَوَقُّدِهما ، وأَخَذَ الحَريرى هَذا التَّشْبِيهَ مِنَ البَحْرى في قولِهِ :

• كالفرقدين إذا تأمل ناظر •

وَتَقَدَّمَ في الثَّانِيَةِ ، وبِالزَّنادينِ لِمَا فيهِما مِنَ النارِ ، وفي هَذينِ مِنَ القِكا . وجعلَهما  
في وِعا ، يَريدُ : مَتى التَّمَسُّهُما الإنسانَ وَجَدَ فيما وَقَّتَ عَلَيهِ يَدَهُ حاجَتَهُ .

وَجَدَهُ: غناه وماعنده من العلم . ثب : ارجع . هيهات ، معناها بُد . مَقِي: محبتي . تعلق به قتي، يريد : لا أوثق به بعد ما جرّبه ، وبلوت كفرانه للصنيع، أى جرّبت قلة شكره لقمل الجليل معه . مُنِيت . بليت . العقوق : المقاطعة . الشنيع : المشتهر بالقيبح .

### [فصل فى كفران الصنيع]

ونسوق هنا فى كفران الصنيع فصلا يليق بهذا الموضع . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من عباد الله » باد لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يذكهم ولا ينظر إليهم . قلنا : مَنْ أولئك يا رسول الله ؟ قال : « المتبرئ من والدیه رغبة عنهما ، والمتبرئ من ولده ، ورجل أنعم الله عليه ف كفرها » .

وفى التوراة : من صنم معروف إلى أحق فى خطيئة تُكسب عليه .

وقال الحجاج لابن الكلبي: أخبرني عن خمسة أشياء أُضيعت فى الدنيا . قال: نعم أصلح الله الأمير! سراج يوقد فى شمس ، ومطر جود فى أرض سبخة ، وامرأة حسناء تُزف إلى عَتِين ، وطعام اجتهد صاحبه فى صنفته فقدمه إلى سكران أو شبان ، ومعروف تصنعه إلى رجل لا يشكره عليه .

عائشة رضى الله عنها: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا تنفع الصنعة إلا عند ذى حسب ودين ، كما لا تنفع الرياضة إلا فى نجيب » .

للدائى : خرج فتیان فى صيد لهم فأتاروا ضبعة فنفرت ومرت ، فاتبعوها ، فلجأت إلى بيت رجل ، فخرج إليهم بالسيف مسلواً ، فقالوا له : يا عبد الله ، لِمَ تمنعنا من صيدنا ؟ قال : إياها استجارت بى . نخلوا بينها وبينه ، فنظر إليها فإذا هى مهزولة مضرورة ، فحمل يقيها الابن صبوحةً ومَتِيلاً وغبوقاً ، حتى سمعت وحسنت حالها ، فبينما هو ذات يوم متجرد عدّت عليه فشقت بطنه وشربت دمه ، فقال ابن عم له :

ومن يَصْنَعُ المعروف في غير أهله يلاقى الذي لا تقي مجير أم عامر<sup>(١)</sup>  
أعد لها لما استجارت بقربه مع الأمن ألبان اللقاح الدوائر  
فأشبعها حتى إذا ما تمسكت فرته بانياب لها وأظافر  
قل لدوى المعروف، هذا جزاء من يؤجّه معروفاً إلى غير شاكر

وعن جابر رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا أراد الله بعبده خيراً جعل صناعته ومعروفه في أهل الحفاظ ، وإذا أراد به سوءاً جعلها في أهل المضائق» وقال حسان :

إن الصنعة لا تكون صنعة حتى يصاب بها طريق الصنع  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدقت . وأنشد عبد الله بن جعفر  
هذا البيت قال : هذا رجل يريد أن يبخل الناس ؛ أمطر المعروف مطراً ، فإن  
صدفت موضعه فهو الذي قصدت ، وإلا فكنت أحق به .

قل ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : لا يرهدنك في المعروف كفر من كفره ، فإنه يشكره عليه من لم تصنعه إليه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اصنع المعروف إلى من هو أهله ، وإلى من ليس أهله ، فإن أصبت أهله فقد أصبت أهله ، وإن لم تصب أهله فأنت أهله» . وقد قال الحريري بعد هذا :

واحفظ صديقك عنده شكر الصنعة أم غمظ  
أى لا تفسد معروفك بالن ; شكره من أنمت عليه أم كفره . وغمظ :  
ستر . وهو عند شكر .

قوله: اعترضه، أى واجبه وقابله: شؤم: نحس وطيرة: الحنق: الغضب. الظنة: التهمة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث لازمات أمتى: سوء الفطن، والحسد، والطيرة». قيل: ما يذهبن؟ قال: «إذا ظننت فلا تحقق، وإذا حدثت فاستغفر، وإذا تطيرت فامض». إعنات: مشقة. هبى: احسبى. اقترفت واجترحت، معناها أكتسبت. جريرة: جناية. إبان أنسك، أى وقت أنسى بك.

\* \* \*

سامح أخاك إذا خلط منه الإساءة بالغلط  
وتجاف عن تنقيفه إن زاعج يوماً أو قسط  
واحفظ صنيعك عنده شكر الصنيعة أم غلط  
وأطعمه إن عاصى وهن إن عزّ واذن إذا شحط  
واقن الوفاء ولو أخل بما اشترطت وما اشترط  
واعلم بأنك إن طلبت مهذباً رمت الشطط  
من ذا الذى ماساء قط ومن له الحسنى فقط  
أوما ترى المحبوب والمكروه لزأفى نهط  
كالشوك يندوفى العصور ن مع الجنى الملتقط  
ولذاذة العمر الطور يل يشوبها نص الشطط  
ولوا تقدت بنى الزما ن وجدت أكثرهم سقط  
رُضت البلاغة والبرا عة والشجاعة والخطط  
فوجدت أحسن ما يرى ستر العلوم ممّا فقط

\* \* \*

تجاف: تباعد. تنقيفه: لومه. زاعج: مال. قسط: جابر.

وقوله: **وَمَنْ إِنْ عَزَّ**، لفظ المثل: إذا عز أخوك فهن، **يُرْوَى** بضم الهاء وكسرهما، **فَالْقَمَّ** من هان يهون، قال ابن أحر: **ذَبَبْتُ** لما الضراء **وَقُلْتُ** أبقى إذا رز ابن عك أن تهوئاً<sup>(١)</sup> ورواه بالكسر أبو عبيد وطلب، وقال أبو عبيد: معناه أن ميامرتك صدقت ليست بضمير ركبك، فدخلك منه حمية، إنما هو حسن خلق وتفصل منك، فإذا عاسرك فياسره، فالضم الذي ذكر هو المowan بعينه. قال ابن درستويه: معناه إذا صار أخوك عزيزاً قوياً عليك فأطعته واخضع له، تسلم من ظله. رواية الكسر من هان يهين، ويكون معنى عز تصعب واشتد لا من العزة، ومعناه إذا صعب أخوك فلن له، والمثل لهذا بن هبيرة؛ وسببه أنه أغار على ضبة فنقم، وأقبل بالغنم، فقال له أصحابه: أقسمنا بيننا، فقال: أخاف أن يدرككم الطلب، فأبوا، فمنداها قال للمثل، ونزل قسمها

قوله شحط، أي بعد. وأقن الوفاء: أي الزمه، وقنيت الحياء بكسر النون أقتنيه قنياناً، ألزمته. أخل: نقص. بما اشترطت وما اشترط، أي بما جاملت بينكما من علامة، ومنه أشرط الساعة أي علاماتها ومنه الشرط لأن لهم علامة يعرفون بها. مهذباً: مخلصاً. والشطط: محاوزة القدر، قال الفضيل بن عياض: من طلب أcha بلا عيب بقي بلا أخ.

قال الحارث المحاسبي: ثلاثة أشياء عزيزة أو معدومة: حسن الوجه مع الصيانة، وحسن الخلق مع الديانة، وحسن الإخاء مع الأمانة. وقال النابغة: ولست بمستبق أcha لا تلتقه على شعير، أي الرجال المهذب<sup>(٢)</sup> وقال يزيد بن محمد المهلب:

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْمَى سَجَاياه كُلها كفى المرء فضلاً أن تعدَّ صماييه<sup>(٣)</sup>

(١) فصل اللال لأبي عبيد ١٩٦.

(٢) ديوانه ٥.

(٣) ط: الباهل، تحريف. والبيت في زهر الآداب ٧٥٥، نهاية الأرب ٣: ٩٤.

قوله: «قطّ» بمعنى الدهر والأبد . والحسن: القمل الحسن . قطّ : حسب .  
لزا : ربطا . التّقط : ثوب من الصوف المصبوغ ، والتّقط الطريق ، تقول : الزم  
هذا التّقط ، والتّقط النوع من العلم والخير، فيريد أن الخير والشر قد نظما في سلك  
واحد ، فإذا آتى يوم يُرَضَى آتى بعده يومٌ يسخط .

الجنى : الطّرى مما يجنى ، نعليل بمعنى مفعول ، وأصل جنى مجنوى فأعلّ .  
والملتقط : من قولك: لتقطت هذه الفاكهة واحدة واحدة، أى اخترتها واتخبتها .

أبو أمامة ، قال: قال النّبي صلى الله عليه وسلم : «إنّ الناس اليوم كشجرة  
ذات جنى ، ويوشك الناس أن يعودوا كشجرة ذات شوك إن نأقدهم نأقدهم ،  
وإن تركهم لم يتركوك ، وإن هربت منهم طلبوك» ، قيل: فكيف الخرج من  
ذلك ؟ قال : « ترضهم من ررضك ليوم هرك » ، وأنشد عمر بن الجند :

طلبُ عن الأُمة نفساً وارض بالوحدة أنساً

لست بالواحد ١٩ أو تردّ اليوم أسماً

ما وجدنا أحداً يسوّى على الخبرة قلّنا

قوله : «نفس» تكدر العيش ، ونفس الرجل إذا لم يتم له أمره وتكدر  
عيشه . يشوبها : يخالطها . الشّمت : اختلاط الشيب بالسواد . واتقدت : قشمت .  
والسّقط : من لا خير فيه .

وللزاهد بن عمران في معنى أبيات الحريري رحمه الله :

إذا وعدت جفاك فلا تكلّمهُ لأنك إن فلت أثرت جيفهُ

وإن يصلّ الكرم عليك فاصنعْ ستعطفه أصالته الشريفة

ومن يك بين ذاك فأغض عنه قتل مجدداً ومرتباً مُنيقهُ

وسلّ الضغن إن آتت ضيفنا يسط الوجه والحيل الأظيفة



أخذ اليتيم الأولين من قول حاتم :

وأغفر عوراء الكريم اذخاره وأعرض عن شتم الأنيم نكرما<sup>(١)</sup>

\* \* \*

قال : فجعل الشيخُ يُبْنَضُ نَضَضَ الصَّلِّ ، ويُحْلِقُ حَلَقَةَ  
البازي المِطْلَ ، ثم قال : والذي زَيَّنَ السَّمَاءَ بالشَّهَبِ ، وأنزلَ  
الماءَ من السَّحْبِ ، ما رَوَّغِي عن الاصطلاح ؛ إلاتوقِّي الافتضاح ،  
فإنَّ هذا الفَتَى اعتَادَ أنْ أُمُونَهُ ، وأراعِي شَتُونَهُ ، وَقَدْ كَانَ الذَّهْرُ  
يَسْحَ ، فَلَمْ أَكُنْ أَشِجْ ؛ فَأَمَّا الْآنَ فَالْوَقْتُ عُبُوسٌ ، وَحَشَوُ الْعَيْشِ  
بُوسٌ ؛ حَتَّى إِنْ بَرَّتِي هَذِهِ عَارَةٌ ، وَيَبْتِي لَا تَطُورُ بِهِ فَارَةٌ .

قال : فرقْ لِمَقَالِهِمَا قَلْبُ الْوَالِي ، وَأَوَى لِهَمَّاهُ مِنْ غَيْرِ اللَّيَالِي ، وَصَبَا  
إِلَى اخْتِصَاصِهِمَا بِالْإِسْمَافِ ، وَأَمَرَ النَّظَارَةَ بِالْانْعِرَافِ .

\* \* \*

قوله : « بُبْنَضُ » يحرك لسانه . الصَّلِّ : الحية . يحلق : ينظر بحملاته  
وهو باطن جفنه ، وذلك نظر الضبان . المِطْلَ : المشرف على فريسته . الشَّهَبِ :  
النجم . رَوَّغِي : فرارى . توقِّي : خشية . الافتضاح : الشهرة . أُمُونَهُ :  
أنكلف لوازمه . أراعِي : أحفظ . شَتُونَهُ : أموره . يسح : يصب الرزق .  
العشو : ما حشي به . بوس : ضر . برَّتِي : ثوبي . عارَةٌ ، أَى عارية . تطوره :  
تقرب منه ؛ يريد أن القارة ليس لها فيه مائناً كل ، وأخذ هذا المعنى من قول  
امرأة وقتت على قيس بن سعد بن عبادة ، قالت : أشكو إليك قلة الجردان ،

قال : ما أحسن هذه الكتابة ! املثوا بيتها خبزاً ولحماً وسمناً . وقد أعاد هذا المعنى منظوماً في الثالثة والثلاثين ، قال <sup>(١)</sup> :

وَأَمَحَلَّتْ رَبِّيَ حَتَّى خَلَتْ مِنْ رَبِّيَ الْمِحْلَ جُرْدَانَهُ

وحكى الفنجديهي بسنده إلى أبي محمد الحسن بن إسماعيل الصراب ، قال: كنت قاعداً أنسخ في السراج ، وبين يدي قلدح فيه ماء ، وظرف فيه كلك وزبيب ولوز ، فجاءت فأرة فأخذت لوزة فضت ، ثم عادت فأخذت أخرى فبددت الماء الذي في القلدح ، فعادت فأرة فكسبت القلدح عليها واشتغلت بشنل ساعة، فإذا فأرة أخرى قد جاءت ففتشقت وبيت ساعة على ذلك، والفأرة الأخرى تشفق من داخل القلدح ، فلم تجد حيلة في خلاصها ، فضت أختها ، فأنت بدينار فوضته ووقت ، ولم أرفع القلدح عن الفأرة ، فضت وأنت بدينار آخر ، ووقت ولم أرفع القلدح ، فقلت ذلك إلى أن أنت بسبعة دانير، ووقت ساعة ، ولم أخل عن الفأرة ، فضت وأنت بقرطاس فارغ فملت أنها لم يبق عندها شيء فطلعت عن الفأرة .

قال الفنجديهي : رويت هذه الحكاية عن أشخاص وأشياخ قاة .

وعلى ذكر الفأرة والجردان كتب أبو حفص الوراق رقعة إلى صاحب منها: وحال عبد مولانا في الحنطة مختلفة، وجردان داره عنها منصرفة، فإن رأى أن يخلط عبده بما أخصب عنده فعل إن شاء الله تعالى . فوقع فيها : « أحسنت يا أبا حفص قولا ، وسنحسن إليك فضلا ، فبشر جردان دارك بالخصب ، وأمتها من الجذب ، فالحنطة تأتيك في الأسبوع ، ولست عن غيرها من النفقة بمنوع . إن شاء الله تعالى » .

قوله « أوى » : أشفق . غيّر : تغيّر وهو من تنبؤ الحال ، وهو اسم واحد بمنزلة الجمع ، والغيّر مذكّر وجهه أغيار . هذا قول الكسائي . ويموز أن يكون

جماً ، واحدة غيرة وهذا قول ابن عمرو ، يقال للدية : غيرة لأنها تغير القواد إلى الرضا به . صديا : مال . الإساف : قضاء الحاجة . القنطرة : النلس الناظرون إليه .

قال الراوى : وكنت متشوقاً إلى مرأى الشيخ لعل أعلم علمه ، إذا عاينت وثمه ، ولم يكن الزحام يسفر عنه ، ولا يفرج لى فأذنوه منه . فلما تقوضت الصفوف ، وأجل الوقوف ، توتمته فإذا هو أبو زيد والفتى فتاه ، فعرفت حينئذ مغزاه فيما أتاه ، وكذت أنقض عليه ، لاستعرف إليه . فزجرني بإيماء طرفه ، واستوقفتني بإيماء كفه .

\*\*\*

متشوقاً : متطلماً . وشه : علامته . يسفر : يكشف . يفرج : يفتح لى فرجة . تقوضت : تفرقت ، وأصلها الهدم . أجفل : أسرع الشئ . توسمته : نظرت . مغزاه : مذهبه ومقصده . انقضت : انحط وانصب استعرف إليه : أعرفه بنفسى . زجرنى : انهرنى . إيماء : إشارة بالعين خفية ، وكثيراً ما يصرف الحررى فى المقامات تنبيه أبى زيد لابن همام على نفسه بخفى الإشارة ، المغنية عن تصريح العبارة ، وهو مذهب للرب ، ونبلأه أهل الأدب ، وقد قالوا : ربة كناية تنفى عن إيضاح ، ربة لخط يدل على ضمير .

[ مختار من الشعر فى إشارة اللحظ ]

وفى إشارة اللحظ يقول الشاعر :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة محزون ولم تتكلم  
فأيقنت أن اللحظ قد قال مرحباً وأهلاً وسهلاً بالحبيب التيم  
وقال أبو نواس :

لمنى على التعل العيون التهنيد القب البطون

الناقلات عن الضمير لنا بألسنة الجفون  
وقال المهدي بن المنصور :

ومطلع من ضمه مايسره عليه من اللفظ الخفي دليل  
إذا هو لم يبد الذي في ضميره ففي اللفظ والإيماء منه رسول  
وقال تميم بن المعز :

سبحان من خالق الخدود شقائق تنفسم<sup>(١)</sup>  
وأعلاها الألحاظ قهى بلحظها تكلم  
وقال آخر :

العين تبدى الذي في نفس صاحبها  
والعين تنطق والأفواه صامتة  
وقال أعرابي :

ليل لم يقصره رقاد  
بمجلس لذة لم تقو فيه  
بخلنا أن نقطعه بلفظ  
وقال الحسن بن بشير :

أما ترى لي ناظراً شاهداً  
ودون إلحاح جفوني هوى  
وأنت لاشك به عالم  
وقال الأحوص :

ودعهن ولا شيء يراجعني إلا البنان وإلا الأعين الشجن<sup>(٢)</sup>

إذا أردن كلامي عنده عرضت من دونه عبرات فارعوى الكلم  
مستندات وقد مالت سواقها وما بين سوى مس الهوى ألم

وقال ماني الموسوس

بنان يد تشير إلى بنان تجاوبتسا وما تشكلمان  
جری الإيماء بينهما رسولا فاحكم وحيه التناجيان  
فلو أبصرتنا لفضض طرفنا عن المتحدثين بلا لسان

والباب لا يحصى كثرة فلنقتصر على هذه اللمعة

قوله : « واستوقفتني بإيماء كفه » : أى أمرنى بالوقوف، والإيماء : الإشارة .

\* \* \*

فلزمتُ ووفى ، وأخرتُ مُنصرفي . فقال الوالى : مامراً مأمك ، ولأى  
سببٍ مقامك ؟ فابتدره الشيخ وقال : إنه أنيسى ، وصاحبٌ ملبوسى .  
فدستخ عند هذا القول بتأنيبى ، ورخص فى جلوسى . ثم أفاض عليهما  
خلعتين ، ووصلهما بنصاب من العين ، واستعبدتهما أن يتعاشرا  
بالمعروف ، إلى إطلال اليوم المخوف . فنهضا من ناديه ، مشيدين  
بشكر أياديه ، وتبعتهما لأعرف متواهما ، وأترود من فخواهما .

فلما أجزنا حى الوالى ، وأفضيتا إلى الفضاء الخالى ، أدركنى أحد  
جلاوزته ، مهيباً بى إلى حوزته ، فقلت لأبى زيد : ما أظنه  
استحضرنى إلا لىسنخبرنى ، فماذا أقول ؟ وفى أى وادٍ معه أجول ؟  
فقال : بين له غباوة قلبه . وتلما بى بلبه ؛ ليعلم أن ربحه لاقت  
إعصاراً ، وجدوله صادف تياراً ، فقلت : أخاف أن يتقد غضبه

فَيَلْفَحَكَ لَهْبُهُ ، أَوْ يَسْتَشْرِى طَيْشُهُ ، فَيَسْرِى إِلَيْكَ بَطْشُهُ ، فَقَالَ : إِنِّي  
أَرْحَلُ الْآنَ إِلَى الرُّهَا ، وَأَنْتَ يَلْتَقِي سُهَيْلٌ وَالشُّهَا !

\* \* \*

مرامك : مرادك . مقامك : تلبيتك ووقوفك . أنيسى : صاحبي الذي أتائس به . فستتح بتأنيسى ، أى أولافى منه اللؤامة . رخص : تين وسهل . أفاض : صب . خلتين : كسوتين . والنصاب : عشرون ديناراً ، والعين : الذهب . استمدهما : استخلفهما . يتعاشرا : يتصاحبا . إغلال : قرب ودنو . اليوم الخوف : يوم موته . ناديه : مجلسه . مُشِيدين : رافعين بشكره أصواتهما . أياديه : نعمة . مثواهما : مسكنهما . فحواهما : معنى كلامهما ، وبرى : «نجواهما» أى سرهما . أجزنا : خَلَقْنَا . أفضينا : وصلنا . الفضاء : المتسع من الأرض . جلاوزته : شُرطه ، واحد جلاوز ، والجلاز عقب ملوى على القوس ، وجازت القوس والوسط والسكين : عصبتها بالعقب ، فسموا جلاوزة ، لأنهم يصيبون بالسياط الناس عند الضرب ، ولأن السياط لا تفارق أيديهم ، والجاز : الشدة ، وهم يربطون الناس ويشدونهم . مهيباً : داعياً . حوزته موضعه الذى يحميه ويحوزة . استحضرنى : طلب حضورى . ويستخبرنى : يسألنى خبره . أجول . أنصرف وأمشى ، أى علمنى فى أى غرض من الحديث آخذ معه . غباوة : جيل ، ورجل غبى غير فطن . تلعابى بلبه ، أى لعبى بقلبه ، والتلعاب بنية للعبافة . يستشرى : ينتشر . طيشه : خفته من الغضب . يسرى : يسير . بطشه : إبطاه وتناوله بما يكره .

الرُّهَا : بلد من كورة الجزيرة تجاورها الرقة وحران ، سميت باسم صاحبها الرها بن البلوى بن مالك بن ذعر ، وهو أول من نزلها . وقال اليعقوبى : الرها من ديار مضر ، وهى مدينة رومية ذات عيون كثيرة منها عجيبة ، تجرى

الأهبار وبها الكنيسة التي للنصارى ، وهى إحدى عجائب الدنيا الموصوفة ، وكان  
 بالرها رجل ضيف الحال متجمل بين الناس ، فخرج ذات يوم من منزله وعليه  
 جبة له ، فقيه سائل ، فسأله شيئا يذفته ، قال : والله ما أملك غير جُبِّي هذه ،  
 قال السائل : ألا تحب أن تكون من الذين قال الله تعالى فى حقهم : ( وَيُؤْرِثُونَ  
 عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ) ، فدفعها إليه .

أتى : كيف . سهيل والسها : كوكبان لا يلتقيان ، لأن السها نجم خفى  
 فى بنات نَش ، وبنات نَش لا تقرب أبداً فى بلاد أرمينية ، وفى سمتها بلاد الشام  
 والغرب والأندلس ، وسهيل لا يرى فى شيء من هذه البلاد إلا رؤية لا يمتد بها  
 فى أيام قلائل ، فلا يلتقى سهيل والسها بوجه ، وإنما أخذ هذا من لفظ عمر بن أبى  
 ربيعة حيث قال :

أيها للنكحُ الثريا سهيلاً عَمَزَكَ اللهُ كيف يلتقيان<sup>(١)</sup>  
 هى شامية إذا ما استقلت وسُهَيْلٌ إذا استقلتِ يمانِ  
 والثريا هذه بنت على بن عبد الله بن الحارث ، وكانت موصوفة بالجمال ،  
 وكان عمر يشبب بها ، فتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، فنقلها  
 إلى مصر ؛ ف ضرب لها عمر اللثل بالكوكبين . وأبدل الحريرى لفظ الثريا بالسها ،  
 وأفاد عدم الالتقاء ، وسهيل هو كوكب أحمر يحيط إليك لشدة اضطرابه أنه يستدير ،  
 وقال للمرمى فى صفته فأحسن :

وسهيل كوجنة الحب فى القو نِ وَقَلْبِ الحبِّ فى الخفَقَانِ<sup>(٢)</sup>  
 مستبداً كأنه الفارس للعِليمُ يَدُوْ مُعارضِ الفرسانِ  
 يُسرِعُ الملح فى احرار كما تُسرِعُ باللمح مقلّةُ الغضبانِ

ضَرَجَتْهُ دَمَا سِيرَفِ الْأَعَادَى      فَبَكَتْ رَحْمَةً لَهُ الشُّعْرَانِ  
 قَدَمَاهُ وَرَاءَهُ وَهُوَ فِي الْمَجَى      رَزَكَاعٍ لَيْسَتْ لَهُ قَدَمَانِ  
 قَالُوا : وَلَا تَقْعُ عَيْنُ بَعِيرٍ عَلَى سَهِيلٍ إِلَّا مَاتَ مِنْ حِينِهِ .  
 وَقَدْ أَشَارَ لِلْمَرَى إِلَى هَذَا فِي قَوْلِهِ :

لَا تَحْسَبَنَّ إِلَيَّ سَهِيلًا طَالَمَا      بِالشَّامِ قَالَرُتْ شَعْلَةً مَقْبِسِ  
 وَمَتَى طَلَعَ صَرَفْتُ الْإِبِلَ كُلَّهَا وَجُوهَهَا عَنْ مَطْلَمِهِ وَقَابَلْتَهُ بِأَعْجَازِهَا :  
 وَقَالَ لِلتَّنْبِي :  
 وَتَنَكَّرَ قَتْلَهُمْ وَأَنَا سَهِيلٌ      طَامَتُْ بِمَوْتِ أَوْلَادِ الزَّوَاءِ <sup>(١)</sup>

وَفِي مَعْنَى تَخَوُّفِ ابْنِ هَامٍ لِلرُّوَجِيِّ بِقَابِ الْوَالِي مَا حَدَّثَ أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ  
 الْعَبَّاسَ بْنَ حَيَّوْنَ ، دَخَلَ عَلَيْهِ فِي السَّجْنِ مَنْ أَعْلَمَهُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَعْلَبِ يَرِيدُ  
 قَتْلَهُ ، فَلَمْ يَجِدْ مَفْرَأً ، فَقَالَ لِمَلِمِهِ بِالْخَبِيرِ ، وَأَحْسَنَ فِي قَوْلِهِ :

تَخَوُّفِي بِمَخْلُوقٍ ضَعِيفٍ      يَهَابُ مِنَ الْمَنِيَةِ مَا أَهَابُ  
 لَهُ أَجَلٌ وَلِي أَجَلٌ وَكُلٌّ      سَيَبْلُغُ حَيْثُ بَلَغَهُ الْكِتَابُ

\* \* \*

فَلَمَّا حَضَرَتْ الْوَالِيَّ وَقَدْ خَلَا بِمَجْلِسِهِ ، وَأُجِّلَى تَبَسُّهُ ، أَخَذَ  
 يَصِفُ أَبَا زَيْدٍ وَفَضْلَهُ . وَيَذَمُّ الدَّهْرَ لَهُ . ثُمَّ قَالَ : نَشَدْتُكَ اللَّهُ ، أَلَسْتَ  
 الَّذِي أَعَارَهُ النَّسْتُ ؟ فَقُلْتُ : لَا وَالَّذِي أَحَلَّكَ فِي هَذَا النَّسْتِ ، مَا أَنَا  
 بِصَاحِبِ ذَلِكَ النَّسْتِ ؛ بَلْ أَنْتَ الَّذِي تَمَّ عَلَيْهِ النَّسْتُ ، فَازْوَرْتُ  
 مُقْلَتَاهُ ، وَاحْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا عَجَزَ نِي قَطُّ فَضَحُّ مُرِيبٍ ،



لَا تَكْشِفُ مَعِيبَ؛ وَلَكِنْ مَا سَمِعْتُ بِأَنْ شَيْخًا دَلَّسَ، بَعْدَ مَا تَطَلَّسَ  
وَقَلَّسَ، فَبِهَذَا تَمَّ لَهُ أَنْ لَبَسَ. أَقْتَدِرِي أَيْنَ سَكَمَ، ذَلِكَ الْأَكَمَ؟  
قُلْتُ: أَشَقُّ مِنْكَ لِمَعْدَى طَوْرِهِ، فَطَمَنَ عَنْ بِنْدَادٍ مِنْ قَوْرِهِ. فَقَالَ:  
لَا قَرَبَ اللَّهِ لَهُ نَوَى، وَلَا كَلَالَهُ أَيْنَ نَوَى؛ فَمَا زَاوَلْتُ أَشَدَّ مِنْ  
نُكْرِهِ، وَلَا ذُنْتُ أَمْرَ مِنْ مَكْرِهِ، وَلَوْلَا خُرْمَةُ أَدْبِهِ، لَا وَغَلْتُ  
فِي طَلَبِهِ، إِلَى أَنْ يَقَعَ فِي يَدَيَّ فَأَوْقَعَ بِهِ. وَإِنِّي لَا كَرِهَ أَنْ تَشِيعَ  
فَعَلْتُهُ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ، فَأَقْضِصْ بَيْنَ الْأَنَامِ، وَتَحْبِطْ مَكَاتِي عِنْدَ الْإِمَامِ؛  
وَأَصِيرَ ضُحْكَةً بَيْنَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ. فَمَاهَدَنِي عَلَى الْأَأْفُوهِ بِمَا اعْتَمَدَ،  
مَادُمْتُ حِلًّا بِهَذَا الْبَلَدِ.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَامٍ: فَمَاهَدْتُهُ مُسَاهَدَةً مَنْ لَا يَتَأَوَّلُ، وَوَفَّيْتُ  
لَهُ كَمَا وَفَى السَّمُوءِلُ.

قَوْلُهُ: «انْجَلِي»، أَيْ زَالِ وَانْكَشَفَ. نَشَدْتُكَ: حَلَقْتُكَ. الدَّسْتُ الْأَوَّلُ  
هُوَ الثُّوبُ، وَالثَّانِي: الْجُلُسُ، وَالثَّلَاثُ هُوَ الْأَوَّلُ، وَالرَّابِعُ هُوَ الْخِلْدَاعُ وَالْحِلْيَةُ،  
وَقَدِمَهُ فِي الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ حَيْثُ قَالَ: مَتَى مَادَسْتَهُ تَمَّ. إِزْوَرْتُ مَقْلَتَاهُ: أَعْوَجْتُ  
عَيْنَاهُ وَتَغَيَّرَ نَظْرُهُمَا. وَالْوَجْتَانُ: مَا أَحَاطَ بِالْعَيْنِ مِنْ أَسْفَلٍ. أَعْجَزَنِي: غَلَبَنِي.  
فَضَحَ مَرِيْبٌ: كَشَفَ مَتْنَهُ. تَطَلَّسَ: لَبَسَ الطَّلِيسَانَ، وَهُوَ مِنْ لِبَاسِ الْخَوَاصِّ،  
وَهُوَ كِسَاءُ خَزٍّ. لَبَسَ: خَلَطَ. سَكَمَ: ذَهَبَ. الْأَكَمُ: التَّيْمُ الْعَاجِزُ، قَالَ بَعْضُ  
أَهْلِ الْعِلْمِ: كَانَ يُقَالُ: خَمْسُ خَصَالٍ، مِنْ أَفْبَحِ شَيْءٍ فِيمَنْ كُنَّ فِيهِ: الْحَذَّةُ فِي السُّلْطَانِ،  
وَالْكِبَرُ فِي ذِي الْحِسْبِ، وَالبَخْلُ فِي الْغَنَى، وَالْحِرْصُ فِي الْعَالَمِ، وَالْقَسَقُ فِي الشَّيْخِ،  
وَعِلَاقَةُ هُنَّ أَحْسَنُ شَيْءٍ فِيمَنْ كُنَّ فِيهِ: تَوَدُّهُ كَثِيرٌ ذَلَّ، وَجُودُهُ لَنِيرٌ ثَوَابٌ، وَنَصَبُ  
لَنِيرٍ الدُّنْيَا.

أشفق : خاف . تمدى طوره : تجاوز قدره . ظنن : رحل . فوره :  
حيته . نوى : بعد وسفر . كلاًه : حفظه . ثوى : أقام . زاوت : حاولت . نكره :  
منكره . مكره : خداعه . أوغلت : أبعدت . أوقع به : أتناوله بالشر  
واللكروه والقرب .

وقال أبو حازم في معنى دعاء الوالى على السروجى :

إذا استقلت بك الزكَّابُ فحيث لادرت السَّحابُ  
زالت سراعاً، وزلت تجرى بينك الظُّلُ والفرابُ  
بحيث لا يُرتجى إيابُ وحيث لا يبلغ الكتابُ  
والذى استعمل الناس في الدعاء على الغائب ألا يرجع قولُ زهير :  
• لَدَى حَيْثُ أَلَقْتُ رَحْلَهَا أَمَ قَشْعَمُ \* (١)

وقال آخر :

كما سار الحمار بأمِّ عمرو فلا رجعت ولا رجح الحمار  
ومثل هذا رقية للمرأة إذا سافر زوجها ، قالت : نافرك القمر ، وظل الشجر ،  
شمال تشمه ، ودُّ بورتدبره ، ونكباء تنكبه : شبك ولا انتقس ، وتمس ولا  
اتتمش . ثم ترى أثره بمحاة ونواة وروثة وبيرة وتقول : حماء حصن أثره ،  
ونواة نات داره ، وروثة راث خيره ، وبيرة تبعره ، ولو أوغل في طلبه كاذكر  
فأذكره لأنشد السروجى :

فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن التئأى عنك وإسيعُ (٢)

(١) ديوانه ٢٣ ، وصدره :

• فشدَّ ولم يفزع بيوتاً كثيرة •

(٢) ديوانه . . .

وقال المرى :

إذا ما أَخَفَّتْ للمرءِ جُنَّ عَافَةٍ      وأيقن أن الأرض كِفَّةٌ حَابِلٌ<sup>(١)</sup>  
يرى نفسه في ظل سَيْفِكَ قَائِمًا      وبينكما بُعْدٌ للدى للتطاوُلِ

وقال محمد بن هانيء رحمه الله تعالى :

فلا مهجة في الأرض منك منيعة      ولو قطرت من ريق أرقط شَجَعِمُ<sup>(٢)</sup>  
ولو أنها نِيَطَتْ بِمَخْلَبِ طائر      ولو أنها باتت على قرن أفعَمِ  
وقال أشجع الثُمَلِيُّ في الرشيد ، حين بعث لإدريس بن عبد الله العلوي من  
اغتاله بالمغرب :

أَتَظَنُّ بِالْإِدْرِيسِ أَنَّكَ مُفْلِتٌ      كَيْدَ الْخِلَافَةِ أَوْ يَقِيكَ حِذَاؤُ  
إِنْ السَّيُوفِ إِذَا اتَّضَاعَا عَزْمُهُ      طَالَتْ وَتَقَصُرُ دُونَهُ الْأَحْمَارُ  
هَيْهَاتَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِلَدَةٍ      لَا يَهْتَدِي فِيهَا إِلَيْكَ نَهَارُ  
ولأبي العرب الصقلی :

كَانَ بِلَادَ اللَّهِ كَفْكَ إِنْ يَسِرْ      بها هارب تجمع عليه الأناملا  
فَأَنْ يَفِرَ المرءُ عَنْكَ بِجَرِمِهِ      إذا كان يطوى في بديك المراحل  
قوله : تشيع ، أى تنصل ، يقال : شاع الخبر في الناس ، أى اتصل بكل واحد ،  
فاستوى علم الناس به ، ويقال : سهم شائع وهشاع ، إذا كان في جميع الدار فانصل  
كل جزء منه بكل جزء منها ، وأصله في الناقة ، يقال : أوزعت الناقة بيولها لإزاعاء  
إذا فرقتها ، فإذا أرسلته متصلا ، قيل : أشاعت به . تحبط : تسقط وتبطل .  
مكانتي : منزلي . ضُحْكَةٌ : يضحك الناس به وتسكين عينها للمفعول ، وتحريكها

(٢) ديوانه ١٢٥ ، والعجم : الأسد .

(١) سقط الزند ١٠٧٥ .

للقائل . أفوه : أنطق . اعتمد ، أى قصد من الخلداع . حلاً : مقياً . يتأول : يحتمل ليمينه فيحملها في الباطن على غير ما أوقعها في الظاهر عليه ، فيريد أنه ثبت له اليمين .

\* \* \*

### [ قصة السمومل ]

السمومل ، هو ابن عاديا ، يُضرب به المثل في الوفاء ، وقصة وفائه أن امرأ القيس ، لما ألح المنذر في طلبه لحق بعمرو بن جابر بن مازن يستجير به ، فقال له : يا بن حُجْر ، إني أراك في خلل من قومك ، وأنا أنفس بك ، أفلا أدلك على رجل لم أر أحسن جواراً منه ؟ فذله على السمومل بتياء ، ووصف له حسبه وحصنه ، فقال : ومن لي به ؟ فقال : أضحك من بوصلك إليه ، فأصعبه الربيع بن ضبع - وكان الربيع يأتي السمومل ويمدحه فيحمله ويعطيه - فشوا حتى قدموا على السمومل ، فأنشدوه أشعاراً ففرح حقهم ، وأنزل هنداً بنت امرئ القيس في قبة من آدم ، وأنزل القوم في مجلس له براح ، فكان عنده ما شاء ، ثم طلب أن يكتب له للحارث بن أبي شمر النسائي بالشام ليوصله إلى قيصر ، ففعل ، فاستودعه بنته وأدراعه الخمس ، وهى النضفاضة ، والصفافية ، والحصنة ، والحريق ، وأم الذبول ، وكنى لبني آكل المزار ، وهم أجداده يتوارثن ملكاً عن ملك . فضى إلى قيصر ، وأقام عنده حتى جهزه ببيوش ، ثم بعث له بالحلّة المسمومة ، فلما لبسها تقطع لحمه ، ومات . فلما بلغ خبر موته المنذر قصد تيماء حصن السمومل ، فبعث إليه أن يعطيه أدراع امرئ القيس وما ترك عنده من المال ، فقال له : إنما أدفع ذلك لابنته ولورثته ، فصاصره في الحصن ، حتى أخذ ابناً له صغيراً ، فقال للسمومل إما أن تعطيني ما ترك امرؤ القيس أو أقتل ابنك وأنت تنظر إليه ، فقال له : والله لا وفيت له في حياته ، وأغدره بمدوفاته ! اذهب ، فشأنك بابني فأقبل به ماشئت ،

فذبجه وهو ينظر إليه ، ولم يرض بالنذر ، فلما جاء الموسم ذهب بالدروع فدفعها لابنته وورثته ، وقال :

وفيتُ بأدراع الكندي إني إذا ما خان أقوامٌ وفيتُ  
وقالوا إنه كئز عظيم ولا والله أغدر ماحيث<sup>(١)</sup>  
بني عاديا حصناً حصيناً وبئراً كلما شئت استقيت

فغرب به المثل في الوفاء<sup>(٢)</sup> . وانظر في الثلاثين ابتداء الحكاية .

(١) موضحه في الأغاني :

وأوصى عاديا يوماً بالآل مهديم يا سمومل مايفيت

(٢) الجبر والشعر في كتاب الأغاني ٦ : ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

## المفامة الرابعة والعشرون النخوية

حكى الحارث بن همام قال: عاشرت بقطيعه الربيع، في إبان الربيع،  
فتية وجوههم أبلج من أنواره، وأخلاقهم أبهج من أزهاره،  
وألفاظهم أرق من نسيم أسحاره.

فاجتليت منهم ما يزرى على الربيع الزاهر، ويُننى عن رنات  
المرّاهير؛ وكنا تقاسمنا على حفظ الوداد، وحظر الاستبداد، ولا يتفرّد  
أحدنا بالتناذ، ولا يستأرولو برّذاذ. فأجفنا في يوم سماء دجته،  
ونما حسنه، وحكم بالاصطباح مزنه، على أن نلتهي بالخرّوج،  
إلى بعض المروج؛ لنسرح التواظير، في الرياض التواضير، ونصقل  
المخاوير، بشيم المواظير؛ فبرزنا ونحن كالشهور عده؛ وكنا  
كندمان جديعة مودة.

\* \* \*

عاشرت: صاحبت.

قطيعة الربيع: بلد معروف، والربيع حاجب النصور ومولاه، وهو [والد]<sup>(١)</sup>  
الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة، وكان أظلمه للنصور  
بلداً بالمرّاق فبناه، وبني الناس معه، حتى صار فيه عمارات كثيرة، وهي محلة  
قرية من كرخ بغداد في أعلى غربية بغداد، فنسبت إلى الربيع.

إبان: وقت. فصل الربيع: التوار. أبلج: أحسن لونا وأنعم أنواره.

أزهاره ، ونور النبات وأنور صار فيه التنور ، وأبهج : أحسن لونا ، والبهجة : حسن اللون ونسيمُ السَّحر ريحُه اللينة الباردة ، وفي حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تعالى للجنة كل يوم : طيبى لأهلك قزحاد طيباً » ، فذلك البرق الذي تجده الناس بسحر ذلك اليوم .

وقال ابن عمار في نسيم السَّحر على الرياض فأحسن :

ويوم نسا بالسَّدة بين معاطفٍ من النهر تنسب انسياب الأرقام .  
 بحيث اتخذنا الروض جارا تزورنا هداياه في أيدي الرياح النواسم  
 ييلفنا أغاسه فيردّها بأعطر أغاس وأذكي للناسم  
 نسير علينا ثم عنا كأنها حواسدُ تمشي بيننا بالتأم

اجتليت : نظرت . يزرى : يقصر ، وتقول : زريتُ عليه إذا عبتَ عليه  
 حافل ، وأزريتُ به قَصْرَت . الزاهر : الناعم . رنات : أصوات . الزاهر :  
 عيدان الفناء . قاسمنا : تمالفنا . حَظَر : منع . الاستبداد : الافراد بالشئ .  
 يستأثر : يختص : رذاذ : أقل المطر ، أى اتفقوا ألا يفرد واحد بشئ دون  
 أصحابه . أجمعنا : عزمنا : مما دَجَّته : ارتفع سحابه : نما : زاد . الاصطباح :  
 شرب الخمر بالسَّحر . مزته : مطره ، وفي مثل بكورهم يقول عبد الجبار الصقل<sup>(١)</sup> :

بادِرْ إلى اللذاتِ وارْكَبْ لها سوابقَ اللّهُ ذواتِ المراح<sup>(٢)</sup>  
 من قبل أن ترشف شمسُ الضحى ريقَ النوادي من ثُغور الأُكُح

نتهى<sup>(٣)</sup> : تسلى وتتفرج . والمروج : المواضع المنخفضة الخصبية ، واحدها

(١) هو أبو محمد عبد الجبار بن حمديس ، وهجرته ابن حمديس .

(٢) ديوانه ٨٩ ، وفيه : « باكر إلى الفات » .

(٣) ط : « انتهى » التصحيف .

مَرَج ، وسمى مَرَجًا ، لأنَّ البهائم تخرج فيه أى تسيب . نَسْرَح : نسيب  
 التواخر : العيون ، وبالفَّاد واعم الأزهار . والخواطر : الأذهان . شَمَّ المَواطِر :  
 نظر السحاب . برزنا : خرجنا ، وجعل خروجهم فى السَّحَر ، لأنَّ أوَّل النهار  
 أحد أوقات الشرب ، قال : أوَّل النهار ، ألا ترى الدَّواء يَكْرَهُه ، والمسافر  
 يُدَلِّجُ حاجته ، لأنَّ القول أوَّل النهار أَرْكَى ، والنظنُّ أَصَحُّ ، وقال المَطْوِيُّ : (١)

قَبِّحَ اللهُ أوَّلَ الناسِ منَ الشربِ ظهراً ماذا أتى من خِصارِ !  
 مجلس مَونَقٍّ وكأسٍ ونَدَمٍ ن وتأخيرها إلى الإظهارِ  
 نكتة فى السرور بادية الشَّـ بِن لأهل القول والأبصارِ  
 إنَّ شربَ النبيذِ سِرٌّ إلى اللِّمِّ و خیر المسيرِ صَدْرُ النَّهارِ  
 ما رأينا لتشوة الصَّبحِ شكلاً كَنَدِمٍ ماعِدٍ وعُقارِ  
 وغناء يَفْتِ فى عَضْدِ الحَلِّ م وَيُزْرِى على النُّهى والنُّقارِ  
 وأحاديث فى خلال الأغانى كافتتاح الرِّياضِ غِبَّ النَّهارِ

وبعضهم يمدح القَبوق ، ويذم الصَّبوح ، وابن المعتز ممن يذهب إلى ذلك .

### [ جَذِيمةٌ وَندِيمَةٌ ]

قوله : كندمانى جذيمة ، أى صاحبيه على الحجر ، واسمها مالك وعَظِيل ،  
 وجذيمة ابن مالك بن تَمِّم الأزدى ، وكان ملك أيام الطوائف بشاطِئ الفرات  
 وما والى ذلك إلى السواد ستين سنة .

قال ابن الكلبي : جذيمة : أول من ملك قُضاة بالحيرة ، وأوَّل من حَدَّأ



النمل<sup>(١)</sup> وأدلى من الملوك، ورُفِع له الشمع، وكان من أفضل ملوك العرب رأيا، وأظهرهم حزمًا، وهو أول من استجمع الملك له بأرض العراق، وغزا بالجيوش، وكان به برص، فكنت العرب عن البرص إعظامًا قالت له: جذية الوضاح، وجذية الأبرش.

وكان غزا طنسا وجديسا في منازلهم، فصادف حسان بن تبع، قد أغار عليها، فانصرف جذية. وصادفت خيول تبع سرية له قتلوم، فبلغ الخيل جذية قال<sup>(٢)</sup>:

رَبِّمَا أَوْفَيْتُ فِي عَسَلٍ تَرْفَعَنْ ثَوْبِي شِمَالَاتُ<sup>(٣)</sup>  
فِي فَتْوٍ<sup>(٤)</sup> أَنَا كَالْتَّهَمُ مِنْ بِلَايَا غَزْوَةٍ مَاتُوا  
لَيْتَ شَمَرِي مَا أُمَاتَهُمْ نَحْنُ أَسْرِينَا<sup>(٥)</sup> وَمِ بَاتُوا

وكان جذية قد تنبأ وتكهن، وأخذ صنمين، وسماها الضيزين<sup>(٦)</sup>، ومكانها بالحيرة معروف.

وغزا إيلادا بعين أباغ، فبغثوا قوماً منهم سرقوا منهم الضيزين، وأصبخوا

(١) هذا النمل: قدرها وقطعها، وفي المعارف لابن قتيبة ٥٥٤: «وأول من حذا النمل جذية الأبرش بن مالك، وهو أول من وضع المنجنيق وأدلى من الملوك، ورفع له الشمع، وكان ينادم الفرقد بن ذهابا بنفسه، وكان يشرب قنصا، ويصب لكل نجم قنصا في الأرض حتى تادمه مالك وعقيل.

(٢) وردت أبيات هذه القصيدة في سيبويه ٢: ١٥٤ وابن سلام ٣٢، ٣٣، والأخاني ١٤: ٧٣ والمؤتلف للامدني ٣٤ والخزائن ١: ٥٠٧، وفي تاريخ الطبري ١: ٦١٣، ٦١٤ أحد عشر بيتا، ونقل عن ابن الكلبي قال: ثلاثة أبيات منها حق والبقية باطل.

(٣) أوفيت: أشرفت. والعلم: الرضع من الأرض. والعمالات: جمع شمال من الرياح والنون في يرفس: تأكيد لفعل ضرورة.

(٤) ط: «فتون» تصحيف. وفتو: جمع فتى. وكالتهم: حافظهم.

(٥) الطبري: «ومن أدبنا».

(٦) ط: «الضيزين» تصحيف.

يهما في إِيَاد، فأرسلوا إليه : إِنْ صَنِيكَ أَصْبَحَا عِنْدَنَا، زَهْدَا فَيْكَ وَرَغْبَةً فِينَا ،  
فَأَعْطَنَا هَهُذَا أَلَا تَفْزَوْنَا، وَنَرُدُّهُمَا إِلَيْكَ، فَعَمَل .

وكان يُلْفِه أن غلاماً من تَلَمَّ يَسَى عَدَى بن نصر مقيم في أخواله من  
إِيَاد، وله ظرف ولُبّ وأنه لِحَسَن أن ينادم الملك ، ويقوم بمجلسه . فاشترط  
على إِيَاد أن يبعثوا مع الصنمين بعدى بن نصر، وكان له جال وظرف، فدفعوه  
إليه مهمها فضمّه إلى نفسه . وكان ينادمه ويسقيه فمشمقته رقاش أخت جذيمة ،  
فبعثت إليه : إِذَا سَقَيْتَ أَخِي وَاسْتَنْشَى ، فَأَخْطِبْنِي لَكَ ، وَأَشْهَدُ عَلَيْهِ ، فَعَمَل .  
فلما طرب جذيمة خطبها، فأنعم عليه، وأشهد عليه ، قدل له : عَرَسَ بِأَهْلِكَ ،  
فَعَمَل . فلما أصبح غداً على جذيمة مضرباً بالطيب ، فقال له : مَا هَذِهِ الْأَمَارُ ؟  
فقال : آتَاكَ الْعَرَسُ ، قَالَ : وَأَيَّ عَرَسٍ ؟ قَالَ : عَرَسَ رِقَاشُ ، فَأَكْبَ جَذِيمَةُ  
عَلَى الْأَرْضِ ، وَفَرَّ عَدَى ، وَطَلَبَهُ جَذِيمَةُ فَلَمْ يَدْرِكْهُ . وَقِيلَ : ظَفِيرُ بِهِ ، وَقَالَ لِرِقَاشِ :

حَدَّثَنِي رِقَاشُ لَا تَكْذِبْنِي أَبْجَرُ زَنْبِي أُمُّ بَهْجِي  
أُمُّ بَعِيدٍ فَأَنْتِ أَهْلٌ لَعِيدٍ أُمُّ بَدُونٍ فَأَنْتِ أَهْلٌ لَدُونٍ

فَقَالَتْ لَهُ :

أَنْتِ زَوْجَتِي وَمَا كُنْتُ أَبْجَرِي فَأَتَانِي النِّسَاءُ لِلتَّزْيِينِ  
ذَاكَ مِنْ شُرْبِكَ الْمَدَامَةِ صِرْفَا وَتَمَادِيكَ فِي الْعَبَا وَالْجُونِ

فحبسها في قصرها، فاشتغلت على تحمّل<sup>(١)</sup> فانت بنلام ، وسمته عمراً ، وربّته  
حتى ترعرع ، فحلبته وعطرته وألبسته كسوة مثله ، ثم أزارته خاله فأعجب به ،  
وأقيمت عليه محبته، وخرج جذيمة في سنةٍ قدأ كُتَات، وبُسط له في روضة، وعمرو

مع غلة يجتنون الكأء ، فكانوا إذا أصابوا كأء طيبة أكلوها ، وإذا أصابها عمرو ، خبأها ثم أقبلوا يتماذون<sup>(١)</sup> وعمره يقدمهم ، ويقول :

هنا جنائى وخياره فيه إذ كلّ جانب يده إلى فيه

فالتزمه جذيمة ، وحلّ منه بمكان . ثم إن الجنّ استهوته<sup>(٢)</sup> ، فطلب زماناً ، وأرسل فيه فى الآفاق ، فلم يجد له خبراً . ثم إن عمراً أوفى على مالك وعقيل ابني فارح بن مالك بن كعب بن القيس بن حير بن قضاة ، وقد نزلا منزلاً ، وما متوجّهان إلى خاله جذيمة ، ومعهما قتيعة ، يقال له أم عمر ، وهى تنقيهما وتسقيهما ، فرأت عمراً وقد تلبد شعره وطالت أظفاره ، وساءت حاله ، فاحتقرته فرمت إليه بكراع<sup>(٣)</sup> من طعاصها ، وناولتهما ، وأوكأت زقمهما ولم تناول عمرا شيئاً ، فقال عمرو :

صدّدت الكأس عتاً أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا<sup>(٤)</sup>  
وما شرّ الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذى لا تصبحينا  
فما شرب الشراب كمثل عمرو وما نال المكارم فاصبحينا  
فإلا تنكرى عمرا فإنى أنا ابن عدى حقاً فاعرفينا  
وخالى لا أبالك ذو العالى جذيمة كيف يوحك تنكرينا!

فقال له : من أنت يافتي ؟ قل : أنا عمرو بن عدى ، فضمّاه إليهما ، وغسلا رأسه ، وأخذنا من شعره . وقلنا أظفاره ، وأبساه بمض الثياب التى كانت معها ، وقالوا : ما كنا نهدى جذيمه أنفس من ابن أخته ، ثم وردا به على جذيمة فصرّ به سروراً شديداً ، وقال : لهما تمنّيا ، فسالاه أن يكونا نديميه ماعلش وعاشا ،

(١) تهادى القوم ، أى تباروا فى العدو .

(٢) استهوته الجن ، أى ذهبت بهواه وغلة .

(٣) الكراع : مستند الساق من البقر والتم .

(٤) البيتان الأولان ينسبان لسرو بن كثوم ؛ وما فى مخطّئه ص ٢١١ - بفرح التبريزى

فناداه أربعين سنة ، ما أعادا عليه حديثاً ، فضرب بهما المثل في تأكيد الألفة ،  
ونال مالك بن نويرة في مالك :

وكنّا كندمانى جذية حُبّة من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا<sup>(١)</sup>  
فلما تفرقنا كأتى ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلة معاً  
وتمثلت بهما عائشة رضى الله عنها عند قبر أخيها عبد الرحمن .

وقال أبو خراش الهذلي يرى أخاه :

قول أراه بسد عروة لاهياً وذلك رزه لو علت جليل<sup>(٢)</sup>  
فلا تحسب أن قد تناسيت عهدك ولكن صبرى يا أمم جليل  
ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا خيلاً صفاء : مالك وعقيل

وغزا جذية عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة السميذع الملبق من العاليق ،  
ومنهم قوم من حبر . وكان ملك الجزيرة وملك الحضر ، وهى مدينة قديمة بين درجلة  
والقرات ، فهزم جذية جيوش عمرو وقتله وفترق جموعه ، وقال فى ذلك شاعرهم :

كأن عمرو بن برق لم يكن ملكاً ولم تكن حوله الرايات تختف<sup>(٣)</sup>  
لاقى جذية فى شعواء متعلية فيها حراشف بالنيران ترتشق

[ الزباء ]

فلكت بدمه الزباء ابنته واسمها نائلة .<sup>(٤)</sup>

قال ابن الكلبي : ولم يكن فى عصر الزباء أجمل منها جالا ، وأكمل

(١) من قصيدة مفضلية ص ٢٦٧ .

(٢) ديوان المفلحين ٢ : ٢١٦ .

(٣) البجنان فى تاريخ الطبرى ١ : ٦١٨ بنسبتها الى الأعور بن عمرو بن هناد بن

مالك بن فهم الأزدي وفيه « عمرو بن تربي » .

(٤) خبر الزباء وجذية فى كتاب المتتالين من الأشراف ١١٢ - ١١٥ .

منها كالا ، وكان لها شر إذا مشت بتدكي ورامها ، وإذا نشرته جلقها ، فسُميت الزباء ، لكثرة شعرها ، فبغضت خيل أبيها وغزت بالمجوش من حوالها من اللوك فذلّتهم ، فضرب بها اللث قَبِيل : أعز من الزباء ، واشتهر عنها علو الهمة ، وسمو القدرة ، وقوة اللّمة ، ومضاء العزم ، وبذل الأموال . فلما استعكم مُلكها أرادت أن تغزو جذيمة لتدرك فيه ثأر أبيها ، فبهتها أختها زبيبة عن ذلك وقالت : لا طاقة لك به ، ولكن ابني أمرك فيه على المكر والحيل . فبهت إلى جذيمة تخاطبه على نفسها ، ليتصل ملكه بملكها ، فيصير بذلك أعز اللوك . وكان بلنه عن جامها ما أطعمه في الظفر بها . فاخبر أرباب دولته بمخاطبتها إياه ، فكلّمهم أشار عليه أن يتروّجها ، إلا قصير بن سعد<sup>(١)</sup> بن عمرو . وكان لييباً عاقلاً له رزم وحزم ، وكان خازنه وعييد دولته . فإنه قال له : هذا رأى فاتر ، لأن الزباء قتلت أباهما والدم لا ينام ، ولك في بنات اللوك الأكفاء متسع ، قال له الملك : إن النفس إلى ما تحب توافقه ، وإن كان القدر قد جرى بشيء فلا مفرّ عنه .

وكتبت إليه الزباء تطلب منه قدومه عليها للنكاح ، وقالت له : لولا أن السعى في مثل هذا للرجال أجل ، ولهم أزم ، لسرتُ إليك . وأهدت مع كتابها من المبيد والسلاح والأموال والذهب هدية سنية ؛ فلما وصلت أبهجته ، وحسب أن ذلك لفرط رغبته فيه ، فشاور قومه وابن أخته عمرا ، فشجعوه على السير إليها ، واستخلف عمرأ على ملكه ، وسار في خواصه حتى نزّلوا بالقرضة ، فشاور خواصه وقصيرا في الجملة ، فأشاروا عليه بالسير إلا قصيرا ، فإنه قال : أيها الملك كل عزم لا يؤيد بحزم فأخره إلى فساد ؛ ولولا أن الأمور تجري على القدر ، لعزمت على الملك ألا يفعل ، قال جذيمة : الرأي مع الجماعة ، قال قصير : أرى القدر سابق الحذر ، ولا يطاع قصير رأى . فلما قرب من ديارها أرسل إليها يطمها

بوضعه ، فأظهرت السرور به ، وأخرجت له هدايا وأنواعا من الأطعمة والأشربة .  
 فقال لتصير : كيف ترى ؟ فقال قصير : مَنْ لم ينظر في العواقب لم يأمن  
 للمصائب ، فاستدرك الأمر قبل فوته ، وارجع فإن في يديك بقية تستدرك  
 بها الصواب ، وإن كنت لا بدّ فاعلا فإن القوم إن تلقّوك غداً يحبّون قوم  
 ويذهب قوم ، فالأمر في يديك ، وإن تلقّوك صقّين فإذا توسّطتهم وأحدقوا بك ،  
 فقد ملكوك ، وهذه العصا — وهي فرس لجذبة تستبق الطير — فأعرضها  
 لك فاركبها لتسلم عليها ، فإنه لا يُشَقَّ غبارها ، فأرسلها مثلاً .

فلما كان غد لقوه صقّين ، فلما توسّطهم اقتضوا عليه ، فقال لتصير : صدقت  
 فما الرأي ؟ فقال له : بقّة تركتُ الرأي ، وهذه العصا — أركبها ، فشغلّه الأمر عنها .  
 فلما رأى قصير الجيوش نسير بمجذبة أعطى العصا عيناها ، فهوت به هوىّ الريح ،  
 فتطاول إلى المجذبة ينظره ، قال : ويل له جذبة ! فجرت به إلى غروب الشمس .

— قال الأصمى رحمه الله تعالى : لم تقف حتى جرت ثلاثين ميلا ، ثم وقفت  
 فبالت ، فثبني على اللوضع بُرج يسى برج العصا — وأشرفت الزباء من قصرها  
 تنظر إلى جذبة ، وهو يساق ، قالت : ما أحسنك من عروس يزف إلى ! فدخلوا  
 به إليها ، وحوّلها ألف وصيفة ، لانتبه واحدة صاحبته في خآق ولازى ، وهي  
 بينهن كالتمر حفت به النجوم ، فأمرت بالأنطاع ثبسطت ، وقالت للوصائف :  
 خذن بيد سيدكنّ وبيل مولاتكنّ ، فأجلسنه على الأنطاع ، فغلطن به ذلك ، ثم  
 كشفت له عن شعرتها <sup>(١)</sup> ، فرأى شعرها قد طال حتى عقدته من وراء ظهرها ،  
 فقالت له : يا جذبة أشوار ذات عروس ؟ قال : بل شوار بظراء ثقلة ، وأمر غدر  
 قد بلغ للدي <sup>(٢)</sup> ، قالت : والله ما ذاك من عدم المواس ، ولكنّها شيمة أناس .

(١) الأشعران : جانيا الفرج ، وفي ط : « شعرتها » .

(٢) في المتأخرين : قالت : يا جذبة ، أذات عروس ترى ، قال : بلغ الديو وجف الثرى  
 وأمر غدر أرى .

ثم أمرت به فسقى بالخر حتى أخذت فيه ، وكانت للوكة لا تضرب أعناقها إلا في الحرب<sup>(١)</sup> ، ثم أمرت أن تقطع رواشه<sup>(٢)</sup> ، وقالت : تحفظن بدمه ، لأنه إن قطرت من دمه قطرة في غير الطشت طُلبَ بدمه ، جُرى دمه في طشت ذهب ، فلما ضعفت يداه سقطتا ، قطرت على النطع من دمه قطرات ، فقالت : لانصتِمْوا دم اللوكة ، قال لها « لا يحزنك دمٌ ضيِّعه أهله » ، فذهبت مثلاً ، فقالت : إن دعاء للوكة شفاء من الكلب ، والله ما وقي دمك ولا شقي قُتلك . ثم أمرت به فدفن .

وكان عمرو بن عدى يخرج كل يوم ليمض الحيرة ، يستطلع أمر خاله ، فنظر يوماً إلى فارس قد أقبل ، فأشرف عليه قصير ، قال له : ما وراءك ؟ قال له : سعى القدر بالملك إلى حفته ، فاطلب بثأره ، قال عمرو : وأى ثأر يُطلب من الزبأ ، وهي أمتع من عقاب الجو ؟ قال قصير : والله لا أنام عن طاب دمه ملاح نجم ، فأجَدَع أنفى واضرب ظهري ، ودعنى وإياها . قال عمرو : ما أنت لذلك بأهل ، وقد علمت نصحك لخالي . قال : خل غنى إذًا ، فجَدَع أنفه وحقى بالزباء ، فقالت : ما جاء بك ؟ فأشار بظهره وأنفه . قالت العرب : « لأمر ما جدع قصير أنفه ! » فقالت : يا قصير ، بيننا دم خطير ، قال : يا ابنة اللوكة العظام لا تثار ولا قود ، ولقد أتيت فيه على ما يأتي مثلك في مثله ، وقد جئتكَ مستجيراً بك من عمرو . فإنه علم أنى أشرت على خاله بالحقى إليك ، فجَدَع أنفى وأذنى ، وأوجع ظهري ، وحال بيني وبين مالى وولدى ، فاستجرتُ بك لعلنى أنى لا أكون مع أحد أقتل عليه منك ، فقالت له : أهلاً وسهلاً . وكان يبْلُفها من رأيه وحزمه . فاحتضنته وأنزله واصطفتته ، فلما ومنت به ، أخذت تستشيرهُ في أمورها . قال لها يوماً : إن عمرا يطلبك بخاله ، والرأى أن تتخذى فقاً لملك محتاجين إليه ، قالت له :

(١) بعدها في جمع الأشكال : « تسكرمة لهم » .

(٢) الرواشش : « عروق ظاهر الكف » .

إني قد اتخذته تحت سريري ، وخرجت به تحت سرير أختي - وكان القرات يشق بين قصيريهما - فأظهر لها السرور ، ثم قال لها : إن لي بالعراق أموالاً كثيرة تصلح بالملك فإن جهزني بمال للتجارة ، توصلت فيه إلى أخذ تلك الذخائر ونقلها إليك ، فجهزته . فاحتال حتى وصل إلى عمرو ، فجهزه بطرف من الجواهر والخز والديباج والأسلحة ، فرجع بها ، فلما تحققت نصحه ، أرسلته إلى العراق ثالث سفرة ليضرب لها بها عدة من السلاح ، وبشترى لها خيلاً وعبيدا لتجهز جيشا إلى من حوالها من الملوك ، فشئ فيما أمرته به ، وتوصل إلى عمرو ، وقال : قد أصبت القرصة من الزباء ، فقال عمرو : قل أسمع ، ومرا فقل ، فأنت طيب هذه القرحة ، قال : الرجال والمال ، قال : حلكم فيما عندي مسلط ، فمد إلى ألقى رجل من أهل القتال ، وجعلهم في غرائر سود ، وجعل سلاحهم السيوف والحجف<sup>(١)</sup> ، وجعل رءوس الفرائر مربوطة من داخلها ، وجعل عمرا في الحملة ، وساق الخيل والعبيد ، فلما قاربها بعث إليها البشير بسلامة قصير وكل ماجاء به ، فسألت عن العير أين نزل ؟ فقيل لها : بالنوير - وكانت تنظره من غير طريق النوير - قالت : عسى النوير أبؤسا ، وتقدم قصير ، فدخل عليها فبشرها ، فركبت سطعا عاليا لتنظر محي الإبل ، فنظرت قوائمها تسوخ في الأرض لما عليها من الأمتال ، قالت : يا قصير :

ما للجمال مشيها وثيدا أجنلا يحملن أم حديدا !  
أم صرانا<sup>(٢)</sup> باردا شديدا أم الرجال جئنا قصودا

وكانت قالت لجواربها : إني أرى للوت الأحمر في الفرائر السود ،  
قذبت مثلا

فدخلت الجبال للدينة ، فبصت بواب بمخصرة في يده غرارة على آخر بدير ،

(١) المحيط : بالتعريك : التروس من جلود بلا خشب ولا عبق .

(٢) الصرفان - تمر وزين صلب .



فأصابته المنصورة خاصرة رجل فضرط فصاح: الشر الشر ، فأظهروا علامة كانت  
بينهم ، فخلّوا رموس الجوالق ، فخرج منها ألفا دارع بألني سيف ، فصاحوا: بالثأر  
للك للقتول غدرا ! وهربت الزباء تطلب النفق إلى تحت الفرات ، فسبق عمرو  
إلى بابه مع قصير ، وكانت صورة عمرو مصورة في جانبها ، فعندما رآته عرفته ،  
وكانت جعلت تحت فم خاتمها سم ساعة فصت القص ، وقالت : بيدي لا يبد  
عمرو . فسقط ، وعمرو وقصير يضربانها بالسيف ، فأتت بين السم والسيف ،  
فاستباحوا بلدها بما فيه ، واستولى عمرو على مملكتها . واتخذ عمرو الحيرة دار  
ملكه ، وتوارثها بنوه واحدا واحدا إلى النعمان بن النضر ، وهو الذي أدرك زمن  
المصطفى صلى الله عليه وسلم وقتله كسرى ، وهو آخرهم ، وكان مقتل والد الزباء  
عند بئ عيسى عليه السلام . وقال ابن دريد :

وسيفُ عمرو أستغلت به همته حتى رمى أبعد شأ المرتضى<sup>(١)</sup>  
فاستزل الزباء قسراً وهى من عقاب لوح الجوّ أعلى منتهى

\*\*\*

إلى حديقة أخذت زخرفها وازينت ، وتنوعت أزاهيرها وتلوّنت ،  
ومعنا الكيئ الشُّموس ، والسقاَةُ الشُّموس . والشادي الذي يُطربُ  
السَّامِعَ ويُلهيه ، ويُقرى كُلَّ مَتَمٍ ما يشتهيهِ . فلما اطمأن بنا  
الجلوسُ ، ودارت علينا الكُثُوس ، وَعَلَّ عَلَيْنَا زِمْرٌ ، عَلَيْهِ طِمْرٌ ،  
فنجهنّاهُ تجهم الغيدِ الشَّيب ، ووجدنا صفو يومنا قد شيب .

\* \* \*

[ فصل في الرياض والبساتين وبعض ما ورد فيها من الشعر ]

قوله : إلى حديقة أخذت زخرفها وازينت .

نريد أن نصل باب الرياض والبساتين، إذ هي جامعة ألوان لم تدخلها الصنعة، ولم يمازجها الكلفة، مع بديع أزهارها التي سماها الله سبحانه وتعالى زينة، وزخرفاً فقال تعالى: (حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ) ، وأن نجتني فيه بعض ما قالت العرب ، ونقلته الرواة من الشعر المستحسن، والقشيب المشاكل، فإن جُلّ النفوس مستأنسة به ونازعة إليه، ومرتاحة لذكركه، ومشتاقة إلى زمانه، ولا تكون الرياض موقفة، والأزهار مشرقة، إلا في اعتدال الزمان، وجدة الأيام، وهي إذا حلت الشمس في برج الحمل، كما قال الحسن :

أما ترى الشمسَ حلتَ الحملَ      وقام وزنُ الزمانِ واعتدلاً<sup>(١)</sup>  
فاثرب على جذّة الزمان وقد      أصبح وجه الزمانِ مقبلاً  
وغنت الطيرُ بعد عجمتها      واستوفت الخمرُ حولها كَملاً

قال الأصمعي رحمه الله تعالى : سألت أعرابياً عن النيث ، فقال : عُمِلت الحياض ، وأشرقت الرياض ، وأخرجت الأرض زخرفها ، وأنبئت من كل زوج بهيج .

وقيل لأعرابي : أي شيء رأيت أحسن ؟ قال الأعرابي : غلباء راتمة ، في رياض يانة ، والشمس طالعة .

وقيل لآخر : صف لنا الربيع وأوحز ، قال : هو صديق النفس بريمانه ، ومليك الطرف بريمانه ، مع أنه أشكل بالشيبية ، وباعث الشهوة البعيدة .

وقال إبراهيم بن السدي : خرجت أريد نزهة نهر الأبلّة بما على كاظمة تميم وقصر مقيد ، حتى غورت في مبيى أتمخيل الرياض ، وأجبل ناظري في مسافط النيث ، حتى دفعت إلى أعرابي عند روضة غناء ، عيم نبتها ، زاهر ثورها ، يليف بها ، قلت : يا أعرابي ، أحسن عندك ما ترى ؟ قال : كلاً والله ، معاً

مظلة وأرض مقلّة، تضحك هذه عن بكاء هذه ، فاشتت من درة بيضاء ،  
وياقوتة حمراء ، وزمردة خضراء ، قد نظمتها أيدى المزن في محور الصميد .

وقال يزيد بن ماهان الأومى : أتيت أرضَ السماوة في أنفٍ<sup>(١)</sup> من الربيع ،  
وقد اكتمل النبات ، فلما جرتُ ساحةَ الحى دفعت إلى جوار كأنهن دُمى  
الماج ، يمشين كفضيب البان . وبين أيديهن روضة مشرقة ، وهن يطفن بها ،  
ويهنن الولوج فيها . قلت : مالكن لا تلجن الروضة ، فهى أوطأ لأقدامكن ،  
وأقرب لإثارة أرجها من أنوفكن ؟ قالت إحداهن : أحرام عندك أن يطأ  
بعضنا خدود بعض ؟ قلت : بلى والله ، قالت : فوجه الأرض أحق بالتحريم أن  
يحصد أو يُتوسد .

وبعث الحجاج إلى عبد الملك بخاريتين ، وكتب إليه : هما عندى بمنزلة  
روضتين من رياض السماوة ، جاد الربيع أوله وآخره عليهما ، فاعتم نبتهما ، وتور  
زهرهما ، وحسن منظرهما ، وقد بعث إلى أمير المؤمنين بهما مباركا لهما فيهما .  
وقد ذكرت الشعراء النيث والرياض بألفاظ مستحسنة ، وممان مستظرفة ،  
وتمثيل رائع ، وتشبيه رائع ، يبعث السرور ، وينقى لوعة الحزون ، ويحلب أريج  
الفتوة والشباب ، فذكر هنا من محاسن أشعارها ولطائف مذهبها في ذلك ما نرجو  
به أن يبقَى بالنرض الذى قصده وضبطه الحريرى صدرَ هذه المقامة ونواقه ، ونشرح  
منزعمها الشريف في ذلك ومحققه إن شاء الله تعالى .

أُنشد السّيرافى رحمه الله تعالى يصف روضة :

نصّاحة تملأ العينين بهجتها      فيحاء حُفّت بأنواع الرياحين  
في ظل آس وجرجير ونرجسة      وسوسن زان وردا بين نسرين  
وكزمة ذات أعنابٍ مذلة      من كل أقطارها تحت الأفانين

(١) أنف الرّيم : أوله

شبهت فيها العناقيد التي بقيت  
خاتمة من يواقيت متصدرة  
فمينا غمدق وماؤها غبق  
فيها زراي قد بُثَّتْ ملثمة

فما رضى حسن الكوفي، قال :

كانها كاعب حناء أبرزها  
تبرجت لتروق الناس بهجتها  
والأيك مائلة الأغصان زائدة  
إذا الرحاء جرت في نوزها لفظت  
كأنما أليست أكلها حلالاً

وقال علي بن الجهم :

لم يضحك الروض إلا حين أجمه  
بدا فأبدى لنا دنيا محاسنها  
مقابلت قصب الرمان طلته  
بين النديمين والخلين مسرعة  
فبادرته يد المشتاق تسنده  
لا عذب الله إلا من يذبه

وقال البعري :

سقى النيث أكناف الحصى من محلة  
إلى الحقف من رمى اللوى المتناود<sup>(١)</sup>

(١) ديوانه ٨٩، ٩٠.

(٢) ديوانه ٦١٣. والمخفف. المروج من الرمل. واللوى : ما التوى منه .

ولا زال مخفراً من اللون بائع<sup>(١)</sup> عليه بمحمر من النور حاشد<sup>(٢)</sup>  
 يذكرنا رؤيا<sup>(٣)</sup> الأجنة كلما  
 شقائق يحملن الندى فكانت  
 ومن لؤلؤ كالأحوان منظم  
 وقال أيضاً :

وكان الحوادث والأحوان لا  
 قطرات من السحاب وروض<sup>(٤)</sup>  
 فغنّ نطمان : لؤلؤ وفريد<sup>(٥)</sup>  
 نثرت وردها عليه الحدود  
 وقال أيضاً :

وقد نبّه الثوروز في فسق الدجى  
 ومن شجر ردّ الربيع لباسة  
 وقال الحسن بن وهب :

طلعت أوائل للربيع فبشّرت  
 وغدا السحاب يكاد يسحب في الثرى  
 يبكي فيضحك نورهن ، فياله  
 وترى السماء إذا أجدّ ركبها  
 وترى الفصون إذا الرياح تأرجت  
 ولأبي زرعة الدمشقي :

وقد أخذت زهر الرياض حلّيتها  
 وألبست الأرض الفضاء الخراف

(١) الديوان : مخضر من الروى .

(٢) الديوان : « حاسد » .

(٣) الديوان : « رؤيا » .

(٤) ديوانه ٧٢٢ ، ٧٢٣ .

(٥) ديوانه ٧٠٩٠ .

لُجَيْنٌ وَعِيقَانُ يَرُوقُ وَجَوْهَرُ  
تَهَادَى التَّلَاعُ النُّورُ مِنْكَا وَعَنْبَرُ  
كَأَنَّ أَبَارِيقَ الدَّمَامَةِ يَنْهَى  
تَوَلَّاهُ أَيْدِي الرِّيحِ اللِّطَافُ  
تَوَدَّهِ أَنْفَاسُ الرِّيحِ الْعَوَاصِفُ  
مِنَ النَّظَرِ الْأَعْلَى ظِلَالُ رَوَافِفُ  
وَلِبَكْرُ بْنُ حَمَادٍ :

فَقِيًّا لِأَيَّامِنَا الذَّاهِبَاتِ  
وَهَذَا الرِّيحِ وَرَبْعَانُهُ  
يَذْكُرُنِي الْوَرْدَ حَمْرَ الْخُدُودِ  
وَسَوْسَنَهُ مَحْنِ خَدِ الْفَتَا  
وَنَشْرَ الرِّيحِ رِيَّاحِ الْحَبِيبِ  
يَجُودُ بِهَا الطَّلُّ وَشَى النَّبَاتِ  
وَلِخَمْدِ بْنِ يَزِيدٍ :

وَرَوْضَةٌ صَنَفُ النُّوَارِ جَوْهَرُهَا  
كَأَنَّ مَا تَجَنَّبْنِيهِ مِنْ زَخَارِفِهَا  
مَا أَتَيْتُكَ لَعِينٍ فِيهَا أَعْيُنُ ذَرْفِ  
حَتَّى كَانَ أَفَانِينَ النَّبَاتِ بِهَا  
كَأَنَّ غَدْرَانَهَا بِالرُّوضِ مَحْدَقَةٌ  
فِيهَا كَلَشْتُ مِنْ حَسَنِ وَمِنْ طَيْبِ  
أَخْلَافٍ مُسْتَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ مَحْبُوبِ  
تَبَكَّى بِدَمْعٍ مِنَ الْأَنْوَاءِ مَسْحُوبِ  
عَلَى اللَّيَالِي أُنُوفِ الْيَعَاسِبِ  
تَحْيِيرُ ثُوبٍ مِنَ اللَّوْثِ مَحْضُوبِ  
وَقَالَ كُشَاجِمُ :

إِلَى الرُّوضِ الَّتِي قَدْ زَيَّنَتْهُ  
بِكَيْنٍ عَلَيْهِ فَاتَّبَعَتْ رُبَاهُ  
شَايِدُ السَّعَابِ بِالْبَكَاهِ  
تَبَاهَى فِي زَخَارِفِ نَجْمِ مَاءِ

كَأَنَّ الْأَمْحُوانَ بِمَآئِدِهِ عَذَارَى يَبْتَغِينَ مِنَ الْحَيَاءِ

وقال ابن الرِّفَاق :

وَحَدَائِقُ خُضْرِ الْمَاعِطِ أَلَيْسَتْ مِنْ حَسَنِ بَهْجَتِهَا ثِيَابُ زَبَرْجَدٍ<sup>(١)</sup>  
جَرَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ فَضَلَّ رَدَائِهَا<sup>(٢)</sup> فَيَرَى زَبَرْجَدَ هُنَّ تَحْتَ الْمَسْجِدِ

وقال أيضاً :

وَرَوْضَةٌ عَاطِرٌ بِنَفْسِهَا عَطَّرَهَا وَشَيْهَا وَسَدَسُهَا<sup>(٣)</sup>  
لَا غَذَّتْهَا السَّعَابُ دِرَّتْهَا مِنْ فَوْقِ حَوَازِيهَا وَرَجَسُهَا<sup>(٤)</sup>  
خَافَ عَلَيْهِ الْغَمَامُ حَادِثَةً فَلَّ سَيْفَ الْبَرِّ قِيَمَرُهَا

وقال أيضاً :

نُثِرَ الْوَرْدُ فِي الْفَدِيرِ وَقَدْ دَوَّخَهُ بِالْهَيُوبِ نَشْرُ الرِّيحِ<sup>(٥)</sup>  
مِثْلَ دَرْعِ الْكَلْبِ مَزَّقَهَا الْقُلُوبُ فَالَتْ دِمَاءَهُ بِمِرْجَاحِ

وقال أيضاً ،

وَقَرَاةُ زَرْقَاءَ رَاقٍ صَفَاؤُهَا قَدْ ضَمَّ زَهْرَ الْجَلَنَارِ رَدَاؤُهَا<sup>(٦)</sup>  
فَاعْجَبَ رَاحَ كَأْسُهَا مِنْ فِضَّةٍ مَا لِنْ تَسِيلُ وَقَدْ يَسِيلُ لِنَاؤُهَا

(١) ديوانه ١٤٠

(٢) الديوان : « زرت عليه الشمس »

(٣) ملحق ديوانه ٢٩٤

(٤) في الأصول : « حوادتها » ، وللتبت من الديوان . والمخوفان : تبت .

(٥) ديوانه ١٤٠ ، وفيه : « وقد درجه » .

(٦) ديوانه ٢٨٢ .

ومن ملح الأدباء وما تصرفوا به في الأنوار ما كتب به أبو دلف إلى  
ابن طاهر يعاتبه :

إخاؤكم كالورد ليس بلباسهم ولا خير فيمن لا يدوم له عهد<sup>(١)</sup>  
وعهدى لكم كالأس حناً وبهجة له ورق خضر إذا فنى الورد

فأجابه ابن طاهر :

وشبّهت ودّى الورد فيما تنمّه وهل زهرة إلاّ وسيدّها الورد<sup>(٢)</sup>  
إخاؤكم كالأس مرّ مذاقّه وليس له في الريح قبل ولا بعد

ولم يأت أحد بأخف من تشبيه ابن الرومي في ذمّ الورد :  
كانه سمرّ بفسل حين أبرزه بعد الخراء وباقي الرّوث في وسطه<sup>(٣)</sup>

وقال أبو الشيمس :

يا من تجلّى بريحانه ينادمه من بين ورد وخيرى ونشرب<sup>(٤)</sup>  
وياسمين وعود ما يفسره ما كان أحسن ذا لو لم يكن دوى

وقال أبو المصطفى الطائي :

كأن عيون النور زين بالنسدى عيون ترسلن الدموع على عذلى

وقال أيضاً :

ترى للنسدى فيه مجالا كأننا نثرن عليه لؤلؤا فسدّا

(١) نهاية الأرب ١١ : ١٩٢

(٢) نهاية الأرب ١١ : ١٩٣

(٣) نهاية الأرب ١٠ : ١٩٢ ، وقوله :

مادح الورد لا تنفك عن غلظ  
أنت تنظره في كمّ ملتصقة



قوله : حديقة ، أى بستان . زخرفها ، أى زيتها . تنوّعت أزهارها :  
اختلفت أنواع أزهارها .

وهذه الحديقة التى ذكر من حسناتها مثل البستان الذى دخله عروة بن الزبير  
مع عبد الملك بن مروان - وكان عروة معرضاً عن الدنيا - فعين رأى فى البستان  
الوصف الذى ذكر الحريرى قال : ما أحسن هذا البستان ! فقال له عبد الملك :  
أنت والله أحسن منه ، لأنه يؤتى أكله كل عام وأنت تؤتى أكلك كل يوم ،  
وكان عبد الملك يجب عروة ويعظمه ، على ما بين الزبيرية والمروانية من التباغض .

وقال لابن شهاب حين وفد عليه : عند من طلبت ؟ قال : عند سعيد بن المسيب  
وسليمان بن يسار وقبيصة بن ذؤيب ، قال عبد الملك : فأين أنت من عروة بن  
الزبير ؟ فإنه بحر لا تنكذره الدلاء . قال ابن شهاب : فلم أبارح عروة بعد حتى مات .

قال ابن وكيع فى وصف ما ذكره الحريرى :

ألمت ترى وثى الربيع تنثما	وما صنع الربيع فى ونظما <sup>(١)</sup>
وقد حكى الأرض السماء بنورها	فلم أر فى التشبيه أيها سما
فتعزتها كالجزر فى حسن لونه	وأنوارها تحكى ليلتك أنما
فمن نرجس لما رأى حسن نفسه	تداخله عجب به فتبسم
وأبدى على الورد الجنى تالولا	وأظهر غيظ الورد فى خده دما
وزهر شقيق نازع الورد فضله	فزاد عليه الورد فضلاً وقدم
فظل لقرط الحزن يلطم خده	فأظهر فيه اللطم جرماً مضرم
ومن سوسن لما رأى الصنغ دونه	على كل أنواع الرياض قسما
تجلبب من زرق اليواقيت حلة	فأغرب فى اللبوس فيها وأحكما

(١) ديوانه ٩٢ ، ٩٣ ، بقية الدهر ١ : ٢٢٦ .

(١٣) - شرح مقامات الحريرى ج ٢

وأَنوار مشور يخالف شكلها  
جواهر لو قد طال فيها حياتها  
وقال أبو بكر البلوي :

وروضة بات طَلَّ الغيث ينسجها  
يسكي عليها بكاء الصب فارقه  
إذا تنفس فيها ربيع سوسنها  
أقول فيها لساقينا وفي يديه  
لا تمزجها بغير الریق منك فإن  
أقل ما بي من عينيك أن يدي  
وقال الوزير الهلبي :

الورد بين مضنخ ومضريج  
طلح النهار فلاح نور شقائق  
والثلج يهبط كالنثار قم بنا  
فكان يومك في غلالة فضة  
وقال السري :

وحديقة ينسك وشي برودها  
يجرى النسيم خلالها فكانما  
طارق قلوب أهل تحقّق بينها  
طارق عقيقة برقه فكانما  
حتى تشبها سباب عبقرى<sup>(١)</sup>  
غمست فضول رداها في العبر  
بحقوق رايات السحاب للمطر  
صدعت ممسك غنيمة بمصفر

وقال السّلامى :

نَسَبُ الرِّياضِ إلى الغمامِ شَرِيفٌ      وَعَملُها عندَ النِّسيمِ لَطِيفٌ<sup>(١)</sup>  
أَوْ ما تَرى طَرَفَ البَروقِ تَوَسَّطُ      أَهْلاً كَأَنَّ المَزنَ فيه شَنُوفٌ<sup>(٢)</sup>  
وَاليَومُ من حَجَلِ الشَّقِيقِ مُضَرَّجٌ      حَجَلٌ ومن مَرَضِ النِّسيمِ ضَيفٌ  
وَالأَرْضُ طَرَسٌ وَالرِّياضُ سَطُورُهُ      وَالزَّهَرُ شَكْلٌ يَينِها وَحُروفُ  
فأَدِرْ سَقِيتَ الرِّىَ جَامَكَ إِنَّه<sup>(٣)</sup>      يَومٌ عَلى كَبَدِ الزَّمانِ خَفيْفٌ

قوله : السكيت ، يعنى الغمر . الشَّموس : التى فيها حَذَّةٌ . والشَّموس :  
السّماء التى فيها وجوههم كالشمس ، وللسّلامى فى ذلك :

وَظَلِيبَةٌ من بَناتِ الأَنسِ فى يَدِها      وَوَجْهَها لِلصَّبَا وَالْحِسنِ خاتَمٌ<sup>(٤)</sup>  
قَدِ حَلَّتْ لَوْلُؤُ الأَزْرارِ عَن دُورِ      لَهنَ فى ثَغرِها الفَضَى أَتَوامٌ<sup>(٥)</sup>  
وَزَارَتْ الأَرْضَ مِنْها مَقْلَتانِ لَما      وَحِشيتانِ وَعَذَبَ الرِّيقُ بَئامُ  
وَالكَاسُ لِلسَّكرِ التَّبرِىِّ صائِغةٌ      وَالماءُ لِلحَبِّبِ الدَّرىِّ نَظامُ  
بَقِيتُنا نَكْفِكَفُ بِالكَاساتِ أَدَمَنا      كَأَننا فى حُجُورِ الرُّوضِ أَيتامُ

وهذه أشعار غريبة عجيبة ، ولا بد من سكرة فى ذلك :

اشرب فى اليَومِ فَضْلَ لَوَعَلَّتْ بِهِ      بادرتِ بِاللَّهْوِ واستَجَلَّتْ بِالطَّرَبِ<sup>(٦)</sup>  
وَرَدَ الخَدُودِ وَوَرَدَ الرُّوضِ قَدِ جَمِعا      وَالغَيمُ مَبْتَسِمٌ وَالشَّمسُ فى الحِجَبِ

(١) يَنيمَةُ الدَّهرِ ٢ : ٣٨٠ .

(٢) البَيِّمة : « شَفُوفٌ » .

(٣) البَيِّمة : « فَاشْرَبْ وَتَقَلَّ وَزَنَ جَامَكَ إِنَّه » .

(٤) يَنيمَةُ الدَّهرِ ٢ : ٣٧٩ . وَخاتَمٌ ، أَيْ خاتَمٌ .

(٥) أَتَوامٌ : جَمْعُ تَوَمَةٍ ؛ وَهى الأَوَّلُوةُ الكَبيْرةُ .

(٦) يَنيمَةُ الدَّهرِ ٣ : ١٦ .

لا تحبس الكأس واشربها مشعشة حتى تموت بها موتاً بلا سبب  
وقال سيف الدولة وذكر قوس فزح :

وساقٍ صبيح للصُّبوح دعوتُهُ هَمٌّ وفي أجفانه سِنَّهُ الفَمَضِ (١)  
يطوف بكلماتِ العقار كأنهم فن بين منقَضٍ عليها ومنقَضٍ  
وقد نشرت أيدى الجنوب مطارفاً

على الجَوِّ دُكْنًا والحواشي على الأرضِ  
يطرُّزها قَوسُ السماء بأصفرٍ على أخضرٍ في أحمرٍ تحت مبيضٍ  
كأذبال حَوْدٍ أقبلت في غلائلٍ مصبغةٍ والبعضُ أقصرُ من بعضٍ  
وهذه من التشبيهات الملوكية التي لا يحضر السوق مثلاً . وقال ابن الزقاق :

وشادن طاف بالكتوس ضحىً فحسبها والمصباح قد وصفاً (٢)  
والرَّوضُ يُبدى لنا شقائقه وآسه المنبرى قد فصفاً  
قلنا وأين الأفاح ؟ قال لنا أودعته نَفرٌ مَنْ سقى القلداً  
فظلَّ ساقى العقار يحجزه عَنَّا فلما تبسَّم اختضعا (٣)  
وقال أيضاً :

نَبَتْهُ ونجومُ الليل زاهرة والفجر منصدعٌ والصُّبْحُ قد لاح (٤)  
والليل منهزم ولت عاكِره والرَّوض مبتسمٌ والزهر قد فاحاً  
هَمَّامٌ يمسحُ عينيه براحتِهِ فخلَّته في ظلام الليل مصباحاً

(١) بيتية الدهر : ١ : ١٢٤ .

(٢) ديوانه ١٢٤ .

(٣) الديوان : « فظل ساقى العقار يجعد ما قال » .

(٤) ديوانه : ٢٩٢ .

قوله الشاذي : للفنى . يلبيه : يشغله ويزيل هم . يقرى : يعطى ويهدى .  
سمع : أذن . ولبعضهم فى غلام مفن - وأجاد :

فديتك يا أتمّ الناس ظرفاً وأصلحهم لتخذه حبيبا  
فوجهك زهرة الأبصار حُسنًا وصوتك أمتع الأصوات طيبا  
وسائله تسأل عنك قلنا لها فى وصفك المعجب الجيبا  
رنا ظيبا وغنى عندليباً ولاح شقاها ، ومشى قضيباً  
وقال ابن الرقاق :

يذكرنى تمنانُ شدو غنايه على الأيك تَحَنُّانُ الحمام المفرد<sup>(١)</sup>  
له نغمات أفحمت كلَّ صادق وصوتُ نشيدٍ قد شجا كلَّ منشِدِ  
فدع كل ما حُدِّثت عن صوت مَمْبِدٍ وطارحُ نشيدٍ عن نشيدِ ابن مَعْبِدِ

قوله : اطمأن ، أى استقر وسكن . وغلّ : دخل ، والواغل الداخل على  
الشّراب ولم يُدع إليه . ذمر : شجاع ، والنمر أيضاً : الخبيث ذو الدهاء ، وهو  
مخفف من ذمر ، وهو الشجاع ، والجمع أذمار ، ومنه فلان حامى النّمار ، معناه :  
يحمى ما يلزمه أن يحميه ، وسعى ذماراً لأنّ الإنسان يذمر نفسه ، أى يجرّضها به ،  
وذمرتُ الرجل أذمره ، إذا حرّضته . طثر : خلق . تجمّته : عبسنا له ، والجهامة :  
العُبوس ، ويقال : تجمّته فلان بكذا ، يتجمّته ببعته .

[ مما قيل فى الشيب والشباب ]

الفيد : النساء الحسنات الأعناق . الشيب : الشيوخ ، الواحد أشيب .  
شيب : كدّر ونقص ، وأوّل من نطق بهذا المعنى امرؤ القيس بقوله :

أراهنّ لا يُحِبُّين من قلّ ماله ولا من رأين الشَّيب فيه وقوساً<sup>(١)</sup>  
وعقصة في قوله :

إذا شاب رأسُ المرء أو قلّ ماله فليس له من ودّهين نصيبُ<sup>(٢)</sup>  
وقال حبيب في هذا المعنى فأحسن :

ليبّ الشيب في المفارق بل جدّ فأبكي تُماضراً ولعوباً<sup>(٣)</sup>  
يانسب الثَّمام ذنبك أبى حسفاى عند الحسان ذنوباً<sup>(٤)</sup>  
ولئن عبت ما رأين لقد أنكرن مستنكراً وعين مَعِيها<sup>(٥)</sup>  
لو رأى الله أن للشيب فضلاً جاورته الأبرار في الخلد شيها  
وقال علي بن الجهم :

أنكرت ما رأت برأسي وقالت أمشيبُ أم لؤلؤ منظوم<sup>(٦)</sup>  
قلت أولاهما برأسي فأنت<sup>(٧)</sup> أنّة يستثيرها المهوم  
حسرت عني القِناعَ ظلوم فتولّت ودّمها مسجُوم  
وقال عمرو الوراق :

لا تطلبن أثراً بعينٍ فالشيب إحدى الميقتين<sup>(٨)</sup>  
أبدى مقابح كل شيدٍ وعسا محاسن كل زينٍ

(١) ديوانه ١٠٧ ، وقوس ، أى كبر واضوى كأنطواء القوس .

(٢) المفضليات ٣٩٢ .

(٣) ديوانه ٢٥ ، وتماضر ولعوب من أسماء النساء .

(٤) الثمام : هجرة بيضاء الزهر والثمر ، يشبه بها الشيب . وفي الديوان : « عند النوانى » ..

(٥) الديوان : « خيرا » .

(٦) الديوان :

(٧) ديوانه ١٧٦ :

\* قلتُ شيبٌ وليس عيباً أنت \* .

(٨) الشيب والشباب ..

فإذا رأيتَ النانيا ت رأيتَ منك غرابين  
ولربما نافس فيك وكن طوعاً للدين  
أيام هتك الشبا ب وأنت سهل العارضين

الفتجديهي : من أحسن ما سمعت في هذا المعنى قول ابن البياض ، رحمه الله تعالى :

عرض للشيب بعارضى فأعرضوا  
فكان في الليل البهيم توسلوا  
ولقد رأيت وما رأيت بمثله  
وتوضت خيم الشباب قوضوا  
حزرا وفي الصبح للنير تمبضوا  
ينتا غراب الين فيه أبيض

وقال حبيب وزاد في الشيب لقاء الخلد :

راحت غواني الحى عنك غوانياً  
من كل سابعة الشباب إذا بدت  
أزرين بالمرود الفطارف بدنا  
أحلى الرجال من النساء موافقاً  
حتى إذا ما الشعر سود وجهه  
يابسن نانيا تارة وصودوا<sup>(١)</sup>  
تركت حميد القريتين عيلاً<sup>(٢)</sup>  
غيداً ألفتهم لنا جيدا  
من كان أشبههم بهن خلودا  
عاد للسود ينهن مسوداً<sup>(٣)</sup>

هذان من قول الأعشى :

وأرى النوانى لا يواصلن امرأ  
ولحبيب - وروى لأبي دلف :

(١) ديوانه ٨٧

(٢) الديوان : « حميد القوم »

(٣) لم يرد في الديوان

(٤) ديوانه ٢٢٧، وروايته : « إن النوانى ».

نظرت إلىّ بعين من لم يبدل  
لما رأت وضح للعيب بلحيق  
فجعت أطلب وصلها بتلف  
والشيب بفرزها بالأف تفعل  
وقال محمد بن أمية :

رأيت النواني الشيب لاج بمارضى  
وكنّ إذا أبصرنى أو سمعنى  
وللشريف الرضى رحمه الله :

قالوا للشيب فعم صباحا بالنهى  
لودام لى ود الكواعلم أبل  
لكن شيب الرأس إن يك طالما  
إن أعرضت عنه الخلود فطالما<sup>(١)</sup>  
ولقد يكون وماله من عاذل  
كان السواد سواد عين حبيبه  
لو لم يكن فى الشيب إلا أنه  
وقال أيضاً :

لجام الشيب نى لى جيلدى  
لوى عنى الخلود من النواني  
وصار يباضة عندى سواداً  
ورباني لمدالى وراضاً<sup>(٢)</sup>  
وغض عنى الحدق الرضا  
وكان سواده عندى بياضا

(١) ديوانه ٣٧٠ .

(٢) الديوان : « غائر » .

(٣) الديوان : « إن أصنعت » .

(٤) ديوانه ٤٢٢ .



ودخل أبو دلف على المأمون ، وقد ترك الخضب ، فمزجارية عنده أن  
تعبث به ، قالت : شبت يا أبا دلف ، إنا لله وإنا إليه راجعون ! فسكت عنها ،  
فقال له المأمون : أجبها ، فأطرق برأسه ثم رضع ، فقال :

تهزأت إذ رأيت شبي فقلت لها لا تهزئي من يطل عمره به يشي<sup>(١)</sup>  
شيب الرجال لهم زين ومكرمة وشيكن لكن الويل فاكثوي  
فيتالكن - وإن شيب بدا - أرب<sup>٢</sup> وليس فيكن بعد الشيب من أرب

\* \* \*

إِلَّا أَنَّهُ سَلَّمَ تَسْلِيمَ أُولَى الْفَهْمِ ، وَجَلَسَ يَفْضُ لَطَافَ الثَّرِ  
وَالنَّظْمِ ، وَنَحْنُ نَنْزَوِي مِنْ أَنْبِطِطِهِ ، وَنَنْبِرِي لَطَى بِسَاطِهِ ،  
إِلَى أَنْ غَنَى شَادِنَا الْمُنْرِبِ ، وَمَعْرَدَنَا الْمُطْرِبِ :

إِلَامَ سُعَادَ لَا تَصْلِينَ حَبْلِي وَلَا تَأْوِينَ لِي مِمَّا الْآفِي  
صَبَرْتُ عَلَيْكَ حَتَّى عِيلَ صَبْرِي وَكَادَتْ تَبْلُغُ الرُّوحُ التَّرَاقِي  
وَهَا أَنَا قَدْ عَزَمْتُ عَلَى اتِّصَافٍ أَسَاقِي فِيهِ خَلَى مَا يُسَاقِي  
فَإِنْ وَصَلًا أَلَدُ بِهِ فَوْضَلُ وَإِنْ صَرَمًا فَصَرْمُ كَالطَّلَاقِ  
قال : فاستفهمنا العايت بالمشافي ، لم نصب الوصل الأول ورفع  
الثاني ؟ فَأَقْسَمَ بِزُبَّةِ أَبِيهِ ، لَقَدْ نَطَقَ بِمَا اخْتَارَهُ سَيَبُويه .

\* \* \*

قوله : « يَفْضُ » يَكْسِرُ - لَطَامٌ : أَوْعِيَةُ الطَّيْبِ ، وَجَطَلُ الْكَلَامِ مجازاً . نَزَوِي :

تنقبض . وتنبرى : نبادر . على بساطه : لتطعم كلامه . المغرب : الحسن الفناء الآتى .  
بالمغرب فيه . والشادى والمغرّد واحد وهو المنفى . المغرب : الآتى بالقرب وهو  
الاهتزاز بالسرور ، وقد يكون من شدة الحزن ، وقال ابن رشيق فى معنى :

غنى يا مجرّد الخلق عندي : « حتى يجدا ومن بأكناف نجد »<sup>(١)</sup>  
واسقى ما يصير ذو المخل منها حاتما والجبان عمرو بن معدى  
فى زمان الشباب عاجلى الشئ بـ فهذا أوائل الدن دردى

وقال البجل فى مفتية :

ولاعبة الوشاح بنصن بان لها أثر بتقطع القلوب  
إذا استولت طريق العود نقرأ وغنت فى حب أو حبيب  
فشناها بفديها فؤادى ويُسراها تقدّرها ذنوبى

قوله : تأوين ، أى تشققين . عيل : غلب ، وأنت الروح لأنه ذهب به إلى  
النفس ، قال ابن علفر : الروح التى يكون به الحياة ، وإذا فارق الجسد كان الموت .  
والنفس التى بها العقل وهى المتبوضة عند النوم ، ولا معنى للإكثار فى هذا ، لأن  
الشارع ليس له فيه قول يعول عليه ، ولالحواس على إدراكه حوّل فهندى إليه .

التراقى : العظمان الموجان أعلى الصدر : خلى : صاحى . صرم : قطعة .  
ويستفح عندهم مجازاة الحبيب على إساءته ، كبيت امرئ القيس :

• فسلّ ثيابى من ثيابك تفسل •<sup>(٢)</sup>

(١) نقله فى التنف ٧٦

(٢) ديوانه ١٣ وصدره :

• وإن تك ساءتلك منى خليفة •

وقول طرفة :

وَإِذَا تَلَسُّنِي السُّهَاءُ أَتَيْ لَسْتُ بِمُوهُونٍ قَرِيٍّ<sup>(١)</sup>

وقول الأعرابي :

إِنْ كَانَ أَهْلُكَ يَمْنُونُكَ رَغْبَةً عَنِّي فَأَعْلِي بِي أَضْنُ وَأَرْغُبُ  
وَالْمُسْتَحَبُّ عِنْدَهُمْ قَوْلُ ابْنِ رَبِيعَةَ :

أَلَا يَأْمَنُ أَحَبُّ بِكُلِّ نَفْسٍ وَمَنْ هُوَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ حَسِيٍّ<sup>(٢)</sup>  
وَمَنْ يَظْلُمُ فَأَغْفِرْهُ جَمِيعًا وَمَنْ هُوَ لَا يَهْمُ بِغَفْرِ ذَنْبِي

وقال أبو نواس :

جَنَانٌ تَسْتَبِي - ذَكَرْتُ بِخَيْرٍ - وَتَزَعَمُ أَتَيْ رَجُلٌ خَيْثُ<sup>(٣)</sup>  
وَأَنْفٌ مَوْدِي كَذِبٍ وَمِينٌ وَأَنْفِي لِلَّذِي يُطَوِّى بَنُوْتُ  
وَمَا صَدَقْتُ<sup>(٤)</sup> وَلَا رَدَّ عَلَيْهَا وَلَكِنْ الْمُلُولُ هُوَ الْفَكُوتُ  
وَلِي قَلْبٌ يَنْزَعُنِي إِلَيْهَا وَشَوْقٌ بَيْنَ أَضْلَاعِي حَثْبُ  
رَأَتْ كَلْفِي بِهَا وَدَوَامَ عَهْدِي فَلَتَنِي كَذَا كَانَ الْخَدِيثُ<sup>(٥)</sup>

وقال ابن شهيد :

كَفَيْتَ بِالْحُبِّ حَتَّى لَوْ دَنَا أَجَلِي لِمَا وَجَدْتُ لَطْفَمَ الْمَوْتِ مِنْ أَلَمٍ<sup>(٦)</sup>  
وَعَاقِبِي كَرَمِي عَمَّنْ وَلَهْتُ بِهِ وَطَى مِنَ الْحَبِّ أَوْ طَى مِنَ الْكُرَمِ  
وَأَطَارِبُ مِنْ شَعْرِ الْقَامَةِ لِلْفَنَاءِ ، مَا حَكَى أَنْ الْقَاضِي أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عُمَرَ بْنَ عَيْسَى

(١) ديوانه ٤٨٥

(١) ديوانه ٧٤

(٢) ديوانه : « وليس كذا » .

(٣) ديوانه ٣٦٩

(٤) ديوانه ١٥٢

(٥) لم يرد في الديوان

من بنى يحى ، خرج إلى حضور جنازة ، وكان رجل من إخوانه ينزل بقرب مقبرة قريش ، فزم عليه بالليل إليه ، فنزل وأحضر له طعاماً ، وغنت جاريته :

طلبت بطيب لثائك الأقداحُ وزها بحمرة وجهك التّقاحُ  
وإذا الريح تنسّمت أرواحهُ نمتَ بِعرفِ نسيمك الأرواحُ  
وإذا الخنادس ألبست ظلماتها فضياء وجهك في الدّجى مضباحُ

فكتبها القاضي طرباً بها على ظهر يده ، ثم خرج . قال الراوى : فلقد رأيتّه يكبّر على جنازة والأبيات على ظهر يده .

وقال إبراهيم بن المهدي : دخلتُ يوماً على الرشيد وفي رأسه فضةٌ مُغار ، وبين يديه المنون ، قال : يا إبراهيم ، بحقّي عليك غنّني ، فأخذت المودَ فغنّيتُهُ من أشعار جرير :

أسرى ثلاثة الخيال ولا أرى شيئاً ألدّ من الخيال الطارق<sup>(١)</sup>  
إن البلية من تملّ حديثه فاتبع حديثك من حديث الوامق<sup>(٢)</sup>  
أهواك فوق هوى النفس ولم يزلْ مذبتْ قلبي كالجنّاح الخفافق  
شوقاً إليك ولم تجار مودتي ليس المكذب كالحبيب الصادق<sup>(٣)</sup>

وقال إبراهيم الموصلي لابن جامع : لو هذا طلب الفناء كان طلبه ، ما أكلنا معه الخبز ، قال ابن جامع : صدقت .

وعما ينتظم في هذا التتطع وينبغي به قول الآخر :

قال الوشاة لهند عن تصارمنا ولست أنسى هوى هنير وتنساني  
قد قلت حين بدا لي بحلّ سديك وقد تقبّع في بني وأحزاني  
هل تطمين وراء الحب منزلة تُدني إليك فإنّ الحب أقصاني

(٢) الديوان « فأنشع فؤادك »

(١) ديوانه ٣٩٧

(٣) ديوانه : « ليس المكاذب » .

والحريري لم يتعرض بشعره في هذا ، لأنه بنى البيت في المسألة ، لكن  
فيما ذكرناه زيادة بيان ، وأنه يجب أن يختار المفتى ما يتلقى للفناء من كل  
جهاته بالاستحسان

قوله : العاشر بالثاني ، أى اللالع بأوتار عود الفناء . وما يستحسن في  
وصف المود قول ابن القاضى :

جاءت بعود تناغيه ويُسلِّمها      فانظر بدائع ما خست به الشجرُ  
غنت على عودها الأطيَّار مفضحةً      غضا فلما ذوى غنى به البشرُ  
فلا يزل عليه أو به طربُ      يهيجه الأعجمان : الطير والوتر

وقال ابن شرف :

سقى الله أرضاً أنبت عودك الذى      زكت منه أغصانُ وطابت حمارسُ<sup>(١)</sup>  
تغنى عليه الطير والعود أخضرُ      وغنى عليه الفيدُ والعود يابسُ

ومما قيل في ذم منن :

لو أبصرت عينك بشراً جالاً      والعود في يده يثُ وساوسا  
لأريت منه فتى تحب بأن ترى      في الرأس منه مشاورا وطناً  
فإذا تربح - لا تربح بعدها -      وبدا يحرك عودَه متنافساً  
فكانَ جُرْذان المدينة كلها      في عوده يقرضن خبزاً يابساً

الثانى : أوتار بالعود، معروفة على سائر أوتاره . بترية أبويه، يريد عظامهما  
التي تصير تراباً في القبر ، ولعلك أنسى بالقبر .

## [ ترجمة سيويوه ]

وأما سيويوه قزاسي ، مولى لبني الحارث بن كعب ، واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر ، وتفسير سيويوه بالفارسية ربح التفاح ، وهو لقب له لأنه كان من أطيب الناس رائحة ، وأجلهم وجهاً ، وقد أشرنا إلى ذلك في الماشرة<sup>(١)</sup> . وقيل : معنى « سي » ثلاثون و « بويه » رائحة التفاح ، فكان معناه : الذي ضعف طيب رائحته ثلاثين مرة . وقيل : إن أمه كانت ترقصه بذلك وهو صغير فازمته .

وولد بالبيضاء ، وهي قرية بشيراز من عمل فارس ونشأ بها ، وقدم البصرة في أول أيامه ليكتب الحديث ، فلزم حلقه حماد بن سلمة فاستملى عليه يوماً قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ليس من أصحابي إلا مَنْ لو شئت لأخذت عنه ليس أبا المرداء » فقال سيويوه : ليس أبو المرداء ، بالرفع ، وظنه اسم ليس ، فقال حماد : لحقت ياسيويوه ، ليس هذا حيث ذهبت ، إنما ليس هنا استثناء ، فقال سيويوه : سأطلب علماً ليس يلحقني فيه أحد ، فلزم الخليل ، فبلغ في علم النحو النفاية ، وضرب به في ذلك المثل وهو أول مَنْ بسط طريقته ، وشرع شريعته ، وكتابه الإمام في النحو ، الذي لم يصنع قبله ولا بعده مثله ، وغاية لأئمة فهمه . وأخذه الأخفش عنه .

وقيل ليونس : ألف سيويوه كتاباً نحواً من ألف ورقة في علم الخليل ، قال : حتى سمع سيويوه هذا كله ! فأثي بكتابه ، فنظر فيه فقال : يجب أن يكون صدق عن الخليل ، كما صدق فيما حكاه عني .

وناظر الأصمعي سيويوه ، فظله الأصمعي بلسانه ، قال يونس : الحق مع سيويوه .

وكانت في لسانه حبة ، وقلمه أبلغ من لسانه . قال أبو زيد : كان سيويوه

يختلف إلى وهو غلام له ذؤابتان ، وإذا قال في كتابه : حدثني مَنْ أثق به ، فأما يعني .

قال الأخفش : كان سيبويه إذا وضع شيئاً من كتابه عرض على وهو يرى أنني أعلم منه ، وكان أعلم مني .

والأخفش هذا هو سعيد بن مسعدة مولى بني مجاشع ، يكنى أبا الحسن ، وهو الذي أخذ الكتاب عن سيبويه ، وهو أكبر من سيبويه ، وصحب الخليل . وأما الأخفش الكبير شيخ سيبويه فهو عبد الحميد بن عبد الحميد ، يكنى أبا الخطاب وهو الأخفش الكبير ، ويونس هو ابن حبيب ، يكنى أبا عبد الرحمن مولى بني ضبة ، أخذ النحو عن حماد بن سلمة وعن أبي عمرو بن العلاء ، وقيل : إنه جاوز المائة في سنه . ولما فاق سيبويه في علم النحو أهل عصره ، وبرز فيه على نظرائه من أهل دهره ، سمع أن الكوفيين ظهروا ببغداد عند الرشيد يعلم النحو ، وهم الكسائي وأصحابه ، فقصدهم ببغداد ، واطَّلم بمحضرة الرشيد وبمحاضرة يحيى بن برمك .

وناظره الكسائي ، وقيل الفراء بمحضرة الكسائي في المسألة الزنبرية<sup>(١)</sup> المشهورة ، وقد ذكرناها في الرابعة والثلاثين ، وكان - فيما ذكر - الظهور لسيبويه ، وتراضوا بينهم بشهادة الأعراب الحاضرين بباب الخليفة ، فقدم الكوفيون بجانبهم عند الخليفة للأعراب من لثمتهم أن يجيبوا عملاقة قول الكوفيين ، فأجابوا بذلك ، فخرج سيبويه خجلاً وكاد يموت غماً ، فزعموا أنهم شفّعوا لرشيد لئلا يرجع مغلوباً خائباً ، فأمر له بمشرة آلاف درهم ، فانبعث إلى الأهواز ولم يرجع على البصرة . فأقام هناك مدة مديدة إلى أن مات .

وحكى أنه لما انصرف عنهم مقبوماً لقي الأخفش سعيد بن مسعدة ، فأخبره

بتأليم عليه، فدخل الأخفش، فسأل الكسائي عن مائة مسألة فخطأه فيها كلها ، فقال له : أنت سعيد بن مسعدة ؟ فقال له : نعم ، فسأله أن يؤدب أولاده فأجابه . وقرأ عليه الكسائي كتاب سيبويه ، وأعطاه سبعين ديناراً .

ويروى أنه لما بلغ الكسائي موته، قال للرشيد : يا أمير المؤمنين، أدّ عني دينته ، فإني أخاف أن أكون شاركت في موته .

وقيل : إنه مات من ذَرَبِ العدة .

وقيل : إنه لما خرج عنهم سأل مَنْ يرغب من الملوك في النعمو ، قيل له : طلحة بن طاهر بخراسان ، قصده ، فلما انتهى إلى ساوة مرض ومات .

ولما احتضر وضع رأسه في حِجْر أخيه ، قطرت دمعة من دموعه على خده ، فرفع عينيه إليه ، وقال :

أَخَيَّيْنِ كَنَا فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا إِلَى الْأَمْدِ الْأَقْصَى ، وَمَنْ يَأْمَنِ الدَّهْرَ !<sup>(١)</sup>  
ثم قال عند موته :

تَوَمَّلْ دُنْيَا لَنَبْقَى بِهَا وَتَأْتِ النِّيَّةُ دُونَ الْأَمَلِ<sup>(٢)</sup>  
حَتَّى تَبْرُؤَ أَصُولَ الْقَسِيلِ فَاشِ الْفَسِيلُ وَمَاتَ الرَّجُلُ .

وفيه أنه مات بشيراز وقبر بها سنة ثمانين . وقيل سنة أربع وتسعين ومائة .  
قال أبو سعيد الصولي : رأيت على قبره مكتوباً لسلطان بن يزيد :

(١) إنباه الرواة ٢ : ٣٥٧ .

(٢) إنباه الرواة ٢ : ٣٦٠ .



ذهب الأعبة بعد طول تَروارٍ      وذى المزار فأسدوك وأسرَعُوا  
نركوك أوحش ما تكون بقفرة      لم يؤنسوك وكربة لم يدَقُوا  
ففى القضاء ومرت صاحب حُفرة      عنك الأعبة أعرضوا وتصدَعُوا

\* \* \*

فَشَعَبَتْ حِينَئِذٍ آراءَ الجمعِ ، فى تجويز النصبِ والرفعِ ، فقالت  
فرقة : رفعهما هو الصواب ، وقالت طائفة : لا يجوز فيها إلا  
الاتصاف ، واستنبههم على آخرين الجواب ، واستقر بينهم الاصطحاب ،  
وذلك الواغل يبدى اتسام ذى معرفة ، وإن لم يَفُهْ بينت شفة ،  
حتى إذا سكنت الزماجر ، وصمت المزجور والزاجر . قال : يا قوم ،  
أنا أبتشكم بتأويله ، وأميز صحيح القول من عليه ؛ إنه يجوز رفع  
الوصلين ونصبهما ، والمغايرة فى الإعراب بينهما ، وذلك بحسب  
اختلاف الإضمار ، وتقدير المحذوف فى هذا المضمار . قال : ففرط من  
الجماعة إفراط فى مماراته ، وانخرط إلى مباراته .

\* \* \*

قوله : شَعَبَتْ ، تفرقت ، وشَعَبْتُ الشيء : فرقته وجمعته ، وهو من الأضداد .  
ورجل شباب : يضم ويجمع . آراء : جمع رأى . واستنبههم : استغلق . استقر :  
اتقد : الاصطحاب : اختلاط الأصوات ، وقد صخب صخباً . بنت شفة : كلمة .

[ بعض حكايات النحويين ]

ومثل اختلاف هذه الجماعة على المعانى فى رفع «وصل» وخفضه ، اختلاف  
أصحاب الواثق<sup>(١)</sup> على جارية غفَّت بمحضرتها :

أظلمُ إن مصابكُم رجلاً أهدى السَّلامَ نعمةً ظلمُ  
وذكر الحريرى فى القصة : أن أبا العباس البرد ذكر أن أبا عثمان المازنى

(١) ورمت هذه الحكايات فى النواس ٤٣ ، ولذاته الرواة ٢٤٩ : ١ ، وبلغات الزيدى ٩٣

(١٤ - شرح مقامات الحريرى ج ٢)

قصده بعضُ أهلِ الذمة ليقراً عليه كتاب سيويوه ، وبذل له مائة دينار ، فامتنع أبو عثمان من قبول بذله ، قُلت له : جعلت فداك ! أتترك هذه النفقة ، مع فاقك وشدة إضاقتك ؟ قال : إن هذا الكتاب يشتمل على ثلثمائة كذا وكذا آية من كتاب الله تعالى ، ولست أرى أن أمكن منه ذمياً ، غيرةً على كتاب الله وحمية له .

قال : فاتفق أن غُتت جارية بحضرة الوراق بقول المرحى : أغلوم . . . البيت ، فاختلف منْ بالحضرة في إعراب « رجل » فمنهم من نصبه بأن أنه اسماء ، ومنهم من رفعه على أنه خبرها ، والجارية مُصِرَّة على أن شيخها أبا عثمان لقنها إياه بالنصب ، فأمر الوراق بإحضاره . قال أبو عثمان : فلما مَثَلْتُ بين يديه قال : بمن الرجل ؟ قلت : من بنى مازن ، قال : من أى الموازن ؟ أمازن تميم أم مازن قيس ؟ أم مازن أم ربيعة ؟ قلت : من مازن ربيعة ، فكلَّمنى بكلام قومى وقال لى : باسمك ؟ يريد ما اسمك - وهم يقابلون الليم باء والباء ميما إذا كان فى أول الأسماء - فكهرت أن أجيبه على لغة قومى لثلا أواجه بالسكر ، قُلت : بكر يا أمير المؤمنين ، فظن لما قصدته وأعجب منه ، ثم قال : ما تقول فى قول الشاعر :

• أغلوم إن مصابكم رجلا •

أترفع « رجلا » أم تنصبه ؟ قلت : بل الوجه النصب ، قال : ولم ذلك ؟ قلت : « إن مصابكم رجلا » مصدر بمعنى إصابكم . فأخذ اليزيدى فى معارضتى قلت : هو بمنزلة قولك : إن ضربكم زيداً ظلم ، فالرجل منهول بمصابكم ومنصوب به ، الدليل عليه أن الكلام معلق إلا أن تقول « ظلم » فيتم . فاستحسنه الوراق وقال : هل لك من ولد ؟ قلت : نعم ، بنية يا أمير المؤمنين ، قال : ما قالت لك عند مسيرك ؟ قلت : أنشدت قول الأعشى <sup>(١)</sup> :

أيا أبتاً لا تَرِمُ عندنا فإنا بخير إذا لم تَرِمْ  
أرانا إذا أسمرتك البلا د نُجَى وتُطع منا الرحِم

قال : فاقلتَ لها ؟ قال : قلت قول جرير :

رُفَى بالله ليس له شريكٌ ومن عند الخليفة بالتجاح<sup>(١)</sup>  
قال : أنت على النجاح إن شاء الله تعالى . ثم أمر لى بألف دينار  
ورَدَّنى مكرماً .

قال أبو العباس : فلما عاد إلى البصرة قال : كيف رأيتَ يا أبا العباس !  
ورَدَّنا لله تعالى مائة نعوذنا بألف .

قال الحررى : فهذه الحكاية ترغَّب في اقتباس الأدب ودراسته حيث  
استعطف للمازنى الوائق بيت الأعشى حتى اهتز لإحسان صوته  
قال : وفي أخبار النحويين<sup>(٢)</sup> أيضاً أنَّ المازنى سئل بمحاضرة المنوكل عن  
قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا ﴾ فقيل له : كيف حذف الماء من « بغيا »  
وفعل بمعنى فاعل ، تلحقه الماء ، نحو فَنَى وفَتِيَّة وغَنَى وغَنَى ، فقال : إن « بغيا »  
ليست « فعلا » إنما هو فعول بمعنى فاعل ، لأن الأصل « بَغَوَى » ومن أصول  
التصريف أنه متى اجتمعت الياء والواو في كلمة وسبقت إحداهما بالسكون قلبت  
الواو ياء ، ككسوته شيئا ، ويوم وأيام ، وهذا أصل مطرَد لم يشذَّ منه إلا القليل ،  
فعلَى هذه القضية تحذف الماء وجوباً لأنها بمعنى « باغية » ، كما تحذف من « صبور »  
لأنها بمعنى « صابرة » .

قال المازنى :<sup>(٣)</sup> حضر يعقوب عند الوائق وقد حاز منزلة العلماء ، فقال لى  
الوائق : سلّه عن مسألة ، قلت له : ما وزن « نكبتل » ؟ قال : « فعمل » ، قلت له :

(١) ديوان جرير ٩٨

(٢) طبقات الزبيدي ٩٥ .

(٣) إنباء الرواة ١ : ٧٥ .

غلطت، ثم قال لى: فتره . قلت: أصله «نكتيل»، قلبت الياء ألفاً للفتحة قبلها وسكنت اللام للجرم، لأنه جواب أمر، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، قال الواثق: هذا الجواب لا جوابك يا يعقوب، فلما خرجنا قال لى يعقوب: ما حلك على هذا ويبى وبينك المودة؟ قلت: والله ما ظننت أنه يعزب عنك مثل هذا! فانظر كيف لم يثبت يعقوب الأوزان على ثبوت قدمه فى العلم.

لقى هارون الرشيد الكسائى فى بعض طرقة فوقف عليه، وتحنى بسؤاله عن حاله، قال: أنا بخير يا أمير المؤمنين، ولو لم أجد من ثمرة الأدب إلا ما وهب الله تعالى لى من وقوف أمير المؤمنين على لكان ذلك كافيا محسبا.

ودخل أبو يوسف رحمه الله تعالى وهما فى مذاكرة وممازحة، قال: يا أمير المؤمنين، إن هذا الكوفى قد غلب عليك، قال: يا أبا يوسف إنه ليأتينى بأشياء يشتمل عليها قلبى، وتأخذ بمجامعه، قال الكسائى: يا أبا يوسف، هل لك فى مسألة؟ قال: فى نحو أوفى فقه؟ قال: بل فى فقه، فضحك هارون حتى غص برجليه، وقال: تُتلقى على أبى يوسف الفقه؟ قلت: نعم، ثم قال: يا أبا يوسف، فما تقول فى رجل قال لزوجته: أنت طالق إن دخلت الدار؟ قال: إذا دخلت الدار طلقت، قال: أخطأت يا أبا يوسف! فضحك الرشيد ثم قال: فكيف الصواب؟ قال: إذا قال: «أن» وجب القفل، دخلت بعد أو لم تدخل، وإذا قال «إن» بالكسر لم يجب ولم يقع الطلاق.

دخل القراء على الرشيد فتكلم فلحن مرات، قال له جعفر: يا أمير المؤمنين، إنه قد لحن، قال الرشيد للقراء: أتلحن يا يحيى؟ قال: إن طبع أهل البدو الإعراب وطباع أهل الحضرة اللحن، فإذا حفظت أو كتبت لم ألحن، وإذا رجعت إلى الطبع لحنت، فاستحسن الرشيد كلامه وعلم أنه الحق<sup>(١)</sup>.

وهذا القدر من المناظرة التحوية كاف .

\*\*\*

قوله : الزماجر ، أى الأصوات من الجوف كصوت الأسد ، الواحدة زمجرة .  
سمت : سكت . المزجور : النهى ، والزاجر : الناهى ، وزجرته : انتهرته .  
أبتشكمتأويله : أخبركم بتفسيره . المايرة : الخالقة ، وهى من لفظ « غير » .  
المضار : الوضع يختبر فيه جرى الخليل . قرط : تجاوز الحد . ماراته :  
خصاصته . انخراط : اندفاع وانطلاق ، وخرط عبده : أطلقه على أذية  
الناس ، والمرأة نكحها ، والشجرة نثر ورقها بيده . مباراته : معارضته .

\*\*\*

فقال : أما إذ دَعَوْتُمْ نَزَالَ ، وتَلَيَّنْتُمْ لِلنِّصَالِ ؛ فإِ كَلِمَةُ  
هِيَ إِنْ شِئْتُمْ حَرْفٌ مَحْبُوبٌ ، أَوْ اسْمٌ لِمَا فِيهِ حَرْفٌ حَلُوبٌ ؟  
وَأَيُّ اسْمٍ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ فَرْدٍ حَازِمٍ ، وَتَجْمَعُ مُلَازِمٍ ؟ وَأَيَّةُ هَاءٍ إِذَا  
التَّحَقَّتْ أَمَاطَةُ الثَّقَلِ ، وَأُطْلِقَتْ الْمُعْتَقَلُ ؟ وَأَيُّنَ تَدْخُلُ السَّيْنُ  
فَتَعْزِلُ الْعَامِلَ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَجَامِلَ ؟ وَمَا مَنْصُوبٌ أَبْدَأُ عَلَى الظَّرْفِ ،  
لَا يَخْفِضُهُ سِوَى حَرْفٍ ؟ وَأَيُّ مِضَافٍ أَخْلَ مِنْ عَرَى الْإِضَافَةِ  
بُثْرَةٍ ، وَاخْتَلَفَ حُكْمُهُ بَيْنَ مَسَاءٍ وَغُدْوَةٍ ؟ وَمَا الْعَامِلُ الَّذِى يَتَّصِلُ  
آخِرُهُ بِأَوَّلِهِ ، وَيَعْمَلُ مَعْكُوسُهُ مِثْلَ عَمَلِهِ ؟ وَأَيُّ عَامِلٍ نَائِبُهُ أَرْحَبُ  
مِنْهُ وَكَرَّ ، وَأَعْظَمُ مَكْرَرًا ، وَأَكْثَرُ لِهْ تَعَالَى ذِكْرًا ؟ وَفِي أَيِّ  
مَوْطِنٍ تَلْبَسُ الذُّكْرَانُ بَرَاقِعَ النِّسْوَانِ ، وَتَبْرُزُ رِجَالُ الْحِجَالِ  
بِعَمَائِمِ الرِّجَالِ ؟ وَأَيُّنَ يَجِبُ حِفْظُ الْمَرَاتِبِ ، عَلَى التَّنْصُرُوبِ وَالضَّارِبِ ؟

وما اسم لا يَرْفَ إلا باستضافَةٍ كَلِمَتَيْنِ ، أو الاقتصارِ مِنْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ . وَفِي وَصْفِهِ الْأَوَّلِ الْإِزَامُ ، وَفِي الثَّانِي الْإِزَامُ ؟ وَمَا وَصَفُ إِذَا أُرْدِفَ بِالنُّونِ ، نَقَصَ صَاحِبُهُ فِي الْعِيُونِ ، وَقَوْمَ بِاللُّثُونِ ، وَخَرَجَ مِنَ الزُّبُونِ ، وَتَمَرَّضَ لِلْهُونِ ؟

فهذه ثنتا عشرة مسألة ، وَفَقَ عَدَدِ كُمْ ، وَزِنَةَ لَدَدِ كُمْ ، وَلَوْ زِدْتُمْ زِدْنَا ، وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا .

. . .

نزال ، أَيْ انْزَلُوا لِلْحَرْبِ ، وَلِلَّذَلِكَ بُنِيَتْ عَلَى الْكُسْرِ لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى فَعَلَ الْأَمْرَ ، وَهِيَ كَلِمَةٌ تَقَالُ فِي الْحَرْبِ وَلَهَا مَقَامَانِ : الْأَوَّلُ أَنْ يَنْزِلُوا مِنْ ظُهُورِ الْإِبِلِ إِلَى ظُهُورِ الْخَيْلِ ، وَالثَّانِي أَنْ يَنْزِلُوا مِنْ ظُهُورِ الْخَيْلِ إِلَى الْأَرْضِ ؛ وَذَلِكَ أَشَدُّ مَا يَكُونُ لِلْحَرْبِ . تَلَبَّيْتُمْ : تَحْزَمْتُمْ . النِّضَالُ : الرِّمَاءُ بِالسَّهَامِ . حَرْفٌ : نَاقَةٌ . حُلُوبٌ : لَهَا ابْنٌ . حَازِمٌ : مَشْعَرٌ ، أَخَذَ بِالثَّقَةِ . أَمَاطَتْ : أَزَالَتْ . الْمُعْتَقَلُ : الْمَحْبُوسُ . تَجَامَلُ ، أَيْ تَلْقَى الْمَعْزُولَ بِجَمِيلٍ . أَخْلَتْ : نَقَصَ . مَعْكُوسَةٌ : مَقْلُوبَةٌ . نَائِبُهُ : الْقَائِمُ بِمَقَامِهِ . أَرْحَبَ مِنْهُ وَكَرَا : أَوْسَعَ مَوْضِعًا . مَكْرَا : تَصَرَّفَا . الْحِجَالُ : جَمْعُ حَجَلَةٍ ، وَهِيَ السِّتْرُ . الْمَرَانِبُ : الْمَوَاضِعُ . اسْتِضَافَةٌ : إِضَافَةٌ . أُرْدِفَ : جُعِلَ رِدْنُهُ ، أَيْ خَلْفُهُ . قَوْمٌ : قُدِّرَتْ قِيَمَتُهُ . الدُّونُ : الْحَقِيرُ . الزُّبُونُ : الْكَرِيمُ الْكَثِيرُ دَفْعَ الْعَطَايَا ، أَيْ أَخْرَجَ مِنْ هَذِهِ الصِّفَةِ . وَالْهُونُ : الْهُوَانُ . وَفَقَ : مُوَافَقَةٌ . لَدَدِكُمْ : خَصَامِكُمْ . عَدْتُمْ : رَجَعْتُمْ لِلنَّصَامِ .

وَمِنْ مَلَحِ ابْنِ رَشْقٍ فِي مَلِيحِ نَحْوَى :

إِنْ زَارَنِي بَوْمًا عَلَى خُلُوةٍ أَوْ زَرْتُهُ فِي مَوْضِعٍ خَالٍ<sup>(١)</sup>

كنت له رفقا على الأبد      وكان لى نصبا على الحال

وقال الميكالى :

أفدى الغزال الذى فى التعوكلى      مجادلا فاجنيتُ الشهد من شَفَتِهِ  
وأورد الحججَ القبولَ شاهده      مناظرا ليربى فضلَ معرفته  
ثم اتفقنا على رأى رضى به      والرفع من صفى والخفض من صفته

• • •

قال المخبر بهذه الحكاية : فورد علينا من أحاجيه التى هالت ، لما  
انهاالت ، ما حارت له الأفسار وحالت . فلما أعجزَ العمومُ فى بحره ،  
واستسلمت تماعنا لِسِحْرِهِ ، عدلنا عن استتقال الرؤية له ، إلى  
استنزال الرواية عنه ، ومن بنى التبرم به ، إلا ابتداء التعلم منه .  
فقال : والذى نزل النحر فى الكلام ، منزلة الملح فى الطعام ،  
وحجبه عن بصائر الطعام ؛ لا أنلتكم مراما ، ولا شفيت لكم  
غراما ، أو نحو لئى كل يد ، ويختصنى كل منكم يدي . فلم يبق  
فى الجماعة إلا من أذن ليحكمه ، وتبدد إليه خباة كفه . فلما  
حصلت تحت وكائنه ، أضرم شغلة ذكائنه ، فكشف حينئذ عن  
أسرار ألقازه ، وبدائع إعجازه ، ماجلا به صدا الأذهان ، وجل  
مطلعه بنور البرهان .

قال الراوى : فهنا ، حينَ فهمنا ، وعجبنا إذ أجبتنا ، وتدمنا على ما ندنا منّا . وأخذنا نعتذر إليه اعتذار الأكياس ، ونرضُ عليه ارتضاع الكأس . فقال : مأربٌ لاحفاوة ، وشربٌ لم يبق له عندي حلاوة ، فأطلنا مرآودته ، وآلينا معاودته .

. . .

أحاجيه : أنفازه : هالت : عظمت في النفوس . انهالت : انصبت ، وانهال الزمل : انصب أعلاه إلى أسفله . الأفكار : الأذهان . حالت : تغيرت . استسلمت : انقادت . تماننا : معاذتنا ، وهى الأحرار . عدلنا : ملنا . الروبة : الفكرة . استنزال : طلبه بطلطف . بنى : ظلم . اجتفاء : طلب . العبرم : الاستئصال ، ويرم بالأمر برماً : ضجر ، والبرم : البخیل الذى لا يدخل فى اللبس . والبصرة : اليقين والمعتقد وجمعها بصائر . الطغام : الأوغاد وأرذال الناس . أنلتكم : أعطيتكم . مراما : مرادا . تخولى : تملكى وتمطى . يختصنى : يفردى . بيد ، أى نعمة . أذعن : انقاد وذلل . نبذ : رمى . خبأة كنه : ماخوء فيه . بدائع : غرائب . إعجازه : ما عجز به . جبلاً : كشف . صدأ : وسخ . جلى : أوضح . البرهان : الحجة . همنا : تحيرنا لحسن ما سمعنا ، وهام الرجل : ذهب فى غير طريق . فهمنا ، من الفهم ، أى عرفنا . ندّ : سبق وخرج ، يريد الخصام الذى بدروه به وردوا كلامه ، ونذّ : أصله شرد البعير . قوله : الأكياس : الحذاق العقلاء . ارتضاع : شرب . مأرب : حاجة ، قال يعقوب : قال الأُموى : ومن الأمثال : مأرب لاحفاوة ، يضرب للرجل إذا كان يتملك ، أى إتمامك حاجة إلى لاحفاوة لى . قال ابن سيده : مأرب يبتنا ، يكون واحداً وهو السابق ، ويكون جمع مأربة ، من الجمع الذى يفارق واحده بالهاء . حفاوة : تهتم ، وقد خفيت بك ، أى تهتمت واعتنت . ومشرب لم يبق له عندي حلاوة ، قال الشاعر فى معناه :



ولم أجنب شرب المدام لصلة  
تنافرنى أن صرتُ ضدًا لشكلها  
ولم ألحق الصبياء ذمًا ولا عذلاً  
فليست لنا أهلاً، ولست لها أهلاً

وقال ابن رشيقي :

قرعت سني على ما فاني ندماً  
فتدرددت كنوس الزاح مرقعة  
من كل لافظة بالذر باسمي  
أيام تصحبنى الفزلان آنسة  
من الشباب ومن باللهو الشيب<sup>(١)</sup>  
على السقاة وكانت جل مشروبي  
ومنظر عابث بالحسن والطيب  
عنه محلاة نوعر منه مثقوب  
هذا على أنى أعدى من القديب

والسابق لرد الكأس لعة الكبير أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي في قوله:

وصبياء جرجانية لم يطف بها  
ولم يحضر القس المهيم فارها  
أتانى بها يمحي وقد نمت نومة  
قلت اغتبتها أو لغيرى فاسقها  
تعففت عنها في السنين<sup>(٢)</sup> التي خلت  
إذا المرء وفي الأربعين ولم يكن  
فدعه ولا تنفس عليه الذي ارأى  
حفيف ولم يسر بها ساعة قدز<sup>(٣)</sup>  
طروفاً، ولم يشهد على طبخها جز  
وقد غابت الشرى وقد جنع الذسر  
فا أنا بعد الشيب ويحك والخر  
فكيف التصابي بعدما كلاً المنز<sup>(٤)</sup>  
له دون ما يأتى حياء ولا ستر  
وإن جر أسباب الحياة له الدهر

قال المهيم بن عدى : كنا نقول بالكوفة : من لم يرو هذه الأيات  
فلا مروءة له ، أنشدناها أبو علي في نوادره . وأنشد أيضاً :

(١) نقله في التنف ١٠ .

(٢) أمالي القتالي ١ : ٧٨ ، وفيه : « لم تنفر » ، أى تنلى .

(٣) كلاه : انتهى إلى أقصاه .

رَأَيْتُ التَّيْبِذُ يُذِي العَرِيزَ وَيَكْسُو التَّقَى التَّقَى أَتْسَاخًا<sup>(١)</sup>  
فَهَبْنِي عَذْرَتُ التَّقَى جَاهِلًا فَمَا الْعَذْرُ فِيهِ إِذْ الْمَرْءُ شَاخًا

وَأُنْشِدُ أَيْضًا فِي نَوَادِرِهِ لِمَنْ حَرَّمَ الْخَمْرَ عَلَى نَفْسِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَرْوَةً جَدَلَةً  
أَشْهَارَ ، شَهْرَتُهَا فِي الْكِتَابِ أَغْنَتْ عَنْ ذِكْرِهَا ، وَأَيْنَ شَرَفٍ أَوْلَتْكَ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ  
— عَلَى أَنَّ الْخَمْرَ مَبَاحَةٌ لَهُمْ — مِنْ مَجْمُوعِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ — عَلَى تَحْرِيمِهَا عَلَيْهِمْ —  
مِثْلَ الرَّمَادَى فِي قَوْلِهِ :

أَفَى الْخَمْرِ لَامَتْ خَلْقِي مَسْتَهَامَهَا كَفَرْتُ بِكَأْسِي إِنْ أَطْلَعْتَ مَلَامَهَا  
لَحْمُولَةٌ فِي الْفَلَكَ فِي جَبَّةِ الْمَنَى قَدْ أَوْصَى لَنُوحٍ غَرَسَهَا وَضَمَامَهَا  
فَخَادَعَهُ إِبْلِيسُ عَنْهَا لَعَلَّهُ بِهَا فَرَأَى كِتْمَانَهَا وَاغْتِنَامَهَا  
فَسَازَ بِثَنِّيَّهَا وَنُوحَ بِثَلَا بِثَلَا وَلَوْلَا مَضِيٌّ عَنْهُ لَمْ يَكُ رَأَمَهَا  
لَهُ حَظٌّ أَتَى وَهُوَ حَظٌّ مَذْكُورٌ قَلِيلٌ لَعَيْنِي أَنْ أَطِيلَ انْسِجَامَهَا  
وَإِنَّا لَوِثْرَانٍ وَقَدْ مَاتَ جَدُنَا عَيْنِنَا وَإِنَّا لَا نَحِيزُ انْقِسَامَهَا

أَخَذَ هَذَا مِنْ خَيْرِ رِوَايَاتِهِ ، أَنَّ نُوحًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمَّا نَزَلَ مِنَ السَّفِينَةِ ،  
نَازَعَهُ إِبْلِيسُ أَصْلَ الْعَنْبِ ، فَاصْطَلَحَا أَنَّ لَنُوحٍ اثْنَلثَ وَلِإِبْلِيسِ الثَّلَاثِينَ .  
وَلَمَّا قِيلَ لِلْحَسَنِ : نَزَعْتَ عَنِ اللَّهِ إِلَى التَّوْبَةِ ، قَالَ :

قَالُوا نَزَعْتَ وَأَنَا يَطْمُؤُنْ وَطَرِي فِي وَصَلِ أَغْيَدَ سَاجِي الطَّرْفِ مَيْسِرِ<sup>(٢)</sup>  
كَيْفَ التَّزْوِجِ وَقَلْبِي قَدْ تَقَسَّمَهُ لِحَظِّ الْعَمِيونَ وَلَوْنُ الرَّاحِ فِي الْكَاسِ  
إِذَا نَزَعْتَ إِلَى رَشْدِي تَكْتَفَنِي رَأْيَانٌ قَدْ شَفَلَا يُشِيرِي وَإِنَّا لَأَسَى  
فَالْيَسْرِ فِي التَّصَفِّ وَالذَّاتِ أَخْلَسَهَا وَالْمَرْفِ وَصَلِ مَنْ أَهْوَى مِنَ النَّاسِ

(١) أُمَامَى الْغَالِي ٢ : ١٣٩ .

(٢) نَهَايَةُ الْأَرْبِ ٤ : ٩٦ ، دِيوَانُهُ ٢٩٦ .

لا خير لعيش إلا في الجون مع الأكفاء في الورد والخبري والآس  
ومسمع يتغنى والكنوس لها حث علينا بأخماس وأسداس  
يا موري النار قد أعت قوادحه أقبس إذا شئت من قلبي بمقياس

\* \* \*

فشمخ بأفقه صلفاً، ونأى بجانبه أنفاً، وأنشد:  
نَهَانِي الشَّيْبُ عَمَّا فِيهِ أَفْرَاجِي  
فَكَيْفَ أَجْمَعُ بَيْنَ الرَّاحِ وَالرَّاحِ  
وَهَلْ يَجُوزُ اصْطِبَاحِي مِنْ مَتَقَّةٍ  
وَقَدْ أَنْارَ مَشِيبُ الرَّأْسِ إِيصَابِي  
آلَيْتُ لَا خَامِرَتْنِي الْحُرَّ مَا عَلِقْتُ  
رُوحِي بِجَسْنِي وَالْقَاضِي بِإِفْصَاحِ  
وَلَا اكْتَسَتْ لِي بِكَاسَاتِ السَّلَافِ يَدُ  
وَلَا أَجَلْتُ قِدَاحِي بَيْنَ أَقْدَاحِ  
وَلَا صَرَفْتُ إِلَى صِرْفٍ مُشْمَعَةٍ  
هَمِّي وَلَا رُخْتُ مُرْتَاحًا إِلَى رَاحِ  
وَلَا تَطَلَّمْتُ عَلَى مَشْمُولَةٍ أَبَدًا  
تَمَلَّى وَلَا اخْتَرْتُ نَدْمَانًا سِوَى الصَّاحِي  
عَمَّا الْمَشِيبُ مِرَاحِي حِينَ خَطَّ عَلَى  
رَأْسِي، فَأَبْغَضَ يَدِي مِنْ كَاتِبِ مَا حِي

وَلَا حَ يَلْحَى عَلَى جَرَى الْعَنَانِ إِنْ  
 مَلَبَى فَخُفَّأَ لَهُ مِنْ لَأْمَحٍ لَاحِي  
 وَلَوْ كَهَوْتُ وَفَوْدِي شَائِبٌ خَلْبَا  
 يَبِينُ الْمَصَائِيحَ مِنْ غَسَّانٍ مِصْبَاحِي  
 قَسُومٌ سَجَايَا مُ تَوْقِيرُ ضَيْفُهُمْ  
 وَالشَّيْبُ ضَيْفٌ لَهُ التَّوْقِيرُ يَاصَاحُ  
 ثُمَّ إِنَّهُ انْسَابَ انْسَابِ الْإِيْمِ ، وَأَجْفَلَ إِجْفَالَ النِّيمِ . فَعُلِمَتْ أَنَّهُ  
 سِرَاجٌ سَرُوجٌ ، وَبَذَرُ الْأَدَبِ الَّذِي يَجْتَابُ الْبُرُوجُ . وَكَانَ قُصَارَانَا  
 التَّحْرِقَ لِبُعْدِهِ ، وَالتَّفَرُّقَ مِنْ بَعْدِهِ .



قوله: «شمخ، أي تكبر ورفع أفه . صلفاً: قحة وصلابة وجه، وفي فلان صلف،  
 أي قلة انطباع ومواقة إذا أردت منه شيئاً تهاون بك، والتصليقان: ناحيتا المنق،  
 كأنه إذا كلمته في شيء أعرض عنك، ولوى عنك صليقه، والصلف معبوضة  
 قدر الظرف، وفي الشهاب: آفة الظرف الصلف . ناء: نهض، وى روى: نأى،  
 تباعد . أففاً: غضبا، وأففت من كذا تنزهت عنه وترفت، وأصله من رفع  
 الأنف، فكأنه رفع أفه تيمناً عليهم وتكبراً عن منادمتهم لاحترام له أولاً  
 قبل اختباره، ثم تبدلهم آخر بعد اعتباره؛ واعتذر لذلك بالشيب .

وتذكر هنا فصلاً أدبياً يأتي على جميع أغراض هذه الأبيات :

قال بعض الظرفاء يذم الخمر : الشراب : أول الخراب ، ومفتاح كل باب ،  
 يحقق الأموال ، ويذهب الجمال ، ويهدم المروءة ، ويوهن القوة ، ويضع الشريف ،  
 ويذل العزيز ، ويبيع الحراث ، ويفلس التجار ، وينتلك الأستار ، ويورث الشنار .

وقال بعضهم لابنه : كثرة الشراب تكسد القلب ، وتقلّ الكسب ، وتغير  
اللب ، واعلم أن الظلمة الذابح ، خير من الرى القاضح .

وقال يزيد بن محمد المهلبى يذمه :

لعمرك ما يجمع على الناس شرّها      وإن كان فيها لغة ورّخاء  
مراراً ترك النىّ رشداً ، وتارة      تخيل أنّ الحسنيين أساءوا  
وأنّ الصديق الماحض الودّ مبغضٌ      وأنّ مديح المادحين هجاء  
وجربت إخوان النبيذ قتلماً      يدوم لإخوان النبيذ إخاء

وقال ابن الرومى :

مودّة إخوان النبيذ سلافةٌ      يبولونها عند اقضاء المجالس  
فبيننا نرام أهل ألف وأثرة      وبيننا نرام بينهم حرب داحس  
فأما إذا ناديتهم للّمة      فناد التّصاوير التى فى الكنائس

ولهذا كتب الحسن إلى صديق له يستهدى منه مشروباً :

لما رأيت الخطّ للقاعدِ      والنّس من واشٍ ومن حامدِ  
خلوت فى بيتى وحدى ولا      أقلّ فى الأعداد من واحد  
قابض بها تشغلى واكفى      رؤية هذا العالم الفاسد  
وقال أيضاً :

خلوت بأعمر أناجيبها      أشرب منها وأعطيتها<sup>(١)</sup>  
بأدمتها إذ لم أجد صاحباً      أرضاه أن يشركنى فيها  
شربتها صبراً على وجهها      فكنت ساقياً وجانيها

قيل لعضهم : لم لا تتخذ لك نديماً ؟ قال : لأنه مأخوذ من الندم .  
واختلفوا في اختيار استعمال النديم ، فمنهم من اختار نديماً واحداً ، ومنهم  
من انتهى في الاختيار إلى ستة بالساق وصاحب البيت ، وما زاد على ذلك  
فمضموم بإجماع منهم . قال : وأنشدوا في ذلك :

وغير الندامى ستة من دوى الحصى فخمسة إخوانٍ وآخر يَلْنَعُ  
ويحمدني الإخوان من كان حسناً بصوتٍ يفتيه ولا يمتنع

\* \* \*

قوله : نهاني الشيب ، جملة الناهي عن الذات ، لأنه الداعي إلى الفناء  
والنذير بالموت ، وما يقول بغير هذا إلامة خلف عذر ، كقول أعرابي —  
وبروي لإبراهيم بن المهدي :

لقد جَلَّ قدر الشيب أن كان كلما بدت شيبة يمرى من اللهو مرَّ كَبُ  
وقال المذلل :

لاح شيبى فَظَلَّتْ أَمْرُحُ فيه مَرَحُ الطَّرْفِ في اللجام الحصى  
وتوَلَّى الشَّبابُ فازدَدَتْ رَكْضاً في ميادين باطلٍ إذْ تَوَلَّى  
إِنَّ مِنْ سَاءِ الزَّمانِ بشيبٍ لأحقُّ أَمْرِهِ بأنَّ يَتَلَّى  
أتراني أسوءَ نفسٍ لَمَّا ساءني الدهرُ ، لا أَعْمَرِي كَلَّا

وقال البحتري يمتدح منه :

عبرتني بالشيب وهي رمتني في عذارى بالصدِّ والاجْتِنابِ<sup>(١)</sup>  
لا تَرَمِي عاراً فإهو بالشيب ولكنّه جلاء الشباب

وبياض البازئ أصدق حسناً إن تأملت من سواد الغراب  
أخذه ابن رشيح قال :

وإن لم تعجبني بياض شعرٍ فلا تستغربي بَلَقَ الغراب<sup>(١)</sup>  
تمافين المشيب وليس هذا ولكن هذه شبة الشباب  
وقال حبيب يتشكاه :

أصبحت روضة الشباب هشيما وغدت ريحه الليل سُموماً<sup>(٢)</sup>  
شعلة في المفارق استودعتني في صميم القواد ثكلا صميماً  
غرّة بهمة ألا إنما كُنْتُ أغراً أيام كنت بهيما  
دقة في الحياة تُدعى جلالاً مثل ما سُمي اللدغ سايما  
وقال مسلم بن الوليد :

الشيب كره وكره أن يفارقني أعجب بشيء على البُضاء مورود<sup>(٣)</sup>  
يمضي للشيب فلا يأتي له خلف والشيب يذهب مفقوداً بمفقود  
أخذه سليمان بن وهب حين نظر إلى المرأة ، قال : عيب لاعدمناه .  
وقال أبو الفتح البستي :

يا شيبتي دومي ولا تترجلي وتيقني أني بوصلك مولع  
قد كنت أجزع من حلوك مدة والآن من خوف ارتعالك أجزع  
وزاد أبو الطيب على هذا قال : وذكر أنه يتمي الشيب في زمن الشباب :

(١) نقله في التنقيح ١١ .

(٢) ديوانه ٣ : ٢٢٣ ( دار المعارف )

(٣) ديوانه ٣١٠

مَنْ كُنْ لِي أَنْ الْبَيَاضَ خَضَابُ      فَيَخْفَى بِتَبْيِضِ الْقُرُونِ شَبَابُ<sup>(١)</sup>  
 لِيَالِيْ عِنْدَ الْبَيْضِ فَوَدَايَ فَتَنَةٌ      وَفَخْرٌ وَذَلِكَ الْفَخْرُ عِنْدِيْ عَابُ  
 فَكَيْفَ أَذْهَمَ الْيَوْمَ مَا كُنْتُ أَشْتَهِيْ      وَأَدْعُوْ بِمَا أَشْكُوهُ حِينَ أَجَابُ  
 كَانَ أَبُو الطَّيِّبِ نَسِيَ مَا قَالَهُ فِي الشَّيْبِ فِي الزَّمَنِ الْفَنَى زَعَمَ أَنَّهُ كَانَ  
 يَشْتَبِيهِ وَيَتَمَنَاهُ<sup>(٢)</sup> :

أَبَدًا بَدَلَتْ بَيَاضًا لَا بَيَاضَ لَهُ      لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ  
 وَقَالَ رَبِّيْ :

مَنْ كَانَ يَبْكِي الشَّبَابَ مِنْ أَسْفٍ      فَلَسْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ مِنْ أَسْفٍ  
 كَيْفَ وَشَرَّخَ الشَّبَابَ أَوْفَقِيْ      يَوْمَ حَابِيْ مُوَافِقِ الثَّلَاثِ  
 لَا صَحِيحَتْ شِرَّةُ الشَّبَابِ وَلَا      عَدِمَتْ مَا فِي الْمَشِيبِ مِنْ خَفِّ

وَقَالَ ابْنُ رَشِيْق :

أَرَأَيْكَ لِلشَّيْبِ ذَا اكْتِتَابٍ      فَأَيْنَ تَمَضَى عَنْ الْعُصَابِ<sup>(٣)</sup>  
 إِنْ كُنْتَ تَرَعَى الْوَفَاءَ حَقًّا      فَالْشَّيْبُ أَوْفَى مِنَ الشَّبَابِ

وحقيقة الأمر أنه مازال الناس يكرهون الشيب ويذمونه ، شرًا ونفلاً .  
 لما فيه من دليل للفناء ، والمهجنة عند النساء ، وقطع اللذات بالرغبة والحياة ،  
 ويحبون الشباب ويمدحونه ، لما فيه من عذبة الجاهل ، وإتيان العاجل ، وحسن  
 الشئام ؛ إلا أن لطف الخلق من الشعراء في تحمين ما كانوا يكرهون ،  
 وتقبيل ما كانوا يمدحون رياضةً للنفوس ، وتوسعاً في القول ، كما قال أحدهم :

(١) ديوانه ١ : ١٨٨

(٢) ديوانه ٤ : ٣٥

(٣) نقله في التنقيح ١٧ .



تفريق شيب في العذار لوامع<sup>١</sup> وماحُسنٌ لبلٍ ليس فيه نجوم<sup>٢</sup>  
 وقالوا : في الشيب استحكام الوقار ، وتناهى الحلال ، وميسم التجربة .  
 فهذه مقاصدم قف عليها .

قوله : أمراحي : جمع فرح . الراح : الخمر ، والثاني جمع راحة ، وهي الكف .  
 معتقة : خمر قديمة شديد الحرارة . أنار : بيّض . إصباحي : احمرار شمري ،  
 والصبح : حمرة الشعر ، وضعه موضع السواد ، لأن كليهما من حلية الشباب ،  
 وحمله على هذا ماضن الشيب من التحسين فيقول مستفهماً : هل يجوز شمري  
 في البكور من خمر صافية في حال تغير الكبر شبابي ، وتبدله حلية الشباب  
 بحلية الشيوخ . خامرتني : خالطتني . إصباحي : تبييض . الشلاف : الخمر .  
 وأجأت : صرفت . قذاحي : مهام الميسر . أقذاح : جمع قذح ، وهو  
 الكأس . صرفت : رددت . صرف : خمر . مشمعة : رقيقة للزنج . حقني :  
 إرادتي . رُحْتُ : مشيتُ بالمشي . مرتاحا : مهتزاً من الطرب ، وارتاح :  
 وجد راحة الطلب أو خفة الكرم . نظمت : جمعت . مشمولة : خمر ، وهي  
 الشمول ، سميت بذلك لاشتغالها على عقل صاحبها ، وقيل : لأنها تشمل القوم  
 بريحها ، أي تعظمهم . وقيل : لها عصفة كصفة الريح الشمال . شملني : مجموع  
 أمرى ، والنلتمان : هو النديم . الصاحي : المُتفق من سكره . تحا : أزالني .  
 مراحي : طرّبي . خطّ : كتب . أبيضني : به ، أي ما أبضه إلى . لاح :  
 ظهر : يُلحني : يلوم ويضايق القول . جرى العنان ، أي انهماك في الملاهي .  
 مَلْهَى : لهو . سُحَقًا : بعداً . لائح : ظاهر في الرأس . لاح : شاتم وعائب ،  
 يريد أن يشبه لاح في رأسه فلحاه على الهوى والصبا . فَوَدَيْ : جانب رأسي .  
 شائب : فيه الشيب . خبا : طنى . وسكن ضوءه . غاب : قبيلة . وأحسن  
 (١٥ - شرح مقامات الحريري ٢٤)

ما سمعت في شيب الفؤاد، وفي وخط للشيب الذي ذكر، قول عبد الرحيم بن هارون :

رأيت الشيب مبتما بفؤدي قضاضة أدمعي بدم الفؤاد  
وعمرى كل يوم في انتقاص وذلك النقص لقب بالزيادة  
ولى خط ولايام خط وبينهما مخالفة المداد  
فأكتبه سواداً في يياض وتكتبه يياضاً في سواد

أنشدها الفنجديهي وقال عند إنشادها: ولعمد الحميد أيات، كأنها روضات جنات.  
قوله : سجاليم ، أى طباتهم . بإصاح ، أراد بإصاحب فرخم لكثرة  
الاستعمال . ولما جعل غسان من عادتهم توقير الضيف، والشيب ضيف وجب  
عليه توقيره . ومراعاة مثل هذا الموم قد تقدم له في ذم الزجاج الذي جرت عليه  
سبيله ، وأخذ هذا من قول دعلج :

أحب الشيب لنا قيل ضيفٌ كحبي للضيف النازلينا<sup>(١)</sup>

وقال المتنبي في ذم هذا الضيف :

ضيفٌ ألم برأسي غير معترشم والضيف أحسنُ قِعْلا منه بالآلم<sup>(٢)</sup>  
ابعدُ يمدت يياضا لا يياض له لأنت أسودُ في عيني من الظلم

وقال محمود الرزاق :

للضيف أن يُقرى ويُعرف حقه والشيب ضيفٌ فاقره بخضاب  
وافى بأصدق شاهد ولربما وافى الشيب بشاهد كذاب  
فافسخ شهادته عليك بخضبة تنفى الظنون بها عن المراتب  
فإذا دنا وقت الرحيل فضله والشيب يذهب فيه كل ذهاب

وقوله: والشيب ضيف له التوقير ، قام وكيع لسفيان فنكر قيامه إليه قال:

(١) ديوانه ١٥٠

(٢) ديوانه ٣٥

أَتَسْكُرُ عَلَى قِيَامِي إِلَيْكَ، وَأَنْتَ حَدَّثَنِي عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِنَّ مِنْ إِبْجَالِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ إِبْجَالُ ذِي الشَّيْبَةِ لِلْمَسْمُومِ» . قَالَ : «أَخَذَ سَفِيَانُ بِيَدِهِ ، فَأَقْعَدَهُ إِلَى جَانِبِهِ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَا أَكْرَمَ شَابٌ شَيْخًا لِسَنَةِ إِلَّا قَبِضَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مِنْ يَكْرِيمِهِ عِنْدَ كِبَرِ سَنَتِهِ» .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَوْحَى إِلَيَّ رَبِّي يَقُولُ : الشَّيْبُ عَلَى عَبْدِي الْمُؤْمِنِ نَوْرٌ مِنْ نَوْرِي ، وَأَنَا أَكْرَمُ مِنْ أَنْ أُحْرَقَ نَوْرِي بِنَارِي» .

وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمٍ الْخَوَّاصُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ . قَالَ : رَأَيْتُ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمٍ الْقَاضِي فِي الْمَنَامِ ، قُلْتُ لَهُ : مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ ؟ قَالَ : أَوْقَفَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ : يَا شَيْخَ السُّوءِ ، لَوْلَا شَيْبَتُكَ لَأَحْرَقْتُكَ بِالنَّارِ ، فَأَخَذَنِي مَا يَأْخُذُ الْعَبْدُ بَيْنَ يَدَيْ مَوْلَاهُ ، فَلَمَّا أَهَقْتُ قَالُمَا ثَانِيَةً وَثَالِثَةً ، فَلَمَّا أَهَقْتُ قُلْتُ : يَا رَبِّ ، مَا هَكَذَا حَدَّثْتُ عَنْكَ ، فَقَالَ تَعَالَى : وَمَا حَدَّثْتَنِي عَنْيَ ؟ قُلْتُ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ الزَّهْرِيُّ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنْ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ جِبْرِيلَ ، عَنْكَ يَا عَظِيمُ ؛ أَنْكَ قُلْتَ : مَا شَابَ لِي عَبْدٌ فِي الْإِسْلَامِ شَيْبَةً إِلَّا اسْتَحْيَيْتَ مِنْهُ أَنْ أُعَذِّبَهُ بِالنَّارِ ، فَقَالَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ : صَدَقَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَصَدَقَ مَعْمَرُ ، وَصَدَقَ الزَّهْرِيُّ وَصَدَقَ أَنَسٌ وَصَدَقَ نَبِيُّي وَصَدَقَ جِبْرِيلُ ، أَنَا قُلْتُ ذَلِكَ ، انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ .

## تفسير ما أودع هذه المقامة

### من النكت العربية والأحاجي النحوية

أما صدر البيت الأخير من الأغنية الذي هو : « فإن وصلاً ألت به » ؛ فإنه نظير قولهم : المرء مجزى بعمله ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، وهذه للسألة أودعها سيبويه كتابه وجوزَ في إعرابها أربعة أوجه :

أحدها - وهو أجودها - أن تنصب : « خيراً » الأول وترفع الثانى . وتنصب : « شراً » الأول وترفع الثانى ، ويكون تقديره : إن كان عمله خيراً فجزاؤه خير ، وإن كان عمله شراً فجزاؤه شر . فنصب الأول على أنه خبر كان ، وترفع الثانى على أنه خبر مبتدأ محذوف . وقد حذف في هذا الوجه « كان » واسمها دلالة حرف الشرط الذى هو « إن » على تقديرهما . وحذف أيضاً مبتدأ دلالة الفاء التى هى جواب الشرط عليه ؛ لأنه كثيراً ما يقع بعدها .

الوجه الثانى : أن تنصبها جميعاً ، ويكون تقدير الكلام : إن كان عمله خيراً فهو يُجزى خيراً ، وإن كان عمله شراً فهو يُجزى شراً ؛ فينصب الأول على أنه خبر « كان » وينصب الثانى انتصاب للفعول به .

والوجه الثالث : أن ترفعها جميعاً ، ويكون تقدير الكلام : إن كان فى عمله خير فجزاؤه خير ، فيرفع « خير » الأول على أنه اسم « كان » ويرفع « خير » الثانى على ما بين فى شرح الوجه الأول .

وقد يجوز أن يرفع « خير » الأول على أنه فاعل « كان » وتعمل « كان » القدرَ ما هنا هى التامة التى تأتى بمعنى حدث ووقع ، فلا تحتاج إلى خبر كقوله تعالى : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة » ، ويكون التقدير فى السألة : إن كان خير فجزاؤه خير ، أى إن حدث خير فجزاؤه خير .

والوجه الرابع : وهو أضعفها أن ترفع الأول على ما تقدم شرحه في الوجه الثالث، وتنصب الثاني على ما بين ذكره في الوجه الثاني، ويكون التقدير : إن كان في عمله خير فهو يجرى خيراً ، وعلى حسب هذا التقدير وللتقديرات المخلوقات فيه يجرى لإعراب البيت الذي غنى به . وما ينتظم في هذا السلك قولهم : المرء مقتول بما قُتِلَ به ؛ إن سيفاً سيف ، وإن خنجراً فخنجر .

وأما الكلمة التي هي حرف محبوب أو اسم لما فيه حرف حلوب ، فهي « نعم » ، إن أردت بها تصديق الأخبار أو المدة عند السؤال فهي حرف ، وإن عنيت بها الإبل فهي اسم . والنعم تذكر وتؤنث وتُطلق على الإبل وعلى كل ماشية فيها إبل . وفي الإبل الحرف وهي الناقة الضامرة ، تُميت حرفاً تشبيهاً لها بحرف السيف . وقيل : إنها الضخمة تشبيهاً لها بحرف الجبل .

وأما الاسم المتردد بين فرد حازم وجمع ملازم ، فهو : سراويل ، قال بعضهم : هو واحد وجمعه سراويلات ، فعل هذا القول هو فرد ، وكفى عن صمِّه انحصر بأنه حازم .

وقال آخرون : بل هو جمع ، واحده سراويل ، مثل : شمال وشماليل ، وسراويل وسراويل ، فهو على هذا القول جمع .

ومعنى قوله : ملازم ، أى لا ينصرف ؛ وإنما لم ينصرف هذا النوع من الجمع ، وهو كل جمع ثالثة ألف وبعدها حرف مشدّد ، أو حرفان أو ثلاثة أو سطها ساكن لثقله وتفردّه دون غيره من الجموع بأن لا نظير له في الأسماء والآحاد ، وقد كفى في هذه الأحجية تحملاً لا ينصرف بالملازم ، كما كفى في التي قبلها عما ينصرف بالملازم .

وأما الهاء التي إذا التصقت أماطت النقل ، وأطلقت للمقتل ، فهي الهاء اللاحقة بالجمع المقدم ذكره ، كقولك : صياقة وصياقة ، فينصرف هذا الجمع عند التصاق الهاء به ، لأنها قد أصارته إلى أمثال الآحاد ، نحو : رفاة وكراهية ، فضعف بهذا السبب وصُرف لهذه اللة . وقد كفى في هذه الأحجية عما لا ينصرف بالمقتل ، كما كفى في التي قبلها عما لا ينصرف باللازم .

وأما السين التي تمزّل العامل من غير أن تجامل ، فهي التي تدخل على الفعل للمستقبل وتفصل بينه وبين أن ، التي كانت قبل دخولها من أدوات النصب ، فبرتفع حينئذ الفعل وتنقل أن عن كونها الناصبة للفعل إلى أن تصير المحفظة من التعلية ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى ﴾ ، وتقديره : علم أنه سيكون .

وأما للنصوب على الغarf الذي لا يحذفه سوى حرف ، فهو : « عند » إذ لا يجره غير « من » خاصة ، وقول العامة : ذهب إلى عنده نحن .

وأما المضاف الذي أدخل من عرى الإضافة بعروية ، واختلف حكمه بين مساء وغدوة ، فهو « لدن » ولدن من الأسماء اللازمة للإضافة ، وكل ما يأتي بعدها مجرور بها إلا غدوة ، فإن العرب نصبها بلدن لكثرة استعمالهم إياها في الكلام ، ثم ثوبتها أيضاً ليتبين بذلك أنها منصوبة ، لأنها من نوع المجرورات التي لا تنصرف ، وعند بعض النحويين أن « لدن » بمعنى « عند » ، والصحيح أن بينهما فرقاً لطيفاً ، وهو أن « عند » يشتمل معناها على ما هو في ملكك ومكنتك ، مما دنا منك وبعُد عنك ولدن يختص معناها بما حضرك وقرب منك .

وأما العامل الذي يتصل آخره بأوله ، ويعمل معكوسه مثل عمله ، فهو : « يا » ، ومعكوسها « أي » ، وكلاهما من حروف النداء ، وعملها في الاسم

النادى سيّان ، وإن كانت « يا » أجول في الكلام ، وأكثر في الاستعمال .  
وقد اختار بعضهم أن ينادى بأى ، القريب قطع كاهمة .

وأما العامل الذى نائبه أرحب منه وكرا ، وأعظم مسكرا ، وأكثر لله تعالى ذكرا ، فهو باء القسم ؛ وهذه الباء هى أصل حُرُوف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم فى قولك : أقسم بالله ، ولحقولها أيضاً على المضمر ، كقولك : بك لأضلن ؛ وإنما أبدلت الواو منها فى القسم لأنهما جميعاً من حروف الشقة ؛ ثم لتقارب معنيهما ؛ لأنّ الواو تفيد الجمع والباء تفيد الإلصاق ، وكلاهما متقن ، والمعنيان متقاربان . ثم صارت الواو المبدلة من الباء أدور فى الكلام وأعلق بالأنقسام ؛ ولهذا ألغز بأنها أكثر لله تعالى ذكراً . ثم إن الواو أكثر موطناً من الباء ، لأن الباء لا تدخل إلا على الاسم ، ولا تعمل غير الجزم ، والواو تدخل على الاسم والفعل والحرف . وتجزم تارة بالقسم وتارة بإ شمار رب . وتنظم أيضاً نواصب الفعل وأدوات العطف فلهذا وصفها برُحب الوكر وعظم المكر .

وأما الموطن الذى يلبس فيه الذّكران براقع النسوان ، وتبرز فيه ربّات الحجال بعمائم الرجال ، فهو أوّل مراتب المدد المضاف ، وذلك بين الثلاثة إلى العشرة ، فإنه يكون مع الذّكر بالهاء ومع المؤنث بمجذها ، كقوله تعالى : ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾ والهاء فى غير هذا الموطن من خصائص المؤنث ، كقولك : قائم وقائمة وعالم وعالة ، قد رأيت كيف انعكس فى هذا الموطن حكم الذّكر والمؤنث حتى اقلب كل منهما فى ضدّ قلبه ، وبرز فى بزة صاحبه .

وأما الموضع الذى يجب فيه حفظ للراتب عن المضروب والضارب ، فهو حيث يشبه الفاعل بالفعل لتمتدّ ظهور علامة الإعراب فيها أوفى أحدهما ،

وذلك إذا كانا مقصورين مثل موسى وعيسى ، أو من أسماء الإشارة نحو ذلك وهذا . فيجب حينئذٍ لإزالة اللبس إقرار كل منهما بترتيبه ، ليعرف الفاعل منهما بتقدمه ، والفعول بتأخره .

وأما الاسم الذي لا يفهم إلا باستضافة كلمتين ، أو الاختصار منه على حرفين فهو « مهما » ، وفيها قولان : أحدهما : أنها مركبة من « مه » التي هي بمعنى اكفف ، ومن « ما » والقول الثاني - وهو الصحيح - أن الأصل فيها « ما » فزيدت عليها « ما » أخرى ، كما تزداد على « إن » فصار لفظها « ماما » ، فقل عليهم توالى كلمتين بانفاد واحد ، فأبدلوا من ألف « ما » الأولى « ها » فصارتا « مهما » . ومهما من أدوات الشرط والجزاء ، ومتى لفظت بها لم يتم الكلام ، ولا عُقِل المعنى إلا بإيراد كلمتين بعدها ، كقولك : مَهما تفعل أفعل وتكون حينئذ ملزماً للفعل ، وإن اقتصرتَ منهما على حرفين وها « مه » التي بمعنى اكفف ، فهم المعنى وكنت ملزماً مَنْ خاطبته أن يكف .

وأما الوصف الذي إذا أردف بالنون نقص صاحبه في العيون ، وقُوم بالدون ، وخرج من الزبُون ، وتعرض للهُون ، فهو « ضيف » إذا لحقته النون استعال إلى « ضيفن » وهو الذي يقبض الضيف ويتنزل في النقد منزلة الزَّيف .



## المقامة الخامسة والعشرون وتعرف بالكرجية

حكى الحارث بن همام قال : شتوت بالكرج لدين  
أقتضيه ، وأرب أقضيه ، فبلوت من شتاها الكالج ، وصيرها  
التافح ، ما عرفني جهد البلاء ، وعكف بي على الاضطلاء ؛ فلم  
أكن أزايل وجارى ، ولا مستوقد نارى ، إلا لضرورة أذفع  
إليها ، أو إقامة جماعة أحافظ عليها ، فاضطرت في يوم جوة  
مزمير ، ودجنه مكفير ، إلى أن برزت من كناني ، ليهم عتاني ؛  
فإذا شيخ عارى الجلدة ، بادي الجردة ، وقد اعمم بريطرة ،  
واستقر بفويطة ، وحواليه جمع كثير الحواشي ، وهو يشد ولا يمحاشي .

\* \* \*

شتوت : أقت في الشتاء

### [ الكرج ]

والكرج : مدينة معروفة ، وبشدة البرد موصوفة ، وهي بين أصبهان  
وهمدان ، وقد تقدم برد همدان<sup>(١)</sup> في الأولى ، ومن همدان إلى نهاوند مرحلتان ، ومن  
الكرج إلى مدينة أصبهان ستون فرسخاً . وهي منازل عيسى بن إدريس بن  
مقل العجلي ، ولم تكن في أيام المعجم مدينة مشهورة ، وإنما كانت في عداد القرى  
الظالم من رساتيق كورة أصبهان ، فنزلها العجليون فبنوا بها الحصون والقصور ،  
وجعلها أبو دلف مدينة عظيمة .

وقال أبو دلف : دخلت على الرشيد ، فقال لي : يا قاسم ، ما خبر أرضك ؟  
قلت : خراب ياب ، خر بها الأكراد والأعراب ، فقال قائل : هذا آفة الجبل  
وهو أفسده ، قلت : فانا أصلحه . قال الرشيد : وكيف ذلك ؟ قلت : أفسدته وأنت على ،

(١) في الجزء الأول ، صفحة ٢٤ ، ٢٥

وأصلحه وأنت معي . فقبل ذلك ، وعمر الكرج ، حتى صار دار أجداد ، ومحل  
وفود وقُصَاد .

وقال علي بن جبلة<sup>(١)</sup> : زرت في الجبل ، فلما حلت بالكرج ، أظهر من برئ  
ولكراعي أمراً مفرطاً ، حتى تأخرت عنه تأخراً كبيراً . فوصل إلى معقل بن عيسى ،  
قال : يقول الأمير : انقطعت عني ، وأحسبك استقلت برئى ، فلا يفضيتك ذلك ،  
فسأزيدني حتى ترضى . فقلت : والله ما قطعتني عنه إلا إفراطه بالبر . قال : وكتب  
إليه في ذلك :

هجرْتُك لم أهجرْكَ من كفرنمِ      وهل يُرْجى نيلُ الزيادة بالكفر  
ولكنني لما أتيتك زائراً      فأفرطت في برئ عجزت عن الشكر  
فأليت لا أتيتك إلا ملأً      أزورك في الشهرين يوماً وفي الشهر  
فإن زدتنى برّاً تزايدت جفوةً      ولم تلقى طول الحياة إلى الحشر

فلما وصلت إليه ، قال : قاتله الله ما أشعره ، وأدق معانيه ! فأجابني لوقته .  
وكان حسن اليدوية :

ألا رب ضيف طارق قد بسطته      وآتته قبل الضيافة بالبشر  
أناي برجبي فما حال دونه      ودون الترقى والعرف من نيله سترى  
وجدت له فضلاً على بقصده      إلى وبرّاً راد فيه على برئى  
فزودته مالا يقل بقاءه      وزودني مدحاً يدوم مع الدهر

وبعث إلى بها وبألف دينار مع وصيفة ، فقلت حينئذ :

إعما الدنيا أبودلفٍ      بين مبداه ومُختَصَره  
فإذا ولّى أبو دلفٍ      ولّت الدنيا على أمره  
ملك تنسدى أنامله      كأنبلج النور عن مطّره

مستهلٌّ عن مواهبه      كاتسام الزهر عن زهرة  
 جبلٌ عزّتُ مناصبهُ      أمنتُ عدنان في كفرة  
 كلٌّ من في الأرض من عربٍ      بين بادية ومختصرة  
 مستعبرٌ منه مكرمة      يكتبها يوم مفتخرة

والبيت الثاني أحفظ للمؤمن على ابن جبلة حتى سلّ لسانه من قناه .

• • •

قوله : أقتضيه ، أى أجمعه . أرب : حاجة . بلوت : قاسيت . الكالغ : الشديد ، وكلح كلوحا . أبدى أسنانه عند العبوس ، والبرد الشديد يبدى الأسنان عند رعد . صرّها : يردّها الشديد . النافح : للتحرك بالريح الباردة . جهد البلاء : مشقة الضرّ ، ويقال : بلغ جهده ، أى أقصى قوته ، فأراد بجهد البلاء المشقة التي يتفق الإنسان عندها الموت ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستميد منه .

أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : علّنى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الدعاء : « اللهم إني أعوذ بك من سوء القضاء ، وجهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وشماتة الأعداء » ؛ وروى في « جهد البلاء » ، أنه القتل عبرا أنس رضى الله تعالى عنه يرفعه قال : قتل الصبر جهد البلاء .

وقال صلى الله عليه وسلم : « جهد البلاء أن تحتاج إلى ما في أيدي الناس فيمنعوك » مجاهد قال : كنت جالسا عند عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بالكوفة ، فأبى رجل أن يضرب عنقه ، قلت : هذا والله جهد البلاء ، قال : والله ما هذا إلا كشرطة حجام بمشراط ، ولكن جهد البلاء قر مدقع بمد غيى مؤسع .

الأحنف : جهد البلاء خمسة : خادم مذموم ، وحطب رطب ، وبيت يصف ،

وخوان ينتظر، وجبار على الباب يدق .

عكف بي على الاصطلاء : أزمى التسخن بالنار وعكف على الشيء عكوفاً: لزمه. أزايل وجارى : أقارق يتي، والوجار جعر الضبع. إقامة جماعة ، أى حضور الصلاة مع الجماعة، وبردشكير بفرناطة كان أشد على ابن صارة - حيث حنمه الصلاة - من يرد الكرج على ابن هام حيث يقول ابن صارة :

أحلّ لنا ترك الصلاة بأرضكم      وشرب الخبثا وهو شئ محرم  
فراوا إلى نار الجحيم فإنها      أرق علينا من شكير وأرحم  
لئن كان ربى مدخلى في جهنم      ففى مثل هذا اليوم طابت جهنم

جوة مزمهر : هواؤه بارد ، والزمهير : البرد . دجنه مكفهر : سحابه متراكم مظلم . كنانى : يتي : مهم : أمر لا يؤخر . عنانى : عرض لى وقصدنى . الجردة الجلدة : التى تجرد عنها ثوبها، وفلان جسن الجردة والتجرد ، أى حسن المرى ، وقيل : الجردة الثوب المتجرد البالى . والريطة عند العرب : شئ رقيق ، شبه اللحفة ، ولذلك شئى به المرأة ، ولا معنى لهذه الصفة لأنه قد وصفه بالمرئى ، وإنما أراد هنا شبه الكراز لفظ مغير عن أصله كالقولة عندنا ، ضرب مما يسم به ، وهى مغيرة عن أصلها ، وإنما أصل القولة ثوب يحلب من الهند غليظه وتصغيرها فويطة ، يليه أهل مصر وأهل المشرق كما يليس أهل المغرب وأهل الأندلس الإحرام والترز . واستنفر : بالثوب إذا لواه على فخذه ، ثم أخرجه من بينهما ، فشده فى حجزته ، واستنفر الكلب بذنبه : جعله بين فخذه فتخيل صورة السروجى هنا التى نهاية فى القبح على ما يتصف به أبدا ، وقد لوى على رأسه نطمة من عمامة بالية ، واستنفر بتثائها ، فلا تجعله مثلاً إلا ما قال أبو دلامة فى نفسه :

إذا لبس العمامة كان قرداً      وخنزيراً إذا نزع العمامة :

وأين هذا من قول ابن رشيق في غلام معتم بعمامة حمراء :  
 بأمن يمرّ ولا تمرّ به القلوب من الحرق  
 بعمامة من خذه أو خذه منها سرق  
 فكانه ودأنها قرّ أحاط به شفق  
 شغل الجوارح والجوا نح والخواطر والحدق

وقال السّلامى في عمامة :

حسناه ضافية ، ببيضاء صافية كأنّ رؤفها في صامم ذكر  
 يزين أطرافها طرز كما رقت على الجوّ طرز الأتجم الزهر  
 كثيف : خشن منضمّ بعض حواشيه إلى بعض من الكثرة . يحاشى :  
 يستثنى .

\* \* \*

يا قوم لا يذبّكم عن فقرى  
 أصدق من عرّنى أو أن القر  
 فاعتبروا بما بدا من ضرّى باطن حالى وخفى أمرى  
 وحاذروا انقلاب سلّم الدهر فإني كنت نبيه القدر  
 آوى إلى وفرّ وحده يفري تفيد صفرى وتبيد سمرى  
 وتشتكى كومي غداة أفرى فجزّ الدهر سيوف القدر  
 وشنّ غارات الرزايا النبر ولم يزل يمسحني ويبرى  
 حتى عفت داري وغاض درى  
 وبار سمرى في الورى وشمرى

وَصِرْتُ نِضْوً فَاقَةً وَعُغْرٍ  
عَارِي الْمَطَا مَجْرَدًا مِنْ قَشْرِي  
كَأَنِّي الْمِنْزَلُ فِي التَّعْرِي لِادِفَاءِ لِي فِي الصَّنِّ وَالصَّنْبِرِ  
غَيْرِ التَّضْحِي وَاصْطِلَاءِ الْجَمْرِ فَبَلْ خِضْمٌ ذُو رِءَاءِ عَمْرِ  
يَسْتُرُنِي بِطَرْفٍ أَوْ طَنْبِرٍ طَلَابَ وَجْهِ اللَّهِ لِشُكْرِي!

ينبيء : يخبر . أوان القتر : وقت البرد . حاذروا : خافوا . سلم : صلح .  
نبيه القدر : رفيع المنزلة . آوى : أرجع . وفر : مال كثير . بفرى . بقطع .  
تفيد : تأتي بالفوائد . صُغْرِي : دنانيري . تُبِيد : تلتف . مُغْرِي : رماحي .  
كُومِي : إيلي ، والكوماء : الناقة العظيمة السنام أقرى : أطمع الأضياف ،  
أى تشدكي إيلي من كثرة ما أنعمها للضيافان . شن : فرق . الرزايا : المصائب .  
الغبر : الآتية في الزمان المحل . يَسْحَتْنِي : يستأصل مالي . يبرى : يقطع لحمي .  
عَفَتْ : درست . غاض : ذهب وجف . دزى : لبن إيلي . بار : كسد وضاع .  
سمرى : سوقى . نضو : هزيل . فاقة : حاجة وقصر . عسر : ضيق حال . المطا : الظهور  
قشري : ثيابي . والدفء : ذهاب البرد ، وقد دق يدفاً ، أى سخن وذهب برده .  
الصَّنُّ والصَّنْبِر : يومان من أيام المعجوز ، وهى سبعة : أربعة من آخر فبراير ،  
وثلاثة من أول مارس . وقال الشاعر لجمعها :

كُيِّجَ الشَّتَاءُ بِسَبْعَةِ عُغْرٍ بِالصَّنِّ وَالصَّنْبِرِ وَالْوَبْرِ<sup>(١)</sup>  
وَبَأَمْرِ وَأَخِيهِ مُؤْتَمِرٍ وَمَعْلَلٍ وَمَطْفِيءِ الْجَمْرِ

التَّضْحِي : الجلوس للشمس . خضم : كرم ، شبه بالبحر ، وهو الخضم .  
ذو رداء غمر : ذو عطاء كثير . مطرف : ثوب مربع في طرفه علم .  
الفرء : قبل مطرف لأنه أطرف ، أى جُمِلَ في طرفيه العلمان . جتر : ثوب خلق .

ثُمَّ قَالَ: يَا أَرْبَابَ الثَّرَاءِ، الرَّافِلِينَ فِي الْفِرَاءِ؛ مَنْ أُوتِيَ خَيْرًا فَلْيَنْفِقْ، وَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يُزْفِقَ فَلْيُزْفِقْ؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا غَدُورٌ، وَالذَّهْرُ عَتُورٌ، وَالْمَكْنَةُ زَوْزَةٌ طَيِّفٌ، وَالْفَرَصَةُ مَزْنَةٌ صَيِّفٌ. وَإِنِّي وَاللَّهِ لَطَالَمَا تَلَقَّيْتُ الشِّتَاءَ بِكَافَاتِهِ، وَأَعَدَدْتُ الْأَهْبَ لَهُ قَبْلَ مَوَافَاتِهِ، وَهَا أَنَا الْيَوْمَ يَسَادَتْنِي، سَاعِدَتْنِي وَسَادَتْنِي، وَجَلَدَتْنِي بُرْدَتْنِي، وَخَفَّتْنِي جَفَّتْنِي، فَلْيَعْتَبِرِ الْعَاقِلُ بِحَالِي، وَلْيَبَادِرْ صَرْفَ اللَّيَالِي؛ فَإِنَّ السَّعِيدَ مَنْ أَعْتَظَّ بِسَوَاهِ، وَاسْتَعَدَّ لِجَسَرَاهُ.

أرباب الثراء: أصحاب المال. الرافلين: الماشين بخيلاء وتبختر. الفراء: جمع فروة. أوتي: أعطى. خيراً: مالاً. يرفق: يمين، وأرقته: أعطيته ما يرتفق به. غدور: كثيرة الخداع. عتور: واقع بأهله. المكنة: النقي. طيف: ما يرى في النوم.

ابن الأنباري: في طيف الخيال قولان: قيل: أصله طيف فخفف، وقال الأصمعي رحمه الله تعالى: هو مصدر طاف، وبه أخذ السهيلي رحمه الله تعالى، وقال: هو مصدر طاف الخيال يطيف طيفاً، ولا يقال: منه طائف على فاعل، لأنه لا حقيقة للخيال، إنما هو توهم وتحيل. فإن كان شيء له حقيقة قلت: فيه طائف، نحو قوله تعالى: ﴿فطاف عليها طائف من ربك﴾، لأن الذي طاف عليها له حقيقة، ويقال: إنه جبريل عليه الصلاة والسلام. وأما قوله تعالى: ﴿إذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا﴾ فقد قرئ: ﴿طائف﴾ أيضاً فطائف لأن له حقيقة، وطيف لأنه غرور الشيطان وأمانيه تشبه بالخيال وما لاحقيقة له، فحصل من هذا ثلاث مراتب لخيال، ولا حقيقة له فيمتر بالطيف، ويقال في وسوسة الشيطان: طائف وطيف، وما عدا هذين فهو باسم الفاعل، ولا يبر عنه بطيف.

قف عليه . الفرصة : ما تها لك وتيسر لك من مطالبتك . مزنة سيف ، أى  
سحابة لا دوام لها ، وأراد قول عمران بن حطان :

أرى أشقياء الناس لا يسئونها على أنهم فيها غراب وجوع  
أراها وإن كانت تُعَبُّ فإنها سحابة سيف عن قريب تَقْشَعُ

ولما ولي بلال بن أبي بردة البصرة ، كان إذا اجتاز في مواليه بخالد بن  
صفوان يقول : \* سحابة سيف عن قريب تَقْشَعُ \*  
فبلغ قوله بلالا ، قال : والله لا تقشع حتى يصيبك منها شؤبوب ، فردّه ثم  
ضربه مائة سوط .

كافات : جمع كاف ، وأراد بها آله وما يستمد له بها وهى الأهب التى أراد .  
موافاته : مجيئه وحضوره . ساعدي : ذراعى . بردى : ثوبى ، الحفنة : ما يملأ  
الكف . الجفنة : الصفحة . فليتمظ ، أى يستبر ويجعلى عبرة . صرف : قلب .  
استمد : أعد : لسراه . مثواه . وقال الألبيرى فى هذا المعنى :

وذى غنى أوهمته همتُهُ أن الغنى عنه غير منفصل<sup>(١)</sup>  
فجرٌ أذبال عُجْبٍ بَطْرًا واحتال للكبرياء فى حُلٍّ  
برّته أيدى الخلوب برّته فاعتاض بعد الجديّد بالتسلّ  
فلا تنق بالنقى فأفاته الفقر وصرف الزمان ذو دُولٍ  
كنى نبيل الكفاف منه غنى فكف به الدهر غير محتفل

[من مقامة البديع البخارية]

ومن مقامات البديع : حدثنا<sup>(١)</sup> عيسى بن هشام قال : ألقى جامع بخارى يوم  
وقد انتظمت مع رقعة فى سلك الثريا . وحين احتفل الجامع بأهله طلع إلينا ذو  
طمرين ، قد أرسل صوانا ، واستلى طفلا عربانا ، يضيق بالضرّ وسهه ، ويأخذه  
القرّ ويدعه ، لا يملك غير القشرة بردة ، ولا يكتفى لحماية رعدة ، فوقف الرجل  
وقال : لا ينظر لهذا الطفل إلّا مَنْ الله طفله ، ولا يرق لهذا الضرّ إلّا مَنْ لا يامن



مثله . يا أصحاب الجلود للفروزة ، والأردية للطروزة ، والدُّور المنجدة ، والقصور  
 المشيدة . إنكم لن تأمنوا حادثاً ، ولن تدمموا وارثاً ، فبادروا الخير ما أمكن ،  
 وأحسنوا مع الدهر ما أحسن ، فقد والله طمينا السُّكاج ، وركبنا الملاج ،  
 ولبنا الديباج<sup>(١)</sup> ، واقتشنا الحشايا بالعشايا ، فاراعنا إلا هبوب الدهر بغيره ،  
 واقلاب الجفن لفهره ، فماد الملاج قطوفاً<sup>(٢)</sup> ، والديباج صوفاً ، وهلم جرا إلى  
 ما تشاهدون من حال وزبي ؟ فيها نحن نرتضع من الدهر ندى عقيم ، وتركب  
 من الفقر ظهر بهيم ، فلا نزنو إلا بين اليتيم ، ولا نعد إلا بد العديم . فهل  
 من كريم يحلو غياهب هذه البتوس ، ويقل شبا هذه النحوس . ثم قد  
 مرتقفاً<sup>(٣)</sup> ، وقال للطفل : أنت وشأنك ، قال : ماعسى أن أقول وهذا الكلام  
 لولتي الشعر لحلقه ، أو الصخر لقلعه ، وإن قلباً لم ينضجه ماقلت لى . وقد سمعتم  
 يا قوم ، ما لم تسموا قبل اليوم ، فليشغل كل منكم بالجوود يده ، وليذكر  
 غده ، واثقاً بى ولده ، وامنعوني أشكركم ، واذكرونى أذكركم . وتعلموا  
 فى العشرين .

• • •

ف قيل له : قَدْ جَلَوْتَ عَلَيْنَا أَدَبَكَ ، فَاجْلُ لَنَا نَسَبَكَ ،  
 فقال : تَبّاً لِمَفْتَخِرٍ ، بِمَعْظَمِ نَحْرِ ، إِنَّمَا الْفَخْرُ بَالْتَقَى ، وَالْأَدَبُ الْاِئْتَقَى ؛  
 ثم أنشد :

لَمَعْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ يَوْمِهِ  
 عَلَى مَا تَجَلَّى يَوْمُهُ لَا ابْنَ أُمِّهِ

(١) السكاج: لحم يطبخ بالخل ويحمل معه مرق ، والملاج: الغاية السريعة ، والديباج: الحرير .

(٢) القطوف : الغاية البليغة فى سجعها .

(٣) مرتقفاً ، أى فى مكان عال .

وما الفخرُ بالعظمِ الرَّمِيمِ وإنما  
فخَارُ الذي يَبْنِي الفخارَ بِنَفْسِهِ

ثمَّ إِنَّهُ جَلَسَ مُحْفَوفًا ، وَاجْرَثَمَ مُقَفِّفًا . وَقَالَ : اللَّهُمَّ يَا مَنْ  
غَمَرَ بَنَوَالِهِ ، وَأَمَرَ بِسَوَالِهِ ؛ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ، وَأَعْنِي عَلَى الْبَرْدِ  
وَأَهْوَالِهِ ، وَأَتَيْحْ لِي حُرًّا يُوَثِّرُ مِنْ خَصَاصَةِ ، وَيُوَاسِي وَلَوْ  
بِقِصَاصَةٍ .

\* \* \*

قوله : « جلوت » ، أظهرت وكشفت . أَجَلُ : اكشف وبين عنه . نَبَأًا :  
خسرانا . نَخِرَ : بال . المتقى : المختار . تَجَلَّى : تبدى وظهر . الرَّمِيمِ : الهالئ .  
يَبْنِي : يطلب .

وقوله : « نبأً لفتخر ، بعظم غر » ، كانت العرب تتفاخر بالأحساب ، وتعاظم  
بكرم الآباء ، فنزل القرآن العظيم بترك ذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا لِلَّذِينَ  
لِإِخْوَةٍ ﴾ و ﴿ إِنَّا أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ . وقال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم في حجة الوداع : « أيها الناس ، إنما الناس إخوة وليس لعربي على عجمي  
فضل إلا بالتقوى . أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، كلكم لأدم  
وآدم من تراب ، وأكرمكم عند الله أتقاكم » ، فذلك قال : إنما الفخر بالتقى .

وقال على كرم الله وجهه ورضي عنه :

الناس من جهة التمثيل أكفاه      أيومهم آدم والآن حواه  
فإن يكن لهم من قبل ذا نسب      يفاخرون به فالطيب والماء

وقال عامر بن الطفيل :

ولمّا وإن كنتُ ابن سيّد عامر      وفي السرِّ منها والعريج المهذب<sup>(١)</sup>  
فما سودّني عامرٌ عن ولادة<sup>(٢)</sup>      أبى الله أن أسمو بأُم ولا أب  
ولكنني أحمى حماها وآتقى      إذاها وأرعى من رماها بئنيك<sup>(٣)</sup>

فهذا مع إمكانه الفخر بالأباء لم يفخر إلا بنفسه . وأخذ عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال :

لستنا وإن أحسابنا كرمت      يوماً على الأحساب تتكلم  
نبى كما كانت أوائلنا      تبني وفعل مثل ما فعلوا

وهذا مثل قول الحسن رضى الله تعالى عنه وقد أجزل صلة شاعر ، فليم في ذلك قال : أتأني خفت أن يقول : إني لست ابن فاطمة بنت النبی صلى الله عليه وسلم ، ولا ابن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ولكني خفت أن يقول : لست كمثلها فيصدق ويمثل عنه ، ويبقى مخلداً في الكتاب محفوظاً على السنة الرواة ، قال الشاعر : أنت والله يا بن رسول الله أعرف بالمدح والقمم مني .

قوله : والأدب للتقى ؛ حدث يحيى بن أكثم قال : بينما أنا جالس مع المأمون إذ دخل الدار فتى ، أبدع الناس زياً وهيبة ووقاراً ، وهو لا يلتفت إعجاباً بنفسه ، فنظر إليه المأمون ، قال : يا يحيى إن هذا التقى لا يخلو أن يكون هاشمياً أو نوحياً ، ثم بحثا من يتعرف ذلك منه . فصاد الرسول فأخبر أنه نوحى ، قال المأمون : يا يحيى ؛ أعلمت إن علم النحر قد بلغ بأهله من عزة النفس وعلو الهمة منزلة بنى هاشم في شرفهم ! يا يحيى ، من قد به نسب قام به أدبه . قال : وأنشد الشاعر :

(١) الديوان : « ورائق » .

(٢) ديوانه ٢٨ .

(٣) الديوان : « بحضب » .

كُنْ ابْنَ مَنْ شئتَ واتَّخِذْ أدباً يُغْنِيكَ مَأْثُورُهُ عَنِ النَّسْرِ  
 إِنَّ الْفَقِيَّ مَنْ يَقُولُ هَذَا أَنَا ذَا لَيْسَ الْفَقِيَّ مَنْ يَقُولُ كَانَ أَبِي  
 مَالِي عَقْلِي وَهَمِّي حَسْبِي مَا أَنَا مَوْلَى وَلَا أَنَا عَرَبِي  
 إِنَّ اتِّمَّيْ مِنْهُمْ إِلَى أَحَدٍ فَلَتَمَّيْ مِنْهُمْ إِلَى أُدْبِي  
 وتكلم رجل عند عبد الملك بكلام ذهب فيه كل مذهب ، فقال له وقد  
 أعجبه : ابن مَنْ أَنْتَ يا غلام ؟ فقال : ابن نفسي يا أمير المؤمنين ، التي نلت بها  
 هذا لنعمد منك ، قال : صدقت . أخذه ابن دريد فقال :

كُنْ ابْنَ مَنْ شئتَ وَكُنْ مُؤَدِّباً فَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِفَضْلِ حِسِّهِ <sup>(١)</sup>  
 وَلَيْسَ مَنْ تَكْرَمَهُ لَفِيهِ مِثْلَ الَّذِي تَكْرَمُهُ لِنَفْسِهِ

وقالت عائشة رضي الله عنها : كل كرم دونه لؤم ، فاللؤم أولى به ، وكل  
 لؤم دونه كرم فالكرم أولى به — يعنى أن أعمال الإنسان إذا كرمت لم يضره لؤم  
 آبائه ، وإذا لؤمت لم ينفعه كرم آبائه . وقال للمرعى :

لَوْ عَرَفَ الْإِنْسَانُ مَقْدَارَهُ لَمْ يَفْخَرْ الْمَوْلَى عَلَى عَبْدِهِ <sup>(٢)</sup>  
 وَلَا سِبْغَايَاهُ وَأَخْلَاقَهُ لَكَانَ كَالْمَدُومِ فِي وَجْدِهِ  
 وَجَعَدَ أَفْضَالَهُ لَا الَّذِي مِنْ قَبْلِهِ كَانَ وَلَا بَعْدَهُ

قوله : ما تجلّى يومه ، أى على ما ظهر وانكشف يومه من أعماله المحمودة .  
 أو الذمومة . محقوقها : منحنياً . اجرثم : اتعصب . متعمداً ، ويقال :  
 قفّ شمره إذا ارتفع من دعر أصابه . وقفّ جلدى من هذا الحديث ، إذا اقشعر  
 من استئثار ما سمع .

غمر بنوالة ، أى غطى بغطاياها . وأمر بسؤاله : يريد قوله تعالى : ﴿ واسألوا

(١) ديوانه ٧٠ ، وفيه : « كيه » .

(٢) سقط الزند ١٠١٦ مع اختلاف في الألفاظ وترتيب الأيات .

الله من فضله) . آله : أهله . أهواله : شدائده ومخاوفه . أنح : قدّر . يؤثر : يفصل غيره على نفسه . خصاصة : جوع ، وهذا منترع من القرآن .

\* \* \*

قال الراوى : فلما جلى عن النفس المصامية ، والملاح الأضيعة ، جعلت ملاح عيني تعجبه ، ومرامي لخطي ترعجه ، حتى استبنت أنه أبو زيد ، وأن تعريه أجولة صيد . ولع هو أن عرفاني قد أدركه ، ولم يأمن أن يهشكه ، فقال : أقسم بالسمر والسمر ، والزهر والزهر ، إنه لن يستترني إلا من طاب خيمه ، وأشرب ماء الروة أدبه . فعقلت ما عناه ، وإن لم يذر القوم معناه ، وسأني ما يعاين من الرعدة ، واقشعرار الجلد . فعمدت لفروة هي بالنهار ياشي ، وفي الليل فراشي . فنضوتها عني ، وقلت له : أقبلها مني ؛ فأكذب أن افتراها ، وعيني تراها . ثم أنشد :

لله من البسني فروة أضحت من الرعدة في جنة  
البسنيها واقيا منهنجي وثق شر الإنسان والجنة  
سيكتسي اليوم ثنائي وفي غد سيكتسي سندس الجنة

\* \* \*

والمصامية : منسوبة إلى عصام بن شهير بن الحارث الجرمي ، حاجب النعمان  
ابن المنذر الذي يقول له النابغة :

فإني لا ألام على دخولٍ ولكن ما وراءك يا عصام<sup>(١)</sup>  
ولم يكن عصام شريفاً ، ولا نشأ في قومه ، ولكن كان من أشد الناس  
بأساً ، وأفصحهم لساناً ، وأحزمهم رأياً ، وأقربهم إلى النعمان ، وقال له رجل  
يوماً : كيف بلغت هذه المنزلة من الملك وأنت دنيء الأصل ؟ قال :  
ففسَّ عصام - سودت عَصَاماً - وعلقتة الكرة والإقداما<sup>(٢)</sup>

• وصيرته سيّداً عاماً •

ويقال : كن عصامياً ولا تكن عظامياً ، أي افتخر بنفسك لا بأبائك  
الذين ماتوا وبقيت عظامهم . فكل من ليس له شرف قديم ، وشرف بنفسه ،  
يقال له عصاميّ .

وكانت لرجل عند الحجاج حاجة ، فوصف بالجهل والحق ، فأراد  
أن يختبره ، قال : أعصاميّ أنت أم عظاميّ ؟ قال له الرجل : عصاميّ  
عظاميّ ، فظن أنه يريد افتخاره بنفسه لفضله وبآبائه لشرفهم ، قال الحجاج :  
هذا من أفضل الناس ، وقضى حاجته ، ثم جرّبه بعد ذلك ، فوجده أجهل  
الناس ، قال له : أصدقني وإلا قتلُك ، أجبتني بعصاميّ وعظاميّ ، قال له  
الرجل : لم أعلم معناهما ، فغشيت أن أقول أحدهما فأخطيء ، قلت في نفسي : أقولها  
مما ، فإن ضررتني أحدهما نفعتني الآخر ، قال الحجاج : للعاذير نصير النبي خطيباً ،  
فذهبت مثلاً .

وسمع المؤمنون رجلاً يفخر بنفسه وهو ناقص ، قال : أنت عظامي لا عصاميّ .

(١) ديوانه ٧٤ .

(٢) ديوانه ٧٩ .

ولهذا أشار بما تقدم من قوله « ثجا لفتخر ، بعظم بحر » ، يريد أن عصاما ساد بنفسه لا بأبائه ، وكذلك السروجي لم يفخر إلا بنفسه .

الأصمعي : التي حكاهما الأصمعي ، وقد مر من مُلح الأصمعي في هذا الكتاب جملة كافية بحمد الله تعالى . والأصمعي عاصي لأنه من باهلة ، وهي أهن قبيلة في العرب والأما ، وذكر المبرد في كامله جملة أخبار في أمثالها ، قال فيها الشاعر :

ولو قيل للكلب يا باهلي عوى الكلب من لؤم ذاك النسب<sup>(١)</sup>  
وهو مع ذلك خامل النشأ ، وقد ذكرنا في الأربمين خول أبيه إلا أنه ساد  
الناس بنفسه أدباً وعلماً وديناً . ومن مُلحه أنه قال : ينما أذ في طرق البصرة إذا  
أنا بكناس يكنس كنيفا ، وإذا هو يقول :

فإياك والسكى بأرض مذلة تعد مسيئانيه إن كنت مُحسنا  
فنفسك أكرمها وإن ضاق مسكن عليك بها فاطلب لنفسك مسكنا  
قال : فوقفت عليه ، قلت : والله ما بقي عليك من الهون شيء إلا وقد أهنتها  
به ، فما الذي نلت من كرامتها ؟ قال : والله لكنس ألف كنيف أحسن من  
القيام على باب مثلك ساعة .

الأصمعي : كان أعرابيان متواخيان بالبادية ؛ ثم إن أحدهما استوطن  
الريف ، واختلف إلى باب الحاج ، فولاه أصهبان . فسمع أخوه خبره فغضب  
إليه ، فأقام ببابه حيناً لا يصل إليه ، ثم أذن له بالدخول ، فأخذ الحاج فشى  
به وهو يقول :

فلستُ مسلماً مادمتُ حياً على زيد بتسليم الأمير

قال زيد : لا أبالي ، قال الأعرابي :

أُتَذَكَّرُ إِذْ لِحَافُكَ جِلْدُ شَاةٍ وَإِذَا نَمَلُكَ مِنْ جِلْدِ الْبَعِيرِ

قال : نعم ، قال الأعرابي :

فَبِيعَانِ الَّذِي أُعْطِيَكَ مَلَكًا وَعَلَيْكَ الْقَمُودُ عَلَى السَّرِيرِ

تمجبه : تحتبره . صراى لخطي : نظرات عيني وسهام نظري ، واحده المراى  
مَرْمَاةٌ ، وهى السهم .

ترجه : ترميه وتقع عليه . أحبولة : شبكة . يهتسكه : يكشفه . السمر :  
ظل القمر ، ثم سُمِّيَ حديث الليل سمرا به . الزهر : النجوم . خيمه : طيمه .  
أشرب : سقى . المروءة : القمل الجليل . أدبمه : وجهه ، ويقال : أشرب فلان  
حب فلان ، إذا خالط حبه قلبه . ماعناه : ما أراد ، يريد أنه لما قال : لن يسترني ،  
إنما أراد لن يستر على هذه الحيلة التى أريد بها خداع الناس بعد ما عرفها إلا من  
هو كما وصف .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من رأى عورة أخيه فسترها كان كمن  
أحيا موءودة من قبرها » .

ساءنى : شقّ على . يمانيه : يقاسيه . اقشعرار : انقباض وارتعاد .  
عمّلت : قصدت . رياشى : لباسى . نضوتها : جردتها . اقترأها : اتخذها .  
جئنة : سترًا ووقاية . واقيا : صائنا . مهجى : ضى . وقى : كفى . الجنة :  
الجن : سندس : ثياب خضر .

\*\*\*

قال : فَلَمَّا قَتَنَ قُلُوبَ الْجُمَاةِ ، بِاِفْتِنَانِهِ فِي الْبَرَاةِ ، أَلْقَوْا عَلَيْهِ  
مِنْ الْفَرَاءِ الْمَشَاةِ ، وَالْجَبَابِ الْمَوْشَاةِ ، مَا آدَهُ ثِقَلُهُ ، وَلَمْ يَكُنْ



يَقِيلُهُ ، فَاَنْطَلَقَ مُسْتَبْشِرًا بِالْفَرَجِ ، مُسْتَسْقِيًا لِلْكَرَجِ ، وَتَبِعَتْهُ  
إِلَى حَيْثُ ارْتَفَعَتِ التَّقِيَّةُ ، وَبَدَتْ السَّمَاءُ تَقِيَّةً ، فَقُلْتُ لَهُ : لَشَدَّةُ  
مَا قَرَسَكَ الْبُرْدُ ، فَلَا تَعْتَرِّ مِنْ بَعْدُ ، فَقَالَ : وَيَكُ الْبَيْسَ مِنَ الْمَذَلِّ ،  
مُرْعَةُ الْمَذَلِّ ، فَلَا تَعْجَلْ بِلَوْمِ هُوَ ظَلَمٌ ، وَلَا تَقِفْ مَا لَيْسَ لَكَ  
بِهِ عِلْمٌ ؛ فَوَالَّذِي نَوَّرَ الشَّيْبَةَ ، وَطَيَّبَ تَرْبَةَ طَيِّبَةٍ ، لَوْ لَمْ أَتَعَرَّ  
لَرَحَّتْ بِالْخُلَيْبَةِ ، وَصَفَرَ الْعَيْبَةُ .

. . .

افتنانه : تنوعه . البراعة : الجودة والقصاحة المنشاة : للفظاة بغيرها من  
التياب . الموشاة : للزينة بالرقم . آده : أثمله . يقيله : يرفعه . مستقيا : داعيا  
بأن يستمى الله تعالى . التتية : الخشية .  
قوله : بدت السماء قية ، مَثَلٌ ضَرِبَ لِحُلُولِ الْمَوْضِعِ مِنَ النَّاسِ وَظُهُورِهِ  
فِيهِ وَحْدَهُ . وَيَكُ ، أَيْ عَجَبًا لَكَ . الْمَذَلُّ : الْهَوَمُ .

تَقِفْ : تَتَّبِعْ ، يُقَالُ : قَفَوْتُ أَثَرَهُ أَقْفُوهُ قَفْوًا ، إِذَا تَتَّبَعْتَهُ ، وَمِنْهُ : قَفَا فُلَانٌ  
فُلَانًا إِذَا أَتْبَعَهُ بِكَلَامٍ قَبِيحٍ ، وَيُقَالُ : قَفَاهُ بِالتَّخْفِيفِ .

أَبُو عُبَيْدَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : أَصْلُ الْقَفْوُ وَالْتِقَافُ : الْبَهْتَانُ يَرْمِي بِهِ الرَّجُلَ  
صَاحِبَهُ ، وَاحْتِجَ بِمَحْدِثِ حَبَانِ بْنِ عَطِيَّةٍ : « مَنْ قَفَا مُؤْمِنًا بِمَا لَيْسَ فِيهِ حِبْسُهُ اللَّهُ  
تَعَالَى فِي رَدْعَةٍ <sup>(١)</sup> انْجِبَالٍ حَتَّى يَأْتِيَ بِالْخُرُوجِ » . قَالَ الْفَرَّاءُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : الْقَفْوُ :  
مَأْخُوذٌ مِنَ الْقِيَافَةِ ، وَهُوَ تَقْبِيعُ الْأَسْرِ ، يُقَالُ : قَافَ الْقَتَافُ يَقْفُو قِيَافَةً ، فَهُوَ  
قَافٌ ، بِتَقْدِيمِ الْفَاءِ عَلَى الْوَاوِ ، كَمَا ظَلَمُوا فِي جَذَبَ : جَبَذَ ، وَقَرِئَ : « وَلَا تَقِفْ »  
مِثْلَ قُلْتُ . نَوَّرَ : بَيَّضَ .

(١) الرَدْعَةُ : الطَّيْنُ وَالرَّحْلُ ؛ كَذَا فَسَّرَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ وَأَوْرَدَهُ فِي الْتَهَابَةِ .

## [ ذكر طيبة ]

طيبة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ، وطيب الله تربتها بأن صيرها موطناً  
لنبيه صلى الله عليه وسلم ، في حياته ومستقراً له بعد مماته . وذكر شيخنا ابن جبير  
للمدينة فقال : للمدينة<sup>(١)</sup> المكرمة أربعة أبواب وهي تحت سورين في كل سور  
باب يقابله آخر : باب الحديد ، وباب الشريعة ، وباب القبلة ، وباب البقيع ،  
وبين سورها الثرى وخندق النبي صلى الله عليه وسلم مقدار غلوة ، وبين السور  
والخندق عين النبي صلى الله عليه وسلم ، وعليه حلق عظيم مستدير ، ومنبع العين  
وسطه ، كأنه الحوض المستطيل ، وتحت العين سقايتان بينهما جدار لطير  
الناس وغسل أثوابهم ، والعين للاستقاء والعين تمد السقايتين ، وتهبط إليهما على  
خمس وعشرين درجة ، وماؤها يسم أهل الأرض فضلاً عن أهل المدينة . وبمقربة  
من الحوض ممّا يلي الحوض حجر الزيت ، يقال : إن الزيت رشح للنبي صلى الله  
عليه وسلم من ذلك الحجر . وبالقرب منه بئر بضاعة ويازائها من الجهة  
اليسار جبل الشيطان حيث صرخ يوم أحد : قتل نبيكم . وعلى شفير  
الخندق حصن العراب ، وهو خرب . كان عمر رضى الله عنه بناء لعراب للمدينة ،  
وأمامه لجهة الغرب على بعد بئر رومة التي اشتراها عثمان رضى الله عنه بمشرين  
ألفاً . وداخل باب الحديد سقاية يهبط إليها على أدراج ، وهي بمقربة من الحرم  
المكرم ، ويقبل الحرم دار مالك بن أنس رضى الله عنه . ويطيف بالحرم شارع  
مبسط بالحجر المنحوت ، وفي جوف المدينة جبل أحد على ثلاثة أميال منها ، ويقبله  
مسجد حمزة ، وقبره برجة بجوف المسجد ، ويازائه قبور الشهداء ، وحوله تربة  
حمراء أنزل فيها سورة الفتح الشريفة ، وشرقي المدينة بقيع القردة ، وإذا  
خرجت على باب البقيع تلقى على يسارك قبر صفية عمة النبي صلى الله عليه وسلم  
وأم الزبير ، وأمامها قبة مختصرة البناء على قبر مالك بن أنس . وأمامه قبر

(١) رحلة ابن جبير ١٧٦٠ بصرف .

السلالة الطاهرة إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم عليه قبة بيضاء وعلى يمينها قبر عبد الرحمن بن عمر ، القدي جده أبوہ الحدّ فات ، ويزائه قبر عقیل بن أبي طالب وعبد الله بن جعفر ، ويزائه روضة صغيرة فيها ثلاثة من أبنائه صلى الله عليه وسلم ، ويليها روضة المباس والحسن رضى الله عنهما ، وعليها قبة مرتفعة في الهواء ، وقبراهما مرتفعان على الأرض مشيان بالواح ملتصقة أبدع التصاق ، مرصّمة بالصفايح الصغر مسكوكة بمسامير على أبدع صفة ، وعلى هذا الشكل قبر إبراهيم عليه السلام بن النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي آخر البقيع قبر عثمان بن عفان الشهيد ، وعليه قبة مختصرة البناء ، وبمقربة منه قبر فاطمة بنت أسد أم على كرم الله وجهه ، ومشاهد البقيع أكثر من أن تُحصى لأنها مدفن الصعابة رضى الله عنهم . وقيل المدينة على نحو المليون قُباء ، وكانت مدينة كبيرة متصلة بالمدينة المكرّمة ، وبها المسجد الذى أسس على التقوى وهو مربع مستوى الطول والعرض له باب واحد من جهة الغرب ، وهو سبع بلاطات في الطول ، ومثلها في العرض ، وفيه صومعة طويلة بيضاء تظهر على البعد ، وفي وسطه مبرك النافذة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، عليه حلق قصير شبه الروضة ، يتبرك الناس بالصلاة فيه وفي صحنه عمالي القيلة شبه محراب على مسطبة ، وهو أوّل موضع ركع فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي قبليّه دار بني النجار ، وهى دار أبي أيوب الأنصارى ، ويليها دار عائشة رضى الله تعالى عنها ، ويزائها دار عمر ودار فاطمة ودار أبي بكر رضى الله عنهم أجمعين ورضى عنا بهم ، ويزائها بئر أريس حيث قتل فيه النبي صلى الله عليه وسلم فعاد عذبا بعد أن كان أجاجا ، وفيه وقع خاتمه من يد عثمان رضى الله عنه ، وحديثه مشهور ، وفي آخره تلّ مشرف يعرف بمرقات لأنه كان موقف النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة ، ومنه زويت له الأرض فأبصر الناس بمرقات ، ويدخل من التل على دار الصفة ، وبها كان عمار و سلمان وأصحابهما . والطريق من قبل قُباء إلى المدينة بين حدائق النخل المتصلة ، والنخيل تحلق بالمدينة من

جهاها ، وأَعْظَمُهَا جِهَةُ الْقِبْلَةِ وَالشَّرْقِ ، وَأَقْلَاهَا جِهَةُ الْغَرْبِ . وَأَمَّا الْمَدِينَةُ وَقَبَاءُ  
لَا تُحصى . فَلَمَّا خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى تَرَبُّعَ طَيْبَةِ بَصْفُوَةِ عِبَادِهِ أَقْسَمَ الْحَرِيرَى بِنِ طَيْبِهَا .  
صَفَرُ الْعَيْبَةِ : خَلُوُ الْوَعَاءِ .

\* \* \*

ثُمَّ نَزَعَ إِلَى الْفِرَارِ ، وَتَبَرَّقَ بِالْكَفَرَارِ ، وَقَالَ : أَمَا  
تَعْلَمُ أَنَّ شِنْشِنَتِي الْإِتْقَالُ مِنْ صَيْدٍ إِلَى صَيْدٍ ، وَالْإِنْطَافُ مِنْ  
عَمْرٍو إِلَى زَيْدٍ ، وَأَرَاكَ قَدْ عَقَّتَنِي وَعَقَقْتَنِي ، وَأَفْتَنِي أَضْعَافَ  
مَا أَفَدْتَنِي ، فَاغْفِرْنِي عَافَاكَ اللَّهُ مِنْ لَنُوكِ ، وَاسْدُدْ دُونِي بَابَ جَدِّكَ  
وَلَهُوكِ . فَجَبَذَهُ جَبَذَ الثَّمَابَةِ ، وَجَمَّعَتْهُ بِهِ لِلدُّعَابَةِ ، وَقُلْتُ لَهُ :  
وَاللَّهِ لَوْ لَمْ أُوَارِكَ ، وَأَغْطُ عَلَى عَوَارِكَ ، لَمَّا وَصَلْتَ إِلَى صَلَاةٍ ،  
وَلَا تَقَلَّبْتَ أَكْسَى مِنْ بَصَلَةٍ ، لَخَازَنِي عَنْ إِحْسَانِي إِلَيْكَ ،  
وَسَتَرِي لَكَ وَعَلَيْكَ ، بَأَنَّ تَسْمَعَ لِي بِرَدِّ الْفَرْوَةِ ، أَوْ تَعْرِفَنِي  
كَأَفَاتِ الشُّتُوَةِ . فَنَظَرَ إِلَى نَظَرِ الْمُتَعَجِّبِ ، وَازْمَهَرَ اَزْمِهْرَارِ  
الْمُتَفَضِّلِ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَا رَدُّ الْفَرْوَةِ فَأَبْدُ مِنْ رَدِّ أَمْسِ الدَّابِرِ ، وَالْمَيْتِ  
الغَابِرِ .

. . .

نَزَعَ : مَالَ وَحَنَ . وَتَبَرَّقَ : سَتَرَ وَجْهَهُ . الْكَفَرَارُ : الْعَبُوسُ . شِنْشِنَتِي :  
طَيْبَتِي . الْإِنْطَافُ : الرَّجُوعُ . عَقَّتَنِي : حَبَسْتَنِي . عَقَقْتَنِي : قَطَعْتَنِي . أَفْتَنِي :  
حَرَمْتَنِي . أَفَدْتَنِي : أَكْسَبْتَنِي فَائِدَةً . اغْفِرْنِي : أَرْحِنِي وَعَافِنِي . لَنُوكِ : بِاطْلَاكِ .

التلابة : كثرة اللعب ورجل تلابة : حسن اللعب مزاح ، وفي الخامسة :

هُوَ الْقَطْرُ لِلْيَمُونِ إِنْ عَادَ وَاعْتَدَى بِهِ الرِّكْبُ وَالتَّلَابَةُ لِلتَّجَبُّ

جمعت : صحت ودعوت به ، والجمجمة : رُغَاءُ الإِبِلِ . الدُّعَابَةُ : المزاح .  
أَوَارِكُ : أَسْرَكَ . عَوَارِكُ : عِيكَ . صِلَةٌ : عطية . سَتَرِي لَكَ ، أَيْ ثَوْبِي ،  
وَأَرَادَ بَعْلِيكَ ، سَكَوْتِي عَنْكَ حِينَ قُلْتُ : لَنْ يَسْتَرِي إِلَّا مِنْ طَلَبِ خِيَمِهِ . اِزْمَهَرُ :  
تَوَقَّدَتْ عَيْنَاهُ غَضَبًا . التَّنْفُصُ : الْمُسْتَعْمَلُ الْغَضَبِ . الْفَابِرُ : الْمَاضِي . وَالنَّابِرُ :  
الْقَاهِبُ .

\*\*\*

وَأَمَّا كَافَاتِ الشَّتْوَةِ ، فَسَبْحَانَ مَنْ طَبَعَ عَلَى ذَهْنِكَ ،  
وَأَوْتَمِي وَعَاءَ خَزْنِكَ ، حَتَّى أُنْسِيَتْ مَا أَنْشَدْتُكَ بِالدُّسْكَرَةِ ،  
لِابْنِ سُكْرَةَ :

جاء الشتاء وعندي من حوائجه

سبعٌ إذا القطرُ عن حاجاتنا حبساً

كينٌ وكيسٌ وكانونٌ وكلسٌ طلاً

بعد الكباب وكسٌ ناعمٌ وكيساً

ثم قال : لَجَوَابُ يَشْفِي ، خَيْرٌ مِنْ جَلْبَابٍ يُدْفِي ؛ فَكَتَفَ  
بِأَوْعَيْتٍ وَأَنْكَنِي . فَفَارَقْتُهُ وَقَدْ ذَهَبَتْ فِرْوَقِي لِشَقْوَتِي ،  
وَحَصَلْتُ عَلَى الرُّعْدَةِ طَوْلَ شَتْوَتِي

• • •

وقوله : سبحان من طبع ، معناه تنزيهاً لك ياربنا من الولد والصاحب  
والشريك ، أى نزهتك من ذلك ، واتصابه على المصدر ، كأنك قلت : سبعت  
الله نسيحاً ، فطعت « سبحان » فى موضع التسبيح ، ومعنى طبع على قلبك ، أى  
غشاه الصداً والندس والوسخ ، قال الله تعالى : ﴿ فَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ وقال :  
﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ، وفى الحديث « نموذ بالله من طبع  
يدنى إلى طبع » . وقال الشاعر :

لَا تَطْمَنُ طَمَعاً يَدْنِي إِلَى طَبَعٍ    إِنْ الْمَطَامِعُ قَرَّ وَالنَّهْيُ يَأْسُ

وَأُنْشَدَ يَقُوبُ :

لَا خَيْرَ فِى طَمَعٍ يَدْنِي إِلَى طَبَعٍ    وَغُفَّةٌ مِنْ قَوَامِ الْعَيْشِ تَكْفِينِي <sup>(١)</sup>  
وَالنَّهْنُ : قُوَّةُ ادْرَاكِ الْعَقْلِ . أَوْهَى : أضعف . خزنك : تنقيفك وحرزك .  
الدسكرة : هنا قرية معروقة فيها وبين بندان على طريق خراسان ستة  
عشر فرسخاً .

### [ ترجمة ابن سكرة ]

وابن سكرة من شعراء اليتيمة قال صاحبها <sup>(٢)</sup> : ابن سكرة الهاشمي هو  
أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد . شاعر متقن الباع ، فى أنواع الإبداع ،  
فاتق فى قول الظرف والملح ، أحد الفحول والأفراد ، وجال فى ميدان المجون  
والسخف بما أراد . وكان يقال ببنداد : إن زمانا جاد بابن سكرة وابن الججاج  
لسخى جداً ، وما أشبهها إلا بجرير والفرزدق فى عصرهما . ويقال إن ديوان  
ابن سكرة يربو على خمسين ألف بيت .

(١) البيت فى لسان- لغا من غير نسبة . والفة : بنية من العيش . (٢) اليتيمة ٢-٣ .

ومن شعره في غلام في يده غصن نُور :

غصن بانر بدا وفي اليد منه غصن فيه لؤلؤ منظوم<sup>(١)</sup>  
فحيرت بين غصنين في ذا قمر طالع وفي ذا نجوم  
وله في غلام يعرف بابن برغوث :

بليت ولا أقول بمن لاني إذا أنا قلت من هو تشقوه<sup>(٢)</sup>  
حيب قد تقى عني رقادى فإن غمضت أيقظى أبوه  
وله في غلام أعرج :

قالوا بليت بأعرج فأجبهم العيب يحدث في غصون البان<sup>(٣)</sup>  
ماذا على إذا استجدت شمائله وروادفا تنق عن الكتبان  
إني أحب جلوسه وأريده للنوم لا للجري في الليدان  
في كل غصن منه حسن كامل ماضرتني إن زلت القدمان  
وله في غلام سميت :

إذا باسمي دُميت حنت شوقا وذكرني به الهامى حبيبى<sup>(٤)</sup>  
فليت كما اتفقنا في الأساى وألفتها اتفقنا في القلوب  
وله أيضا :

بنفسى عذار بدأ طالما على ناصر الورد ما أملا<sup>(٥)</sup>  
كتمت هواه زمان الصبا وبوحت<sup>(٦)</sup> بالحب لنا التعى

(٢) البيعة ٣ : ٨

(٤) البيعة ٣ : ٤

(٦) البيعة : « صرحت »

(١) البيعة ٣ : ٣

(٣) البيعة ٣ : ٦

(٥) البيعة ٣ : ٥

وقالوا محاسن الشعر لما بدا محاسنه منه واستقبها  
قلت لهم ما محاسنه ولكن صبري عنه محاسنه

وله في مثله :

وغزال لولا تَمِيمَة شعر ذكرته قلت بعض الجوارى<sup>(١)</sup>  
شاربٍ أَشْرَبَ الصَّابَةَ قلبي وعذار خلعتُ فيه عذارى

وله في مثله أيضاً :

مَنْ عَذِرِي مِنْ شَدَنِ لَابِرَائِي وهو روي أَهْلًا لَرَدِّ السَّلامِ<sup>(٢)</sup>  
أنا من خدّه وعَيْنِيهِ وَالثَّنْجَرِ ومن رِقِّهِ البَعِيدِ المَرَامِ  
بين وردٍ وَزَجَسٍ وَلَّالٍ أَخْوَافٍ وَهَائِلٍ مُدَامِ

وله في مثله أيضاً :

في وجه إنسانة كلفت بها أربعة ما اجتمعن في أحده<sup>(٣)</sup>  
الحدّة ورد والمثدغ غالية ولاريق خمر والثغر من برّود

وله في مثله أيضاً :

قد أمسكت من عمر بن يحيى بحبل ما أخاف له ابتئاتا<sup>(٤)</sup>  
حبائي في الحياة ودمّ حالي وأوصى بي أبا حسن وماتا  
فكنت مجاورا للبحر منه قلما مات جاورتُ القُرأنا

وله في وزير للملهي :

لا عذب الله ميتا كان يَعْشَى قد دقت بضرى مثل مالاقي

(٢) البيعة ٣ : ٤

(٤) البيعة ٣ : ٢٢

(١) البيعة ٣ : ٢

(٣) البيعة ٣ : ٦



طواه موت طوى عنى مكارمه فذقت من بعده بأنقر ماذا<sup>(١)</sup>  
وقال فيه أيضاً :

مضى ملك عم البرية جوده رهوف وإن راع الأسود شفيق<sup>(٢)</sup>  
مسكرت بنماه وجود وزيره فقالت لى الألام : سوف تذوق  
وقال رحمه الله أيضاً :

لقد كان الشباب فكان غصاً له ثمر وأوراق تظلك<sup>(٣)</sup>  
وكان البعصر منك فات فاعلم متى ما مات بعضك مات كلك  
ويابعد ما بين حاله وقت قوله : جاء الشتاء ... البيتین . وبين حاله وقت  
موت المهلبی، وقد أدرك فاقة، فسل عما أعدت للشتوة فقال :

قيل ما أعددت للبر د فقد جاء بشده<sup>(٤)</sup>  
قلت : دراعة عري تحتها جبة رعدة

\* \* \*

قوله : « إذا انقطر عن حاجاتنا حبسا » ، فى معنى ذلك أن الحسن بن وهب  
تأخر عن ابن الزيات وهو يكتب له ، فاستبطه فكتب الحسن إليه :

أوجب العذر فى تراخى اللقاء ما ترى بى من هذه الذنوا<sup>(٥)</sup>  
لست أدري ماذا أقول وأشكو من سماء تموقى عن سماء  
غير أنى أدعو على تلك بالشكر وأدعو لهذه بالبقاء  
فلام الإله أهديه منى لك غصاً يا سيد الوزراء  
كان لابن عبد ربه فتى يهواه ، فأعلمه أنى راحل غدا ، فضا أصبح عاقبه عن

(١) البيهية ٣ : ٢٠ (٢) البيهية ٣ : ٢١ (٣) البيهية ٣ : ٢٤

(٤) البيهية ٣ : ٢٢ (٥) الأغاني ٢٠ : ٥٢ - ساسى

(١٢ - شرح مقامات الحريرى ج ٣)

السفر نكثرتُ المطر، فأجلى عن ابن عبد ربه همة، وكتب إليه :

هلاً ابتكرت لبين أنت مبتكرُ هيات يأتى عليك الله والقدر<sup>(١)</sup>  
مازلت أبكى حذار البين ملتبهاً حتى رثا لى فيك الريح والمطر  
يا برّده من حيا مزن على كبدٍ نيرانها بغليل الشوق تستمر  
آليت ألا أرى شمساً ولا قرأ حتى أراك، فأنت الشمس والقمر

وعدا بن رشيقي محبوبه الصائغ أن يكون عنده يوم عيد فصلّى وارقبه ،  
فإذا بالسما قد أرعدت وأبرقت، فكتب إليه :

نجمهم العيد وانتهت مدايمهُ وكنت أعهد منه البشر والضحك<sup>(٢)</sup>  
كأنه جاء بطوى الأرض من بعد شوقا إليك فلما لم يجدك بكى  
وكتب السلاوى إلى أصحابه والمطر قد قطعه عنهم :

قطعتكم برغم المجد شهراً أشدُّ على من شهر الصيام<sup>(٣)</sup>  
وكيف أزوركم ولالزنيكى على دارى بأربعة سيجام  
وكانت منزلاً طلق الحيا فصارت وادياً صنب المرام  
تهافت ركن الجدران فيها سجوداً للرعود بلا إمام  
أنادى كلما ارتفعت سحاب فأبكتنا البوارق بأقسام  
حوالينا بذلك ولا علينا كفانا الله شرّاً من غمام

كن ، أى بيت . كيس : وعاء الدرهم . كانون : حيث تجعل النار فيه .  
طلا : خر . كباب : لحم يشرح ويشوى ، وكتبته : فعلت ذلك به ، وقيل :  
انكباب قطع الكرش تلوى عليها المصارين ، وأراد بها هاهنا شواء اللحم .  
والكس : اسم فرج المرأة وليس بمرى ، قال الفنجديهي رحمه الله تعالى : سمعت

بعض الفضلاء يقول : كتب ابن سكرة في يوم مطر إلى صديق له :

يوم مطير وعندى من خواطريه سبع إذا القطر عن حاجتنا حبساً<sup>(١)</sup>  
حروف كافاتها فيها مقومة إذا تلاها الفتى ذو اللب أو درسا  
لن وكيس وكانون وكأس طلاء مع الكباب وكس ناعم وكسا  
فلو مطرت البحار الدهر لم ترى أقول : أحسن هذا اليوم بي وأسا

وزاد ابن مسعود عليه كافاً ثامنة فقال :

وكم ليلة في شهر كانون بثها أعانق من جي بها الذئص والذئصنا  
سمعت من الكافات فيها ثمانية فاشت من مرأى أنيق حوى الحسننا  
كبابا وكيزانا وكيسا وكاعبا كساء وكوبا والكوانين والكسا  
كأقصه الأمير تميم بن المز السابعة ، قال :

إذا هب سلطان اليريسى ضاحكاً سعيراً وحلّ القرب كل نقاب<sup>(٢)</sup>  
وزرّ على الأرض النام ثياباً قم والقه في عدة وحاب  
بكن وكانون وكأس مدامة وكيس وكس وافر وكباب

قلت أبيات ابن مسعود من شرح شيخنا ابن اللبان ، قال : ولما جمعنا في  
أيام الشتاء ما جمعنا من الكافات ، قلت في ضدها من الحرّيتين ، جمعت فيهما  
من الراءات ثمانية وهي :

عندى فديتك راءات ثمانية ألقى بها الحرّان وآفى وإن برّدا  
رقّ ورؤوح وريحان وريق رشاً ورفرف ورياض ناعم وردا  
جلباب : ثوب يلبس على الثياب . اكتف : اقنع . وعيت : حفظت .  
انكفى : ارجع إلى موضك . طول : مدة . والله تعالى أعلم .

## المقامة السادسة والعشرون وتعرف بالزقطاء

حدث الحارث بن همام قال : حَلَلْتُ سُوقَ الْأَهْوَازِ ، لَابِسًا  
حُلَّةَ الْإِعْوَازِ ، فَلَبِثْتُ فِيهَا مُدَّةً ، أَكَابِدُ شِدَّةً ، وَأُزْجِي أَيَّامًا  
مُسَوَّدَةً ، إِلَى أَنْ رَأَيْتُ تَمَادِيَ الْمَقَامِ ، مِنْ عَوَادِي الْإِنْتِقَامِ ،  
فَرَمَقْتُهَا بَيْنَ الثَّقَالِي ، وَفَارَقْتُهَا مَفَارِقَةَ الطَّلِيلِ الْبَالِي . فَطَعَنْتُ عَنْ  
وَشَلِيهَا كَيْشَ الْإِزَارِ ، رَكُضًا إِلَى الْمِيَاهِ الْفِزَارِ ؛ حَتَّى إِذَا سِرْتُ مِنْهَا  
مَرَحَلَتَيْنِ ، وَبَعُدْتُ سُرَى لَيْلَتَيْنِ ، رَأَيْتُ لِي خِيْمَةً مَضْرُوبَةً ، وَنَارًا  
مَشْبُوبَةً ، فَقُلْتُ : آتِيهِمَا أَتَلِي أَنْقَعُ صَدَى ، أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ  
هُدًى .



حللت : نزلت . الأهواز : مدينة واسعة لها سبع كور بين البصرة وفارس ،  
قال الرشاشي : الأهواز : متصلة بالجبل وأصحابان ، وقيل : إن الأهواز بلد من  
سكن قصبتها ، ضعف عقله وزمته الحمى .

حُلَّةُ الْإِعْوَازِ : ثوب الفقر ، والحُلَّةُ إزار ورداء ، ولا يقال ثوب واحد : حُلَّةٌ .  
لبثت : أقيمت . أكابد : أقامى . أزجى : أسوق . مسودة : شداد مشؤمة .  
تمادى : دوام وطول . المقام : الإقامة . عوادي : جمع عادية ، من المدوان وهو  
الظلم . والانتقام : العذاب والنكابة . رمقتها : نظرتها . الثقال : البغيض .  
الطليل : ما شخص من آثار النار . ظلمت : ارتحلت . وشليها : ماؤها القليل .

كيش: مشتمراً، وانكس في طلب حاجته: أمرع فيها، والإزار والئرز: ما يلبس عرساً من السراويل، ولا تعرف العرب السراويل، ووجدتها أعرابي فظنّها قميصاً، فأدخل يديه من على ساقها، والتمس من أين يخرج رأسه فلم يجد، فرمى بها، وقال: هذا قميص الشيطان.

قوله: راكضاً، أى جارياً، وهزمة ماء مبدلة من هاء «مياه». النزار: الكثرة. شرى ليلتين، أى سرت مقدار ما يسار فيه ليلتين. ترامت: ظهرت. مشبوبة: موقودة. أقم صدى: أروى عطشاً. أجد على النار هدى، أى أجد عليها من يرشدنى إلى الطريق

\*\*\*

فلما اتبعت إلى ظل الخيمة، رأيت غلاماً روقاً، وشارة مرموقة، وشيخاً عليه يزة سنية، ولديه فاكهة جنية. فحيتته ثم تحاميته. فضحك إلى، وأحسن الرد على، وقال: ألا تجلس إلى من تروق فاكهته، وتشوق مفاهيته! فجلست لاغتنام محاضراته، لا لالتهايم ما يحضرته، فحين سافر عن آدابه، وكثر عن أنيابه، عرفت أنه أبو زيد يحسن ملحه، وقبح قلبه. فتعارفنا حينئذ، وحفت بي قرحتان ساعثن، ولم أذر بأيهما أنا أضنى فرحاً، وأوفى مرحاً! أيا سفارة، من دجنة أسفاره، أم بخصب رحاله، بمدد إعماله.

\*\*\*

روقة: حسنا، وغلان روق، إذا أعجبك، وغلان روق، الواحد والجمع سواء، وقيل: روق لفظ مفرد والجمع روق، والهاء للبالغة. شارة: هيئة حسنة

يشار إليها . مرموقة : محبوبة . بزّة : سفينة ثياب حسان ، والبزّة والبزّة أفضل الثياب . جَنِيّة : طرية كما اجتثت . حَيَّيْتُهُ : سلّمت عليه . تحاميته : تباعدت عنه . تروق : تمجّب . تشوق : تشوّق وتدعو إلى الطرب . مفاكهته : بمازحته ، وفاكهته : حدّثته بما يجب التهام : اجتلاع . سَفَر : كشف ويّين أنه من أهل الأدب . كَثَّرَ عن أنيابه : كشف عن أسنانه عند الضحك . مُلَحَّح : مליح كلامه . قَلَحَ : صفرة أسنانه . تعارفنا : عرفته من أنا وعرفني من هو . حَفَّت : أسحطت . والمرح : شدة الفرح ؛ وأوفى مرحاً ، أى أكل طرباً ونشاطاً . إسفاره : طلوعه وإضاءته . دجنة : سواد وظلام . أسفاره : جمع سفر . رحاله : أوقاره ، يصف كثرة ماله ، وأنه إذا نزل منزلاً أخصب بكثرة أحماله . إجماله : جذبته .

\* \* \*

وَتَأَقَّتْ نَفْسِي إِلَى أَنْ أَفْضَ خَمَّ سِرِّهِ ، وَأَبْطُنَ دَاعِيَةَ  
يُسْرِهِ ، فَقَامَتْ لَهُ : مِنْ أَيْنَ إِيَابُكَ ، وَإِلَى أَيْنَ انْسِيَابُكَ ، وَبِمِ  
امْتَلَأَتْ عِيَابُكَ ؟ فَقَالَ : أَمَّا الْمَقْدَمُ فَمِنْ طُوسَ ، وَأَمَّا الْمَقْصِدُ فإِلَى  
السُّوسِ . وَأَمَّا الْجِدَّةُ الَّتِي أَصَبْتُهَا ، فَمِنْ رِسَالَةٍ اقْتَضَيْتُهَا . فَسَأَلْتُهُ  
أَنْ يَفْرُسَنِي دِخْلَتَهُ ، وَيَسْرُدَ عَلَيَّ رِسَالَتَهُ ، فَقَالَ : دُونَ مَرَامِكَ  
حَرْبُ الْبُسُوسِ ، أَوْ تَضَحِّيَنِي إِلَى السُّوسِ . فَصَاحَبْتُهُ إِلَيْهَا قَهْرًا ،  
وَعَكَفْتُ عَلَيْهِ بِهَا شَهْرًا ، وَهُوَ يَعْلَمُنِي كَسَاتِ التَّعْلِيلِ ، وَبِحِجْرَتِي  
أَعِنَّةَ التَّأْيِيلِ .

\* \* \*

تأقت : اشتاقت . أفض : أكره . ختم : ربط وشد . أبطن : أعرف  
باطنه . يُسرّه : غناه . إِيَابُكَ : رجوعك . انْسِيَابُكَ : ذهابك . عِيَابُكَ :  
أوعية متاعك .

طوس : مدينة منها إلى نيسابور مرحلتان ، قال اليعقوبى : مدينة طوس  
الغلى ، يقال لها نوبان ، وبها قبر الرشيد ، وبها توفى الرضا على بن موسى  
ابن جعفر بن محمد بن على بن الحسين ، وهى من ثغور الجبال للتصلة بخراسان ،  
ومجاورتها أيضاً مدينة أصبهان ، وهى عظيمة .

وأما السوس ، فمدينة بأرض فارس ، تعمل بها الثياب السوسية من الخز ،  
قال الرشاعلى : السوس من كور الأهواز ، والسوس فى بلاد القرب ، وذكر  
الجاحظ أن من طنجة إليها عشرين يوماً .

وسوسة من بلاد إفريقية على البحر ، تُصنع بها ثياب رفيع ، والسوس اسم  
مشترك ، والذى قصده الحريرى منهما الأولى .

الجدّة : الفنى . اقتضيتها : ارتجلتها . يُفْرِشْنى دخلته : يسطو على باطن أمره ،  
وأفرشتك حديثى : بسطته لك وبينته . يسرد : يقرأ . مرامك : مطلبك .  
وتقدّمت حرب البسوس فى التاسعة عشرة .

عكفت : أقمت . يعانى : يسقى مرة بعد مرة ، والتعليل أن يطعمك فى  
قضاء حاجتك فإذا قاضيتَه أظهر لك عللاً وعوائق ثم يُمْنِك ، ففى ماجنته اعتلّ  
لك بعلّة مانعة من قضاء حوائجك .

يمرّنى : يملقها بى ويمعلى أجرها . أعنة : جمع عنان . التأميل : مصدر  
أمله ، إذا رجاء وحقق له أمله .

\* \* \*

حَتَّى إِذَا حَرَجَ صَدْرِى ، وَغَيَّلَ صَبْرِى قُلْتُ لَهُ : إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ لَكَ  
عِلَّةٌ ، وَلَا لى فى الْمُقَامِ تَعِلَّةٌ ، وَفى غَدٍ أَزْجُرُ غُرَابَ الْبَيْنِ ، وَأَرْحَلُ  
عَنْكَ بِخَمْفَى حُتَيْنٍ ، فَقَالَ : حَاسَى لِّهِ أَنْ أُخْلِفَكَ ، أَوْ أُخَالِفَكَ ؛  
وَمَا أَزْجَأْتُ أَنْ أَحْدَثَكَ إِلَّا لِأَلْبَنِكَ . وَإِذَا كُنْتُ قَدْ اسْتَرْبَتَ

بِعِدَّتِي ، وَأَعْرَاكَ ظَنُّ السُّوءِ بِبَاعِدَتِي ، فَأَصْبَحَ لِقَاصِي سِيرَتِي  
الْمُتَدَّة ، وَأَضْفَهَا إِلَيَّ أَخْبَارَ الْفَرْجِ بَعْدَ الشَّدَّةِ .

فَقُلْتُ لَهَا : هَاتِي فَمَا أَطُولَ طِيلَكَ ، وَأَهْوَلَ حِيلَكَ . فَقَالَ :  
اعْلَمْ أَنَّ الدَّهْرَ الْعُبُوسَ ، أَلْقَانِي إِلَى صُوسٍ ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ فَقِيرٌ  
وَقِدْرٌ ، لَا فَيْلَ بِهَا وَلَا تَقِيرَ ، فَأَجْلَانِي صَفَرُ الْيَدَيْنِ ، إِلَى التَّطَوُّقِ  
بِالْيَدَيْنِ ، فَادْنَيْتِ لِسُوءِ الْإِتْفَاقِ ، مِمَّنْ هُوَ عَسِيرُ الْأَخْلَاقِ ، وَتَوَهَّمْتُ  
تَسْتَيْ التَّفَاقِ ، فَتَوَسَّعْتُ فِي الْإِتْفَاقِ ، فَمَا أَفْقْتُ حَتَّى يَهْطَنِي دَيْنٌ  
لَزِمَنِي حَقُّهُ ، وَلَا زَمَنِي . سَتَحَقُّهُ ، فَحِرْتُ فِي أَمْرِي ، وَأَطْلَعْتُ غَرِيْبِي  
عَلَى عُسْرِي .

\* \* \*

حَرَجَ صَدْرُهُ ، إِذَا ضَاقَ . عَمِلَ : غَلَبَ ، وَعَالَى الْأَمْرَ يَمُوعِلِي عَوَالًا : غَلَبَنِي .  
وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَائِلَةً ﴾ أَيْ خِصْلَةً تَمُولُكُمْ وَتَغْلِبُكُمْ .  
تَعَمُّلَةٌ : مَا تَبْدِيهِ مِنَ الْمَلَلِ فِي اعْتِزَالِكِ لِمَنْ يَتَقَضَّاكَ ، وَفِي غَدٍّ أَزْجَرَ غَرَابِ الْبَيْنِ ،  
أَيْ التَّفَاوُلَ بِهِ لِفِرَاقِكَ ، وَإِنَّمَا يَنْسَبُونَ الْفِرَاقَ لِلْغَرَابِ ، لِأَنَّهُمْ إِذَا ارْتَحَلُوا عَنْ  
مَوْضِعٍ اجْتَمَعَتِ الْفِرَبَانُ فِيهِ يَلْتَقِطْنَ مَا تَرَكُوا مِنْ بَقَايَا طَعَامِهِمْ وَزَبَلِ دَوَابِّهِمْ ،  
وَإِذَا أَخَذُوا فِي هَذَمِ الْبُيُوتِ لِلرَّحِيلِ وَأَبْصَرَمِ الْغَرَابِ صَاحَ رَغْبَةً فِيمَا يَلْتَقِطُ ،  
فَيَقُولُونَ عِنْدَ ذَلِكَ : نَعَقَ غَرَابِ الْبَيْنِ ، فَصَارُوا يَتَشَاءَمُونَ بِهِ ، وَزَجَرَ الطَّيْرِ  
يَذْكُرُ فِي الثَّامِنَةِ وَالثَّلَاثِينَ . قَالَ الْمَرْيُّ فِي صَدَقِ التَّفَاوُلِ بِالْغَرَابِ :

نَهَى مِنَ الْغَرَبَانِ لَيْسَ عَلَى شَرْعٍ      يَخْبِرُنَا أَنَّ الشُّعُوبَ عَلَى صَدْعٍ<sup>(١)</sup>  
أَصْدَقَهُ فِي مِرْيَةٍ وَقَدْ ائْتَرَتْ      صَحَابَةَ مُوسَى بِمَدَائِنِهِ اتَّسَعِ

(١) مَرْيُوحُ سَقَطَ الزُّنْدُ ١٣٣٢ . وَالشُّعُوبُ : الْقَبَائِلُ .



كَأَنَّ بَغِيهَ كَاهِنًا أَوْ مَنْجَمًا يَخْبِرُنَا عَمَّا لَقِينَا مِنَ الْقَجَمِ  
وَمَا كَانَ أَفْتَى أَهْلِ نَجْرَانَ مِثْلَهُ وَلَا كَانَ لِلْإِنْسِ الْقَضِيَّةُ فِي السَّمْعِ (١)  
أَنَّى وَهُوَ طَيَّارُ الْجَنَاحِ وَإِنْ مَشَى أَشْلَحَ بِمَا عَيَا سَطِيحًا مِنَ السَّجَرِ (٢)

قوله : أَخْلَقَكَ ، أَكْذَبَ وَعَدَكَ . أَرْجَأْتَ : أَخَّرْتَ . لِأَلْبَثَّكَ : لِأَتَبْعَكَ  
وَأَجْلَكَ تَقِيْمَ مَعِيَ . اسْتَرَبْتُ : تَشَكَّيْتُ ، وَدَاخَلْتُكَ الرِّيْبَةَ . أَغْرَاكَ : حَرَضَكَ  
وَالصَّبْرَ . أَصْبَحَ : أَسْمَعَ : قَصَصَ : خَيْرَ وَحَدِيثَ . سِيرَنِي : عَلَانِي . أَضْفَهَا :  
ضَمَّهَا . وَأَخْبَارُ الْفَرْجِ بَعْدَ الشَّدَةِ أَنْ يَنْزِلَ بِالْإِنْسَانِ شَدَّةً فَيَشْرَفُ مِنْهَا عَلَى الْهَلَاكِ  
ثُمَّ يَنْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى تَفَرِّجُهَا ، فَالْحَدِيثُ بِهَا يُسَمَّى خَبَرُ الْفَرْجِ بَعْدَ الشَّدَةِ .

[ قصص في الفرج بعد الشدة ]

وَمِنْهَا مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : كَانَ رَجُلٌ عَلَى مَهْدٍ  
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَجَرَّ مِنْ بِلَامِ الشَّامِ إِلَى اللَّدِّيْنَةِ ، وَلَا يَصْحَبُ التَّوَاضُلَ  
تَوَكَّلًا مِنْهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، فَبَيْنَمَا هُوَ جَاءُ مِنَ الشَّامِ عَرَضَ لَهُ لَصٌّ عَلَى فَرْسٍ ،  
فَصَاحَ بِالتَّاجِرِ : قِفْ ، فَوَقَفَ التَّاجِرُ ، وَقَالَ لَهُ : شَأْنُكَ بِمَالِي ، فَقَالَ لَهُ الْلَصُّ :  
لِلْمَالِ مَالِي ، وَإِنَّمَا أُرِيدُ نَفْسَكَ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْظِرْنِي حَتَّى أَصَلِّيَ ، قَالَ : أَفْضَلُ مَا بَدَأَ  
لَكَ . فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ وَرَنَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ يَقُولُ : يَا وَدُودُ يَا وَدُودُ ، يَا ذَا الْعَرْشِ  
الْجَلِيِّ ، يَا مَبْدِيءَ يَا مَعِيدَ ، يَا قَتْلَا لِمَا يَرِيدُ ، أَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي مَلَأَ  
أَرْكَانَ عَرْشِكَ ، وَأَسْأَلُكَ بِقُدْرَتِكَ الَّتِي قَدَّرْتَ بِهَا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ ، وَأَسْأَلُكَ  
بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسَّعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا مَغِيثَ أَغْنِنِي ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .  
وَإِذَا بَفَارَسَ بِيَدِهِ حَرَبٌ ، فَلَمَّا نَظَرَهُ الْلَصُّ تَرَكَ التَّاجِرُ وَمَضَى نَحْوَهُ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ

(١) أَنَسُ أَهْلِ نَجْرَانَ : كَاهِنٌ مِنْهُمْ . وَنَجْرَانُ أَهْلُ بِلَادِ الْيَمَنِ ، وَكَانَتْ لَهَا كُتُبٌ تَحْمِلُ فُجْرِيَّةً  
(٢) سَطِيحٌ كَاهِنٌ ، وَالْكُهَّانُ : مَعْرُوفُونَ بِالسَّجَرِ .

طمنه ، فأذراه عن فرسه ثم قله ، وقال للتاجر : اعلم أنى ملك من السماء الثالثة ، لما دعوت الأولى سمعنا لأبواب السماء قسمة قلنا : أمرٌ حدث ، ثم دعوت الثانية ، فتحت أبواب السماء ولها شرر ، ثم دعوت الثالثة ، فهبط جبريل عليه السلام ينادى : مَنْ لهذا للكروب ؟ فدعوت الله أن يوليئى قله . واعلم يا عبد الله أن مَنْ دعا بدعائك فى كل شدة أغاثه الله ، وفرج عنه . ثم جاء التاجر إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، قال : لقد لقنك الله أسماء الحسنى التى إذا دُعِى بها أجاب ، وإذا سئل بها أعطى .

وقال عمرو السرايا : كنت أعبُرُ فى بلاد الروم وحدى ، فبينما أنا قائم إذ ورد علىّ عالج فخركنى ، ثم قال : يا أعرابى ، اختر إما مسابقة ، وإما مطاعنة ، أو مصارعة ! فقلت : للمسابقة وللطاعنة لأمضى لهما ، ولكن المصارعة ، فلم ينهينى أن صرعى وقعد على صدرى ، وقال : أى قلة تريد أن أقتلك ، فذكرت الدعاء ورفعت رأسى إلى السماء ، وقلت : أشهد أن كل معبود مادون عرشك إلى منتهى الأرضين باطل ، عز وجل الكرم ؛ قد ترى ما نزل بى . وأغنى على ، فأقت والرومى قيل إلى جانبى ، فممت ، وكنت أعلم الناس هذا الدعاء .

ووجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد إلى العراق ، فأطلق أهل سجون الحجاج وضيق على يزيد بن أبى مسلم كاتبه . فظفر به يزيد لما ولى إفريقية ، فجعل محمد يقول : اللهم احفظ لى إطلاق الأسرى ، وإعطاء الفقراء ، فلما دنا يزيد منه وفى يده عنقود ، قال : يا محمد ما زلت أسأل الله أن يظفرنى بك . فقال له محمد : وما زلت أستجير الله منك ، قال : فوالله ما أجارك ولا أعاذك منى . ووالله لأقتلك قبل أن آكل هذه الحبة من العنب ؛ ووالله لو رأيت ملكا

يريد قبض روحك لسبقته إنيها . وأقيمت الصلاة فوضع حبة العنب بين يديه ،  
وتقدم فصلّى بهم ، وكان أهل إفريقية اجتمعوا على قتل يزيد ، فلما ركع ضربه  
رجل بمسود حديد فقتله ، وقال لمحمد: اذهب حيث شئت .

وقال حماد الراوية : كنت منقطعاً إلى يزيد بن عبد الملك ، وكان أخوه  
هشام يخفوني في أيامه لذلك ، فلما مات يزيد ، وأفضت الخلافة إلى هشام خفّته ،  
فكشّته في بيتي سنة ؛ لا أخرج إلا لمن آمن إليه من إخواني سرّاً . فلما لم أسمع  
أحداً يذكرني في السنة أمنت فخرجت ، وصليت الجمعة في الرصافة ، فإذا شرطيان  
قد وقفا عليّ ، وقالا : يا حماد ، أجب الأمير يوسف بن عمر ، قلت في نفسي :  
من هذا كنت أخاف ، ثم قلت للشرطيين : هل لكما أن تدعاني حتى آتي  
أهل فؤدّهم وداع من لا يرجع إليهم أبداً ، ثم أسير معكما إليه ؟ قال : ما إلى  
ذلك من سبيل ، فاستسلمت في أيديهما ، وسرت إلى يوسف بن عمر وهو في  
الإبوان الأحمر ، فسلمت عليه فردّ عليّ السلام ورمى إلى كتاباً فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر . أما بعد  
فإذا قرأت كتابي هذا فاقبضه إلى حماد الراوية من يأتيك به من غير ترويع ولا تمتنع ،  
وادفع إليه خمسمائة دينار وجلاً مهرياً يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق ، فأخذت  
الدينار وجمعت رجلي في غرّز جل أعدّه لي ، ووافيت دمشق لاثنتي عشرة ليلة ،  
واستأذنت على هشام ، فأذن لي ، فدخلت عليه فوراً في دار مفروشة بالرخام ،  
وبين كل رخامتين قضيب من ذهب ، وهو جالس على طينسية حمراء ، وعليه  
ثياب حر من الخمر ، وقد تضيّخ بالسك والمعبر ، فسلمت عليه ، فردّ عليّ السلام  
واستدانني فدنوت منه ، حتى قبلت رجله ، فإذا جاريّتان لم أر مثلهما قط ، في  
أذني كل واحدة منهما حلقتان فيها لؤلؤتان توقدان ، فقال : كيف أنت  
يا حماد وكيف حالك ؟ قلت : بخير يا أمير المؤمنين ، قال : أنت ترى فيم بعثت  
إليك ؟ قلت : لا ، قال : في بيت خطر بيالي لم أدر من قائله ، قلت : وما هو ؟ قال :

وَدَعَوْا بِالصَّبُوحِ يَوْمًا لِحَاجَاتٍ قَيْنَةٌ فِي يَمِينِهَا إِبْرِيْقُ  
 قَلَّتْ : هو لعدى بن زيد في قصيدة له ، قال : أُنشدنيها فأنشدته :  
 بَكَرَ المَاذِلُونَ فِي وَصَحِ الصَّبْحِ حَقَّ يَقُولُونَ لِي : أَمَا تَسْتَفِيْقُ  
 وَيُطَوِّمُونَ فِيكَ يَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَالْقَلْبَ عِنْدَكُمْ مَوْثُوقُ  
 لَسْتُ أَدْرِي إِذَا كَثُرُوا المَذْلَ فِيهَا أَعْدَوْ يُلُومِي أَمْ صَدِيقُ !  
 حتى انتهيت إلى قوله :

ودعوا بالصباح يوماً . . . البيت

قَدَمْتُهُ عَلَى سُلَافٍ كَمِينٍ الدَّيْكَ صَقَّى سَلَاَفَهَا الرَّأْوُقُ<sup>(١)</sup>  
 مَرَّةً قَبْلَ مَزْجِهَا فَإِذَا مَا مُرِجَتْ لَدَّ طَعْمِهَا مَنْ يَذُوقُ  
 وَطَنًا فَوْقَهَا فَتَقَاعِجُ كَالْيَا قَوْتُ حَمْرٍ يَزِينُهَا التَّصْفِيقُ<sup>(٢)</sup>  
 ثُمَّ كَانَ المَزَاجُ مَاءَ سَحَابٍ لَا مِرْمَى آجِنٌ وَلَا مَطْرُوقُ<sup>(٣)</sup>

قال : فطرب ، ثم قال لي : أحسنت والله يا حماد ! ثم قال لإحدى الجاريتين :  
 اسقيه ، فسقني شربة ذهب بثلث عتلى ، ثم قال : أعده فأعدته ، عليه ، فاستخفه  
 الطرب حتى نزل عن فرشه ، ثم قال للأخرى : اسقيه ، فسقني شربة فذهب  
 ثلث آخر من عتلى ، ثم قال : سل حاجتك ، قَلَّتْ : إحدى الجاريتين ، فقال :  
 ها جميعاً لك ، ثم قال للأولى اسقيه ، فسقني شربة سقطت منها فلم أبق إلا  
 والجاريتان عند رأسي وعشرة من الخدم مع كل واحد بذرة ، فقيل لي يقول :  
 لك أمير للؤمنين : انتفع بهذا في سفرك ، فأخذتها والجاريتين وعادته أهل .

(١) الراوق : الصفاة وناجود العراب الذي يروق فيه . والناجود : الرماء .

(٢) التصفيق : للزج .

(٣) المرمى : لواء ألقى طال استنقاؤه . والآجن : للتبرطه . والمطروق : ماء يخرش فيه الناس وفيهم .

وذكر أبو محمد هذه الحكاية في الدرّة<sup>(١)</sup> وقال : هذه حكاية تنشر ما أثر  
الأجواد ، وترغب للتأدب في الازدياد . وهذه النبذة دالة على أخبار الفرج بعد  
الشدة فلنقتصر عليها .



قوله : ما أطول طيلك ، أى ما أكثر حيلتك . يقال ذلك للكثير الدهاء  
والتصريف ، والطَّيْل : الخبل . أهول : أخوف وأغرب . وقير : إيتباع لفقير ،  
وفائدة الإيتباع المبالغة في معنى الأول ، وذلك أنك تقول : فلان فقير فيكون له  
الشيء اليسير من المال ، فإذا قلت : وقير ، فليس له شيء البتة . وقيل : معنى  
وقير ممثل بالدين موقر به ، والإيتباع قصد لأنه فسر به بقوله : لاقتيلى ولا فقير ،  
كأن إنسانا توهم أن له شيئا فذكر وقيرا لنفسه ، ثم زاده بياناً بما بعده ، ولأنه  
ذكر استئناف الذين بعد ذلك .

ويكون الوقير أيضاً من الوقر في المعظم ، وهو الكسر كأنه مكسور  
المعظم ، كما أن الفقير أصله المكسور الفقار . والقتيل : الخيط الذى في شَوْءٍ ،  
النواة مثل الفتيلة ، والفقير الفرض الصغير الذى في ظهرها ، وفيه كالنقطة ومنه  
تنبت النخيل ، والقطمير : اللقافة التى عليها ، وهى القشرة اللطيفة .

صَفَرُ اليدين : فراغهما من المال . التطوق : لبس الطوق : أراد أنه ليس من  
الذين طوقاً . ادَّت : أخذت الدين ، والاتفاق ، ضد الاختلاف . عسر :  
صعب توقعت : حسب . تسى : التفاق ، ضد الكساد . توسمت :  
كثرت . بهطلى : غلبى وتغل على . حقه : واجبه .

أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن أبواب الرزق مفتوحة  
إلى باب العرش فينزل الله تعالى إلى عباده أرزاقهم على قدر نفقاتهم ، فمن

(١) درة النواس ١١٠ ، وهى أيضاً في نزهة الألباء ٣٧ ، ٣٨

قُلْ قُلْ لَهُ ، وَمَنْ كَثُرَ عَلَيْهِ .

مستحقّه : صاحبه . خرفت في أمرى ، أى في همّ الدين ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : على جبريل دعاء في الدين ، وهو أن يصلّي إذا زالت الشمس أربع ركعات ، يقرأ في كل ركعة بأم الكتاب وآية الكرسي وقل هو الله أحد ، فإذا سلم قرأ : ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتُعزّز من تشاء وتبدّل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ﴾ . تولّج الليل في النهار وتولّج النهار في الليل تُخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب ، ثم يقول : يا فارح الهمّ يا كاشف الغمّ ، يا مجيب دعوة المضطرّ يا رحيم الدنيا والآخرة ، ارحمني رحمة تغنيني بها عن سواك واقصر ديني ، فإن الله تعالى يقضى دينه عنه وفيها اسم الله الأعظم .

غريمي : صاحب ديني ، مُتَمَيّ غريماً لإدامته التقاضي وإلحاحه وملازمته من عليه الدين ، ويكون الغريم أيضاً المطلوب بالدين لازم له كما قال الشافعي : تلوذ ثعالب الشرفين منها كما لاذ الغريم من التميم<sup>(١)</sup> عسرى : قسرى .

\*\*\*

فَلَمْ يُصَدّقْ إِمْلَاقِي ، وَلَا نَزَعَ عَنِّي إِرْهَاقِي ، بَلْ جَدَتْ فِي التَّقَاضِي ، وَلَجَّ فِي اقْتِيَادِي إِلَى الْقَاضِي . وَكَلَّمَا خَضَعْتُ لَهُ فِي الْكَلَامِ ، وَاسْتَنْزَلْتُ مِنْهُ رِفْقَ الْيَكْرَامِ ، وَرَغَبْتُهُ فِي أَنْ يَنْظُرَ لِي بِمَيَّاسَةٍ ، أَوْ يَنْظُرَنِي إِلَى مَيَّاسَةٍ . قَالَ : لَا تَطْمَعُ فِي الْإِنْظَارِ ،

وَاجْتَبَانِ النَّصَارَ ، فَوَحِّقْ مَا تَرَى مَسَالِكَ الْإِخْلَاصِ ، أَوْ تَرِيَنِ  
سَبَابَكَ الْإِخْلَاصَ . فَلَمَّا رَأَيْتُ اخْتِدَادَ لَدَيْهِ ، وَأَلَّا مَنَاصَ لِي مِنْ يَدِهِ ،  
شَاغِبْتُهُ ، ثُمَّ وَابَيْتُهُ ، لِيَرَا فِعْنِي إِلَى الْوَالِي الْجَرَائِمَ ، لَا إِلَى الْحَاكِمِ فِي الْمَظَالِمِ ،  
لِمَا كَانَ بَلَّغَنِي مِنْ إِفْضَالِ الْوَالِي وَفَضْلِهِ ، وَتَشَدُّدِ الْقَاضِي وَبُخْلِهِ .  
فَلَمَّا حَصَرَ نَابَابَ أَمِيرِ طُوسَ ، آفَسْتُ أَلَّا بَأْسَ وَلَا يُوسَ .  
فَاسْتَدْعَيْتُ دَوَاءَ يَنْصَاءَ ، وَأَنْشَأْتُ رِسَالَةً رَقِطَاءَ وَهِيَ :

\* \* \*

ومثله إملاق ، وأملق . ذهب ماله ، مشتق من اللقات وهي الصخور الملس ،  
كأنه افتقر حتى لم يبق له ما يلبس إلا جلده الأملس . نزع : كفت . إرهاق :  
تكليف ما لا يطيق ، وأرهقته : كلفته مشقة ، والرهق : الظلم . جدّ : عزم واجتهد ،  
التقاضى : طلب المال . لج : عزم وركب رأسه . استنزلت : طلبت . رفق  
الكرام : لطفهم وحنانهم على الفقير . مياسرة : لين ومساهلة . يُنظرني : يؤخرني  
والإِنظار الإمهال ، وفي حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « من أنظر  
ممسراً أغلّه الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه » .

ميسرة : غنى . اجتبان : اختزان ، واحتجنت الشيء : ضمت بالمعجن ،  
وهو عود معقّف . النصار : الذهب . مسالك الإخلاص : طرق النجاة . سبائك :  
قتر وقطع . الإخلاص ، بالكسر : الذهب الخالص . احتداد : اشتداد ، وقد  
احتدّ . لدده : خصامه وإلحاحه . مناص : مخلص ومقرّ ، وناص عن قرينه نوصاً  
ومناصاً ، إذا فزع وفرّ ، وما أحسن ما قال العبدى في محمد بن إبراهيم يشكو  
غريماً لازمه :

اقض عني يابن عمّ المصطفى أنا بالله من الدين وبك

مِنْ غَرَمٍ فَاحْشٍ قَدْ عَرَنِي      أَسْوَدَ الْوَجْهِ لِمَرْضَى مَنْتَهَكٌ  
أَنَا وَالظِّلُّ وَهُوَ ثَالِثُنَا      أَيَّامًا زَلْتُ مِنَ الْأَرْضِ مَسَلْتُ

شاغبته : شاررته ، أى أوقعت بيني وبينه الشاب . واثبته : ضاربه ووثبت  
إليه ، ووثب إلى . وإلى الجرائم : حاكم الجنائيات ، والحاكم فى المظالم : هو القاضى .  
إفضال : إتمام . فضله : جوده وكرمه . وتشدد : يحل ، ورجل شديد ومشدّد ،  
أى بخيل ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَحَبِيبٌ غَلِيظٌ لَشَدِيدٍ ﴾ ، أى لبخيل من أجل حبه الغليظ  
وهو المال ، أو تشدد شدته على من تعين قبله حق . آتست : علمت وأحسنت  
بأس : ضرّ . وبوس : شدة . بيضاء : ورقة يكتب فيها ؛ ولابن الزقاق فيها :

وواضحة كمثل النصل تجرى      مع الإبصار كالسقاء القترّاج<sup>(١)</sup>  
ترى حُبُّكَ المداد بجسم نورٍ      كخضرة القرنند على القفّاج  
كانّ سواده فى صفحتها      بقايا الليل فى وجه الصّباح

رقطاء : فيها حرف منقوط وآخر غير منقوط ، والرقطاء عندم الدّجاجة  
المرقشة ، وهى النقطة بسواد وبياض ، ومنه قيل للنهر أرقط ؛ لأن فيه تنقيطاً  
خلاف لونه ، ولو شكر أعطيه الدّواة لأنشد هذه الأبيات ، وهى لابن سكرة :

أخـمـزجت بروحى روحه وجـرى      منه كجرى دمي فى الجسم أفديـه<sup>(٢)</sup>  
أهدى إلى دواة لو كتبتُ بها      دهرى أياديه لم تنفد أياديه

وهذه الرسالة التى أنشأها أبو محمد أبداع فيها بما أراد ، وأغرب بها وأجاد

ونشد من الشعر التّفيس فى مدح الرسائل ما يجرى لها كالوصف ، ويسرى  
بذكرها طيب العَرَف ، فن ذلك قول أبى تمام :



مداذ مثل خافية الفرابِ      وقرطاس كرقاقِ السَّرابِ<sup>(١)</sup>  
وألفاظ كأنقاطِ الثَّاني      وخط مثل وشم يدِ الكعابِ  
كتبت ولو قدرت هوَى وشوقا      لكنت إليك سطرأ في الكتابِ

وله في كتاب جاء من الحسن بن وهب :

لقد جلى كتابك كل بثَّ      جَوِّ وأصاب شاكلة الرمي<sup>(٢)</sup>  
وكان أغصن في عيني وأندى      على كبدي من الزهرِ الجنى  
وأحسن موقفاً منى وعندي      من البشرى أتت بعد التنى  
فكأن فيه من معنى خطيرٍ      وكأن فيه من لفظٍ بهي  
فيا تلج الفؤاد وكان رضحاً      ويا شبي بروقه وريني  
من أبيات كلها عيون، وفيما ذكرنا دليل على ما تركنا .

وقال أبو نواس في كتاب ورد عليه من صديق :

ووارد ورد إنشاء يؤكده      صدوره عن سليم الورد والصدور  
شدت بقيقانه منه على نزه      تقسم الحسن بين السمع والبصر  
عذوبة صدرت عن منطقي ينح      كالماء يخرج ينبوعاً من الحجر  
وروضة من رياض الفكر ديجها      صوب القرائح لا صوب من الطار  
كأنما نشرت أيدى الربيع بها      بُرداً من الوشى أو ثوباً من الحبر  
ولابن طاهر في ابن ثوابة :

في كل يوم صدور الكتب صادرةً      عن رأيه وندى كَفَّيْهِ عن مَنَل  
عن خط أعلامه خط التضاء على الأعداء      بالمولت بين البيض والأكل  
لمساها عسل في الصدر تبعته      وربما كان فيه النفع للعَل  
كأن أسطارها في بطن مُهرقة      نور يضاحك دمع الواكف الخليل

(١) ورد البيت الأول في ديوان الثاني : ٢ : ٨٣ من بيتين نبا إلى الحسن بن وهب .

(٢) ديوانه ٣٤٤ ، أدب الكتاب ٤٦ .

وقال بعضهم :

كتاب فيه من غُررِ المعاني      قلائد لا تنظمها اليدان  
إذا نشرت صحائفه تجلّت      بروضتها أزاهيرُ المعاني  
ترود العين منها في مرّادٍ      سريع جاده فيض البنان  
كان مجال عين الفكرِ فيه      مجال اللحظ في غُررِ الحسان

وقال آخر :

يدبر على القرطاس أسمر مرهقاً      إذا دار لم تلحق به البيضُ والشمرُ  
كانَ المعاني روضة وهو غيثُها      فهما سقى أغصانها ضحك الزهرُ

وقال الرمادى :

قلم الوزير وكفه      هذا يصول وذا يطول  
أضى كليث خفيةٍ      ودواته لليثِثِ نعلُ

\* \* \*

أخلاق سَيِّدنا تُحَبِّ ، وبِقُوتهِ يُلَبِّ ، وقرْبُهُ تُحَفِّ ، ونأيه  
تَلَفِّ ، وخلَّتُهُ نَسَبْ ، وقَطِيعَتُهُ نَصَبْ ، وغَرَبُهُ ذَلِقْ ، وشُهْبُهُ  
تَأَلِقْ ، وظَلَفُهُ زَانْ ، وقَوِيْمُ نَهْجِهِ بَانَ ، وذَهَبُهُ قَلْبٌ وَجَرَّبْ ،  
ونَمَتْهُ شَرَقٌ وَغَرَبْ

سَيِّدُ قَلْبٍ سَبَّوْقُ مُبْرِ      قَطِنُ مُغْرِبٍ عَزَوْفُ عَيُوفُ  
مُخْلِفُ مُثْلِفُ أَغْرُ فَرِيدُ      نَابِهٌ فَاصِلُ ذَكِيْ أَنْوُفُ  
مُفْلِقُ إِنْ أَبَانَ ، طَبُّ إِذَا نَا      بَ هِيَاجُ وَجَلَّ خَطْبُ خَوْفُ

\* \* \*

قوله : أخلاق سيدنا محب ، حسن أخلاق الإنسان من كمال سعادته ، وكرم فضيلته ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى » مع أن الله عز وجل يقول فيه : ﴿ وَإِنَّكَ لَآتَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ . قوله : وبقوته يلب ، أى بمنزله يقام لحاية المدوح من يلوذ به وإكرامه له . وقربه تحف ، أى من قرب منه أتحفه وهاداه ، ومن بعده منه قد الأمن فهلك . ونأنأى : البعد ، ولما كان القرب سبباً للتحف والنأى سبباً للتلف ، جعل نفس تقرب والبعد هما الحياة والموت . خلته : صداقته . نسب ، أى هو للصديق بمنزلة النسيب ، قيل لبزرجهمر : من أحب إليك : أخوك أم صديقك ؟ فقال : لا أحب أخى إلا إذا كان صديقى . وقال أكرم بن صيفى : القرابة تحتاج إلى مودة ، ونودة لا تحتاج إلى قرابة . وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : القرابة قد تقطع ، والمعروف قد يكفر ، وما رأيت كتقارب القلوب ، أخذه ابن منذر قال : قَدْ يُقَطَّعُ الرَّحِمَ الْقَرِيبَ وَتُكْفَرُ النَّعْمَى وَلَا كَتَفَارِبِ الْقَلْبَيْنِ<sup>(١)</sup> يُدْنِي الْهَوَىٰ هَذَا ، وَيُدْنِي ذَا هَوَىٰ فَإِذَا هُمَا نَفْسٌ تَرَىٰ نَفْسَيْنِ أَخْذَهُ أَبُو تَوَّامٍ فَحَسَّنَهُ قَالَ :

فَإِنَّ الْفَتَىٰ فِي كُلِّ حَالٍ مِّنَاسِبٌ مِّنَاسِبَ رُّوحَانِيَّةٍ مِّنْ يَشَاكُلُ<sup>(٢)</sup>  
وَلَنْ تَنْظُمَ الْمَقْدَّ الْكَعَابُ لَزِينَةً كَمَا تَنْظُمُ الشَّمْلَ الْأَشْتَّ الشَّمَالُ<sup>(٣)</sup>  
وقد تقدّم حديث : الأرواح جنود مجنّدة ، ونظم الحسن له .

وقال الشاعر :

لَا خَيْرَ فِي قَرِينٍ بغير مودَةٍ وَلربّ متنعّر بودٍ ألبعد

(١) الأغاني ١٧ : ٢٦ - ساسي

(٢) ديوانه ٢٥٦ ، وفيه : « في كل ضرب مناسب » .

(٣) الديوان : « الشّيت » .

وإذا وجدت من البعيد مودّةً فامدّدْ له كفّ القبول بمساعدٍ

قوله : وقطيخته نصب ، أى عداوته همّ وتمب ، وقد قال أبو تمام :

وإلا فاعلمه بأنك ساخطٌ ودعه فإنّ الخوف لاشك قاتله<sup>(١)</sup>

غربه : أى حده . ذلق ، أى حاذ . شبهه : نجومه ، يعنى أخلافه ومكاريمه  
تألق : تضىء . وظلّفه : منعه وكفه ، وظلّفت نضى عن الشيء : منعتها منه .

زان : يزين ، يقول : إن قعه من تجاوز قدره ومنعه مَنْ سأل ما لا يحب زُين  
بالممنوع ، وشرف بالممنوع ، ضأديب الملوك لا عارَ به ، وإنا المار أن يهينك  
كفؤك ، ومنّ لأحكم له عليك . وقال المتنبي :

ومنّ شرف الإقدام أنك فيهمْ على القتل موموق كأنك شاكد<sup>(٢)</sup>  
وإنّ دما أجريته بك فاخرْ وإنّ فؤادا رُعته لك حامدٌ

وقال حبيب :

خشموا لصولك أتى هي عندهم كاللوت يأتى ليس فيه عار<sup>(٣)</sup>

وقال آخر :

وإنّ أمير المؤمنين وعته ككالدّهر لا عارٌ بما فعل الدّهر<sup>(٤)</sup>

وإذا تزين بمنعه ، فما ظنك بعلائه ! على أن اليد القابلة للجدوى ، وهى اليد  
السفلى ، لا تنفك عن حشمة أو ذلة ، وقد اعتذروا لهذا المعنى ، قال أبو تمام :

رأيتُ رجائى فيك وحدك همة ولكنّه فى سائر الناس مطمع<sup>(٥)</sup>

(١) ديوانه ٢٣٢ .

(٢) ديوانه ١ : ٢٧٦ . موموق : محبوب . والشاكد : المعلى .

(٣) ديوانه ١٤٦٥ .

(٤) البيت فى شرح الصّكبرى ٢ : ١١٣ ، بدون نسبة .

(٥) ديوانه ١٩٢ .

وقال أيضاً :

تُدعى عطاياه وقرأ وهي إن شهرتْ      كانت فطاراً لمن يعروه مؤثناً<sup>(١)</sup>  
مازلت منتظراً أعجوبة زمناً      حتى رأيت نوالاً يقتضى شرفاً

وقال إبراهيم بن العباس :

إذا طلعَ بوما عراني منحتُه      ككتاب يأس كَرها وطرادها<sup>(٢)</sup>  
سوى طمع يدنى إليك فإنه      يبلغ أسباب العلاء مَنْ أرادها

وقال الخرمي :

عطائك زين لامرئٍ إن أصبته      بخير وما كلَّ العطاء يزين<sup>(٣)</sup>  
وليس بار لامرئٍ بذلٌ وجهه      إليك كما بعضُ السؤال يشينُ

وقال أبو العلي :

وفيضُ نواله شرفٌ وزينُ      وفيضُ نوال بعض الناس ذمٌ

وقال ابن أبي خالد :

شرف للشريف منك نوال      رُبَّ نيل تصافه الأحرارُ

فزاد بقوله : للشريف على من سبق .

قوله : قوم نهجه ، أى مستقيم طريقه . بان تبين . قلب : بحث . شرق وغرب :  
أى مشى بوصفه المادحون شرقاً وغرباً ، وأنشد المتنبي وزاد فيه معنى :

ستحيا بك السمار ملاح كوكبٌ      وتحذو بك السفار ماخر شارق<sup>(٤)</sup>

(١) ديوانه ٢٠١ (٢) ديوانه ١٨٣ .

(٣) البيتان في ديوان أمية بن أبي الصلت ٦٣ .

(٤) ديوانه ٢ : ٣٤٨ ، وفي ترمييه : الثانى قبل الأول .

تَحَلَّى مِنَ الدُّنْيَا لِيُنْسَى فَاخْلَتْ مَغَارِبُهَا مِنْ ذِكْرِهِ وَالْمَشَارِقُ

قَلْبٌ : دَرَبٌ بِالْأُمُور ، وَفَلَانٌ حَوْلَ قَلْبٍ ، إِذَا كَانَ مُتَصَرِّقًا فِي أُمُورِهِ ،  
فَاعَا لَأُولِيَّائِهِ ، ضَرَّارًا لِأَعْدَائِهِ ، كَأَنَّهُ لِمَرْفَعِهِ بِالْأُمُورِ قَدْ حَوَّلَ الْأُمُورَ وَقَبَّهَا .  
وَمَبْرٌ ، أَيْ غَالِبٌ لِأَعْدَائِهِ . فُطْنٌ : ذِكْرٌ . مُغْرِبٌ : يَأْتِي بِالْفَرَائِبِ . عَزُوفٌ :  
نَزَبَهُ النَّفْسَ بَعِيدًا مِنَ الرِّيبِ . عِيُوفٌ : كَارَهُ لِلدُّنْيَا . وَاتَّالَفَ عِنْدَ الْعَرَبِ : الَّذِي  
يَتَلَفُ مَا لَهُ بِالْجُلُودِ . وَالْخَلْفُ : الَّذِي يَخْشَى مَا أَتْلَفَ بِالْإِغَارَةِ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، وَأَخَذَ  
أُمُورَهُمْ ، بِصِفَةِ بِالشَّجَاعَةِ وَالْكَرَمِ . وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

بَارَوْعَ مِنْ طَلَى كَأَنَّ قِيَصَهُ بَزُرًا عَلَى الشَّيْخَيْنِ زَيْدٍ وَحَاتِمٍ<sup>(١)</sup>  
سَمَاحًا وَبَأْسًا كَالصَّوَاعِقِ وَالْحَيَا إِذَا اجْتَمَعَا فِي الْمَارِضِ الْمُتَرَاكِمِ  
وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ :

لَمْ تَخْلُقْ قَطُّ مِنْ صَنَائِكِ السَّفَرِ وَلَا مِنْ حُرُوبِكَ الْعُزْمِ  
تَصَرَّفَ الْفَيْثُ فِي صَوَاعِقِهِ وَتَارَةً فِي سِجَالِهِ الْبُجْصِ  
وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

ضَحُوكٌ إِلَى الْأَبْطَالِ وَهُوَ قَرِيبُهُمْ وَلِلْسَيْفِ حَدٌّ حِينَ يَسْطُو وَرَوْنَقُ<sup>(٢)</sup>  
حَيَاةٍ وَمَوْتٍ وَاحِدٍ مَتْنَاهُمَا كَذَلِكَ غَرَامُ الْمَاءِ يُرْوَى وَيُفْرَقُ  
وَقَالَ دِيكُ الْجَنِّ :

هُوَ عَارِضٌ زَجَلٌ قَبْلَ شَاءِ الْخَلْيَا أَرْضِي ، وَمَنْ شَاءَ الصَّوَاعِقُ أَغْضَابُ<sup>(٣)</sup>

(١) ديوانه ١٩٧١

(٢) ديوانه ١٤٩٦ ، وفيه : « وهو يروعه »

(٣) ديوانه ١٥٠٠

وقال أبو مسهر :

تحيا الأنام به في الجذب إن قطوا      جوداً وتشقى به يوم الوغى الهام  
كأذن يجتمع الحلالان فيه معاً      ماء ونار، وإرهام وإضرام

وقال ابن الرومي :

والناس طراً بين مرتقب      سطواته ومؤمل نفقة  
كالأرض التهب صواعقه      وسقى البلاد فلم يدع بقعة

قوله : أغر : مشهور . فريد : ليس له نظير . نابه : رفيع الذكر . ذكي : متوقد الفطنة ، وروى : « زكي » ، وهو الطاهر العفيف ، وقيل : هو المزيد في الخير ، والزكاء : النماء والزيادة . أنوف : كثير الحية والغضب لما يستراب منه . مفلق . فصيح ، وأفلق : جاء بالقلق ، وهي الداهية كأنه جاء من الفصاحة بما لا يطلق . أبان : بين كلامه . طب : حاذق حسن التدبير . ناب هياج : حدث شر واختلاف . جل : خطب : عظم أمر . مناظم : جمع منظوم . تألف : تجتمع ، يريد أن ما ينظم في شرفه من اللدائح يألف بلا تكلف على الشعراء لكثرة صفات الفضل والسؤدد ، كما قال حبيب :

تَنَابَرَ الشَّعْرُ فِيهِ إِذْ سَهَرْتُ لَهُ      حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَافِيهِ سَمَقْتُ<sup>(١)</sup>

وقال أبو الطيب :

لَكَ الْحَدْفُ فِي الصَّرِّ الَّذِي لِي لِقَاءَهُ      فَإِنَّكَ مَعْلِيهِ وَإِنِّي نَاعِمٌ<sup>(٢)</sup>

وقال آخر :

ما لقينا من فضل جود ابن يحيى      صبر الناس كلهم شعراء

\* \* \*

مَنَاطِمُ شَرَفِهِ تَأْتَلِفُ ، وَشُؤْبُوبُ حَبَائِهِ يَكِفُ ، وَنَائِلُ  
يَدَيْهِ فَاضٍ ، وَشُعْثُ قَلْبِهِ غَاضٌ ، وَخِلْفُ سَخَائِهِ يُحْتَلَبُ ، وَذَهَبُ  
عِيَايِهِ يُحْتَرَبُ . مَنْ لَفَّ لَفَّهُ فَلَجَّ وَغَلَبَ ، وَتَاجِرُهُ بِأَيْهِ جَلَبَ  
وَخَلَبَ . كَفَّ عَنْ هَضْمِ بَرِيٍّ . وَبَرِيٌّ مِنْ دَنَسِ غَوِيٍّ ، وَقَرَنَ  
لِيَأْنَهُ يِعْزَ ، وَنَكَبَ عَنْ مَذْهَبِ كَزٍّ . لَيْسَ بُوْتَابٍ عِنْدَ نَهْزَةٍ  
شَرٍّ ، بَلْ يَعْيفُ عِفَّةَ بَرٍّ .

فَلِهَذَا يُحِبُّ وَيُسْتَحِقُّ عَفَاةً

شَقَا بِهِ فَلِبَابُهُ خَلَابٌ

أَخْلَاقُهُ غُرٌّ تَرَفَّ وَفُوقَهُ

فُسُوقٌ إِذَا نَاصَلَتْهُ غَلَابٌ

سُجُجٌ يَهْشَ وَذُو تَلَافٍ إِنْ هَفَا

خِلٌّ فَلَيْسَ بِحَقِّهِ يُرْتَابُ

لَا بَاخِلٌ بَلْ بَاذِلٌ خِرْقٌ إِذَا

يُنْتَرُ ، بَرَزُ لَا يَلِيهِ بَابُ

إِنْ عَضَّ أَزَلُّ فَلْ غَرَبَ عِضَاةُ

بِنَابِهِ فَاتَمَّتْ مِنْهُ نَابُ

. . .

شُؤْبُوبُ حَبَائِهِ : دَفْعُ عَطَائِهِ ، وَالشُّؤْبُوبُ : دَفْعُ الْمَطَرِ . يَكِفُ : يَقْطُرُ  
وَيَسْقُطُ . نَائِلُ : عَطَاءٌ . فَاضٍ : سَالٌ وَخَرَجَ عَلَى الْأَرْضِ . غَاضٌ : غَابَ وَجَفَّ .



وَالْخَيْفُ : حلة الضَّرْعِ الذي يُحلب منه اللبن ، وهو أيضاً اسم للضَّرْع .  
 سَخَانَهُ : جوده . عِيَابَهُ : جمع عيبة . يُحْتَرَبُ : يستلب ، أى لكثرة جوده كَانَ  
 ماله يسلبه القاصدون له . من لَفَ لِفَهُ ، أى من التف به ودخل في جماعته ،  
 وَاللَّفَ : لفيف الناس ، وَلَفَ القوم : اجتمعوا والتف بعضهم ببعض ، وأخذ  
 هذا اللفظ من قول الأعشى :

وَقَدْ مَلَأْتُ بَكْرًا وَمَنْ لَفَ لِفَهَا      نُبَاكَ فَأَحْوَاضُ الرِّبَا فَالْنَوَاعِمَا<sup>(١)</sup>  
 بَكْرٌ قَبِيلَةٌ ، وَمَنْ لَفَ لِفَهَا ، أى من التف بها . فلج ، أى ظفر بما أحب .  
 جلب : ساق ، أى التاجر الذي يقصد بابه بما جلب إليه من الفوائد يجازيه على  
 ذلك بالعطاء الكثير ، فلكثرة ما أخذ فكأنه قد خدعه ، والملك المفضل  
 بوصف أنه يتخذ لكثرة هباته ، وقيل لمرآة : بم سدت قومك ؟ قال : أتخدع  
 لم في مالى . هضم : نقص ، أراد أنه لا يهضم ولا يظلم من لم يذنب إليه غَوَى :  
 ضالٌّ مُفسد . ليانه ، أى لين خلقه . بَمَزَ : تمتع وبِعظم ، والعزة في اللغة : الشدة  
 وثلثة ، والمزاز : الأرض الصلبة ، يريد أن الأمير إذا انبسط لم يهب ، وإذا  
 اشتدت سطوته لم يُؤَلف ، فإله هذا المدحوح بين العزة واللين ،

وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ :

الْجَدُّ شِمْتُهُ وَفِيهِ فَكَاهَةٌ      سَمِخْ وَلَا جَدَّ لَنْ لَمْ يَلْمَسْ<sup>(٢)</sup>

شَرَسٌ يَقْبَعُ ذَاكَ لَيْنُ خَلِيقَةٍ      لِأَخِيرِ فِي الصَّبَاءِ مَا لَمْ تَقْطُرْ<sup>(٣)</sup>

نَكَبَ : عدل ومال . مذهب : طريق : كَرَّ : بجعل قليل الخير . وثاب :  
 عجول كثير الوثوب . نُهْرَةٌ : فرصة وغنيمة . وَيَفَّ : يكف نفسه . بَرَّ :  
 مطيع لله ، أراد أنه عفيف عن المحارم . قوله : شعفا ، أى حبا يطلب الناية ،  
 وشعاف القلب : أعلاه ، يريد أن عفافه بَلَّغَهُ غَايَةَ الْحَبِّ مِنَ الْقُلُوبِ ، وفلان

(١) ديوانه ١٤٩ .

(٢) ديوانه ١٣ . (٣) تطلب : تخرج .

مشموف بفلان ، إذا ذهب به حبه كل مذهب . القراء : هو من الشف ، وهي رهوس الجبال ، واحدها شعقة ، فكأن معنى شمع بفلان ، ارتفع حبه إلى أعلى موضع فيه .

لبابه : خالصه . خلاب : أخذ للنفس غالب عليها . غرّ : حسان . ترف : تتلأ وتتشرق ، والرفيف : بريق اللون . وفوقه : سهمه والفوق : طرف السهم الذي إلى الوتر . ناضلته : راميته ، يقول : سهمه ، غلاب لمن راماه . سحق : سهل الخلق . يهش : يهتز طرباً . تلاف : تدارك . هفا : زلّ وسقط ، والهفوة : الزلة . خيل : صاحب . يرتاب : يشك . خرق : كريم جواد يتخرق في العطاة . يمتز : يقصد . برز : ظاهر غير محتجب . قال الفنجدية : رجل برز ، أي عفيف عاقل كريم . لايه باب ، أي لا يحتجب ببابه دون قصاده .

### [مما قيل في الحجاب]

شاد الملوك قصورهم وتحصنوا      من كل طالب حاجة أوراغي  
غالوا بأبواب الحديد لزمها      وتنافسوا في قبح وجه الحجاب  
فإذا تطلعت للدخول عليهم      راجع نلقوه بمذير كاذب  
فاطلب إلى ملك الملوك ولا تكن      بادى الضراعة طالباً من طالب

هي محمود الرّاق .

وقال أبو مسهر : أتيت أبا جعفر محمد بن عبد الكافي فحجبتني ، فكتبت إليه :  
إني أيتتك للتسليم أمسي فلم      تأذن عليك لي الأستار والحجب  
وقد علمت بقي لم أرد ولا      والله مارد إلا الحلم والأدب

فأجابني بهذا القول :

لو كنتَ كَأَقَاتٍ بالحسنى لقلتَ كما  
ليس الحجاب بمقصٍ عنك لى أَمْلاً  
قال ابن أوس وفيما قاله أدبُ  
إنَّ السماءَ تَرْجى حينَ تحتجبُ<sup>(١)</sup>

وقال حبيب :

سَأترك هذا الباب ما دامَ إذنه  
فما خاب مَنْ لم يَأْتِه متعمداً  
ولا جعلتَ أرزاقنا بيد امرئٍ  
إذا لم أجد للإذن عندك موضعاً  
على ما أرى حتى يلين قلبلاً  
ولا فاز من قَدْ نال منه وصولاً  
حتى بابِه من أن يُنْسال دخولاً  
وجدتَ إلى تركِ الحجى سبيلاً  
وحُجِبَ أبو العتاهية عن بعضِ الهاشميين ، وقال له : تكون لك  
عودة فقال :

لئن عدتُ بعدَ اليومِ إلى لظالمٍ  
مَتى يظفرُ الغادى إليك بحاجيةٍ  
سأصرفُ نفسى حيثُ تَبقى المكارمُ  
ونصفك محبوبٌ ونصفك نائمٌ !

قال المتنبي :

أصبحتُ بأمرٍ بالحجاب مخلوعةٍ  
مَنْ كان ضوءُ جبينه ونواله  
هيئاتَ لستَ على الحجاب بقادرٍ<sup>(٢)</sup>  
لم يحجباً لم يحتجب عن ناظرٍ  
فإذا احتجبتَ فأنتَ غيرُ محجبٍ  
وإذا بَطَّنتَ فأنتَ عينُ الظاهرِ

وقال جرير :

قومٌ إذا حضرَ الملوكَ وفودُهم  
نُتِفَتْ شواربُهم على الأبوابِ<sup>(٣)</sup>

(١) ابن أوس : هو أبو تمام والبيت في ديوانه ٢٢ .

(٢) ديوانه ٢ : ١٣٧ .

(٣) ديوانه ٥٦ .

وقال آخر :

نهيت جميع الناس عن كل خطة يدبرها في رأيها ابن هشام  
فلما وردنا الباب أيقنت أننا على الله والسلطان غير كرام

وقال آخر :

وكل خفيف الشأن يدعى مشترا إذا فتح البواب بابك إصبعاً  
ونحن الجلوس الساكنون نوقراً حياء إلى أن يفتح الباب أجماً

قوله : عض أزل ، أى اشتد زمان ، والأزل : ضيق العيش من الجذب  
والقسط ، وعض : قبض بأسنانه . قل : كسر . غرب : حد . بمنابه :  
بكفايته . انحمت : انكسر . ناب : سن ، يقول : إن عضت الشدائد الناس  
وأضررت بهم دفعها وكسر أنيابها بمواهبه وخيره لمن أقرته . ومن مליح  
ما قيل في هذا المعنى قول المتنبى :

أطمتني الدنيا فلما جثته مستقيماً مطرت على سحائباً<sup>(١)</sup>  
حال متى علم ابن منصور بها جاء الزمان إلى منها تائباً

قل المتنبى اللفظ والمعنى من قول أبي تمام :

كثرت خطايا الدهر في وقد يرى لنداك وهو إلى منها تائب<sup>(٢)</sup>  
وألم به الحصى أيضاً في قوله :

وقد تحسن الأتيام بعد إساءته ويذنب صرّف الدهر ثم يتوب

وقال ابن المعتز :

وعوقني الدهر عن قربه زماناً قد تاب عن ظله

وقال ابن الرومي :

أسأت لي الأيام يا بن محمد  
وأين مطاف حول عفوك عائداً  
ومن إلى اليوم معذرات  
فهن لما أبصره حذرات

وقال أبو تمام :

إذا العيس لاقت بي أبادلف غداً  
تقطع ما بيني وبين النواذب

وقال أبو نواس :

أخذتُ بحبلٍ من جبال محمدٍ  
تفطيت من دهرى بظل جناحه  
أمستُ به من طارق الحدائقِ  
فمضى ترى دهرى وليس يراني  
فلو تسأل الأيام عني ما درتُ  
وأين مكاني ما عرفن مكاني  
وقال أيضاً :

أنا في ذمة الخصب مقيمٌ  
قد عرفنا من الخصب خللاً  
حيث لا تهدي صروف الزمانِ  
أصنفا طوارق الحسدانِ  
كيف أخشى من الليالي اغتيالاً  
ومكاني من الخصب مكاني

\* \* \*

وجديرٌ بمن لبَّ وفطنٌ ، وقربَ وشطنٌ ، أن أذعنَ  
لقريرِ زمنٍ ، وجابرِ زمنٍ ، مُذ رَضِعَ تَدْيَ لِبَانِهِ ، خُصَّ  
بإفاضةِ تَهْنِئَتِهِ . نَمَشَ وفرَجَ ، وصافرَ فأبْهَجَ ، وناقرَ فأزَعَجَ ،  
وفاءً بحقِّ أبْلَجٍ ، أُنْسَبَ مِنْ سَكَلِي ، وقُرْطَ إِذْ هَزَّ وَبَلِي ، وتَوَجَّ  
مِيفَاتِهِ ، بِحُبِّ عَفَاتِهِ .

فَلَا خَلََا ذَا بَهْجَةٍ      يَتَّقُ ظِلُّ خِصْبِهِ  
فِيَانِهِ بَرٌّ يَمْنُ      أَنَسَ صَوَّ شَهْبِهِ  
زَانَ مَزَايَا ظَرْفِهِ      يُلْبِسُ خَوْفَ رَبِّهِ

\* \* \*

قوله : جذير ، أى حقيق . لب : كان ليبييا وعاقلا . شطن : بعد . أذعن :  
ذل وانقاد . القرع : السيد يدفع ضرر الزمن ويقرعه . جابر زمن ، أى معنى  
قفر ، والزمن الفقير الذى لازمه الفقر أو المريض الذى لازمه المرض ، وبه  
زمانة ، وأصل ذلك من زمن . لبانه ، أى لبن أمه ، وقال فى الدرر<sup>(١)</sup> وقولهم :  
الرضيع الإنسان ارتضع بلبنه ، صوابه بلبانه ، لأن اللبن هو المشروب ، واللبن ،  
هو مصدر لابنه ، أى شاركه فى شرب اللبن ، هذا معنى كلامهم الذى نغوا إليه  
ولفظوا به . التهان : سيلان المطر ، وإفاضته : صبه ، وأراد فى لبن أمه ، ارتضع  
الجدود فداوم عليه ، كقول المتنبي :

سَمَوْا لِلْمَعَالِي وَهُمْ صَبِيَّةٌ      وَسَادُوا وَقَادُوا وَهُمْ فِي الْمَهْودِ<sup>(٢)</sup>

وقد غلط المتنبي فى هذا ، ونسب فيه إلى الكذب والحال الفاضح ، لأن سيادة  
الأطفال فى المهود وقود الجيوش من أنحل الحال ، وهذا وإن كان ظاهره  
كذلك ، قد اتسمت العرب وأهل الأدب فى هذا القدر ، وأقاموا تحمیل النجابة  
فى المولود فى مهده مقام وجودها فى كبره . ثم إذا وجدوا صفة الكمال فى الرجل  
التأم حكوا بكاملها ، لأنه رضمها فى ثدى أمه ، أو غذى بها فى بطن أمه ، ألا  
ترى قوله : تعلمت العلم قبل أن يقطع سرك وسررك ، وقبل أن يقطع ذاك ، كان

في بطن أمه ، وهذا لم ينكره أحد ، ومن شعر الحماسة في الذي رأى المهب في  
مهبه فقال :

خذوني به إن لم يَدُ سرواتهم ويبرع حتى لا يصاب له مثل<sup>(١)</sup>  
وفيهما أيضاً :

لئن فرحت بي معقل عند شيبتي لقد فرحت بي بين أبدى القوابل  
وذلك لتخيّل النجابة فيه في ذلك الوقت ، ألا ترى ما ثبتت نساء العرب  
من بلوغ السيادة لأبنائهن عند ترقيصهن ، وانظر إلى ذلك إن شئت في فصل  
نظمناه في كتابنا الموضوع لاختصار نوادر أبي علي ، فقد سقط عن المتنبي والحريري  
هنا ما عيب عليهما ، وقال سوار بن أبي شراة :

تعرف السودد في مولودهم وتراه سيّدا إن أيقفا  
نقش : رفع الضميف بجوده . فرّج : أزال همه . ضافر : فاخر . أبهج :  
أدخل السرور على أحبابه إذا كان له القلب . نافر : خاكم في النسب .  
وكانوا في الجاهلية إذا تنازع الرّجلان للشرف تنافرا إلى حكائهم فيفصلون  
الأشرف ، ومميت منافرة<sup>(٢)</sup> لأنهم كانوا يقولون عند المفاخرة : أينا أعزّ نفرّا .

[منافرة عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة]

وأشهر منافرة في الجاهلية منافرة عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن  
كلاب مع علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر ، حين قال له علقمة :  
الرياسة لجدّي الأحوص ، وإنما صارت إلى عمك أبي براء من أجله ، وقد أسنّ  
عمك وقعد عنها ، فأنا أولى بها منك . وإن شئت نافرْتُك ، فقال عامر : قد

(١) المنافرة : المفاخرة بالنسب ، وخبر المنافرة بين عامر وعلقمة في الأغاني ١٥ : ٥٠ -  
سأسي ، مع تصرف واختصار .

سنت والله ؛ لأننا أكرم منك حسبا ، وأثبت نسبا ، وأطول قصبا ، فقال علقمة :  
 أنافرك وإني لبرء وإنتك لفاجر ، وإني لولود وإنتك لعاقور ، وإني لفء وإنتك  
 لعاهر ، وإني لواف وإنتك لغادر ؛ فقال عامر : أنافرك ؛ أنا أسفى منك سنة ،  
 وأطول قمة ، وأحسن لثة ، وأجد جمة ، وأبعد همة . فقال علقمة : أنت جسيم  
 وأنا قضيف<sup>(١)</sup> ، وأنت جميل ، وأنا قبيح ؛ ولكن أنافرك أنا أولى بالخيرات منك .  
 فخرجت أم عامر فقالت : نافره أئىكما أولى بالخيرات ، ففعلوا على أن جعلوا مائة  
 من الإبل يعطاهما الحكم الذى بنفر عليه صاحبه ، فخرج علقمة ببني خالد بن  
 الأصغر وبني الأحوص ومعهما القباب والجزور والقذور ؛ ينحرون فى كل منزل  
 يطعمون ، وخرج عامر ببني مالك ، وقال : إنها المقارعة عن أحسابكم ، فاشمعو :  
 بمنل ماشخص به ، وقال لسه أبى براء : أعنى ، فقال : سُبْنى ، فقال لا أسبُك  
 وأنت عنى ، فقال : وأنا لا أسبُ الأحوص وهو عنى ، ولكن دونك نلى ،  
 فإني ربت فيها أربعين سنة ؛ ولم ينهض معه . فجعلنا منافرتهما إلى أبى سفيان بن حرب  
 ابن أمية ، ثم إلى أبى جهل بن هشام ، فلم يقول بينهما شيئا ، ثم رجعا آخر إلى هرة  
 ابن قطبة بن سيار بن عمر الفزاري ، فقال : لعمري لأحكم بينكما ، فأعطيانى موقعا  
 أطمئن إليه أن ترضيا بحكمي ، وتسلفا ما قضيت بينكما . ففعلوا ، فأقاموا عنده أياما  
 فأرسل إلى عامر فأتاه سرا ، فقال : قد كنت أحسب أن لك رأيا ، وأن فيك خيرا ،  
 وما حبستك هذه المدة إلا لتنصرف عن صاحبك ؛ أنتافر رجلا لا تفتخر أنت  
 وقومك إلا بأبائه ؛ فما الذى أنت به خير منه ؟ فقال عامر : نشدتك الله والرحم ،  
 ألا تفضل على علقمة ، فوالله لئن فعلت لا أفلح بعدها ، هذه ناصيتي فأجززها  
 واحتكم فى مالى ، فإن كنت ولا بد فاعلا فسو بيني وبينه ، فقال له ما قال  
 لعمري ، فقال له : أنتافر رجلا هو ابن عمك فى النسب وأبوه أبوك وهو مع ذلك  
 أعظم منك غناء وأحد لقاء ، وأسمع سمحا ؛ فما الذى أنت به خير منه ! فرد



عليه علقمة ماردٌ عامر وانصرف وهو لا يشك أنه ينفر عامراً عليه . فأرسل هريم إلى بنيه وبني أخيه ، وقال لهم : إني قاتل غداً بينهما قتالة ، فإذا فرغت فليطرد بعضكم عشر جزائر فليتنحروا عن علقمة ، وليطرد بعضكم مثلها فليتنحروا عن عامر ، وفرقوا بين الناس لا يكون بينهم جماعة . ثم أصبح هريم جلس مجلسه وأقبل عامر وعلقمة حتى جلسا ، قال هريم : إنكما يا بني جعفر قد تحاكما إلىي ؛ أتما كركيتي البعير الآدم الفحل تجمان على الأرض [معا] <sup>(١)</sup> ، وليس فيكما واحد إلا وفيه مالميس في صاحبه ، وكلا كما سيد كريم . ولم يفضل واحدا منهما على صاحبه لثلاثين ب بذلك شرّاً بين الحيتين ، ونحرت الجزر وفرقت على الناس .

وعاش هريم حتى أدرك خلافة عمر رضي الله عنه ، قال : ياهرم ، أي الرجلين كنت مفضلاً لوفعت ؟ قال : لو قلت ذلك اليوم عادت جَزَعَة ، ولبلت شَعَفات هَجَر ، قال عمر : نعم مستودع السر أنت ياهرم ، مثلك تليستودع المشيرة أسرارهم . والحكاية طويلة ، وقال فيه الأعشى <sup>(٢)</sup> :

حَكَمُوهُ قَضَى بَيْنَكُمْ أَبْلَجُ مِثْلُ الْقَمَرِ الْبَاهِرِ  
لَا يَقْبَلُ الرِّشْوَةَ فِي حَكْمِهِ وَلَا يِيَالِي غَيْرَةِ انْطَائِرِ

قوله : فاء ، أي رجع أبليج : بين ظاهري . أتمب من سَتَلِي ، يقول : إن الأمير الذي يأتي بعه في تسب لأنه يروم أن يفعل مثل ما فعل فيمجز عنه ، وأعاد هذه المعنى منظوماً في السابعة والثلاثين حين قال :

سَمَاحُهُ أَزْرَى بَيْنَ قَبْلِهِ وَعَدْلُهُ أَتَمُّ بَيْنَ بَعْدِهِ <sup>(٣)</sup>

أخذه من قول رجل قال لأحد الأمراء وقد عزل عن عمله : أصبحت والله

(١) من الأغاني (٢) ديوان الأعشى ١٤١ . (٣) اللغات ٤١٤ .

( ١٩ - شرح طائفات الحريري ج ٣ )

فاضحاً متعباً ، أما فاضحاً فلكلّ وال قبلك بحسن سيرتك ، وأما متعباً فلكلّ  
وال بملك أن يلعنك .

قُرْط : مدح . هز : حرك بالثناء عليه . بلى : جَرَب : تَوَجَّصَ صفاته ، أى زَيَّنَها  
وشرفها . عَفَاتِه : قصاده . بهجة : سرور ، وكفى بخصبه عن ماله ودعاه بالبركة  
والكثرة إذ جعله ممتدّ الظل . برّ : مكرم . آنس : أبصر . شبهه : نيرانه  
الساطعة ، واحدها شهاب ، وأصل هائه التثنية لثقلت ، وكانت العرب توقد النيران  
فيتصدها الأضياف بالليل ، أراد أنه كثير الإكرام لمن يقصد ناره ، وأخذ  
اللفظ من قوله تعالى : ﴿ آنس من جانب الطُّورِ ناراً ﴾<sup>(١)</sup>

مزاي : فضائل . ظرفه : حسن هيئته وعذوبة لسانه ، وهو مصدر ظرف يظرف  
ظرفاً فهو ظريف ، فمن قال : الظريف البليغ ، وقصره على اللسان لم يَجُزْ له أن  
يقول : ما أغرّف زيد ؟ على الاستفهام ، ومن جعل الظرف حسن الوجه والهيئة  
جازه ذلك ، وكذلك مَنْ جعل الظرف علماً فيكون معناه : أى شئ فيه  
من الظرف ؟ أوجه أم هيئته أم ذكاؤه وبلاغته ؟

بلبس : اختلاط ، أراد أنه يخلط المزج بالجد ، والمزاج وخفة الطرب  
بالقباض والحشمة ، وقد تقدّم في صفة التنوخى مثل هذا . والمزاي : جمع مزية  
وهي التمام والكمال ، وأصلها من الزى .

\*\*\*

فَلَيْمَنَ سَيِّدَنَا فَوْزُهُ بِمَفَاخِرِ تَأْتَلَّتْ وَجَلَّتْ ، وَقُوَّةُ  
بِصْنَائِعِ تَمَّتْ وَتَمَّتْ ، وَيُلَاقِمُ قَرَبَ حَضْرَتِهِ ، وَثُ رِقَّةُ  
يَحْظِي مِنْ حُطُوتِهِ ؛ فَإِنَّهُ تَلِيدٌ تَذَبْ ، وَشَرِيدٌ جَذَبْ ، وَجَرِيحٌ

نَوْبِ أَثَرْتِ ، وَنَاطِمُ قَلَائِدَ تَسِيرَتِ ، إِذَا جَاشَ لِحُلْبَةِ فَلَا يُوجَدُ  
فَائِلٌ ، ثُمَّ قَسَّ ثُمَّ بِأَقْلٍ .

فَإِنْ حَبَّرَ قُلْتَ : حَبَّرْتُ نَمِيتُ ، وَخِلْتُ رِيَاضًا قَدْ نَمَتْ ، هَذَا ثُمَّ  
شَرِبُهُ بَرَضٌ ؛ وَقُوْتُهُ قَرَضٌ ، وَفَلَقُهُ غَسَقٌ ، وَجَلْبَابُهُ خَلَقٌ . وَقَدْ  
قَلِقَ لِيَتَوَغَّرَ غَرِيمٌ غَاشِمٌ ، يَسْتَحِثُّ بِحَقِّ لَازِمٍ ؛ فَإِنْ مِنْ سَيِّدُنَا  
بَكَفَّهُ ، ، بِهَاتِ كَفَّهُ ، تَوَشَّعَ بِمَجْدِ فَاقَ ، وَبَاءَ بِأَجْرِ فَكِّي  
مِنْ وَثَاقٍ .

لَا خَلَّتْ سَجَايَا خُلُقِهِ ، تَرَفَّدُ شَائِمَ بَرَقِهِ ، بَيْنَ رَبِّ أَرْزِي ،  
حَتَّى أَبْدَى

. . .

فوزه : غلظه . تأملت : تقدمت واتصلت . جلّت : عظمت . فوقه : سبته .  
صنائع : أفعال جميلة . نمت : اشتهرت . يلائم : يوافق . حضرته : موضعه الذي  
يحضر فيه ، والقرب : جمع قرية ، وهي ما يقترب به من أعمال البر إلى الله تعالى ومن  
الهدايا إلى الملوك . غوث : إغاثة وكشف ضرر . رقه : عبده . حظّ : نصيب .  
حظوته : مكاتبة ورفسته . تليد ندب ؛ تقول : ندبت القوم دعوتهم ، يريد أنه  
عبد للدعوة التي دعاه بها خصمه إلى الوالي ، والتليد من العبيد : ماولد عند  
غيرك ثم اشتريته صهيراً ، فكبر عندك ، وجعل نفسه عبداً للدعوة لما تعبد بها ،  
أو يريد بالتليد القديم ، فإن التليد والتالد للآل القديم ، ولقد ندب : ألهم ، من  
ندبت لليت ندبا ، فيريد أنه قديم هم ، ورجل ندب ، أي خفيف في قضاء  
الخواج لأصحابه ، فيريد على هذا بتليد ندب ، أي خفيف ومن هذه صفته

فقد وجبت حرمة . وشر يدجذب : طريد فقر وجوع ، والجذب ضد الخصب .  
نوب : نوازل . أثرت : أبقت به أثرا وأثرها أخذها ماله حتى عاد فقيراً ، فن نظره  
رأى أثر الثواب عليه . ناظم فلائد : قائل قصائد . ورسائل تسيرت : مشيت في  
الناس والبلاد ، جاش خطية : تحرك صدره للكلام بها ، يريد أنه إذا أراد قول  
خطبة ازدحم الكلام في صدره وارتفع ، كما يحيش القدر ، أى يظلى ، وقدم  
هذا الكلام .

قس : فصيح العرب ، ويأتى ذكره فى الأربعين . ثم ، معناه هنالك . بقل ،  
تقدم ، يريد أن قسا على فصاحته لوحضر مع الموصوف لنظم أو نثر لرجع فى عى  
بقل ، والمادة إنما يذكر معه سبحانه للزوم الرسالة وقال حبيب وذكر ثلاثة من  
أصحاب عبد الله بن طاهر :

أول :

حازوا خلائق قد تيقنت الملا كل التيقن أنهم<sup>(١)</sup> نجومها<sup>(٢)</sup>  
ثان :

لو أن بقلًا المفهّم بنبرى فى مدحها سهلت عليه حزومها<sup>(٣)</sup>  
ثالث :

ولو أن سبحانا يسحب ذيله فى ذمها لم يدرك كيف بذيمها<sup>(٤)</sup>  
ح : قال شعرا أورسالة ، وأصل حبر : وثى وزين . حبر : ثياب موشاة .  
تمننت : زينت ورقنت . تمت : تحركت بالروائح المعطرة .  
وقال الصابى فى اللهبى وكأنه يصف هذا الكلام :

وإن استنطق الأنامل جاءت ببيان كالجوهر المنضود<sup>(٥)</sup>  
فى سطور كأننا نشرت يمينه منها عصائباً من برود  
فقرّ لم يزل صبرا إليها كل مبدى بلاغة ومعين

(١) ديوان أبو تمام ٣١١ (٢) بذيمها : (٣) بنية الشعر ٧٤٦:٢

يَنْتَدِي الْبَارِعُ الْفَيْدُ لَدَيْهَا      لَاحِقًا بِالْقَصْرِ الْمُضْمِدِ  
بَيَانِ شَافٍ وَلَفْظِ مُصِيبٍ      وَاخْتِصَارِ كَافٍ وَمَعْنَى سَدِيدٍ

وله في مثله أيضاً :

وَكَمْ مِنْ يَدٍ بِيضَاءُ حَازَتْ جَاهَهَا      يَذْكَ لَكَ لَا تَسْوَدُ إِلَّا مِنْ النَّفْسِ<sup>(١)</sup>  
إِذَا رَقَشَتْ بِيضَ الصَّعَائِفِ خِلَّتَهَا      تَطْرُزُ بِالظَّلَاءِ أُرْدِيَةِ الشَّمْسِ  
وَقَالَ السَّرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

شَفَلْتُكَ مِنْ حَسَنِ الشَّامِ مَدَامُحٌ      حَسَتْ فَمَا تَنْفَكُ تَطْرِبُ سَامِمًا<sup>(٢)</sup>  
زَهْرًا إِذَا صَاغَنَ سَمْعَ مَعَانِدٍ      خَفَضَ الْكَلَامَ وَغَضَّ طَرَفًا خَاشِمًا  
جَاءَتْكَ مِثْلُ بَدَائِعِ الْوُشْيِ الْقَدِي      مَازَالُ فِي صَنْعَاءِ يَتِمُّ صَانِمًا  
أَوْ كَالرَّيْبِ يَرِيكَ أَخْضَرَ يَانِمًا      مَتَوَرِّدًا شَرْقًا وَأَصْفَرُ فَاخِمًا  
وله أيضاً في مثله :

سَأَبْتُ الْحَمْدَ مَوْشِيًا سَبَائِبُهُ      إِلَى الْأَمِيرِ صَحِيحًا غَيْرَ مَوْشِيٍّ<sup>(٣)</sup>  
إِنَّ الْمَدَامُحَ لَا تَهْدِي لِتَأْقِدِهَا      إِلَّا وَأَلْقَاظَهَا أَصْفَى مِنَ النَّعْبِ  
كَمْ رُضْتُ بِالْقَكْرِ مِنْهَا رَوْضَةً أَفْغَا      تَفْتَحُ الزَّهْرَ فِيهَا عَنْ جَنَى الْأَدَبِ  
لَفْظُ يَرْوَحُ لَهُ الرِّيحَاتُ مَقْرَحًا      إِذَا جَلَلَنَاهُ رِيحَانًا عَلَى النَّعْبِ

قوله : شَرِبُهُ ، أَيْ حَفَظَهُ مِنَ الدَّاءِ . بَرَضٌ : قَلِيلٌ . قَرْضٌ : سَلَفٌ ، وَالتَّعَرُّضُ  
مَأْخِذٌ لِيَمُوتَ مِنْهُ . وَقَلَّتْهُ : ضَوْءٌ صَبَحَهُ . غَسَقٌ : ظَلَامٌ ، يَرِيدُ أَنْ حَالَهُ مُتَغَيِّرَةٌ .  
جَلْبَابُهُ : ثَوْبُهُ . خَلَقٌ : بَالٍ . تَوَغَّرَ : تَوَقَّدَ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ ، وَالتَّوَغَّرَ : التَّوَقَّدَ  
أَشَدَّ الْفَيْظِ ، وَالْوَغْرُ شِدَّةُ الْحَرِّ . غَاشِمٌ : ظَلَامٌ جَافٌ . يَسْتَعْنَهُ : يَسْتَعِجِلُهُ . لَا زَمَ :

(١) يَتِيْمَةُ الدَّهْرِ ٢ : ٢٤٩ .

(٢) دِيْوَانُ السَّرِيِّ ١٦١ .

(٣) دِيْوَانُ السَّرِيِّ ٣٩ .

واجب . من : أنعم وأحسن . بكفه : برده عنى . هبات : عطايا . توشح : تعزّم وتزين ، وتوشح الرجل بثوبه : جعله موضع الوشاح وتعزّم . قاق : فضل بهذا المجد كل أحد . باء : رجع . فكى : إقضى . وثاق : شدّ وربط . سجايا : طبايع . ترغد : تصل وتعين ، والرغد : اللعونة : شائم برقه : راجى خيره ونازل أمره ، ونزل البرق منزلة الجود لأنه يأتى بالمطر والمطر يشبّه به الجود : بمن : بإحسان وإنعام . أزلّى : قديم . أبديّ : باق مع الأبد وهو الدائم .

وإذ قد فرغنا من شرح هذه الرسالة على صموبتها ، فإننا نعتذر إلى من وقف على شرحنا لها من صموبة هذا المقام ، فإن هذه الرسالة وأمثالها إنما يؤتى بها على جهة الملّح والاقتدار ، لا على أنها من نفيس الكلام الفصيح ، ألا ترى الحريرى كيف اعتذر فى مثلها حيث قال : أجلّ الأبيات العرائس ، وإن لم يكن نفائس ؛ ولا شك أن الشارح لمثل هذه الرسالة يقارب تعب منشئها فى أنه يفوسر على تلك الاستعارات البعيدة ، فيريد أن يبرز المعنى فى غاية البيان ، واللفظ فى أغلبها موضوع على غاية الإبهام ، فوق التمانع ، فلا يصل إلى عبارة متوسطة تتعلق بالمعنى ، ولا تبعد من اللفظ إلاّ بعد جهد ، فهذا عذرنا فى هذه الرسالة الرقطاء والتحقيرة والخيفاء المتقدمين ، وما عنت أحداً شرحها شرحنا ولا بلغ منها مبالغنا ، والله منشئها من عالم بارع ! فما اتفق له إنشاؤها إلا بعد التجحّر فى علوم اللغات حتى كان أباحفص بن برد يخاطبه بهذه الأبيات :

أبا الملاء استمع تعريض ذى مقى      أهدي لك الودّ محضاً غير مقطوب  
أنت الذى لم نعاشر مثله رجلاً      فى العلم والغرف والآداب والطيب  
تحصيل فضلك للحساد معجزة      وكنته علمك شئ غير محسوب  
أما اللغات فما يعقوب يبلغ ما      وعيت منها ولا أشياخ يعقوب

قَالَ : فَلَمَّا اسْتَشَفَّ الْأَمِيرُ لَأَلِيهَا ، وَلَمَحَ السَّرَّ الْمودَعِ  
فِيهَا ، أَوْعَزَ فِي الْحَالِ بِقَضَاءِ دَيْنِي ، وَفَصَلَ بَيْنَ خَصْمِي وَبَيْنِي .  
ثُمَّ اسْتَخْلَصَنِي لِكَأَثَرَتِهِ ، وَاخْتَصَنِي بِأَثَرَتِهِ . فَلَبِثْتُ بِضْعَ سِنِينَ  
أُنْعِمُ فِي ضِيَافَتِهِ ، وَأُرْتَعُ فِي رَيْفِ رَأْفَتِهِ ؛ حَتَّى إِذَا نَحَرْتَنِي مَوَاهِبُهُ ،  
وَأَطَالَ ذَيْلِي ذَهَبُهُ . تَأَلَّفْتُ فِي الْأَرْتِحَالِ ، عَلَى مَا رَى مِنْ  
حُسْنِ الْحَالِ .

قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ شُكْرًا لِمَنْ أَتَاهَا لَكَ لُقْيَانُ السَّمْعِ الْكَرِيمِ ،  
وَأُنْقَذَكَ مِنْ ضَنْطَةِ الْغَرِيمِ . فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى سَعَادَةِ الْجَدِّ ،  
وَالْخُلُوصِ مِنَ الْخَضَمِ الْأَلَدِّ . ثُمَّ قَالَ : أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ أَنْ  
أُحْذِيكَ مِنَ الْعَطَاءِ ، أَمْ أَتَحَقِّقَ بِالرَّسَالَةِ الرَّقْطَاءَ . فَقُلْتُ : إِمْلَأْ  
الرَّسَالَةَ أَحَبُّ إِلَيَّ . فَقَالَ : وَهُوَ وَحَقُّكَ أَخْفَ عَلَى . فَإِنْ نَحَلَّةَ  
مَا يَلْبِغُ فِي الْأَذَانِ ، أَهْوَنُ مِنْ نَحَلَّةِ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْدَانِ . ثُمَّ  
كَأَنَّهُ أَنْفَ وَاسْتَحْيَا ، فَجَمَعَ لِي بَيْنَ الرِّسَالَةِ وَالْحَذْيَا ، فَفَزْتُ مِنْهُ  
بِسَهْنَيْنِ ، وَفَصَلْتُ عَنْهُ بِعُثْمَيْنِ ، وَأَبْتُ إِلَى وَطَنِي قَرِيرَ الْعَيْنِ ، بِنَا  
حَزَتْ مِنَ الرِّسَالَةِ وَالْعَيْنِ .

قوله : استشف ، نظر . لأليها : جواهر كلامها . لمح : رأى . الودع :  
المضمن المجمول ، وعنى بالسر ما ذكر من التقط لحرف والترك لآخر . أوعز : تقدم .  
فصل : قطع . استخلصني : خنتني وأنقذني منه . لكأثرته : لزيادة عدده ، يريد  
أن الأمير خلصه من غريمه وضمه إليه ، وجعله فيمن حواليه فكثروا به . اختصني  
بأثرته : أفردني بعطيته ، وآثرني بها على غيره . لبثت : أقيمت .  
بضع سنين : قال أبو عبيدة رحمه الله : البضع من واحد إلى أربعة ، وقال

الأخفش: من واحد إلى عشرة، وقال الفراء: مادون العشرة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: البضع من الثلاثة إلى عشرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر لما نزلت ﴿فِي بِضْعِ سَنِينَ﴾: البضع ما بين السبع والتسع، قال ابن سلام: فلما انقضت سبع سنين ظهرت الروم على فارس. وقال أبو محمد في الدرّة: البضع أكثر ما يستعمل فيما بين الثلاث إلى العشر، وأسرّ ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سِيْفِلُونَ﴾ في بضع سنين، وذلك أن المسلمين كانوا يحبون أن تظهر الروم على فارس، لأنهم أهل الكتاب وللشركون يميلون إلى أهل فارس، لأنهم أهل أوثان، فلما بشر الله المسلمين بأن الروم سيفلبون سرّ المسلمون. ثم إن أبا بكر رضي الله عنه أخبر مشركي قريش بما نزل عليهم، فقال له أمية بن خلف: خاطرتني على ذلك، فغاطره على خمس قلائص في مدة ثلاث سنين، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن البضع، فقال: ما بين الثلاثة إلى العشرة، فأخبره بمخاطره مع ابن خلف، فقال له: ما حملك على قريب المدة؟ قال: الثقة بالله ورسوله، فقال له: عد إليهم فزدهم في الخطر، وازدد في الأجل، فزادهم قلوبهم وزادوه سنين، فظفرت الروم بفارس قبل انقضاء الأجل الثاني تصديقاً لتقدير أبي بكر رضي الله عنه. ويقال: البضع بغير هاء للمؤنث مثل خمس وبضعة للمذكر مثل خمسة.

أرتع: آكل وأنتعم، والريف: الخصب، والرافة: الرفق. غمرتني مواهبه: غطتني عطاياه، وأراد إطالة ذيله كثرة ماله حتى صار منه فضول، وصار يجزّ ذيله تبخيراً. تلطقت: تسالت برفق. أتاح: قدر. لقمان: لقاء. الضنطة: التضييق، وضنطه: ضيق عليه. الجّد: الحظ والسعد. الألد: الشديد الخصومة. أحذيك: أعطيك. أتحفك: أهديك. وإملاء الرسالة: إلناؤها عليها ليكتبها. نحلة: عطية. يلج: يدخل. الأردن: الأكام. أغف: كبر ذلك عليه واستنكفه. والحنا: العطية فصلت: زلت. أبث: رجعت: قرير العين: مسرورا بالفائدة. حزت: جمعت، وصار في حوزي، أي في ملكي. والعين: القهّب الأحمر.



## المقامة السابعة والعشرون وهي الوبرية

حكى الحارث بن همام، قال: ملئت في ريق زماً الذي غبر،  
إلى مجاورة أهل الوبر؛ لأخذ أخذ نفوسهم الآية، وألستهم  
العريّة، فشمرت تشمير من لا يالو جهداً، وجملت أضرب  
في الأرض غوزاً ونجداً؛ إلى أن اقتنيت هجمة من الراعية  
وثلة من الثاغية، ثم أويت إلى عرب أرداف أقيال، وأبناء  
أقوال، فأوطنوني أمنع جناب، وفلوا عني حد كل ناب،  
فما تأوَّيتني عندهم، ولا قرع صفاتي منهم.

...

غبر، تقدم. أهل الوبر: أصحاب البوادي: الذين ملهم الإبل، وكفى بالوبر  
عنها. الآية: العريزة التي تأبى القتل. يالو جهداً: يقصر في الاجتهاد. أضرب:  
أمشى في الأرض. وغوزاً ونجداً: مرتفعاً ومنخفضاً. اقتنيت: اكتسبت  
لنفسى لا للبيع.

وشرح الحريري ألفاظاً في القامة فنتصر فيها على شرحه إلا بقدر ما يزيد  
الكلام بياناً، مثل قوله: أخذ أخذ نفوسهم، أي أخلق بأخلاقهم وطباعهم،  
ويقال: لو كنت مثلنا لأخذت بإخذنا، بكسر الهمزة وفتحها، أي بخلقتنا وشكلنا،  
واستعمل فلان على الشأم وما أخذ أخذه، أي وما والواله وكان حيزه. وقوله: إرداف  
أقيال؛ يفسر القليل بالملك وبردف الملك، وقيل: القليل بالشرق كالفائد

بالأندلس والرحافة في الجاهلية كالوزارة في الإسلام ، والرحافة : بأن يرتد مع الملك على مركوبه ، وأن يستخلفه في موضعه متى غزا . أويت : رجعت واتخذته مأوى . أوطنوني : أنزلوني . جناب : جانب . قلوا : كسروا . ناب : خرس . تأوَّبني : أتاني ليلاً . ولا قرع صفائي سهم ، أى لم ينلني ضرر .

• • •

إلى أَن أَضَلْتُ فِي لَيْلَةٍ مُنِيرَةٍ الْبَدْرَ ، لِفَعَّةٍ غَزِيرَةِ الدَّرِّ ؛  
فَلَمْ أَطِيبْ نَفْسًا بِالْغَاءِ طَلَبَهَا ، وَلِأَقْسَاءِ حَبْلِهَا عَلَى غَارِبِهَا ؛  
فَتَدَثَّرْتُ فَرَسًا مَحْضَارًا ، وَاعْتَقَلْتُ لَدُنَا خَطَّارًا ، وَسَرَيْتُ لَيْلَتِي  
جَمْعَاءَ ، أَجُوبُ الْبِيدَاءِ ، وَأَقْتَرِي كُلَّ شَجَرَاءَ وَمَرْدَاءَ ، إِلَى أَن  
نَشَرَ الصَّبْحُ رَايَاتِهِ ، وَحَيَّيْلَ الدَّائِي إِلَى صَلَاتِهِ ، فَزَأْتُ عَنْ مَتْنِ  
الرَّكُوبَةِ ، لِأَدَاءِ الْمَكْتُوبَةِ . ثُمَّ حُلْتُ فِي صَهْوَتِهَا ، وَفَرْتُ  
عَنْ شَحْوَتِهَا ، وَسِرْتُ لَا أَرَى أَثَرًا إِلَّا قَفْوَتُهُ ، وَلَا نَشْرًا  
إِلَّا عَلْوَتُهُ ، وَلَا وَاِدِيًا إِلَّا جَزَعَتُهُ ، وَلَا رَاكِبًا إِلَّا اسْتَطْلَعَتُهُ ،  
وَجِدِّي مَعَ ذَلِكَ يَذْهَبُ هَدْرًا ، وَلَا يَجِدُ وَزْدَهُ صَدْرًا ، إِلَى أَن  
حَانَتْ صَكَّةُ نَحْيٍ ، وَلَفَعَ هَجِيرٌ يُذْهِلُ غَيْلَانَ عَنْ مَيٍّ .

• • •

أضلت : أضلت ، وضلت الناقة وأضلها ربها . منيرة : مضينة . الفعّة :  
الناقة لها لبن . غزيرة الدّر : كثيرة اللبن . إلقاء : ترك . غاربها : أعلى سنامها .  
الهدر : الرمح اللين . الخطار : الطويل المضطرب . واعتقلت الرمح : جعلته  
ما بين سرجك ورجلك . أجوب البيداء : أقطع القفر . وفسر « حبل » بأنه قول  
المؤذن : حتى على الصلاة حتى على الفلاح ، وشاهده :

أَلَا رَبَّ طَيْفَ بَاتٍ مِنْكَ مَا نَقَى إِلَى أَنْ دَعَا دَعَى الصَّلَاةِ فَجِيَلَا  
وَقَالَ آخِرُ :

أَقُولُ لَهَا وَدَعَمَ الْعَيْنَ جَارِهِ أَلَمْ تَحْزَنْكَ جِبِلَّةُ النَّادَى  
وَمَعْنَى حَى ، هَلَمْ وَأَقْبِلْ ، وَالْفَلَاحُ : الْفَوْزُ ، وَأَفْلَحَ الرَّجُلُ ، إِذَا فَازَ وَأَصَابَ  
خَيْرًا ، وَالْمُفْلِحُونَ : الْفَائِزُونَ ، وَقِيلَ : الْفَلَاحُ الْبَقَاءُ ، أَيْ أَقْبِلُوا عَلَى بَيْتِ الْبَقَاءِ فِي الْجَنَّةِ .  
وَالْمُفْلِحُونَ : الْبَاقُونَ . وَالصَّلَاةُ : الْمَعْلُومَةُ ، وَالصَّلَاةُ : الرَّحْمَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأُولَئِكَ  
عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ ، وَكَقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « اللَّهُمَّ صَلِّ  
عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى » ، وَالصَّلَاةُ بِمَعْنَى الدَّعَاءِ كَالصَّلَاةِ عَلَى اللَّيْتِ ، وَكَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى طَعَامٍ فَلْيَجِبْ فَإِنْ كَانَ مَفْطَرًا فَلْيَأْكُلْ وَمَنْ  
كَانَ صَائِمًا فَلْيَصِلْ » . آدَاءُ : قَضَاءُ . حُلَّتْ فِي صَهْوَتِهَا : رَكِبَتْ ظَهْرَهَا وَوُثِبَتْ  
عَلَيْهَا . فَرَرْتُ : كَشَفْتُ . قَهْوَتُهُ : اتَّبَعْتُهُ . نَشَرْنَا : مَرَفَعْنَا . اسْطَلَمْتُهُ : اسْتَعْتَرَفْتُهُ .  
وَسَأَلْتُهُ . جِدْتِي : عَزَمِي وَاجْتِهَادِي . هَدَرًا : بَاطِلًا . وَرَدُّهُ صَدْرًا ، أَيْ سَوَّالَهُ  
خَيْرًا ، وَالْوَرْدُ إِنْيَانُ الْمَاءِ ، وَالصَّدْرُ : الرَّجُوعُ عَنْهُ . لَفَّحَ : تَحَرَّكَ . هَجِيرٌ : حَرٌّ .  
يَذْهَلُ : يَشْفَلُ .

### [ أَخْبَارُ ذِي الرِّمَّةِ مَعَ مَيٍّ ]

غِيلَانُ أَمِّ ذِي الرِّمَّةِ ، وَهُوَ غَيْلَانُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ يَهُسَّاسَ بْنِ مَسْعُودَ بْنِ حَارِثَةَ ،  
عَدَاةُ فِي الرِّيَابِ ، وَالرِّيَابُ : عَدَى بْنُ عَبْدِ مَنَاةَ وَتَيْمٌ بْنُ عَبْدِ مَنَاةَ وَعُكْلٌ ، وَهُوَ  
عُوفُ بْنُ عَبْدِ مَنَاةَ ، وَثَوْرُ بْنُ عَبْدِ مَنَاةَ ، وَضَبَةُ بْنُ أَدُوهُو عَمِّهِمْ ، وَأَدُو بْنُ طَاهِجَةَ  
ابْنِ الْيَاسِ بْنِ مَضَرَ ، وَسَمِيَ ذَا الرِّمَّةِ ، لِقَوْلِهِ يَصْفُ وَتَدَا :

وغير مرضوخ القفا موتود أشمت باقي رُمّة التظليل<sup>(١)</sup>  
نعم فأنت اليوم كالسمود<sup>(٢)</sup> من الهوى أو شبه المورود

(١) ديوانه ١٥٥ . مرضوخ القفا : مَدْقُوقٌ ، بِمَعْنَى الْوَتْدِ . وَالرِّمَّةُ : الْفُطَّةُ مِنَ الْجِلِّ .

(٢) الديوان : « كَالسُّمُودِ » ، قَالَ فِي شَرْحِهِ : السُّمُودُ مَا انْضَمَّتْ عَلَيْهِ الْفُلُوحُ .

بمى ذات البسم المبرود<sup>(١)</sup> وللتنتين وبياض الجيد  
وقيل: سُمي به لأنه خشي عليه من المس، فأنى به رجل من الحى فكتب له  
معاذة عُلقت في عنقه، وشُدَّت بحبل. وقيل: سمته بذلك خرقاء التى يذكرها في  
شعره، وذلك أنه رآها وهي في جوارٍ على سنّها فأعجبته وأدام الالتفات إليها،  
ثم قال لها: يا جارية أُرزى لي هذه القربة. فملت مراده، وقالت له: إني خرقاء،  
فولّى وفي يده قطعة حبل بالمر فنادته: يا ذا الرمة إن كنتُ خرقاء، فجاريتي صناع،  
فاذهب إليّ، فففى عليه ذو الرمة، وسمّاها في شعره خرقاء، فضت  
عليها<sup>(٢)</sup>.

وهى مى بنت عاصم بن طلبة بن قيس بن عاصم، وتكنى أم ثور،  
وغلبت عليه حتى عرف بها، قيل غيلان مى كما قيل كثير عزة.

وأول أمره مع مى - فيا حكى الأصمباني عن أمة لأم مى - قالت<sup>(٣)</sup>: كنا  
نازليين بأسافل الدّهناء ورهط ذى الرّمة نجاورون لنا، فجلست مية تفضل ثيابا لها  
ولأمها، في بيت رث فيه خروق، وهى فتاة أحسن من رأيت حين بدا ثيابها،  
فلما فرغت لبست ثيابها وجلست عند أمها، وأقبل ذو الرّمة يُنشد ضالّة، فدخل  
وجلس ساعة ثم خرج، وقالت مية: إني لأرى أن هذا العذرى قد رأى منكشفة  
وأطلع على من حيث لا أشعر، فإنّ بى عنرة أخبث قوم في الأرض. فاذهي

(١) في الديوان: «بمى ذات البسم»

(٢) الخبر في الأغاني: «.. وكان اجتاز نجبتها وهي جالسة جنب أمها فانسقفاها ماء،  
فقال لها أمها: قومي فاسقيه. وقيل بل خرق إداته لما رآها وقال لها أُرزى لي هذه، فقالت:  
والله ما أحسن ذلك فإني لخرقاء — قال: والخرقاء التى لا تمل يدها شيئا لكرامتها على  
نومها — فقال لأمها: مر بها أن تسقيني ماء، فقالت لها: قومي ياخرقاء، فاسقيه ماء، فقامت  
فأنته بقاء وكانت على كنفه رمة، وهى قطعة من حبل، فقالت: اشرب ياذا الرمة.. فلقب

بذلك. الأغاني ١٨: ١

(٣) الأغاني ١٨: ١

قصي أثره، قالت: قصصت أثره فوجدته قد تردّد أكثر من ثلاثين مرة، كل ذلك يدنو فيطأ على عاقبه ثم يعود فأخبرتها بذلك، ثم لم يفتب أن جاء ناشره فيها من كل وجه ومكان.

وحدث أيضا بسنده عن عمارة بن قتيب<sup>(١)</sup> أن ذا الرّومة حدثه أن أول أمره معها أنه خرج مع أخيه وابن عمّه في بناء إبل لهم، فوردوا على ماء، وقد جهدهم العطش. قال: فأبيت خياء عظيما أسقى لهما ماء، فإذا عجوز جالسة في رواقه، فالتفت وراءها وقالت: يامي، اسق النّلام، فدخلت عليها وهي تنسج شقة، فقالت لي: لقد كلّفك أهلك السفر، على ما أرى من حداثة سنك، ثم قامت تصبّ في ركوتي ماء وعليها شوذب<sup>(٢)</sup>، فلما انحطت على القرية رأيت مرأى لم أر أحسن منه، فلهوت بالنظر إليها، وهي تصبّ الماء فيذهب يمينا وشمالا. فقالت العجوز: يابني أهلك مني مما يشك لك أهلك، أما ترى الماء يذهب يمينا وشمالا؟ قلت: أما والله ليطولن هيامي بها، ثم أبيت بالماء أخى وابن عمي فلففت رأسي، وانقبذت ناحية وقلت:

قد سخرت أخت بني لبيد مقي ومن سلم ومن وليد  
رأت غلامي سفر بعيد يذرعان الليل ذا السدود  
• مثل أذراع اليلق الحديد •<sup>(٣)</sup>

وهي أول قصيدة<sup>(٤)</sup> قلت: ثم مكثت أهيّ بها في ديارها عشرين سنة. وأما ابن قتيبة فقال: مكثت مني تسع شر ذى الرّومة ولا تراه،

(١) الأغاني ١٨: ١٨ (٢) الشوذب: التوب الطويل (٣) اليلق: العباء

(٤) ديوانه ١٥٥ - ١٦٣، ومطبعة:

هل تعرف المنزل بالوحيد قفرا محام أجد الأبيد

(٥) الشعر والشعراء ٥٠٩

فجئت لله أن نضر بدنه يوم تراه - وكانت من أجل الناس - فلما رآته دميما  
أسود صاحت : واسودتاه ! واضيعة بدنتاه ! فقال :

على وجه مئى مسنعة من ملاحية وتمت الثياب الشين لو كان باديا  
فكشفت من جسدها ، وقالت : أشينا ترى لا أم لك ا فقال :

ألم تر أن الماء يخبث طعمه وإن كان لون الماء أبيض صافيا  
فقلت له : قد رأيت ما تحت الثياب ، فلم يبق إلا أن أقول لك : هم  
فدق ما وراه ، فوافقه لاذقت ذلك أبدا<sup>(١)</sup> . ثم صالح الأمر بينهما ، فعاد لما  
كانا من حبهما .

وهو شاعر مجيد مكثرت وصاف للأطلال والديار والصبر على قطع القفار .  
أبو الفرج<sup>(٢)</sup> : كان سليمان بن أبي شيخ ، رواية لشعر ذى الرزمة ، فأنشد  
يوما قصيدة له وإعرابى من بى عدى بسمه فقال : أشهد أنك فيه تحسن  
ما تلوته ، وكان يحسبه قرآنا .

وكان أهل البادية يحبهم شعره ، وكان جرير والفرزدق يحسدانه .  
وقال حماد الراوية : ما آخر القوم ذكره إلا لخلانة سنه ، وأنهم حسدوه .  
وقال أبو الطراف : لم يكن أحد منهم فى زمانه أبلغ منه ، ولا أحسن جوابا ،  
وكان كلامه أحسن من شعره .

وقال مولى لبى هاشم : رأيت بسوق المربد وقد عارضه رجل فقال :  
يا أعرابى - يهزأ به - أشهد بما لم تر ؟ قال : نعم ، قل : بماذا ، قال : أن أبك  
نأك أمك .

(١) فى خير الأغاني ١٨ : ٢٨ فقال :

فياضية الشعر الذى لج فاقضى بئى ولم أمك خلال فواديا

(٢) الأغاني ١٨ : ٧ .

الأصمى ما أعلم أحداً من المشاق شكا أحسن من شكوى ذى الرمة،  
مع عفة وعقل .

أبو عبيدة: يخبر ذو الرمة فيحسن الخبر، ثم يرد على نفسه فيحسن الرد، ثم  
يمتدح فيحسن التخلّص، مع حسن إنصاف في الحكم وعفاف .

وقال ذو الرمة: من <sup>(١)</sup> شرى ما ساعدنى فيه القول، ومنه ما أجهدت نفسى  
فيه . ومنه ما جنت فيه جنونا، فأما الذى طاعنى فيه القول فتولى :

خِلِي عَوْجاً فى صُدُورِ الرَواحِلِ      بِمَجْهُورِ حُزْوٍ فابْكِيَا فى المَنَازِلِ <sup>(٢)</sup>  
لَمَلِ العَمْدَارِ الدَّمْعَ بِعَقَبِ رَاخَةٍ      مِنْ الوَجْدِ أَوْ يَشْفَى بِحَيِّ البَلَابِلِ  
وأما ما أجهدت نفسى فيه فتولى :

أَنْ تَوَسَّمتَ مِنْ خِرْقَاءِ مَنزَلَةٍ      مَا الصَّبَابَةُ مِنْ عَيْنِكَ مَسْجُومٍ <sup>(٣)</sup>  
كَأَنَّهَا بَعْدَ أَحْوَالِ مَضِينٍ كَمَا      بِالأَشْيَمِينَ يَمَانٍ فِيهِ تَسْهِمُ  
وأما الذى جنت فيه جنونا فتولى :

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا المَاءُ يَنْفَسِكُ      كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَقَرَّةٍ سَرِبُ <sup>(٤)</sup>  
بِرَاقَةِ الجَمِيدِ وَاللَّيَّاتِ وَاضِعَةٍ      كَأَنَّهَا ظَلِيَّةُ أَفْصَى بِهَا لَبُ <sup>(٥)</sup>  
زَيْنُ الثِّيَابِ وَإِنْ أَثَوَّابَهَا اسْتَلْبِتْ      فَوْقَ الحَشِيَّةِ يَوْمَا زَانَهَا السُّلْبُ  
إِذَا أَخُولَةُ الدُّنْيَا تَبَطَّنَهَا      وَالبَيْتُ فَوْقَهَا بِالسُّرِّ مَحْتَجِبُ  
سَاقَتِ بِطَلِيَّةِ العِرْنَيْنِ مَارُهَا      بِالمَسْكِ وَالعَنْبَرِ المَهْدَى مَخْتَضِبُ  
لِمَاءٍ فى شَفَتَيْهَا حَوَّةٌ لَقَسَ      وَفى أَقْثَاتِ وَفى أُنْيَابِهَا شَنْبُ  
كَلَاءٍ فى بَرَجٍ ، بِيضَاءٍ فى دَعَجٍ      كَأَنَّهَا فَضَّةٌ قَدْ زَانَهَا ذَهَبُ  
وهذه القصيدة من المطولات التى نَقِطَتْ عَلَى المِائَةِ وَرَبْعِهَا ، وَتَصَرَّفَ فِيهَا

(١) الأَخَانِ ١٨ : ٢٢ (٢) ديوانه ٤٩١ . والجَمْهُورُ : الضَّحِيمُ مِنَ الرَّمْلِ

(٣) ديوانه ٦٧ . والأَهْيَانُ جِيلَانِ مِنْ جِبَالِ الرَّمْلِ

(٤) ديوانه ١٠ (٥) الأَبْجَدُ : مَتَطَعُ الرَّمْلِ .

مانء من أوصاف الأطلال والديار والثور والجار والكلاب والنظي وغير ذلك ، وفي خلال ذلك يأتي بتشبيهات بديعات . وهو أشعر الشعراء الإسلاميين في التشبيه ، وكان يقول : إذا قلت « كَأَنَّ » فلم أجد غرجاً تقطع الله لساني .

واحتذى في ذلك حذوه من المولدين ابن المعتز ، وقصده الحريري في هذا اللوصح لمعنيين : أحدهما لأنه كان صادقاً في حب مية فكان لا يشغله عنها شيء ، .  
لا مثل كثير عزة وغيره ممن لا يصدق في حبه ، والثاني أنه يكثر في شعره صبره .  
على قطع الهواجر لمية مثل قوله :

وهاجرة من دون مية لم تقل قلوبى بها والجندب الجون برمى  
إذا جعل الحرباء مما أصابه من الحر يلوى رأسه ويرنح  
لئن كانت الدنيا على كما أرى تباريح من مية فلامت أروح  
ولما شكوت الحب كيا تنيق بودى قالت إنما أنت تمزج  
فذكر الحريرى أن هذه الهاجرة شغلته عن ذكر مية حتى طلب غلاً بلوذ به

\* \* \*

وكان يوماً أطول من ظل القناة ، وأحر من دمع المقلات  
فأيقنت أئى إن لم أستكن من الوقدة ، وأستحم بالرقمة ، وأذفنى  
الغوب ، وعليقت بى شئوب . فمجت إلى سرحة كثيفة الأغصان ،  
وريقة الأفنان ، لأغور تحتها إلى المنبران ؛ فواقفه ما استروح  
فيسى ، ولا استراح نفيسى ؛ حتى نظرت إلى سائى ، فى هيئة  
سائى ؛ وهو يذبح نجى ، ويشد إلى بقى ، فكرهت  
انسياجه إلى معاجى ؛ فاستمذت باقه من شر كل مفاجى . تم

(١) ديوانه ٨٦ . لم قل ، من القيلة والفلوس : النافه القية . والجون : الأبيض أو الأسود ، من الأعداد . يرمج : يضرب الأرض برجله من عدة المرمج .



تَرْجَيْتُ أَنْ يَتَعَدَّى مَشْدًا ، أَوْ يَنْبَدَى مُرْشِدًا . فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ  
سَرَحَتِي ، وَكَادَ يُحِلُّ بِسَاحَتِي ، أَلْفَيْتُهُ شَيْخَنَا السَّرُوجِيَّ ، مُتَشِيحًا  
بِجَرَابِهِ ، وَمُضْطَمِّنًا أَهْبَةً تَجْوَابِهِ ، فَأَنْسَنِي إِذْ وَرَدَ ، وَأَنْسَانِي مَاشِرَدَ ،  
ثُمَّ اسْتَوْضَحْتُهُ مِنْ أَيْنَ أَتَاهُ ، وَكَيْفَ عَجَرُهُ وَبُجَرُهُ .

\*\*\*

أَسْتَكِنُ : أَسْتَرُ وَأَطْلُبُ كِنًا . الْوَقْدَةُ : شِدَّةُ الْحَرِّ . أَسْتَجِمُّ : أَسْتَرْجِحُ  
فَأَتَقَوَّى . أَدْفَنِي : أَمْرُضَنِي . الْغُفُوبُ : التَّعَبُ .

وذكر طول اليوم وأنشد عليه في الشرح: « ويوم كطل الرمح... » ، وذكر  
أنَّ اليوم القصير يوصف بإيهام القطاة ، ولم ينشده عليه شيئاً . وقال جرير :

ويوم كإيهام القطاة محببٍ إلى صباه غالبٍ لي باطله<sup>(١)</sup>  
رزقنا به الصيد الغزير فلم يكن كمن نبه محرومةً وحباؤه  
وذلك يوم خيرهم قبل شره تقيبوا فيه وأقصر عاذله

قال الأصمعي : قال لي خلف الأحمر : ويحه فما ينفعه حين يقول إلى الشر !  
قلت : فكيف يجب أن يقول ؟ قال : خيرهم دون شره ، قلت : والله لا أرويه  
بعدها إلا هكذا .

عُجِبْتُ : مَلْتُ . سَرَحَةٌ : شَجَرَةٌ . كَثِيفَةٌ : مَلْتَمَةُ الْأَغْصَانِ . وَرِيقَةٌ : كَثِيرَةٌ  
الْوَرَقِ . وَالْأَفْنَانُ : الْأَغْصَانُ ، أَوْ مَا تَفَرَّقَ مِنْهَا . وَمَا أَحْسَنَ مَا ظَنَّمُ فِي الْفَرَارِ  
مِنَ الْحَرِّ إِلَى الظِّلِّ الْمَنَازِي كَاتِبُ مَرْوَانَ صَاحِبُ مَيَا قَارِقِينَ حِينَ قَالَ :

وَقَفَانَا وَقَدَةَ الرِّمَضَاءِ رَوْضُ سَقَاهُ مُضَاعَفُ الظِّلِّ<sup>(٢)</sup> الْعَمِيمِ

(١) ديوانه : ٤٧٩ ، مع اختلاف في الرواية . (٢) فتح الطيب : ٤ : ٢٨٨ .

(٣) فتح الطيب : التنبؤ .

( ٢٠ ) شرح مقامات الحريري ج ٣

قصدا دَوَّحَهُ فَعْنَا عَلَيْنَا حُنُوءَ الْوَالِدَاتِ عَلَى الْفَطِيمِ  
يرامى الشمس أنى قابلتنا فيجبها ويأذن للنسيم

وهذا ما يتفق بالفرض ، وزاد فيه معنى بديما بقوله :

وَيْسَقِنَا عَلَى ظِلِّ زَلَالَا أَلَدَّ مِنَ الدَّامِ مَعَ الْكَرِيمِ<sup>(٢)</sup>  
يرُوع حِصَا حَالِيَةِ الْعَهَائِ فَتَلَسْ جَانِبَ الْعَقْدِ النِّظِيمِ

تأمل هذه الصفة تجدها غاية في بابها ، وتخيّل هذه الجارية كيف نظرت  
بياض الحصى في الماء ، فارتاعت وحسبت عقدها تنائر ، فالتصته بيدها .

وقال الهبسي فأحسن :

أَدْرِمَا فَتَقْدُ الْلُومَ إِحْدَى الْفَنَائِمِ وَلَا تَحْشُ إِثْمًا لَسْتَ فِيهَا بِأَمِّ<sup>(١)</sup>  
يَا عَيْشَ إِلَّا فِي اعْتِصَامٍ بِقَهْوَةٍ يَرْوَحُ الْفَقِيَّ مِنْهَا خَضِيبَ الْمَعَامِ  
وَلَا ظِلَّ إِلَّا ظِلَّ كَرَمٍ مَرْتَشٍ تَفْتِيكَ مِنْ قُطْرِيهِ وَرَقُ الْخَامِ  
سَمَا غُصُونٍ تَحْجِبُ الشَّمْسَ أَنْ تَرَى عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا مِثْلَ نَثْرِ الدَّرَاهِمِ

وقال ابن بُبَالٍ في مَتَزَرٍ بِشْرِيشِ بَسَى أَجَانَةَ :

أَيَا هَذَا إِجَانَةَ كَيْفَمَا اغْتَدَتْ زَمَانَ رِيْعٍ أَوْ زَمَانَ عَصِيرِ<sup>(٣)</sup>  
مَذَابٍ مَادَ كَاللَّجَيْنِ عَلَى حَصَى كَلَدَتْ بِلَا ثَقَبٍ أَغْرَ ثَبِيرِ  
وَرَمَلٍ إِذَا مَا اجْتَلَى بِالْمَاءِ عِطْفُهُ غَنِينًا بِهِ عَنْ عُنْبَرٍ وَدَرُورِ  
وَتَيْنٍ كَمَا قَامَتْ عَلَى حَلَمَاتِهَا نَهْوْدُ عَذَارَى الزَّيْجِ فَوْقَ صُدُورِ  
كَانَ الْقَبَابُ الْخَزْ فِيهَا عَرَائِصُ عَلَى سُرُرٍ مَفْرُوشَةٍ بِحَرِيرِ  
وَلَهُ أَيْضًا عَنَّا اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ :

كَانَ جَبَّ الْقَوْمِ فِي رَوْتَقِ الضَّحَى وَقَدْ حَلَّتْهُ رَاحَةُ الْوَرَاكَةِ

نهود عذارى زُحرت عن مقرها قامت على الأطراف والحلمات  
 قوله : استروح نفسى ، أى استشفيت الريح فتنفست فيه من التعب ، أى  
 ما سكنت عني أنفاس التعب ، واستروحت الشيء ، وجدت ربحه . سائح : عابر  
 يسبح في الأرض ، أى يمشى في جهاتها ، ويقال للكدى : سائح ، لأنه يسبح في  
 طلب الكدية . ينتجع نعمتى ، أى يقصد قصدى في طلب الراحة . والاتجاع :  
 طلب الرعى . يشتد : يجرى . بُقمتى : موضى . انمياجه : انعطافه . معاجى :  
 مكان الذى عجت إليه . معاجى : آت على غفلة . بقصدى : يتمرض . منشدا :  
 دالاً على الشيء . تقول : نشدت الضالة : طلبتها ، وأنشدتها : دلت عليها طالبها .  
 مرشدا : هادياً للطريق . ساحتى : موضى الذى أنا فيه . ألتيته : وجدته . متشاحاً  
 يجراه ، أى جل جراه موضع الوشاح . أهبة تجواه ، أى عدة جواله . ورد :  
 وصل . ما شرد : ما فر ، ببنى الضالة . استوضحته : سألته أن يوضح لى أمره .

• • •

فأنشد بديها ، ولم يقل إيهيا :

قُلْ لِمَسْتَظْلَعٍ دَخِيلَةَ أَمْرِى لَكَ حِنْدِي كَرَامَةٌ وَهَزَاةُ

أنا ما بين جوبٍ أرضٍ فأرضٍ

وَسُرِّى فِي مَفَازٍ فَمَفَازَةٌ

زَادِي الصَّيْدُ وَالطَّيْبَةُ تَحْلِي وَجَهَايَ الْجَرَابُ وَالشَّكَارَةُ

فَإِذَا مَا هَبَطْتُ مَصْرًا فَبَيْتِي غُرْفَةُ الْخَانِ وَالْتِدِيمُ جُرْازَةٌ

لَيْسَ لِي مَا أَسَاءُ إِنْ فَاتَ أَوْ أَحْزَ

نُ إِنْ حَاوَلَ الزَّمَانُ مَهْتَازَةً

غير أئى أيتُ خُلُوا مِن الهمِّ      وَنَفْسِي عَنِ الْأَسَى مُنْحَازَةً  
أَرَقْدُ اللَّيْلَ مَلءَ جَفْنِي وَقَلْبِي      بَارِدٌ مِنْ حَرَارَةِ وَحْزَانَةٍ  
لَا أَبَالِي مِنْ أَى كَأْسٍ تَقَوَّسَتْ وَلَا مَا حَلَاوَةٌ مِنْ مَرَاةٍ  
لَا وَلَا أُسْتَجِيزُ أَنْ أُجْعَلَ الذِّلَّةُ      مَجَازًا إِلَى تَسَنَّى إِجَازَةٍ  
وَإِذَا مَطْلَبٌ كَسَا حُلَّةَ الْعَا      رَفِيعًا لِمَنْ يَرُومُ نَجَازَةٍ  
وَمَتَى اهْتَزَّ لِلدَّيَامَةِ نِكْسُ      عَافٍ طَبْعِي طِبَاعُهُ وَاهْتَزَّ أَرَةً  
فَالنَّايَا      وَلَا الدَّيَايَا      وَخَيْرُ  
مِنْ رُكُوبِ الْخَنَاءِ رُكُوبُ الْجَنَازَةِ

• • •

بديها : مرئجلا من غير فكرة . المستطلع ، الذى يجب أن يطالع على الأمر  
دخيلة أمرى : باطنه . عزازة : عزة ورفعة . جوب : قطع . سرى : مشى الليل .  
مفازة ، قال الأصمى : هى للهلكة سميت بذلك تفاؤلا لسالكيها بالفوز ، كما  
سُمي اللدنيغ سليما تفاؤلا بالسلامة ، قال ابن الأعرابي : هى مأخوذة من فوز الرجل ،  
إذا هلك ، والعرب تسمى النمل مطية مجازاً حيث يستعان بها على قطع المفازة .  
وأنشد أبو عليّ الفارسي رحمه الله :

رَوَّاحُنَا سِتٌّ وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ      نَجْتَبِهِنَ الْمَاءَ فِي كُلِّ مَشْرَبٍ<sup>(١)</sup>  
وقال أبو نواس :

إِلَيْكَ أبا العباسِ يَا خَيْرَ مَنْ مَشَى      عَلَيْهَا امْتَطَيْتُنَا الْخَضِرَى لِلْسَّيَا<sup>(٢)</sup>  
فَلَا نَعْرِفُ حِينَنَا إِلَى طَلَا      وَلَمْ تَذَرِ مَاقِرِعَ الْقَتِينِ وَلَا إِلَهِنَا<sup>(٣)</sup>

(١) شرح المكي ١ : ٣٠٣ من غير نسبة . وفيه : « من غير منهل » .  
(٢) ديوانه ٧٦ ، شرح المكي ١ : ٣٠١ . (٣) الهنا : الطران .

وأخذه أبو الطيب قال :

لا نأقّي قبيل الرديف ولا بالسوط يوم الرّهان أجهدّها<sup>(١)</sup>  
شراكها كورما ومشفركها زمامها والشسوع مقودها  
أشدّ عصف الرياح يسبقه تحيّي من خطوها تأيّدّها  
وكان السروجي أكثر عدّة من أبي الشمق<sup>(٢)</sup> في قوله :

كلّما كنتُ في جوع قالوا قربوا للرّحيل قربتُ نلّي<sup>(٣)</sup>  
أترى أنق من الدهر يوماً لي فيه مطية غير رجلي  
حيثما كنتُ لا أخلف رَحلاً مَنْ رآني قد رآني ورحلي

ومن أبيات الماعاني في نمل :

وسوداء للناسب يتعلّميها أخو الحاجات ليس له تكبير  
فيحملها وتعمله وفيها منافع حيث يتندر السّفير  
على أن السّفار ينال منها فيرقعها إذا جدّ السير

السفير : ورق الشجر ، والمِنْفَرَة للكفة . والجهاز : ما يحتاج إليه السافر من العدة . والمكآزة : العسا . مصرا : بلدا . اخلان : الفندق . والتديم : الصاحب على الشراب ، وجُرّازة ، قيل : إنه خلع مشهور عندهم ، وهذا لا يبعد . وأخبرني الأستاذ أبو ذر وغيره أنها القراطيس الصغار ، يكتب للناس فيها صفة حاله فيستجديهم بها ، فيريد أن نديعه إذا دخل بلدة قطع من قرطاس يمزجها ورقة كبيرة ، يكتب فيها بما يجلب بما يؤكل ويشرب ، والجُرّازة : ما يسقط من الشيء تجزئه ، كالقصاصة ما يسقط مما يقص ، والنّحاتة والقَلّامة وغير ذلك ، فلما كانت القطعة الصغيرة تسقط من الورقة سمّوها جُرّازة ، ثم اشتهر عندهم ما صخر

(٢) اسم مروان بن محمد .

(١) ديوانه ١ : ٣٠٩

(٣) كتاب شعراء ماسيون ٣٠ ، والقند ٣ : ٤٤ / ٤ : ٢٠٥ .

من القراطيس بهذا الاسم . قال الفنجدية : جزازة ، أى قطعة كاغد عليها شيء مكتوب ، والجزازة : ما يقطع من الشيء . قال : وأشد بعضهم :

وَقَالُوا كَيْفَ حَالُكَ قُلْتُ حَالِي تُقْضَى حَاجَتِي وَقَوْتُ حَاجِي  
نَدَيْمِي مَرَّتِي وَسَمِيدُ أُنْسِي دَفَاتِيرِي وَمَعشُوقِي سَرَاجِي

أسماء : أصاب فيه بسوء ، وأحزن عليه . حاول : طلب . ابتزازة : تجريده وإزالته . خلو : فارغ البال الأسى : الحزن . منعازة : متنعية ومنعزلة ومنقبضة . وانعاز : انزل . ملء جنى : أى أرقد هيناً لقلة همى ، تمتلئ عيني بالنوم ، وهو من قول المتنبي :

• أَنَامَ مِلءَ جُفُونِي عَنْ سُورِدِهَا <sup>(١)</sup> •

والجزازة فى القلب : تأثير الهم كأنه يجر فيه ، أى يقطع . وقال الشاعر :  
إذا كان أولاد الرجال حرازةً فَأَنْتَ الحلالُ الحلو والبارد العذب  
والجزازة هنا : الولد السوء ، ولا شيء أنكى للقلب من همه ، والجزازة أيضاً الحقد والفيط ، وفى قلبى منه حرازة ، أى حرقه وحزن . تفوت ، أى شربت فواقها ، وهو أخذه ما فيها شيئاً فشيئاً ، وما بين عبّة وعبّة فواق ؛ وأصله ما بين حلبة من الصرع وحلبة . مزااة : بين الحموضة والحلاوة . مجازاً : طريقاً يجاز عليه . تسى : تيسر . إجازة : عطية وصلة . يروم : يطلب . نجازة : قضاءه وتماه ، ولبعضهم فى هذا المص :  
أشدُّ من عَيْلَةٍ وَجُوعٍ لِمُغْضَاهِ حَرِّ عَلَى الخمُوعِ  
ذَقَعَ مِنَ الدَّمْرِ قَوْتَ يَوْمٍ وَأَنْتَ بِالْمَزَلِ الرَّفْعِ  
وَلَا تَرُدُّ ثَرَوَةً بِمَالٍ يُنَالُ بِالْقُلِّ والخُشُوعِ

(١) ديوانه ٣ : ٣٦٧ ، وبيته .

• وَيَسْهَرُ الْقَوْمُ جَرَّاهَا وَيَخْصِمُ •

وارْتَحِلْ إِذَا أُجْدِبْتَ بِلَادَ      مِنْهَا إِلَى الْخِضْبِ وَالرِّيعِ  
الدَّاءَةُ : الفحل القبيح . نِكْسٌ : دَفْءٌ . عَافٌ : كَرِهَ . اهْتَزَّاهُ : طَرَبَهُ وَخَفَقَهُ .  
وَلِبَعْضِهِمْ فِي هَذَا اللَّغَى :

وَيَحْتَبِ الْغَيْبُ وَرُودَ مَا      إِذَا كَانَ الْكَلَابُ يَلْفَنَ فِيهِ  
كَأَنَّ سَقَطَ الذَّبَابِ عَلَى طَعَامٍ      فَتَرَكَهُ وَتَشَكَّى تَشْتَبَاهُ

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمَصْرِيُّ يَخَاطِبُ الْمُتَمَدِّدَ وَقَدْ فَرَّ مِنْهُ :

رَحَلْتُ وَفِي الْقَلْبِ بَجَرُ الْفَضَى      وَهَجَرِي لَكُمْ دُونَ شَكِّ صَوَابُ  
كَأَنَّ تَهَجُّرَ النَّفْسِ حُرَّ الطَّعَامِ      إِذَا مَا تَسَاقَطَ فِيهِ الذَّبَابُ

النَّيَا لَا الدَّنَايَا ، أَيْ لِتَيَانِ النِّيَّةِ وَلَا فِعْلِ الدَّنِيَّةِ ، قَالَ أَوْسُ بْنُ حَارِثَةَ :  
مَلَكَ النِّيَّةُ وَلَا الدَّنِيَّةُ ، فِي وَصِيَّةِ طُوبَى ، وَالنِّيَّةُ مَعْنَاهَا الْمَقْدُورَةُ الْمَحْكُومُ بِهَا ،  
وَهِيَ مَفْعُولَةٌ مِنَ الْمُنَى وَهُوَ الْمُتَقَدَّرُ وَالْقَدَرُ ، يُقَالُ : مَنَّكَ اللَّهُ بِمَا يَسْرُكَ ، وَأَصْلُهَا  
مَنْوُوءَةٌ فَصُرِفَتْ مَفْعُولَةً فَمِئَلَةٌ ، كَطَبُوعٍ وَطَبِيخٍ ، وَأَدْعَمْتُ الْيَاءَ فِي الْيَاءِ . الْخُفَا :  
الْفَسَادُ . الْجَنَازَةُ : النَّمَشُ .

\* \* \*

ثُمَّ رَفَعَ إِلَى طَرَفِهِ ، وَقَالَ : لِأَمْرِ مَا جَدَعَ قَصِيرَ أَفْقِهِ ، فَأَخْبَرْتُهُ  
خَبَرَ نَاقَتِي السَّارِحَةِ ، وَمَا عَانَيْتُهُ فِي يَوْمِي وَالْبَارِحَةِ ، فَقَالَ : دَعِ  
الْإِلْتِفَاتَ ، إِلَى مَا فُتِ ، وَالطَّمَّاحَ إِلَى مَا طَلَّحَ ، وَلَا تَأْسَ عَلَى مَا ذَهَبَ ،  
وَلَوْ أَنَّهُ وَاذِمٌّ ذَهَبَ ، وَلَا تَسْتَمِلْ مِنْ مَالٍ عَنْ رِيحِكَ ،  
وَأَضْرَمْ نَارَ تَبَارِيحِكَ ، وَلَوْ كَانَ ابْنُ بُوحِكَ ، أَوْ شَقِيقَ رُوحِكَ ،  
ثُمَّ قَالَ : هَلْ لَكَ فِي أَنْ تَقِيلَ ، وَتَتَحَايَى الْقَالَ وَالْقِيلَ ؟ فَإِنَّ

الْأَبْدَانُ أَنْضَاءُ تَمَب ، وَالْهَاجِرَةُ ذَاتُ لَهَبٍ ، وَلَنْ يَصْغُلَ الْخَاطِرُ ،  
وَيَنْشَطُ الْفَأْر ، كَمَا تَلَّةُ الْهَوَاجِر ، وَخُصُوصًا فِي شَهْرِي نَاجِر ، فَقُلْتُ :  
ذَلِكَ إِلَيْكَ ، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ، فَاقْتَرَشَ التُّرْبَ وَاضْطَجَعَ ،  
وَأُظْهِرَ أَنْ قَدْ هَجَعَ ، وَارْتَفَعَتْ عَلَى أَنْ أُحْرُسَ ، وَلَا أَنْعَسَ ، فَأَخَذَتْنِي  
السُّنَّةُ ؛ إِذْ زُمْتُ الْأَلْسِنَةُ ، فَلَمْ أَفِئْ إِلَّا وَاللَّيْلُ قَدْ تَوَلَّجَ ، وَالصُّبْحُ قَدْ  
تَبَلَّجَ ، وَلَا السَّرُوجِيُّ وَلَا الْمُسْرِجُ .



قوله : «لَأُمِرَ مَا جَدَعَ قَصِيرُ أَشْهُ» أى ماجدع قصير أشبه إلا المعنى ، وكذلك  
أنت ما خرجت في هذا الوقت لشدة حره إلى هذه القفار الخوفة إلا المعنى ، فأخبرتني  
به ، فلذلك قال : «فأخبرتني خبر ناقتي» ، وأيضاً فإن أول الكلام يدل عليه ، لأنه  
قال : فاستوضحته من أين أثره ، فأخبره السروجي في الشعر بقصته ، فلما أكلها  
سأل ابن همام عن قصته ، فأخبره بالناقة الضائعة . والسارحة : التي سرحت ، أى  
مشت حيث شاءت . عابته : شاهده ورأته . الالتفات : النظر إلى جهة .  
والطلاح : ارتفاع العين بالنظر وطلاح : ذهب وتلف . لا تأس : لا تعزن .  
ولا تستمل : تستدع حبه وأن يعيل إليك بوده . مال : انصرف . عن ريعك :  
عن طريقك وهواك . أضرمت : أوقدت . تباريعك : أحزانك . ثقيل : تنام في  
الفا . تصاعى : تتباعد عنها . أنضاء : جمع نضو وهو المهبول ، أى قد أهزل  
الذهب أبداننا . الهاجرة : الناقة تُمَيَّت هاجرة لأنها تهجر البرد ، أو لأنها  
أكثر حرماً من سائر النهار ، يقال : فلان أهجر من فلان ، إذا كان أضخم منه .  
لهب : نار .

وشهرى ناجر : يونيو ويولييه ، وهما أشد الحر . قال الأزهرى : هما حزيران



وتموز ، الثجران : المطشان . ابن سيده : ظن قوم أنهم آخزيان وتموز ، وهذا غلط ، وإنما هما وقت طلوع نجمين من نجوم القيظ .

الليث : كل شهر في صميم الحر فاسمه ناجر ، لأن الإبل تنجر فيه ، أي تشتد عطشاً حتى تيس جلودها ، فلا تكاد تروى من الماء .

جمع : رقد . وارتقت : توكأت على مرفقي . السنة : النوم القليل .  
رُمت : ربطت ومنمت . فأولج : دخل . تبليج : أضاء وظهر . المسرج : الفرس عليه سرجه .

\* \* \*

فبتَ بَلِيلَةَ نَابِئَةٍ ، وأحزافٍ يَعْقُوبِيَّةٍ ، أساورُ الوجوم ،  
وأساهيرُ النجوم ، أفكرُ نَارَةٍ في رُجُلَتِي ، وأخرى في رَجْعَتِي ،  
إلى أنْ وَضَحَ لِي عِنْدَ اقْتِرَارِ ثَمَرِ الضَّوءِ في وَجْهِ الجَوِّ ، رَاكِبٌ  
يُخِذُ في الدَّوِّ ، فألمتُ إِلَيْهِ بِشَوْبِي ، وَرَجَوْتُ أَنْ يُعْرِجَ إلى صَوْبِي ،  
فَلَمْ يَنْعَبْ يَالْمَاعِي ، ولا أَوَى لِإِلْيَاسِي ، بَلْ سَارَ على هَيْئَتِهِ ، وَأَصْبَانِي  
بِسَهْمِ إِهَاتِهِ ، فأوفضتُ إِلَيْهِ لِاسْتَرْدِفِهِ ، وَأُخْتِيلَ تَنْظَرُهُ . فلما  
أَدْرَكْتُهُ بَدَأَ الْإِنِّ ، وأجلتُ فيه مَسْرَحَ الْمَنِّ ، وَجَدْتُ نَاقَتِي  
مُطِيئَةً ، وضالَّتِي لُقِطَةً ، فَمَا كَذَبْتُ أَنْ أَدْرِيتُهُ عَنْ سَنَامِيَا ،  
وَجَاذَبْتُهُ طَرَفَ زَمَامِيَا ، وقلتُ له : أنا صَاحِبُهَا وَمُضِلُّهَا ، وَلِي  
رَسْلُهَا وَنَسْلُهَا ، فلا تَكُنْ كَأَشْعَبَ ، فُتُتِبَ وَتَتَّبَ .

\* \* \*

أساور : أوائب . الوجوم : السكوت على غيظ ، والمعنى : أن الفيلظ إذا اشتد عليه عالج كظمه ودفعه عن نفسه ، فكأنه يوائبه . أساهر : أسامر ، والسهر امتناع النوم . الرثجة ، بضم الراء : القُدرة على المشي ، ورجل رجل رجلاً ورجلة ، إذا مشى في السفوحه بلا دابة . وضع : تبين . افتتار : انكشاف ، واقتَر : كشف أسنانه عند الضحك . يخذ : يسرع . الدو : الصحراء ، والراكب : من يركب البعير . والجو : نواحي السماء . يبرج إلى صوبى : يميل إلى جهة وقصدى . ييبأ : يبال . الماعى : إشارتى ، وهو مصدر أملت إليك ، أى أشرت إليك ، فإذا بدعك الرجل فلم يسمع صوتك جردت ثوبك وأشرت إليه ، والإشارة بالثوب هى الإلصاع . أوى : أشفق . التياحى : تعرقى وتوجى . هينته : سكينته . أصمانى : أصاب مقتل . إهاتته : احتقاره . أوفضت : أسرعت . استردفه : أطلب إليه أن يردفنى . تنظره : تكبره ، والنظر بف : السيد العظيم . الأبن : الفتور . أجلت : صرفت . مسرح : موضع تسرحها وجو لانها بالنظر . واللقطة : ما يجده الإنسان قد سقط لغيره ، فيأخذه ويلتقطه . أذريته : رميت به عنها . مضلها ، أى الذى ضلّ له . رسلها : لبثها .

### [ ذكر أشعب وبعض نوادره ]

أشعب : الطماع ، رجل مدنى صاحب نوادر وملازم وله صنعة فى الفناء ، وكان أبخل الناس وأكثرهم طمعاً . ويقال فى المثل . أطمع من أشعب ، ولهذا قال الحريرى : فلا تلك كأشعب ، أى لا تطمع فى أخذ الناقة فككون مثله فى طعمه فى مال غيره . فتمت من تعلقت له بشىء ، وتعجب ، أنت معه فى المعاصرة . ومن حكايات أشعب : قال سالم بن عبد الله بن عمر لأشعب : ما بلغ من طمعك ؟ قال : لم أنظر إلى اثنين يقساران فى جنازة إلا قدرت أن الميت أو مو لى بشىء .

وقال له ابن أبي الزناد : ما بلغ من طعمك ؟ قال : ما زفّت بالمدينة امرأة ،  
إلا كنست يتي رجاء أن يُنلّط بها إلى .

وكانت عائشة بنت عثمان كفلته مع ابن أبي الزناد ، قال أشعب :  
تربيت معه في مكان واحد ، وكنت أسفل ويلو حتى بلغنا ما تروّون .

وقيل لمائسة : هل آتست من أشعب رشداً ؟ قالت : أسلته منذ سنة  
في البر ، فسألته بالأمس : أين بلغت في الصناعة ؟ قال : يا أمّه ، قد تعلمت نصف  
المعلم وبقى نصفه ، تعلمت النّشر في سنة ، وبقى على تعلّم الطّي .

وسمّته اليوم يخاطب رجلاً وقد ساومه قوس بندق ، قال : بدینار ، قال  
أشعب : والله لو كنت إذا رميت عليها طائراً وقع في حجرى مشوباً مع  
رغيفين ، ما اشتريتها بدینار ، فأى رشديؤنس منه !

ونظر إلى رجل يعمل طبقاً ، قال له : أسألك بالله إلّا ما زدت في سمّته  
طوقاً أو طوقيف ، قال له الرجل : ما معنى ذلك ؟ قال : لعله أن يهدى إلى  
يوماً فيه شيء .

وقيل له : أرايت أطمع منك ؟ قال : نعم ، خرجت إلى الشام مع رفيق  
لى ، فلاحينا عند دير فيه راهب ، فقلت له : الكاذب منّا ، أيرُ الراهب في  
استه ، فنزل الراهب من صومته وقد أنمط ، قال : أيبكا الكاذب ؟ ثم قال :  
دعوا هذا ، امرأتى أطمع منى ومن الراهب ، فليل له : وكيف ذلك ؟ قال :  
إنها قالت : ما يخطر على قلبك شيء يكون بين الشك واليقين إلّا وأنا أتيقنه ،  
ودعوا هذا ، شاتى أطمع منى ومنها ، قيل : وكيف ؟ قال : صعدت على سطح ،  
فنظرت إلى قوس قزح فظننته جبل قنّ ، فأهوت إليه فستطت فاندقت  
عنقها .

وقيل له : هل رأيت أطعم منك ؟ قال : كلبة آكل فلان ، رأيت رجلاً يعض علكاً فبته فرسخين ، تظن أنه يأكل شيئاً .

وقيل له : ما بلغ من طعمك ؟ قال : أضجرتى الصبيان يوماً ، فأردت أن أشغلهم عني ، فقلت لهم : إن بموضع كذا عرساً ، فامضوا نحوه . فلما ذهبوا ظننت أن تمّ عرساً ، فبعتهم .

وقال ابن شرف :

وما بلوغ الأمانى فى مواعدها      إلا كأشعب يرجو وعد عرقوب<sup>(١)</sup>  
وقد تخالف مكتوب القضاء به      فكيف لى بقضاء غير مكتوب .

وقال ابن حجاج :

فديتُ من نفسى من كلِّ ما      لقيته والحق لا يفضُّبُ  
قلت : يا عرقوب أطمعنى      فقال : لمْ تفك يا أشعبُ

\* \* \*

فأخذَ يَلْدَعُ وَيَصِي ، وَيَتَقَحُّ وَلَا يَسْتَعِي ، وينا هو يزو  
وبلين ، وَيَسْتَأْسِدُ وَيَسْتَكِين ؛ إذ غشنا أبو زيد لابساً جلده  
النير ، وهاجماً هجوم السيل المهر ، فضفتُ والله أن يكون  
يَوْمُهُ كأمسه ، وبذره مثل شمسه ، فألحقَ بالقارظين ، وأصيرَ خيراً  
بعدَ عَيْن . فلمْ أَرِ إِلَّا أنْ أذكرَ تَه العبود المنسيّة ، والقطعة الإمسيّة ،

وَنَاشَدْتُهُ اللَّهَ : أَوْاقِي لِلتَّلَافِي ، أَمْ لِمَا فِيهِ إِتْلَافِي ؟ فَقَالَ مَاذَا اللَّهُ أَنْ  
أُجْهِزَ عَلَى مَكْلُومِي ، أَوْ أَصِلَ حُرُورِي بِسَمَوِي ؛ بَلْ وَافَيْتُكَ  
لَأُخْبِرَكَ كُنْهَ حَالِكَ ، وَأَكُونُ يَمِينًا لِمَمَالِكَ . فَسَكَنَ عِنْدَ ذَلِكَ  
جَاشِي ، وَانْجَابَ اسْتِيحَاشِي ، وَأَظْلَمَتْهُ طِلْعَ اللَّقْحَةِ ، وَتَبَرَّقَعَ صَاحِبِي  
بِالْقِيَعَةِ .



قوله : يَتَقَرَّح ، أى يبدى الوقاحة : ينزو : يقفز . يستأسد : يتشبّه بالأسد  
فيقتوى . يستكين : يذلّ ، يريد أنه كان مرة يقتوى ومرة يذلّ . غشيننا :  
جاءنا فجأة . لابساً جلد النمر ، أى وقصاً شجاعاً . هاجما : آتياً على غفلة . للنهر :  
الكثير الانصباب ، وتقدّم أثر خبر بعد عين ، الإمسية : للنسوبة إلى أمس .  
- الفنجديهي : رأيت بخط الحريري النسبة إلى أمس إمسي ، وهو من شاذ -  
النسب - ناشدته : حلّفته . أَوْاقِي : أجاه وأوقى . التلافى : التدارك قبل فوته . معاذ الله ،  
أى أستجير بالله عما ذكرت . أجهز : أتم عليه . مكلومى : مجروحى ، وفى  
أخبار على رضى الله عنه أنه ما أجهز على مكلوم قط . أخبر : أعلم . كنه :  
حقيقة . جاشى : نفسى ، قاله ابن سيده : وقيل : الجأش القلب ، وقيل : رباطته  
وشدته عند الشيء يسمعه ، ما يدري ما هو . وقيل : جاشى : رَوْع قلبى  
واضطرابه عند الفزع . واستوحش من الشيء : لم يأنس به . انجباب : انشمع  
وزال . أظلمته طلعها ، أخبرته سرها وعلوت طلع الأكمة ، أى مكانا يطلع  
منه على ما حولها ويُسرف عليه واللقحة : صلابة الوجه ، كأنه جل منها برقما  
على وجهه .



فَنظَرَ إِلَيْهِ نَظْرَ لَيْثِ الْمَرْئِيسَةِ ، إِلَى الْفَرِيسَةِ . ثُمَّ أَشْرَعَ قَبْلَهُ الرَّمَحَ ،  
وَأَقْسَمَ لَهُ بَعْنُ أَنْارِ الصَّبِيحِ ، لَنْ لَمْ يَنْجُ مِنْجَى الذَّبَابِ ، وَيَرْضَ مِنْ  
الْقَنِينَةِ بِالْإِيَابِ ، لِيُورِدَنَّ سِنَانَهُ وَرِيدَهُ ، وَلِيَفْجَعَنَّ بِهِ وَلِيدَهُ وَوَدِيدَهُ .  
فَنَبَذَ زِمَامَ النَّاقَةِ وَحَاصَ ، وَأَقْلَتَ وَلَهُ حُصَااصَ ، فَقَالَ لِي أَبُو زَيْدٍ :  
تَسْلَمُنَا وَنَسْتَمَا ، فَإِنَّمَا إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ ، وَوَيْلُ أَهْوَنَ مِنْ وَيْلَيْنِ .  
قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَامٍ : فَحِرْتُ بَيْنَ لَوْمِ أَبِي زَيْدٍ وَشُكْرِهِ ، وَزَنَةِ  
نَفْعِهِ بِضَرِّهِ . فَكَأَنَّهُ نُوجَى بَذَاتِ صَدْرِي ، أَوْ تَكْهَنَ مَا خَامَرَ  
سَرِّي . فَقَابَلَنِي بِوَجْهِ طَلِيقٍ ، وَأَنْشَدَ بِلِسَانٍ ذَلِيقٍ :

يَا أَخِي الْحَامِلَ ضَيْبِي      دُونَ إِخْوَانِي وَقَوْمِي  
إِنْ يَكُنْ سَامِكُ أَمْسِي      فَلَقَدْ سَرَّكَ يَوْمِي  
فَاغْتَفِرْ ذَاكَ لِهَذَا      وَأَطْرَحْ شُكْرِي وَلَوْ مِي

ثُمَّ قَالَ : أَنَا تَنَقُّ ؛ وَأَنْتَ مَتَّقُ ، فَكَيْفَ تَتَّقُ ! وَوَلَّى يَضْرِي  
أَدِيمَ الْأَرْضِ ، وَيَرْكُضُ طَرْفَهُ أَيْمًا رَكُضَ ، فَمَا عَدَدْتُ أَنْ أَتَعَدَّتْ  
مَطِيَّتِي ، وَعُدْتُ لَطِيَّتِي ، حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى حِلَّتِي ، بَعْدَ اللَّتَايَا وَآلَتِي .

. . .

الْمَرْئِيسَةُ : مَأْوَى الْأَسَدِ . وَالْفَرِيسَةُ : الصَّيْدُ يَفْقَرُهُ ، أَيْ يَكْثُرُ عَنَقُهُ ،  
وَهِيَ أَكَلَةُ الْأَسَدِ . أَشْرَعَ : صَوَّبَ . أَنْارَ : نَوَّرَ . يَنْجُ مِنْجَى : يَخْلُصُ مَخْلُصَ ،  
وَشَبَّهَ خُطُوعَهُ بَخُطُوعِ الذَّبَابِ ، لِأَنَّهُ يَقَعُ عَلَى الْجَسَدِ أَوْ الطَّعَامِ فَيَقْذَرُ الْإِنْسَانَ

بمقره فيشرده ، وهو واجد عليه ، فينجو الذباب ، سالما بعد أذاته .

[ عما قيل من الشر في الذباب والبعوض ]

وأخذه من قول إبراهيم بن العباس الصولي لحمد بن الزيات :  
 كن كيف شئت وقُلْ ما تشاء وأبرق يميناً وأرعِدْ شملاً<sup>(١)</sup>  
 نجابك قومك منجى الذباب حتمه مفاذيره أن يتألا  
 وأخذه إبراهيم من قول الآخر :

أسمعى عبدُ بنى مسمعُ فصلتُ عنه النفسَ والمرضا<sup>(٢)</sup>  
 ولم أجبه لاحتماري له ومن يعض الكلب إن عضا !

ومن قول الآخر :

قوم إذا ما جنى بجانهم أم نوا للؤم أحدا بهم أن يُقتلوا قودا  
 وهو كثير ، وإنما اخترع إبراهيم لفظ الذباب .  
 وعرض - أى بعض الأدياء - على صاحب له بمحضر جماعة شعرا ، فجعل  
 يمرض عن محاسن الشعر ويتبع مواضع النقد حسدا ، فقال له صاحب الشعر :  
 أراك كالذباب تعرض عن اللواضع السلية ، وتلتج قروح الجسد .  
 وقال ابن الرومي :

تأمل العيب عيبُ ما بالقى قلت ريبُ  
 والشعر كالشعر فيه مع الشيبة شيبُ

(١) ديوانه ١٦٢ .

(٢) لنباه الرواة ١ : ١٤٠ وفيه : « شاعى » .

فليصنع الناس عنه فطمعهم فيه عيبُ

ومتكنيات الذباب لابن آدم كثيرة ، منها نزوله على الوجه عند النوم ،  
فيلقى منه بلاء ، أو في الصلاة فيصير أضرّ من إبليس للشاغل ، وأما إذا تساقط  
في الطعام فتغنيصه وتغيره للطباع أضرار لا تخفى ، وقد قدّمت آنفاً في ذلك من  
الشعر شيئاً ، ولذلك تضرب به العرب المثل فتقول : أجرأ من ذباب ، لأنه ينزل  
على الأسد والأمير .

ونذكر هنا ما هو أشدّ أذابة منه وهو البموض ، ولولا أنّ أيامه قلائل  
لأخلى البلاد ، قال ابن رشيق يتشكّاه :

يارب لا أقوى على دفع الأذى      وبك استعنت على الضعيف الموزي<sup>(١)</sup>  
سألى بهتت إلى ألف بموضة      وبهتت واحدة إلى نمرودا

وقال ابن شرف :

لك منزل كلت بشارته لنا      للهو لكن تحت ذاك حديث<sup>(٢)</sup>  
غنى الذباب وظلّ يزمر حوله      فيه البموض ويرقص البرغوث

وقال آخر :

ليل البراغيث والبموض      ليل طویل بلا غموض  
فذاك ينزو بنيرقصي      وذا يُنقى بلا عروض

وقوله : ويرضى من الغنيمة بالإياب ، منقول من قول امرئ القيس ، وقد

(١) قوله في التثنية ٣٠

(٢) قوله في التثنية ٩٤ . وينسبان لابن رشيق أيضاً .



طَوَّفَ...<sup>(١)</sup> أَلَيْتَ . وهو مشهور . يوردن : يُدْخِلُنَّ . وریده : صنعة عتقه ،  
والوريدان : العرقان يمرى فيها النَّفْسُ ، وهما في مقدم المنق ، وفتحة للصيغة  
نجماً : أوجته فهو فجيع ومنجوع ، وموت قاجع ، والتجبية : الرزية للوجعة .  
يفجعن : يحزنن . وليده : ابنه . وديده : صاحبه . نبذ : رمى . حاص  
مال إلى الحرب ، ويقال : حاص يحصيص حيصاً ، إذا عدل ، ومنه ﴿ مَا لَهُمْ مِنْ  
حَيْصٍ ﴾<sup>(٢)</sup> ، أى من ملجأ ومعيد . تسلمها : خذها . تستنمها : اركب سنامها .  
إحدى الحسينين ، أى للمرتين ، ولو رجع له الفرس لكتلاته ، فالتاقة لإحداها .  
بذات صدرى : علم بحاجة نفسى وبحقيقة ما أضمرته فى صدرى . تكهن : علم .  
خامر : خالط . طليق : مستبشر . ذليق : حديد . ضيى : ذلّى وضرى :  
سأهك : أحرزك . اطرح : أترك ، وقد أعاد هذا فى السابعة والثلاثين قال :  
وهبها لا خطأ ولا إصابة .

وسأل الحطيفة عتبية النّحاس السجلى فردّه ، قال له قومه : عرضتنا ونفسك  
للشر ، هذا الحطيفة ، وهو هاجبنا أخبث هجاء ، قال : ردّوه ، فردّوه ، قال :  
كعقتنا نفسك ولك عندنا ما يسرك ، ثم قال له : مَنْ أشر الناس ؟ قال : الذى  
يقول :

وَمَنْ يَجْعَلِ لِلْعُرُوفِ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ  
يَفْسِرُهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّمَّ يَشْتَمُ<sup>(٣)</sup>

قال له : وهذه من مقدمات أفاعيك . ثم قال لو كيّله : اذهب به إلى السوق  
فابتع له كلّ ما أحبّ ، فرض عليه انظر ورقيق الثياب ، فرض هو إلى

(١) وهو لى ديوانه ٩٩ ، وأليت بتمامه :

وَقَدْ طَوَّفْتُ بِالْأَمَاقِ حَتَّى وَضِيتُ مِنَ النَّتِيبَةِ بِالْإِيلِبِ

(٢) سورة إبراهيم ٢١ .

(٣) ديوانه ٣٠ .

(٢١ - شرح علامات المروى ج ٢)

الأكسية الفلاط فاشتري له ما أراد ، فرجع إلى عتبية ، قال له اسمع :

سُئِلْتُ لَمْ يَخْلُ ولم تُعْطِ طَائِلًا فسيان لاذِمٌ عليك ولا تَعْبُدْ

وأنت امرؤ لا الجود منه سَجِيَّة

فَتُعْطِي وقد يُمْدِي على النَّاتِلِ الْوُجْدُ<sup>(١)</sup>

وامتدح أبو تمام إبراهيم بن المهدي ، فوجده عليلاً ، قبل منه المدحة  
وأنا له ما يصلحه ، وقال له : عسى أن أقوم من مرضى فأكافئك ، فأقام شهراً  
ثم كتب له :

إن حراماً قبول مدحتنا وترك ما نرتجي من الصَّفَدِ<sup>(٢)</sup>

كما الدنانير والدرام في السَّبِيحِ<sup>(٣)</sup> حرام إلاً بدأ بيد

قال لحاجبه : أعطه ثلاثين ألفاً ، وجنى بدواة ، فكتب إليه :

عاجلتنا فأناك عاجلٌ برِّنا قُلًّا ولو أمهلتنا لم تُقَلِّلْ

نخذ القليل وكن كأنك لم تقلْ ونكون نحن كأننا لم فعل

وقال الخوارزمي :

ولما أن رأيت ابني وليدٍ وبينهما اختلافٌ في النَّعَالِ

وهبت قبيح ذا لجليل هذا وأسلت العواقب لِيَالِي

إذا اليدُ أحسن منها يمينٌ تسوغنا لها ذنب الشمال

(١) الخبر والشعر في الأغاني ٤ : ١٦٨

(٢) الخبر في زهر الآداب ٢٧٦ ، وفيه : « دخل أبو تمام الطائي على أحمد بن أبي دؤاد »

(٣) زهر الآداب : « في الصرف »

قوله يفرى : أى يقطع . أديم الأرض : وجهها . يركض طرزه :  
يجرى فوره . أيتا ، صفة لصلر محذوف ، وفيه معنى التعجب من كثرة جريه ،  
تقديره : يركض ركضاً ، أى ركض . اقتطعت : ركبت القعود ، وتقدمت في  
الأولى . ماعدوت : ماجاوزت ، أى ما عملت شيئاً قبل الصعود على الناقة . حلتى :  
موضى الذى هو سكتى ونزولى . وحلّ : نزل .

## تفسير ما أودع هذه المقامة من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية

قوله : « رَيْقُ زَمَانِي وَرَأْتَهُ » يعنى أوله ، وقد يخفف فيقال « رَيْقٌ » -  
وقوله : « آخِذْ أَخْذَ نَفُوسِهِمُ الْأَبِيَّةِ » ، يعنى أهدى بهم ، يقال :  
أخذه ، بكسر الهززة وضعها .

والهَجْمَةُ ، نحو المائة من الإبل .

والثَلَّةُ : القطيع من الضم .

والرَاغِيَةُ : الإبل . والثَاغِيَةُ : الشاء ، ومنه قولهم : ماله راغية ولا ثاغية ،  
أى لا ناقة له ولا شاء .

وقوله : « أُرْدَافُ أَقْيَالٍ » ، أى يَخْلُفُونَ لِلوَك إِذَا غَابُوا .

وقوله : « أَبْنَاءُ أَقْوَالٍ » ، أى فصحاء ، يقال لِلنَّطِيقِ : إنه ابن  
أقوال .

وقوله : « فَتَدَثَّرْتُ فَرْسًا مَحْضَارًا » ، التَدَثَّرُ : الوثوب على ظهر  
الفرس ، والمَحْضَارُ والمَحْضِيرُ : الشديد التدو ، مأخوذ من الحَضَر ، وهو المدو .  
وقوله : « أَقْتَرَى كُلَّ شَجَرَاءٍ مَرْدَاءٍ » الاقتراء : يتبع الأرض .  
والشجرَاء : ذات الشجر ، والمراد الخالية من النبات ، ومنه اشتقاق الأَمْرَد ، نخلو  
وجهه من الشعر .

وقوله : « حَتَمِلُ الدَّاعِيَ إِلَى صَلَاتِهِ » ، يعنى قول المؤذن : حى على الصلاة  
حى على الفلاح ، والمصدر منه الحَيْمَلَةُ ، ومثله من المصادر المهيَّلة والحَيْمَلَةُ .

والخوقة والبسطة والحسبة والسبعة والجملة ؛ فالحيلة حكاية قول : لا إله إلا الله . والجملة : حكاية قول : الحمد لله . والحسبة حكاية قول : حبنا الله ، والسبعة حكاية قول : سبحان الله . والجملة حكاية قول : « جُلتَ فذاك » . وقوله : « فزلت عن متن الركوبة ، يعنى للركوبة ، يقال : ناقة ركوب وركوبة وحلوب وحلوبة ، وقد قرئ : » (فنها ركوبهم) .

والصهوة : مقعد الفارس . والشحوة : الخطوة . والجزع : قطع الوادى عرضاً . وقوله : « صكة عمى » يعنى قائم الظهيرة ، وقد اختلف فى أصله ، قيل : كان عمى رجلاً مغواراً ، فزأ أقواماً عند قائم الظهيرة ، وصكهم صكة شديدة ، فصار مثلاً لكل من جاء ذلك الوقت ، وقيل : المراد به الظي ، لأنه يسد فى الهواجر ، ويذهب بصره ، فيصلك ، وكذلك الحية ، واضطكاك الظي بما يستقبله كاضطكاك الأعمى ، ثم صغر الأعمى تصغير الترخيم ، قيل : عمى ؛ كما صغروا أسود وأرهر ، فقالوا : سويد وزهير .

وقوله : « وكان يوماً أطول من ظل القناة » ، يوصف اليوم الطويل بظل القناة ، كما يوصف اليوم القصير بإيهام القطاة ، والمرب تزعم أن ظل الربح أطول ظل ، ومنه قول شبرمة بن الطليل :

ويوم كظل الربح قصر طوله دم الزق عنا واصطفاى المراه<sup>(١)</sup>

وقوله : « أحر من دمع التلات » التلات هى المرأة التى لا يعيش لها ولد ، فلمعها أبداً حار لحزنها ، لأنه يقال : إن دمة الحزن حارة ودمة السرور باردة ، ولهذا قيل للدعوة : أقر الله عينه ، مأخوذ من القر وهو البرد ، وقيل للدعوة عليه : أسغن الله عينه ، مأخوذ من السخنة ، وهى الحرارة ، وقيل : إن إقرار العين مأخوذ من القرار ؛ فكأنه دعا له أن يرزق ما يقر عينه حتى

(١) البيت فى اللسان والنسوب ٦٢٦ ونسب إلى ابن الطرية .

لا تطمح إلى ما لغيره . وكانت الجاهلية تزعم أن : إن القلات إذا وطئت على  
قحيل شريف عاش ولها ، ولهذا أشار بشر بن أبي خازم في قوله :

تظَلُّ مَقَالِيتُ النِّسَاءِ بِطَانِهِ يَقْلُنُ : أَلَا يُبْلَقُ عَلَى الْمَرْءِ مِثْرَدٌ<sup>(١)</sup>

وقوله : « عِلَقَتْ بِي شَعُوبٌ » يعنى المنية ، ولا يدخل هذا الاسم أداة.  
التعريف ، مثل دجلة وحرّة .

وقوله : « لَأَعُوْزَ تَحْتَهَا إِلَى الْغَيْرِ بَانَ » ، التقدير : النزول إلى القائلة ؛ كما أن  
التعريس : النزول آخر الليل للتهويم أو الاستراحة .

والمُعْزِر بَانَ ، تصغير المغرب ، وكان قياس تصغيره المغرب ، إلا أن العرب  
ألحقت آخره ألفاً ونوناً على طريق الشذوذ .

وقوله : « مضطجنا أهبة تجوابه » ، الاضطجان : أن يحمل الشيء تحت  
حضنه ، والاضطجان أن يحمله تحت ضيقه ، والضيق : ما بين الإبط والكشح ،  
وكلاهما متقارب . ويقال : أول مراتب الحمل الإبط ثم الضيق ، وهو أسفل  
الإبط ثم الحضن ، وهو عند الجنب .

والتجواب مصدر جاب ، وجميع المصادر التي جاءت على « تفعّال » هي  
بفتح التاء إلا قولهم : تَبَيَّانَ وتلقاء لاغير ، وزاد بعضهم : تَيصال .

وقوله : « عَجْرِي وَبُجْرِي » يريد به جميع أمرى الظاهر والباطن ، وأصل  
العجر العُجْدُ الناتئة في العصب ، والبحر : العُجْدُ الناتئة في البطن .

وقوله : « ولم يقل إيهآ » ، أى لم يأمرنى بالكف ، يقال : للمستزاد : إيه .  
وللمستكف : إيهآ .

وقوله : « لأمر ما جَدَعَ قصير أغه » ، قصير هو مولى جذيمة الأبرش ،  
وكان جَدَعَ أغه بيده حين قتلت الزباء مولاه ، ثم أتاها وأومها أن عمرو بن

عدى ابن أخت جذيمة ، هو الذى جدع أنفه إتهاماً له بأنه غشّ خاله جذيمة إذ أشار عليه بقصد ما ، فَحَظِيَ بهذا القول عندما حتى جهّزته مراراً إلى العراق ؛ فكان يأتيه بالطرف منه إلى أن استصحب فى آخر نوبة الرجال فى الصناديق ، وتوصل إلى قتلها ، والأخذ بثأر مولاه منها . وقصته مشهورة .

وقوله : « ولو كان ابن بُوحك » يعنى ولد العُثْلُب ، إشارة إلى أنه ولد فى إاحة الدار ؛ وهى عرّصتها ، وجمعها بُوح . وقيل : إن البوح من أسماء الذكور .

وقوله : « فى شهرى ناجر » هاشمها الحرّ ، وقيل : إنها حَزِيران وتموز . وأنكر ابن دريد هذا القول ، وقال : هما طلوع نجمين .

وقوله : « بت بليلة نايبة » أوما به إلى قول النابغة :

فبت كأتى ساورتنى ضئيلة من لُغَش فى أنيابها السّم نافع<sup>(١)</sup>

وقوله : « فألمت إليه بثوبى » يعنى أشرت إليه ، يقال منه : ألعت ولمع بمعنى .

وقوله : « ببلغ ويعى » ، هذا مثل يضرب لمن يظلم ويشكو ، يقال : صامت المقرب نعى صيناً وصيناً بفتح الصاد وكسرها ؛ إذا صوتت ، وكذلك الفرخ ، وما أحسن قول ابن الرومى فى هذا المعنى :

تشكى الحب وتشكو وهى ظالمة كالقوس تُضِى الرمايا وهى مِرْثَان<sup>(٢)</sup>

وقوله : « يزو ويلين » ؛ هذا مثل يضرب لمن يعزز ثم يذلّ ، ويقال : إن أصله أن الجدى يزو وهو صغير فإذا كبر لان .

وقوله : « لا بساجد النمر » ، هذا مثل يضرب للمتّعجب الجرى ، لأن النمر أجراً سميع وأقله احتمالاً للضيم ، ومن هذا اشتقاق قولهم : تنمر ، أى صار مثل النمر .

وقوله : « فألق بالقارطين » الأصل فى القارط الذى يعنى القرط ، وهو النيات المدبوغ به ؛ والقارطان للشار إليهما أحدهما من عبزة والآخر من النمر

ابن قاسط ، خرجا بمنحنيان القَرَطُ فلم يرجعا ، ولا عُرِفَ لما خبر ، فضرِبَ بهما  
الثلل لكل غائب لا يُرْجَى إِيَّاهُ ، وإليهما أشار أبو ذؤيب في قوله :

وَحَقُّ يُنُوبُ الْقَارِغَانِ كِلَاهِمَا وَيُنْشَرُ فِي الْقَتْلِ كَلِيبُ لَوَائِلِ<sup>(١)</sup>  
وقوله : « حَرُورِي بِسُمُومِي » ، الحُرُور : الريح الحارة ليلا ، والسُمُوم :  
الريح الحارة نهاراً ، وقد يقام أحدهما مقام الآخر مجازاً . وقال بعضهم : الحُرُور  
يكون ليلا ونهاراً ، والسُمُوم يختص بالنهار .

وقوله : « لَيْتَ عَرِيَّة » يعني مأوى السبع ، ويقال فيه . عَرِيْسٌ وعَرِيَّةٌ  
بإثبات الهاء وحذفها ، كما يقال : غاب وغاية وعَرِينٌ وعَرِيَّةٌ . فأما النِيلُ والخَلِيسُ  
فلم يلحقوا بهما الهاء .

وقوله : « أَقَلْتُ وَلَهُ حُصَاص » هذا المثل يضرب لمن نجا من هلكة أشفق  
عليها بعد ما كاد يَهْوِي فيها . وَالْحُصَاص : التَّدْو ، وقيل إنه الضراط .

وقوله : « وَيْلٌ أَهْوَنَ مِنْ وَيْلَيْنِ » ، هذا المثل يضرب تسلياً لمن ناله  
بعض المكروه ، ومثله قول الراجز<sup>(٢)</sup> :

أَبَا مَنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَقْبَيْ بِمَعْضَا حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنَ مِنْ بَعْضِ

وقوله : « أَنَا ثَقِي ، وَأَنْتَ ثَقِي ، فَكَيْفَ تَثَقُّ » ، هذا المثل يضرب  
للمتنافيين في الخلق ؛ فَإِنَّ الثَّقِيَّ هُوَ الْمُتْلِي غِيظاً ؛ مَأْخُذٌ مِنْ قَوْلِهِمْ : أَتَأْتِ  
الْإِنَاءَ ؛ إِذَا مَلَأْتَهُ . وَالثَّقِي هُوَ الْبَاكِي ؛ فَكَأَنَّ الثَّقِيَّ يَنْزِعُ إِلَى الشَّرِّ  
لغِيظِهِ ، وَالثَّقِي يَضِيقُ ذَرْعاً بِأَحْمَالِهِ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ : أَنَا كَلِيفٌ ، وَأَنْتَ  
صَلِيفٌ ، فَكَيْفَ تَأْتَلِفُ !

وقوله : « لَطِيتِي » يعني قصدي ووجهتي ، وقد يقال فيها : طِيَّةٌ ،  
بالتخفيف .

(١) ديوان المنذلين ١ : ١٤٤ .

(٢) البيت لطرفة ، ديوانه ٢٠٨ . هو من بحر الطويل ، وليس رجزاً .



وقوله : « بعد اللَّتْيَا والتي » اللَّتْيَا تصغير اللَّتَى ، وهو على غير قياس التصغير المطرد ؛ لأنَّ القياس أن يضمَّ أول الاسم إذا صُغِرَ ، وقد أقرَّ هذا الاسم على فضته الأصلية عند تصغيره ، إلَّا أنَّ العرب عوضته عن ضمِّ أوله ، بأن زادت ألفا في آخره ، وأجرت أسماء الإشارة عند تصغيرها على حكمه ، فقالت في تصغير الذي واللّتي : اللَّذْيَا واللّتْيَا ؛ تصغير ذا وذاك . وقد اختلف في معنى قولهم : بعد اللَّتْيَا والتي ، قيل : هما من أسماء الداهية . وقيل : المراد بهما بعض صغير المكروه وكبيره .

## المقامة الثامنة والعشرون وهي السمرقندية

حدث الحارث بن همام قال : استبضعتُ في بعض أسفاري القند ، وقصدتُ به سمرقند ؛ وكنت يومئذ قويم الشطاط ، هجوم النشاط ، أرمي عن قوس المراح ، إلى غرض الأفراح ، وأستعين بماء الشباب ، على ملايح السراب ، فوافيتها بكرة عروبة ، بعد أن كابدتُ الصموبة ، فسميتُ وما وُئيتُ ، إلى أن حصل البيت . فلما نقلت إليه قندي ، وملكتُ قول عندي ، عُجت إلى الحتام على الأثر ، فأمطت عني وعثاء السفر ، وأخذت في غسل الجمعة على الأثر .

\*\*\*

استبضعتُ : اتخذت بضاعة . القند . عمل السكر .

[ ذكر سمرقند ]

وسمرقند : بلد عظيم من بلاد خراسان ، غزاها ملك من ملوك الين اسمه شمر ، فلحقها وهدمها فسميت شمر كند ، بمعنى خرابة شمر ، ثم عُرِبت قنيل : سمرقند ، وأهلها الشند . وفي رواية أنه لما انتهى إلى الشند قاتلهم أياماً نحووا إلى مدينتهم فحاصروهم حولاً حتى اختصها عنوة ، فقتل منهم وسباً وهدمها ، ثم ثاب له رأى ، فأمر ببنائها ، فبُنيت خيراً مما كانت ، ثم أمر بصخرة فُبُنيت عند بابها ، وكتب عليها : هذا بناء ملك العرب لا العجم ، تميز الملك الأثم . ووُجد في سورها لوح من نحس فيه كتاب ، وهو : « هذا ما أمر ببنائه شمر » ، وقد تقدم

أن فرغانة من أعمالها التي هي آخر خراسان ، وبين سمرقند وبخدا ستة أشهر ،  
وتقدم أن مدينة سمرقند من أحسن بلاد الله تعالى ، ولما أشرف قتيبة بن مسلم  
عليها ، فرأى ما أدهشه لإفراط حسنها . قال : كأنها السماء في الغلضة ، وكان  
قصورها النجوم والزهرة ، وكان أنهارها للجرّة .

• • •

قوله : قويم الشَّطَّاءُ ، أى معتدل القامة : جوم النشاط ، أى كثير  
القوة والخفة . والراح : النشاط . والأفراح : جمع فرح ، و ماء الشباب :  
نضارة الفتوة ونعمة الصبا . ملامح السراب : مواضع يلح السراب فيها ، أى  
يلح ويظهر ، فأراد أنه استعان بقوة فتوته على قطع الصحراء . وافيها :  
أُتيها .

### [ يوم عروبة ]

عروبة ، اسم يوم الجمعة ، سُمِّيَ بذلك لحسنه حيث كان موسماً ، وهو من  
قولهم : جارية عروب أى حسناء ، وكانت العرب تسمي أيام الأسبوع بأسماء  
يجمعها بيتان وهما :

أَوَّلُ أَنْ أَعِيشَ وَأَنْ يَوْمِ      بِأَوَّلِ أَوْ بِأَهْوَنِ أَوْ جُبَارِ<sup>(١)</sup>  
أَوْ لِلتَّالِي دُبَارِ ظَنِّ أَفْتُهُ      فَوَيْسِ أَوْ عَرُوبِ أَوْ شِيَارِ

وعروبة من الأسماء التي تدخلها الألف واللام مرة وتسقط منها أخرى ،  
قال الشاعر :

### • يوم كيوم عروبة المتطاول •

(١) البيتان في اللسان : جبر ، دير ، شير ، أنس ، مون . أول : الأحد . أهون : الاثنين .  
جبار : الثلاثاء . دبار : الأربعاء . مؤنس : الخميس . عروبة : الجمعة . شيار : السبت .

وقال آخر :

• يوم القروية أورادا بأوراد •

وحكوا أن سيبويه ، كان في حلقة بالبصرة فثنا كروا شيئاً من حديث قتادة ، فذكر سيبويه حديثاً غريباً ، وقال : لم يرو هذا إلا سعيد بن أبي القروية ، فقال له بعض الفضلاء : ماهاتان الزياتان ؟ - بمعنى الألف واللام في القروية - فقال سيبويه : هكذا ينبغي أن يقال ، لأن القروية هي يوم الجمعة ، فمن قال : عروبة فقد أخطأ . قال محمد بن سلام : فذكرت ذلك ليونس بن حبيب ، فقال : أصاب : سيبويه لله درّه .

وسمى يوم الجمعة لما جاء في حديث سلمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سمى يوم الجمعة ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : لأن فيه جمع أبوك آدم . وقال بعضهم فذكر عروبة :

في العيد زار ، وكان يوم عروبة يا فرحني بثلاثة الأعياد  
وكان للتوكل صاحب بطليوس ينتظر وفود أخيه عليه من شنتيرين يوم الجمعة ، فأتاه يوم السبت ، فلما تلقاه عاتقه ، وأنشد :

تخبرت اليهود السبت عيداً      وقلنا في القروية يوم عيد  
فلما أن طلعت السبت فينا      أطلت لسان محصح اليهود

وقال ابن الرومي :

وحبب يوم السبت عندي أنني      ينادمني فيه الذي أنا أحببت  
ومن عجب الأشياء أنني مسلم      حنيف ولكن خير أيامي السبت

• • •

قوله : كابدت ، أى قاسيت . سَعَيْت وما ونيت : خرجت وما فُتِرت ، ويقال : ونى ببنى ، أى ضعف ، والونى الضعف والفتور والإعياء . ملكت قول عندي ، يريد أن للسافر في الطريق لا يحسب ماله مِلْكَاه حتى يدخل المدينة ، لأنه متعرّض للهلاك في الطريق ، فإذا دخل المدينة وحصل في بيته ملكه فصار « ملكت قول عندي » عبارة عن سلامة ماله وخلّصه من حوادث الأسفار نحو الفرق والنهب والترك والغضب ، أو يكون عبارة عن الحصول في البيت يقول : عندي كذا ، أى في بيتي .

عُجْتُ ، أى ملت على الأثر ، أى في الحين ، ورجع على الأثر أى أتى مستمجعلا ، كأنه مشى على أثره في طريقه قبل غيره ، فمضى عجت إلى الحمام على الأثر ، أى دخلته على الفور في الحال . وقد ذكرنا باباً أديا من الشعر في الحمام في الرابعة ، ونذكر هنا فيه فنا آخر من الأدب .

[ ذكر الحمام وماورد فيه من الشعر والحكايات ]

قال عبد الله بن مريض الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ستفتح عليكم أرض الأعاجم ، وتجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات ، فلا يدخلها الرجل إلا بإزار ، وامنعوا النساء أن يدخلنها إلا مريضة أو نساء » .

وروى أن عبيد بن قرط الأسدى ، دخل مع صاحبين له بلها فيها حمام فأحب صاحبه دخوله فيها ، فتهما عبيد ، فأبيا إلا دخوله ، فمما دخلاه رأيا فيه رجلا يقنور ، أى يستل الذئبة فسألاه عنها . فأخبرها بإذهابها الشعر ، فاستعلاها فلم يحسنا فأحرقتهما وأضررت بهما ، قال عبيد :

لمرى قد حذرتُ قرطاً وجاره ولا يفتح التعذيرُ من ليس يحذرُ  
 نهيها عن نوزةٍ أحرقتُهما وحمام سوء ناره تفسرُ  
 فما منها إلا أنا في موقعا به أثر من مسها يفسرُ  
 أحذركما لم تملأ أنْ جلتنا أبا الحسل بالبيداء لا يفتورُ  
 ولم تملأ حمامنا في بلادنا إذا جعل الحرياء في الجذب يحضرُ

ورد أعرابي البصرة، فنزل على ابن عم له، فلما رأى البصري شعثَ  
 الأعرابي، أراد أن ينظفه، فقال له يوم جمعة: إن الناس يطهرون للجمعة،  
 وينظفون، ويلبسون أحسن الملابس، فقال أدخلك الحمام لتنظف من  
 قشعر السفر والبادية، وتتطهر للصلاة، فدخل معه الحمام، فعندما وطئ  
 الأعرابي فرش أول بيت في الحمام، لم يحسن للشئ عليها لشدة ملاستها فزلق،  
 وسقط لوجه، وصادفت جبهته حرف مدخل البيت، فشجّه شجّة منكّرة ففرج  
 مرعوباً وهو يشد، ودماؤه تسيل:

وقالوا تطهرْ إنه يومُ جمعةٍ فأبى من الحمام غيرَ مطهرٍ  
 نزودتُ منه شجّةً فوق حاجبي بنير جهاد بئسما كان متجرى  
 يقول لى الأعراب حين رأيتني به لا بظي بالعريضة أغفر<sup>(١)</sup>  
 وما تعرف الأعراب مشيا بأرضها فكيف يفتدى رخام ومرمرها

وقال ابن مسكّرة: دخلت حماماً ففرجت وقد سُرِق مداسي، فعدت إلى داري  
 حافياً وأنا أقول:

(١) ظن لي ذلك إلى المثل: « به لا بظي أغفر »، والأغفر: الأبيض، يضرب للمهانة.  
 وانظر نجم الأمثال ١: ٩٠

إليك أذمّ حَمَامُ ابنِ موسى      فإنْ فاقَ المُنَى طَيْبًا وَحرًا  
تَكَاثَرَتِ الأَصْوَصُ عَلَيْهِ حَتَّى      لِيَعْنَى مِنْ يَطِيفُ بِهِ وَيَمُرُّ  
وَلَمْ أَقْدُ بِهِ ثَوْبًا وَلَكِنْ      دَخَلَتْ مَحْدًا وَخَرَجَتْ بَشْرًا  
— يَرِيدُ بَشْرًا الحَافِي ، وَكَانَ مِنْ كِبَارِ الزَّهَادِ ، وَلَزِمَ المُنَى حَافِيًا فَلَقَّبَ بِهِ .

\*\*\*

وقوله : أَمَطْتُ ، أَيْ أَزَلْتُ . وَعَنَاءُ السَّفَرِ : شِدَّتُهُ وَمَشَقَّتُهُ ، وَفِي الْحَدِيثِ :  
« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْنَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ » ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْوَعَثِ ، وَهُوَ  
الذَّهَسُ ، أَيْ الزَّمَلُ الدَّقِيقُ . وَقِيلَ : الْوَعَثُ الزَّمَلُ تَغَيُّبٌ فِيهِ الْقَوَائِمُ ، وَقِيلَ : هُوَ  
الطَّرِيقُ الْخَشَنُ الصَّعْبُ . بِالْأَثَرِ ، أَيْ بِالْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ . وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ جُمُعَةٍ غَسَلَ الْجَنَابَةَ  
ثُمَّ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا  
قَرَّبَ بَقَرَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا ، وَمَنْ رَاحَ فِي الرَّابِعَةِ  
فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً ، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ  
حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمْعُونَ الذِّكْرَ » .

\*\*\*

ثُمَّ بَادَرَتْ فِي هَيْئَةِ الْخَاشِعِ ، إِلَى مَسْجِدِهَا الْجَامِعِ ، لِأَلْعَقِ  
بَعْنٍ يَقْرُبُ مِنَ الْإِمَامِ ، وَيُقَرَّبُ أَفْضَلَ الْأَنْعَامِ ، فَحُطِّيتُ يَأْنِ جَلِيتُ  
فِي الْحَلْبَةِ ، وَتَمَيَّزَتْ الْمَرْكَزَ لِمَسْتِمَاعِ الْخُطْبَةِ ، وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ يَدْخُلُونَ  
فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ، وَيَرِدُونَ فِرَادَى وَأَزْوَاجًا ؛ حَتَّى إِذَا اكْتَمَطَ  
الْجَامِعُ بِمَحْفَلِهِ ، وَأَغْلَلَ تَسَاوِي الشَّخْصِ وَظِلِّهِ ، بَرَزَ الْخُطِيبُ فِي  
أَهْنَبَتِهِ ، مُتَهَادِيًا خَلْفَ عَصْبَتِهِ ، فَارْتَقَى فِي مِنْبَرِ الدَّعْوَةِ ، إِلَى أَنْ

مَثَلٌ بِالذَّوْءِ ؛ فَسَلَّمَ مَشِيراً بِالْيَمِينِ ، ثُمَّ جَلَسَ حَتَّى خَتِمَ نَظْمُ  
التَّأَذُّنِ .

• • •

الأُنْثَامُ : هِيَ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْفَنَمُ . وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ : فَرَّقَتْ الْعَرَبُ بَيْنَ النَّعْمِ  
وَالْإِنْعَامِ ، فَجَعَلَتْ النَّعْمَ اسْمًا لِلْإِبِلِ خَاصَّةً وَالنَّاشِئَةِ الَّتِي فِيهَا الْإِبِلُ ، وَتَذَكَّرَ وَتَوَضَّعَ ،  
وَجَعَلَتْ الْأَنْثَامَ اسْمًا لِأَنْوَاعِ الْمَوَاشِي مِثْلَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْفَنَمِ . حَظِيَّتْ : سَعِدَتْ .  
جَلَيْتْ : سَبَقَتْ . وَالْحَلْبَةُ : جَمَاعَةُ الْخَيْلِ ، وَأَرَادَ بِهَا النَّاسَ الْمُبَادِرِينَ لِلصَّلَاةِ ، وَأَنَّهُ  
سَبَقَهُمْ . الْمَرْكَزُ : الْمَوْضِعُ تَنْتَظِرُ فِيهِ الصَّلَاةُ . دِينَ : طَاعَةٌ . أَفْوَاجًا : جَمَاعَاتٌ .  
يَرْدُونَ : يَأْتُونَ الْجَمَاعَةَ . اكْتَفَى : امْتَلَأَ وَضَاقَ بِأَهْلِهِ . حَفَلَهُ : اجْتَمَعَ النَّاسُ  
فِيهِ . أَظَلَّ : دَنَا قَرِيبًا . تَسَاوَى الشَّخْصُ وَظِلُّهُ ، يُرِيدُ حَدِيثَ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْهُ : أَنَّ  
صَلَّ الظُّهْرَ إِذَا صَارَ ظِلُّكَ مِثْلَكَ . بَرَزَ : خَرَجَ . أَهْبَتَهُ : عَدَّتْهُ لِلصَّلَاةِ . مَتَهَادِيًا :  
مُتَضَابِلًا لِقَوَارِهِ . عَصَبَتَهُ : جَمَاعَةُ الْمُؤَذِّنِينَ . ارْتَقَى : طَلَعَ . مَثَلٌ بِالذَّوْءِ : جَلَسَ  
بِأَعْلَى الْمَنْبَرِ أَوْ ظَهَرَ بِأَعْلَاهُ . وَلِلْأَتَلِّ : اللَّاحِظُ بِالْأَرْضِ أَوْ الْقَائِمُ لِلتَّعَصُّبِ ، وَهُوَ  
مِنَ الْأَضْدَادِ ، وَاسْمُ الْمَنْبَرِ الارتفاعُ وَعُلُوُّهُ مِنَ النَّبَرِ ، وَهُوَ ارْتِفَاعُ الصَّوْتِ ،  
وَنَبْرُ الرَّجُلِ نَبْرَةٌ : تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ فِيهَا عُلُوٌّ ، وَأَنْشَدَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْبَرَاءِ :

إِنِّي لَأَسْمَعُ نَبْرَةً مِنْ قَوْلِهَا      فَأَكَادُ أَنْ يُفَشَى عَلَى سُرُورِهَا<sup>(١)</sup>

مَشِيراً بِالْيَمِينِ ، مِنْ مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الْخَطِيبَ إِذَا جَلَسَ عَلَى  
الْمَنْبَرِ ، أَشَارَ إِلَى النَّاسِ بِيَمِينِهِ مُسَلِّمًا مِنْ غَيْرِ كَلَامٍ . قَالَ ابْنُ عَرَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :



انطلقت مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى مسجد قباء ، فصلّى فيه ، فخرج على صهيّب ، قلتُ : يا صهيّب ، كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يردّ مَنْ بَسَمَ عليه ؟ قال : يشير بيده .

قوله : جلس ، قال الخليل : يقال لمن كان قائماً : أقعد ، ولمن كان قائماً أو ساجداً : اجلس ، وهذا صحيح لأنّ القعود هو الانتقال من علو إلى سفلى ، ولهذا يقال لمن أصيب برجله : مُعْتَد ، والجلوس هو الانتقال من سُفلى إلى علو ، ورجل جالس : آتٍ بجداً ، وهو المكان للرفع . وذكره الحريري في القدر : <sup>(١)</sup> . ختم : أَكْمَلَ .

\* \* \*

ثمّ قام وقال : الحمد لله المدوح الأسماء ، المحمود الآلاء ، الواسع العطاء ، المدعو لحسن الأثواء ، مالك الأمم ، ومُصَوِّر الرّثم ، وأهل السماج والكرّم ، ومهلك عادٍ وإرم ، أدرك كلّ يترّ عِلْمُه ، ووسّع كلّ مُصيرٍ حِلْمُه ، وعمّ كلّ عالمٍ طَوْلُه ، وهَدّ كلّ ماردٍ حَوْلُه . أُنعمده حمداً مُوحِداً مُسْلِماً ، وأدعوه دعاء مؤتملٍ مُسَلِّمٍ ، وهو الله لا إله إلاّ هو الواحد الأحد ، المادِلُ الصّمد ، لا وِلْدَ لَهُ ولا وَلِدَ ، ولا رِداءَ مَمّةٍ ولا مُساعِدَ . أرسل محمداً للإسلام مُمَهّداً ، وللملّة مُوَحّداً ، ولإِدِلّةِ الرُّسُلِ مُوَكّداً ، وللأشْوَادِ والأخضرِ مُسَدّداً .

\* \* \*

قوله : الآلاء ، أى النعم الواحة الكثيرة . حسم اللأواء : قطع الشدة .  
 الرّمم : العظام البالية . مصورها : منشفة صورها ، وأراد قوله تعالى : ﴿ قُلْ  
 يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾<sup>(١)</sup> ، عاد وإرم : أمتان قديمتان ، وقيل : إرم قبيلة  
 من عاد فيها مملكة عاد . وقيل إرم : اسم قبائل كثيرة ، كالعاليق وطسم  
 وجديس هلوكا ، وم من ولد إرم بن سام بن نوح ، ومن لم يصرف إرم جملة  
 اسمها لقبيلة . وقال سابق البربري في ذهاب الأمم :

وكيف يَأْمَنُ رَبِّ الدَّهْرِ مَرَّتَيْنِ      بِمَدْوَةِ الدَّهْرِ إِنْ الدَّهْرُ عَدَاهُ<sup>(٢)</sup>  
 أَلْقَى عَلَى الْجَبِيلِ مِنْ عَادٍ كَلَاكِلَهُ      قَوْمٌ هُودَ فِيهِمْ هَامٌ وَأَصْدَاءُ  
 وقال أيضاً :

أَيْنَ لِللُّوكِ الَّذِي عَنْ حَظْبِهَا غَفَلَتْ      حَتَّى سَقَمَا بِكَاسِ لَوْتٍ سَاقِيهَا  
 غَرَّتْ زَمَانًا بِمَلِكٍ لَادَوَامَ لَهُ      جَهْلًا كَمَا غَرَّ نَفْسًا مَنْ يَمْنِيهَا  
 وَصَبَحَتْ قَوْمَ عَادٍ فِي دِيَارِهِمْ      بِمَقْطَعِ يَوْمِ عَادَتِهِمْ عَوَادِيهَا  
 وَتَبَّعًا وَنَعُودَ الْحَبْرِ غَادَرَهُمْ      رَبِّ النُّونِ رَمِيًا فِي مَغَانِيهَا  
 فَكَيْفَ يَبْقَى عَلَى الْأَحْدَاثِ غَابِرُنَا      كَأَنَّا قَدْ أَظْلَلْنَا دَوَاهِيهَا  
 وقال الألبيري :

أَيْنَ لِللُّوكِ وَأَيْنَ مَا جَعَلُوا وَمَا      ذَخَرُوهُ مِنْ ذَهَبٍ لِلتَّاعِ الْقَامِرِ  
 وَمِنَ السَّوَابِغِ وَالصَّوَارِمِ وَالْقَنَا      وَمِنَ الصَّوَاهِلِ : بُدْنٍ وَشَوَازِبِ  
 كَانَتْ سَوَاقِيهَا تَحْتَلُّ مِنْهُمْ      أَقَارِ أُنْدِيَةِ وَأَسَدِ كَتَائِبِ  
 كَانُوا لِيُوثَ خَفِيَّةٍ لَكُمْهُمْ      سَكَنُوا غِيَاضَ أَسْنَةِ وَقَوَاضِ  
 قَصَفَتْهُمْ رِيحٌ ارْتَدَى وَرَمَتْهُمْ      كَفَّ النَّوْنُ بِكُلِّ سَهْمٍ صَائِبِ

قوله : مصرّ ، أى مقيم على القنب . والمالم : كل مخلوق ، وأراد به الحيوان .  
 علوه : فضله . هذ : أذلّ وأهلك ، وهذ البناء : كسره وهدمه . وللارد : المائي  
 وهو المبالغ في الطنّيان والفساد ، والكثير الشرّ . حوله : قوته ، مؤمل : راجح .  
 مسلم : مفوض . الصمد ، من أسماء الله تعالى والسيد المطاع ، والصمد : الذى لا يولد  
 له ، وقيل : الصمد الذى لا جوف له .

وقال ابن الأثيريّ : أجمع أهل اللغة بلا خلاف على أنّ الصمد الذى ليس  
 فوقه أحد ، الذى يصمد إليه الناس في أمورهم ، وأنشد لورقة بن نوفل :

سبعان ذى المرش سبعانا يذوم له ربّ البرية فردّ واحد محمد

وأنشد : \* بمرور بن مسعود وبالسيد الصمد <sup>(١)</sup> \*

وأنشد : \* ولا رهينة إلا سيد محمد \*

وأنشد : \* خذها حذيف فانت السيد الصمد <sup>(١)</sup> \*

قوله : رده : معين ، وأردأتك على الأمر : أعتك . مساعد : موافق لمراذه .  
 سمهدا : باسطاً . والملة : الدين . الأحمر ، أراد به الأبيض وأراد لكلّ الناس ،  
 وقيل : الأحمر المعجم مثل الروم والفرس ، لأنهم بيض تعلوهم حمرة ، والأسود  
 العرب ، لأنهم لكنّاهم الصغارى تغلب السمرة على ألوانهم .

\* \* \*

وَصَلِّ الْأَرْحَامَ ، وَعَلَّمَ الْأَحْكَامَ ، وَوَسَمَ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ ،  
 وَوَسَمَ الْإِحْلَالَ وَالْإِحْرَامَ ، كَرَّمَ اللَّهُ تَحَلُّهُ ، وَكَوَّلَ الصَّلَاةَ  
 وَالسَّلَامَ لَهُ ، وَرَحِمَ آلَهُ الْكَرَمَاءَ ، وَأَهْلَهُ الرِّحَاءَ ، مَا هَمَرَ

رُكَّام ، وَهَدَرَ حَمَام ، وَسَرَحَ سَوَام ، وَسَطَا حُسَام . انْعَمَلُوا رَحِمَكُم  
 اللَّهُ عَمَلِ الصَّلَاحَاء ، وَاكْدَحُوا لِمَعَادِكُم كَدَحَ الْأَصِحَاء ، وَازْدَعُوا  
 أَهْوَاءَكُم رَذَعَ الْأَعْدَاء ، وَأَعِذُوا لِلزَّحَلَةِ إِعْدَادَ السُّعْدَاء ، وَادَّرَعُوا  
 حُلَلَ الْوَرَع ، وَدَاوُوا عِلَلَ الطَّمَع ، وَسَوَّوْا أَوْدَ الْأَمَلِ ، وَعَاصُوا  
 وَسَاوِسَ الْأَمَل ، وَصَوَّرُوا لِأَوْهَامِكُم خُنُولَ الْأَخْوَال ،  
 وَحُلُولَ الْأَهْوَالِ ، وَمُسَاوِرَةَ الْأَعْلَال ، وَمَصَارِمَةَ الْمَالَ  
 وَالْآل .

. . .

الأُرْحَامُ فِي الْأَصْلِ: الْفُرُوجُ ، ثُمَّ يَكْفَى بِهَا عَنِ الْقَرَابَاتِ لِلَّذِينَ يَنْبَغُ رَحِمُ .  
 وَسَمٌ: بَيْنٌ ، وَجَعَلَ لَهُ عَلَامَةً ، وَالسَّمَةُ: الْعَلَامَةُ . رَسَمٌ: كَتَبَ وَبَيَّنَ وَأَصْلُ  
 الرَّسْمِ الْأَثَرُ ، وَرَسَمْتُ الشَّيْءَ: أَثَرْتُ بِهِ أَثَرًا . الْإِحْلَالُ: الدَّخُولُ فِي الْحِلِّ .  
 الْإِحْرَامُ: الدَّخُولُ فِي الْحَرَمِ ، وَأَرَادَ أَنَّهُ عَلَى مَوْضِعِ الْحِلِّ وَالْحَرَمِ . آلهُ: أَهْلُهُ .  
 هَمَرُ رُكَّامٍ: انْصَبَّ سَعَابُ . هَدَرَ: صَوَّتَ . وَسَرَحَ: تَفَرَّقَ فِي الْمَرْعَى ، سَوَامٌ  
 لِمَبِلٍ رَاعِيَةٍ . سَطَا: اهْتَزَّ لِيَقْطَعَ . اكْدَحُوا: اْعْمَلُوا ، وَالْكَدْحُ عَمَلُ الْإِنْسَانِ  
 مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ، وَاكْتِسَابُهُ لِلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . لِمَعَادِكُم ، أَيُّ لِيَوْمٍ بَيْنَكُمْ ، وَالْمَعَادُ  
 الْمَرْجِعُ . الْأَصِحَاءُ: جَمْعُ صَحِيحٍ . اِرْدَعُوا: كَبُّوا . اِدَّرَعُوا: اَلْبَسُوا الْخُوفَ .  
 أَوْدُ: اَعْوَجَجَ . وَسَاوِسَ الْأَمَلُ: أَحَادِثَ الطَّمَعِ وَالرَّجَاءِ . أَوْهَامِكُم: نَفْسِكُم .  
 خُنُولُ: تَغْيِيرٌ . حُلُولُ: نَزُولُ . الْأَهْوَالُ: الْخُفُوفُ . مُسَاوِرَةٌ: مُوَابَهَةٌ . الْإِعْلَالُ:  
 الْإِصَابَةُ بِعَلَّةٍ ، مَصَارِمَةٌ: مُقَاطَعَةٌ . الْآلُ: الْأَهْلُ وَالْقَرَابَةُ .

\* \* \*

وَاقْرَأُوا الْحِمَامَ وَسَكْرَةَ مَضْرَعِيهِ ، وَالرُّمُسَ وَهَوَّلَ

مَطْلَعِهِ ، وَاللَّحْدَ وَوَحْدَةَ مُودَعِهِ ، وَالْمَلَكَ وَرَوْعَةَ سُؤَالِهِ  
وَمَطْلَعِهِ . وَالْمَحْوَا الدَّهْرَ وَلَوْثَمَ كَرَّهُ ، وَسُوءَ عِمَالِهِ وَمَكْرِهِ .  
كَمْ طَمَسَ مَمْلَكًا ، وَأَمَرَ مَطْعَمًا ، وَطَحَّطَعَ عَرْمَرَمًا ، وَدَمَّرَ  
مَلِكًا مُكْرَمًا .

• • •

اذْكُرُوا الْجَمَامَ : اذْكُرُوا الْمَوْتَ . الرَّئِيسُ : تَرَابِ الْقَبْرِ . هَوْلَ مَطْلَعِهِ :  
خَوْفَ مَا يَرَاهُ الْإِنْسَانُ فِيهِ . اللَّحْدُ : الْحَفِيرَةُ فِي جَانِبِ الْقَبْرِ . مُودَعُهُ : الْمَجْهُولُ  
فِيهِ ، كَأَنَّهُ وَدِيعَةٌ فِيهِ . الْمَلَكُ : مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ ، اللَّذَانِ يَفْتَنَانِ النَّاسَ فِي قُبُورِهِمْ  
رَوْعَةً : تَقْرِيعٌ وَتَخْوِيفٌ . الْمَطْلَعُ : الْمَأْتَى .

قال الجوهري ، رحمه الله تعالى : يقال : أين مطلع هذا الأمر ؟ أى مآتاه ،  
وهو موضع الاطلاع من إشراف إلى اعداد ، وجاء هَوْلَ المَطْلَعِ في الحديث ،  
حدَّثَ وَائِلَةُ بْنُ الْأَسْعَدِ وَغَيْرُهُ قَالُوا : خُطِبْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ :  
« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، اذْكُرُوا الْمَوْتَ وَهَوْلَ مَطْلَعِهِ وَمَا تَقْلَمُونَ عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، فَإِنَّمَا  
أَنْتُمْ عَابِرُو سَبِيلٍ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ . ازْهَدُوا فِي دُنْيَانَا قِصَّةَ غَيْرِ زَائِدَةٍ ، مَفْرَقَةَ غَيْرِ مَجْمُوعَةٍ ،  
وَارْغَبُوا فِي دَارِ لَا تَحْرَبُ قُصُورُهَا وَلَا يَبْلَى سُرُورُهَا ، وَلَا يَمُوتُ سَاكِنُهَا . أَمَّارُ  
أَهْلِ الْجَنَّةِ : أَبْنَاءُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، مَكْتَلُونَ بِأَكْلُونِ وَبِشْرَبُونَ ، لَا يُخْرَجُ  
مِنْ أَجْوَافِهِمْ شَيْءٌ إِلَّا يَبْرَقُونَ ، عَرَقَهُمْ ذَلِكَ مَسْكٌ ، فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْجَنَّةِ ، نَامَ طَالِبُهَا ،  
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ النَّارِ ، نَامَ هَارِبُهَا . »

وَقَالَ ابْنُ سُرَّةَ :

مَحْدُ مَا أَعْدَدْتَ لِلْقَرَبِ وَالْبَيْتِ وَلِلْمَلَائِكَةِ الْوَاقِفِينَ عَلَى الْقَبْرِ<sup>(١)</sup>

وأنت مصرّة لا تراجع توبة ولا ترعوى عما بُذِمَ من الأمر<sup>(١)</sup>  
 سيأتيك يومٌ لا تحاول دفعه قدّم له زاداً إلى البعث والحشر  
 وتقدّم الباب موثقاً حقه في الحادية عشر.

[ مما قيل في الأمل والطمع من الشعر ]

نذكرُ هنا بعض ما قيل في الأمل والطمع للنامين للناس من أعمال البر :-  
 قال أبو العتاهية :

تملّقتُ بآمالٍ	طوالٍ أيّ آمالٍ <sup>(٢)</sup>
فأقبلتُ على الدهرِ	ملحاً أيّ إقبالٍ
أيا هذا تجهزْ لـ	فراق الأهل والمالِ
فلا بدّ من الموتِ	على حالٍ من الحالِ

وقال أبو تمام :

أناؤل في الدنيا مجدّ ونصيرُ	وأنت غداً فيها تموتُ وتُقبِرُ
تُلَقِّحُ آمالاً وترجو نتائجها	وعرك مما قد تُرجّيه أقصر <sup>(٣)</sup>
وهذا صباح اليوم ينماك ضوؤه	وليلته تنماك لو كنت تُشعرُ
تحوّم على إدراك ما قد كفيته	وتقبل بالآمال فيها وتندبرُ

(١) بعده في البيتة :

تَبيّث على خمرٍ نفاقاً ذَنّها  
 وتصيح غموراً مريضاً من الخمرِ

(٢) ديوانه ٢١٣ ، وفيه :

تمسكت بآمالٍ

طوالٍ أيّ آمالٍ

(٣) ديوانه ٤٨٢ .

رزقك لا يدرك إنا معجلٌ على حاله يوماً وإنا مؤخرٌ  
وقال محمود الوراق :

علام يسمى الحريص في طلب الرزق بطولِ الرواح والدَّلَجِ  
يا قارع الباب ربَّ مجتهد قد أحسن القرع ثم لم يَلَجِ  
فأطوِّ على الممِّ كفَّ مصطبرٍ فأخِرُ الممِّ أولُ القرَجِ  
وقال عبد الصمد بن اللذلي :

وأعلم أن بنات الرجا تحلُّ العزَّ محلَّ الدليلِ  
وأنت ليس مستغنيا بالكسِّ سير من ليس مستغنيا بالقليلِ  
قوله : الحوا : انظروا . كرهه : رجوعه . محاله : شدَّته ومعداته وخداعه .  
طس : محاً وأذهب . معلماً : موضعاً مرتفعاً ، تعلَّم به الجهة التي هو فيها . طحطح :  
أهلك وفرَّق . عرمرم : جيشاً كبيراً . دمر : أهلك ، والدمار : الهلاك .

[ ذم الدهر وما قيل فيه من الشر والحكايات ]

ونذكر بعض من ذم الدهر من ملوك الإسلام .

من ذلك أن سليمان بن عبد اللك لبس في يوم الجمعة لباساً شهريه ، ودعا  
بفتت فيه عمام ، ويدهمراً ، فلم يزل يتمُّ بواحدة بعد أخرى ، وأرخى سدولها ،  
وأخذ بيده مخصرة ، واعتلى منبره ناظراً في عطفيته ، وجمع حشمه ، وقال : أنا  
للك الشاب ، السيد المحبب ، الكريم الوهاب . فتمثَّله إحدى جواربه ،  
فقال : كيف ترين أمير المؤمنين ؟ قالت : أراه مُنى النفس وقُرَّة العين ، لولا  
مقال الشاعر :

أنت نعم اللعاع لو كنت تبقَى غير أن لا بقاء للإنسانِ  
أنت خلوت من العيوب ومما يكره الناس غير أنك قاتل

فدمعت عيناه ، وخرج على الناس باكياً ، فلما فرغ من صلاته رجع ودعا الجارية ، وقال لها : ما حلك على ما قلت ؟ قالت : والله ما رأيته ولا دخلت عليك . فأكبر ذلك ، ودعا بقية جواريه فصعدتها على ذلك ، فراعه ذلك ولم يبق إلا مُدبدة حتى مات <sup>(١)</sup> .

الفصل بن الربيع ، قال : كنت مع المنصور في السفر الذي مات فيه ، فنزلنا بمصر المنازل ، فدعا بي وهو في قُبَّته إلى حائط ، وقال : ألم أنهسكم أن تدعوا العامة تدخل هذه المنازل : فيكتبون فيها ما لا خير فيه ، قلت : وما هو ؟ قال : ألا ترى ما على الحائط مكتوباً :

أبا جعفرٍ حانت وفاتك واتقضت سنوك ، وأمر الله لا بدَّ نازلُ  
أبا جعفر ، هل كاهن أو منجم يردُّ قضاء الله أم أنت جاهل ؟

قلت : والله ما على الحائط شيء ، وإنه لنقش أبيض ، قال : والله ، قلت : والله . قال : إنها والله نفسى نمت إلى الرحيل ، بأدري إلى حرم الله وأمنه هارباً من ذنوبي وإسرافي على نفسى ، فرحلنا ، وثقل حتى بلغ بئر ميمون ، قتلت له : قد دخلت الحرم ، قال : الحمد لله ، وقُبِض من يومه ، ولما حضرته الوفاة ، قال : هذا هو السلطان ، لاسلطان من يموت <sup>(٢)</sup> .

على بن يقطين ، قال : لما كنا مع المهديّ بما سبذان ، قال لي : أصبحت جائعاً فاتقنى بأرغفة ولحم بارد ، فأكل ونام في البهو ، فاستيقظ إلا لبكائه ، فبادرنا فقال : أما رأيتم ما رأيتم ، وقف على رجل لو كان في ألف ما خفي على ، فقال :



كَأَنِّي بِهَذَا الْقَصْرِ قَدْ بَادَ أَهْلُهُ وَأَوْحَشَ مِنْهُ رَبُّهُ وَمَنَازِلُهُ  
وَصَارَ عِيدٌ لِلَّكِّ مِنْ بَعْدِ بَهْجَةٍ إِلَى قَبْرِهِ تُحْنَى عَلَيْهِ جَنَادُهُ  
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ذِكْرُهُ وَحْدَيْهِ يَنَادِي عَلَيْهِ مَعُولَاتٌ حَلَالَتُهُ  
فَمَا أَنْتَ عَلَيْهِ عَشْرَةَ أَيَّامٍ حَتَّى تَوَفِّي.

قال الأصمعيّ : دخلت على الرشيد يوماً ، وهو ينظر في كتاب ، ودموعه  
تتعدّر على خده ، فالتفت وقال : اجلس ، أرايت ما كان مئى ؟ قلت : نعم ،  
قال : أما إنه لو كان من أمر الدنيا مارأيت هذا ، ثم رمى إلى به ، فإذا فيه مكتوب .  
لأبى التتاعية :

يَا مُؤَيَّرَ الدُّنْيَا بِلَذَّيْهَا وَلِلْمُتَعَدِّ لِمَنْ يَفَاخِرُهُ<sup>(١)</sup>  
نَلِّ مَا بَدَأَ لَكَ أَنْ تَنَالَ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّ اللُّوتَ آخِرُهُ  
هَلْ أَنْتَ مَعْتَبِرٌ بِمَنْ خَرَبَتْ مِنْهُ غَدَاةٌ قَصَى عَاكِرُهُ<sup>(٢)</sup>  
وَبِمَنْ خَلَتْ مِنْهُ أَسْرَتُهُ وَبِمَنْ خَلَتْ مِنْهُ مَنَابِرُهُ  
أَيْنَ لِللُّوكِ وَأَيْنَ غَيْرُهُمْ صَارُوا مَصِيرُهُ أَنْتَ صَائِرُهُ

ثم قال : كأني أخاطب بهذا دون كلّ الناس ، فلم يلبث إلا قليلا حتى مات .  
ولما رجع للأموّون من غزونه التي افتتح فيها أربعة عشر حصنا نزل على  
عين تعرف بالعشيرة ، ينتظر رجوع رسله من الحصون ، فأعجبه برؤ ماها  
وصفاؤه ، وحسن بياضه وكثرة الخضرة والنعشب بالموضع ، وجلس على خشب  
بُسط له على الماء ، وطرح فيه درهم ، قرأ كتابته في قرار الماء لصفائه ، ولم يقدر  
أحدٌ يدخل الماء لشدة برده ، فلاحتمكة نحو القراع ، كأنها سبيكة فضة ، فنزل  
بعض القراشين فأخذها ، فاضطربت في يده وتململت ، ووقفت في الماء ، فنضج  
منه على صدر الأمّون ، ثم أخذها ووضعها بين يديه في منديل ، تضطرب ، فأمر

(١) الديوان : « دساكره » .

(٢) ديوانه ١٢٣ والممودى ٣ : ٢٧٦ .

بأن تُخلى الساعة ، فأخذته رعدة من ساعته ، ولم يقدرْ يتحرك ، فنطى بالصفاء  
وهو يرتعد ، ويصيح : البرد ، فأتى بالسكة فلم يقدر عليها ، وسال على جسمه  
عرق كالزب لم يعرفه الأطباء ، فلما قتل قال : أخرجوني أنظر إلى عسكرى ،  
وأنظر إلى مالي وملكى ، وذلك ليلا ، فأشرف على الجيش وانتشاره ونيرانه ،  
قال : يامن لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه ، فلما قتل رنا بطرفه نحو  
السماء ، وقد امطلت عيناه دموعاً ، قال : يامن لا يموت ارحم من يموت ،  
وقضى عليه من ساعته <sup>(١)</sup> .

وكان كثيراً ما ينشد :

ومن لم يزل غرضاً للنو      ن تتركه ذات يوم عبيداً <sup>(٢)</sup>  
وإن أخطأت مرة نفسه      فيوشك مخطئها أن يموداً  
فدينا يحيد ومخطئته      قصدن فأعجلنه أن يميداً

وذكر أبو المواريث قاضى نصيبين ، أنه رأى فى المنام ليلة قاتلاً ، يقول :

يا نائم الليل فى جمان يظنان      ما بال عينيك لا تبكى بتهتان <sup>(٣)</sup>  
إن الليالى لم تحسن إلى أحدٍ      إلا أساءت إليه بعد إحسانٍ  
هلا رأيت صروف الدهر ما ضلت      بالهاشمي وبالفتح بن خاقانٍ

- يعنى المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان - قال : فأتى البريد بقتلها فى تلك الليلة .

وقال سابق البربرى :

وربّ أغيد ساجي الطرف معتصبٍ      بالتاج نيرانه للحرب تستمرُ  
يظلّ مفترش الدّيماج محصباً      إليه تبنى قباب الملك والحجرُ  
قد غادرته المنايا فهو مستلبٌ      مجندل ترب الخدين منعيرُ

\*\*\*

(١) السعوى ٤ : ٤٥ -

(٢) الأيات الحسين بن الضحاك ، ديوانه ١١٣ -

هَمُّهُ سَكُّ الْمَسَامِعِ ، وَسَحُّ الْمَذَامِعِ ، وَإِكْدَاءُ الْمَطَامِعِ ،  
وإِرْدَاءُ الْمُسِمِعِ وَالسَّامِعِ . عَمَّ حُكْمُهُ الْمُلُوكَ وَالرَّعَاعَ ، وَالْمُسُودَ  
وَالْمُطَاعَ ، وَالْمُحْسُودَ وَالْمُحْسَادَ ، وَالْأَسَاوِدَ وَالْأَسَادَ ، مَا مَوْلَ  
إِلَّا مَالًا ، وَعَكَسَ الْأَمَالَ ، وَمَا وَصَلَ إِلَّا وَصَالَ ، وَكَلَّمَ الْأَوْصَالَ ،  
وَلَا سَرَ إِلَّا وَسَاءَ ، وَلَوْثُمْ وَأَسَاءَ ، وَلَا أَصَحَّ إِلَّا وَلَدَ الذَّاءَ ،  
وَرَوَّعَ الْأَوْدَاءَ .

اللهُ اللهُ ، رَعَاكُمْ اللهُ ! إِلَّا مَ مَدَاوِمَةُ اللَّهْوِ ، وَثُمُوسَةُ السَّبْوِ ،  
وَطُولُ الْإِضْرَارِ ، وَتَحَلُّ الْأَصَارِ ، وَاطْرَاحُ الْخُكَمَاءِ ، وَمُعَامَاةُ  
إِلَهِ السَّمَاءِ !

\* \* \*

هَمُّهُ : مراده . سَكُّ المسمع : قطع الآذان ، وقد سَكَّ أذنه ، إذا استأصلها  
بالقطع ، والمقطوع الأذن ، يقال له : أَسَكَّ ، وسَكَّكَ الشيء فاستَكَّ ، أى سدّدته  
فانسدَّ . سَحَّ : صَبَّ . إِكْدَاءُ : قَطْعُ وَمَنْعُ . إِرْدَاءُ : إِهْلَاكُ . الرعاع : سقط  
الناس . المُسُودُ : مَنْ لَيْسَ بِسَيِّدٍ . المُطَاعُ : الَّذِي يَقُولُ مَا أَرَادَ فَيُطَاعُ وَلَا يَعْصَى ،  
الْأَسَاوِدُ : الْحَيَاتُ . وَالْأَسَادُ : جَمْعُ أَسَدٍ . مَوْلَ : أَعْطَى مَالًا . مَالٌ : انْخَرَفَ  
وخرج عن طريقه . عَكَسَ : قَلْبَ . الْأَمَالَ : جَمْعُ أَمَلٍ وَهُوَ الرَّجَاءُ ، وَقَالَ  
مسلم بن الوليد :

الدَّهْرُ أَخَذُ مَا أَعْطَى مَكْدَرُ مَا أُصْقَى وَمُفْسِدُ مَا أُهْوَى لَهُ يَبْدُ<sup>(١)</sup>  
فَلَا يَمُرُّكَ مِنْ دَهْرٍ عَطِيئَتُهُ فَلَيْسَ يَبْرُكُ مَا أَعْطَى عَلَى أَحَدٍ

وقال أبو تمام :

أقول لنفسي حين مالت بصفوها      إلى خطراتٍ قد نَجَحْنَ أمانياً<sup>(١)</sup>  
فهبني من الدنيا ظفرتُ بكلِّ ما      تمنيتُ أو أعطيتُ فوقُ مُنْأَلِيَا<sup>(٢)</sup>  
أليسَ اللَّيلى غاصباتي مُنْجَتِي      كما غصبتُ قبلي القرون الخواليَا

قوله : صَال : صاح وهدر . كَلَمَ : جرح . الأوصال : الفواصل ، وهو موصل  
نظم عضو في عضو . لَوُومٌ : صار لثيماً . رَوْعُ الأوداء : أفزع الأحباب . السَّهْوُ :  
الغافل . الإصرار : الإقامة عَلَى الذنب . الآصار : الأتكال ، يريد إتهال الذنوب .  
أَطْرَاح : تَرَكَّ ورمى .

• • •

أما الهَرَمُ حَصَادُكُمْ ، والتَدَرُّ مِهَادُكُمْ ! أما الحِمَامُ  
مُذَرِّكُمْ ، والعَصْرَاطُ مَسْلُكُكُمْ . أما السَّاعَةُ مَوْعِدُكُمْ ،  
والسَّاهِرَةُ مَوْرَدُكُمْ ! أما أهْوَالُ الطَّائَةِ لَكُمْ مُرْصَدَةٌ ! أما دَارُ  
العَصَاةِ الخَطِيئَةِ المؤَصَّدَةِ ، حَارِسُهُم مَالِكٌ ، وَرُؤُوسُهُمْ خَالِكٌ .  
وطَعَامُهُمُ السُّومُ ، وهَوَاؤُهُمُ السُّومُ . لَا مَالٌ أَسْتَعْدِمُ وَلَا وَلَدٌ ،  
وَلَا عَدَدٌ حَمَائِمُ وَلَا عُدَدٌ . أَلَا رَحِمَ اللَّهِ امرأَةً مَلَكَ هَوَاهُ ، وَأُمُّ  
مَسَالِكِ هُدَاهُ ، وَأَحْكَمَ طَاعَةِ مَوْلَاهُ ، وَكَدَحَ لِرَوْحِ  
مَأْوَاهُ ، وَعَمِلَ مَا دَامَ الصُّرُ مُطَاوِعَا ، وَالذَّهْرُ مُوَادِعَا ، وَالصَّحَّةُ  
كَامِلَةً ، وَالسَّلَامَةُ حَاصِلَةً ، وَإِلَّا دَهَمَهُ عَدَمُ المَرَامِ ، وَحَصَرُهُ

(١) ديوانه ٤٨٤ ، وفيه : « قد نَجَحْنَ » .

(٢) في الديوان : « هبني ... أمانياً » .

الكَلام ، وإِلَام الآلَام ، ومُحُوم الحِمَام ، وهُدُوء الحَوَاس ، ومِرَاس  
الأَرْمَاس .

...

مسلِككم : طريقكم . السَّاهِرَة : وجه الأرض ، وقيل الأرض البيضاء .  
المورد : موضع الماء الذي يَرِدُه الناس والبهائم ، ولا غناء لأحد عن قصد الماء ،  
فجعل الساهرة مورداً على هذا المعنى . أهوال الطَّامَّة : مغاوف القيامة وما فيها  
من أتموّل والخوف ، وأصابت الناس طامة أى داهية وأمر عظيم ، وقد طمّ  
الأمر ، إذا عظم وجاوز الحدّ . مُؤَصَّدة : منتظرون بها . والحُطْمَة : التى  
تطمط الناس ، أى تكسِرُهم ، يعنى جهنم أعادنا الله منها ، وهو اسم علم من  
أسماء جهنم دخلته اللام إيذاناً بالصفة . المؤَصَّدة : للنفقة . رواؤم : منظرهم الحسن .  
حالك : أسود . السُّموم : جمع سَمٍّ . والسُّمُوم : الريح الحارة . أمّ : قصد .  
أحكم : أتمن . كدح : عمل . رَوْح مأواه : راحة مسكنه . موادعا : متاركا  
ومصالحا . قال ابن عمر رضى الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل  
يظله « اغتم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ،  
وفراغك قبل شغلك ، وغناك قبل فقرك ، وحياتك قبل موتك » .

دمه : غشيه وأناه فجأة ، ودمه يدهمه لثة . المرام : المطلب . حصر :  
حبس . إلام : نزول . الآلام : الأسقام : مُحُوم الحِمَام : دنو الموت . هدو :  
سكون . الحواس : الإدراكات ، وهى التى يحسّ بها الإنسان الأشياء ويدركها  
وهى خمسة : العين يدرك بها النظر ، والأنف والأذن يدرك بها الشم ، والسمع  
واللسان واليد يدرك بها القوق ، واللمس ، فيريد أن هذه الجوارح تَسْكُنَ  
بالموت ولا تتحرك .

[ مما قيل في عجز الأطباء حين يحيى الأجل ]

ونشد هنا أبياتاً لها بالموضع بعض تعلق ، ونذكر فيها الأطباء الذين لا حيلة لهم في الموت ، قال عدى بن زيد :

أين أهل الديار من قوم نوح ثم عاد من بدم ونبود<sup>(١)</sup>  
بيننا مُم على الأثرة والأنسـاط أفضت إلى القرب الخدود  
والأطباء بدم لحقوهم ضل عنهم سعوطنهم والددود  
وصحيح أضى بصود مريضاً وهو أدى للموت ممن يعود

وقال الخليل بن أحمد :

فكن مستعداً لداعى الفناء فإن القى هو آت قريب<sup>(٢)</sup>  
وقبلك داوى المريض الطيب فماش للمريض ومات الطيب

ولابن الرومي - وفصده بعض الأطباء ، فزعم أن القصد زاد في علته ، قال :

غلط الطيب على غلطة مورد عجزت موارده عن الإصدار<sup>(٣)</sup>  
والناس يلحون الطيب وإننا غلط الطيب إصابة للقدار

وقال غيره :

قد قلت لما قال لي قائل قد صار نمان إلى رميد  
فأين ما يذكر من طبه وحذقه بالماء مع جسد

(١) ديوانه ١٢٢ .

(٢) نزهة الألباء ٤٧ .

(٣) ابن خلكان ١ : ٣٥٢ .

مِهْبَاتٍ لَا يَدْفَعُ عَنْ غَيْرِهِ . مَنْ كَانَ لَا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ

وَمِنْهُ قَوْلُ الْآخَرِ :

أَقُولُ لِلْعَمَامِ وَقَدْ سَأَلَ طَبِيْبُهُ      نَفُوسًا نَفِيسَةً إِلَى بَاطِنِ الْأَرْضِ  
أَبَا مَنْذَرٍ أَفَنَيْتَ فَاسْتَبَقِ بَعْضُنَا      حَتَّى أَتِيكَ بَعْضُ الشَّرَّاهُونَ مِنْ بَعْضِ<sup>(١)</sup>

وَيَحْكِي أَنَّ الْقَاضِي ابْنَ مَنْظُورٍ بَلَغَهُ أَنَّ أَبَا الْعَلَاءِ بْنَ زَهْرٍ مَرَضَ فَضَحِكَ ،  
وَقَالَ : فَأَيْنَ طَبِيْبُهُ ؟ فَبَلَغَتْ أَبَا الْعَلَاءِ قَالَ :

قَالُوا ابْنَ مَنْظُورٍ نَبِشْمُ هَازِنًا      لَمَّا مَرَضَتْ قَعَلَتْ يَمُوتُ مِنْ مَتَى  
قَدْ كَانَ جَالِينُوسٌ يَمْرُضُ دَائِمًا      فَنَ الْإِمَامُ الْمُرْتَضَى قَبْلَ الرَّشَاءِ  
وَقَالَ لِلنَّبِيِّ :

لَا يَدُّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ ضَجَعَةٍ      لَا تَقْلِبُ الْإِنْسَانَ عَنْ جَنِيْدِهِ<sup>(٢)</sup>  
يَنْسُو بِهَا مَا مَرَّ مِنْ عُجْبَةٍ      وَمَا أَذَاقَ الْمَوْتَ مِنْ كَرْبَةٍ  
نَحْنُ بَنُو الْمَوْتَى فَمَا بِالْقَا      نَعَافُ مَا لَا يَدُّ مِنْ شَرْبَةٍ  
تَبْخُلُ أَبْدِينَا بِأَرْوَاحِنَا      عَلَى زَمَانٍ هِيَ مِنْ كَسْبَةٍ  
فَهَذِهِ الْأَرْوَاحُ مِنْ جَوْوٍ      وَهَذِهِ الْأَجْسَادُ مِنْ تَرْبَةٍ  
يَمُوتُ رَاعِي الضَّأْنِ فِي جِهْلِهِ      مَوْتَةَ جَالِينُوسَ فِي طَبِيْبَةٍ

أَصِيبُ الْجَرْمِيِّ فِي عَيْنِيهِ قَالَ :

إِذَا مَا مَاتَ بَعْضُكَ فَأَبْكِ بَعْضًا      فَبَعْضُ الشَّيْءِ مِنْ بَعْضٍ قَرِيبُ  
يَمْتَنِّقِي الطَّيِّبُ شِفَاءَ عَيْنِي      وَمَا غَيْرُ الْإِلَهِ لَهَا طَيِّبُ

\* \* \*

قوله : مِرَاس ، أصله معالجة الشيء الشديد ، وكل شيء التمتع بشيء

(١) هذا البيت لطرفة ، ديوانه ٢٠٨ .

(٢) ديوانه ١ : ٢١٠ .

واحتكَّ به قد مارسه . ومرست الدواء بالماء : دلكته . والأمراس : القبور ، واحداها رمس ، فيريد بها ما يلقاه الإنسان في قبره من الدواهي ، وتقدمت في الحادية عشر ، و يروى : الأمراس : جمع مرس ، وهو حبل من ليف يُقتل على ثلاثة . مراسه : جريانه على البكرة ، فالبكرة تأكل قوته كل يوم فتقطعه ، كما أن الأيام تأكل قوة ابن آدم فتقطعه ، فإذا مات أكل بدنه القبر .

\* \* \*

واها لها حسرة ألها مؤكّد ، وأمدّها سرمد ، ومنازها  
مُكند ، مالوليه حاسم ، ولا يسدّميه راحم ؛ ولا ممّا عراه عاصم ،  
ألمكم الله أحمد الإتهام ، ورداكم رداء الإكرام ، وأحلّكم دار  
السّلام ، وأسأله الرحمة لكم ولأهل ملة الإسلام ، وهو أسنح  
الكرام ، والمسلم والسّلام .

. . .

آها : كلمة توجع . حسرة : نجمة ، والهاء في «لها» كناية من الحسرة أضمرها  
بشريطة التفسير ، أى ما أعظمها من حسرة ، آها ، أى تأوّهها . ألها مؤكّد ، أى  
وجها شديد متتابع . سرمد : دائم . ممارسها : معالجها ومخالطها . مكند : مهموم  
محزون . وله : حزنه . حاسم : مزيل قاطع . سدّمه : حيرته ، عراه : قصده .  
عاصم : مانع . ألمكم : ذكركم ونهكم . أحلكم : أنزلكم . دار السلام :  
الجنة ، من دخلها سلم من العذاب وبقي في سلامة . ملة : دين . أكرم :  
السلام : الذى هو من أسماء الله سبحانه وتعالى ، ومعناه السلم لعبده أو هو على  
حذف الضاف ، ومعناه ذو السلام ، أى صاحب السّلام ، ويحتمل أن يريد به



اللفظة التي يقطع بها السلام ، كما قول من تقطع كلامه : والسلام ، أى لا زيادة عندى على هذا ، أو أردت : والسلام عليكم . فحذفت اختصاراً .

وفى تأويل « السلام عليكم » وجهان : أحدهما أنه اسم الله بمعنى « الله تعالى عليكم » ، أى على حفظكم ، أو بمعنى السلامة عليكم ، فالسلام جمع سلامة قال ابن الأنباري : السلام في كلام العرب على أربعة أقسام : السلام التسليم ، قول : سلمت سلاماً ، والسلام الله تعالى ، والسلام جمع سلامة ، والسلام شجر عظام واحدها سلامة قال الأخطل :

ورابية السكران قهرُفا بها لهم شبح إلا سلامٌ وحرمل<sup>(١)</sup>

\*\*\*

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَلَمَّا رَأَيْتِ الْخُطْبَةَ نَجْبةً يَلَا سَقَطَ ، وَعَرَّوْسًا يَنْبِرُ نَقْطَ ، دَعَانِي الْإِعْجَابُ يَنْطِهَا الْعَجِيبُ ، إِلَى اسْتِجْلَاءِ وَجْهِ الْخَطِيبِ ، فَلَخَذْتُ أَتَوَيْمُهُ جِدًّا ، وَأَقْلَبُ الطَّرْفَ فِيهِ مُجَدًّا ، إِلَى أَنْ وَضَعَ لِي بِصِْدْقِ الْعَلَامَاتِ ، أَنَّهُ شَيْخُنَا صَاحِبُ الْمَقَامَاتِ ، وَلَمْ يَكُنْ بُدًّا مِنَ الصَّمْتِ ، فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ؛ فَأَمْسَكْتُ حَتَّى تَحَلَّلَ مِنَ الْقَرَضِ ، وَحَلَّ الْإِنْتِشَارُ فِي الْأَرْضِ ، ثُمَّ وَاجَهْتُ تَلْقَاءَهُ ، وَابْتَدَرْتُ لِقَاءَهُ .

فَلَمَّا لَحِظْتِي خَفَّ فِي الْقِيَامِ ، وَأَخْفَى فِي الْإِكْرَامِ ؛ ثُمَّ اسْتَضَعَبَنِي إِلَى دَارِهِ ، وَأَوْدَعَنِي خَصَائِصَ أَسْرَارِهِ ، وَحِينَ انْتَشَرَ جَنَاحُ الظَّلَامِ ،

(١) ديوانه ٢

(٢) السكران : موضع بالعام . والحرمل : نبت .

(٣) ٢٣ - شرح مقامات الحريري ج ٢

وَحَانَ مِيقَاتِ الْأَنَامِ ، أَخْضَرَ أَبَارِيقَ الْمَدَامِ ، مَمَكُومَةً بِالْفِدَامِ .  
 قُلْتُ : أَتَحْسُوهَا أَمَامَ النَّوْمِ ؛ وَأَنْتَ إِمَامُ الْقَوْمِ ؟ فَقَالَ : مَه ؛ أَنَا  
 بِالنَّهَارِ خُطِيبٌ ، وَبِاللَّيْلِ أَطِيبٌ ، قُلْتُ : وَاقِدُ مَا أُدْرَى : أَأَعْجِبُ مِنْ  
 تَسْلِيكِ عَنْ أَنَاسِكَ ، وَمَسَقَطِ رَاسِكَ ، أَمْ مِنْ خَطَايِكَ مَعَ أَذْنَانِكَ  
 وَمَدَارِ كَلَامِكَ .

\*\*\*

نخبة : مختارة . سقط : لفظ ردىء . استجلاء : نظر . أنوسمه : أنظر سمته ،  
 أى علامته التى يعرف بها . جدًا : كثيرًا . مجدًا : مجتهدًا . وضع : تبين .  
 ذو اللقائمت : صاحب المجالس . البُذ : القرار ، قال القراء رحمه الله تعالى : يقال :  
 لا بُدَّ اليوم من قضاء حاجتى ، أى لا فرار ، ويقال : ليس لهذا الأمر بُذٌ ، أى لا محالة .  
 الصمت : السكوت والإنصات لاستماع الخطبة فرض عند الشافعى رضى الله  
 عنه لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾ <sup>(١)</sup> أى لاستماع  
 الخطبة .

وقال جماعة من المفسرين : إنه إنما نزلت الآية فى السكوت لاستماع الخطبة .

أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا قُلْتُ  
 صَاحِبُكَ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ : أَنْصِتْ قَدْ لَقِيتَ » .

أبو هريرة وأبو سعيد ، أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :  
 « مَنْ خَرَجَ إِلَى الْجُمُعَةِ وَعَلَيْهِ الْوَقَارُ ، ثُمَّ رَجَعَ ، ثُمَّ أَنْصَتَ إِلَى أَنْ جَلَسَ الْإِمَامُ ،  
 فَلَمْ يَسْكَمْ حَتَّى يَنْزَلَ ، ثُمَّ صَلَّى الْجُمُعَةَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الَّتِي تَلِيهَا » .

تَحَلُّلٌ مِنَ الْقَرَضِ : تَخْلُصٌ مِنَ الصَّلَاةِ . الْإِنْتِشَارُ : انْحِلَالُ الْجُلُوعِ مِنَ الصَّلَاةِ  
وَانْبِسَاطِهِمْ عَلَى الْأَرْضِ . مِيقَاتُهُ : وَقْتُهُ . مَمْكُومَةٌ : مُشْدُودَةٌ ، وَعَكَّتِ الْبَعِيرُ  
شَدَّتْ فِيهِ ، وَالْوَعَاءُ : شَدَّتْ رَأْسَهُ الْفِدَامُ : خِرْقَةٌ يَشْدُ بِهَا فَمُ الْإِبْرِيْقِ لِيَصْنَعَ  
مَا فِيهِ . تَحْسُوهَا : تَشْرِبُهَا . وَأَنْتَ إِمَامُ الْقَوْمِ : تُوَيِّخُ لَهُ عَلَى قَبِيحِ فَعْلِهِ مَعَ الْفَضْلِ  
الَّذِي سَبَقَ لَهُ ، وَالْعَيْبُ الْكَبِيرُ يَصْغُرُ فِي حَقِّ أَهْلِ الرَّيْبِ ، كَمَا أَنَّ الصَّغِيرَ يَعْظُمُ  
فِي حَقِّ أَهْلِ الْمُرُوءَاتِ ، وَقَالَ الْمُتَنَبِّيُّ فِي الْمَعْنَى وَإِنْ كَانَ مِنْ غَيْرِ الْبَابِ :

وَمَا يُوجِعُ الْحَرَمَانُ مِنْ كَفِّ حَازِمٍ      كَمَا يُوجِعُ الْحَرَمَانُ مِنْ كَفِّ رَازِقٍ<sup>(١)</sup>  
وَقَالَ الْخَزَوِيُّ :

وَالْعَيْبُ فِي الْجَاهِلِ الْمَغْمُورِ      وَعَيْبُ ذِي الشَّرَفِ الْمَذْكُورِ  
كَغُفْوَةِ الظُّفْرِ تَخْفَى مِنْ حَقَارَتِهَا      وَمِثْلُهَا فِي سَوَادِ الْعَيْنِ مَشْهُورٌ  
وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ :

لَوْلَا الْحِيَاءُ وَأَنْتَى مَشْهُورٌ      وَالْعَيْبُ بِالرَّجُلِ الْكَبِيرِ كَبِيرٌ  
لَحَلَّتْ مَنْزَلَةً الَّتِي يَحْتَلُّهَا      وَلَكِنْ مَنْزَلُنَا هُوَ الْمُهْجُورُ

مَه : اسْكُتْ ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ : أَنَا بِالنَّهَارِ خَطِيبٌ ، وَبِاللَّيْلِ أَطِيبٌ ، بِمَا وَقَعَ فِي  
كِتَابِ مِفْتَاحِ السَّرُورِ وَالْأَفْرَاحِ ، حِكَايَةً عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ : رَأَيْتُ قَاصِمًا يَقْصُ  
غُدَاةَ يَوْمٍ ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ بِالْعَشِيِّ فِي حَانَةِ الْقَدَحِ فِي يَدِهِ ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا ؟ قَالَ :  
أَنَا بِالْقُدَاةِ قَاصِمٌ ، وَبِالْعَشِيِّ عَاصٍ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا كَتَبَ بِهِ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ لِابْنِهِ الْفَضْلِ حِينَ بَمَثَ فِيهِ أَهْلُ  
خُرَّاسَانَ كِتَابًا إِلَى الرَّشِيدِ : إِنَّهُ مُشْتَغِلٌ بِالصَّيْدِ وَإِدْمَانُ الْغَدَاةِ ؛ فَرُمِيَ بِهِ إِلَى يَحْيَى  
وَقَالَ : يَا أَبَتِ اكْتُبْ إِلَيْهِ بِمَا يَرُدُّهُ ، فَكَتَبَ عَلَى ظَهْرِ الْكِتَابِ :

(١) ديوانه ٢ : ٣٤٢ .

(٢) الفوف : البياض التي يكون في أظفار الأحداث .

حفظك الله يا بني ، وأمتع بك . قد انتهى إلى أمير المؤمنين ما أنت عليه من التشاغل بالصيد وإدمان اللذات ، فإود ما هو أتيق بك وأزرن لك ، فإنه من عاد إلى ما يزينه ، وترك ما يثيبه ، لم يعرفه أهل دهره إلا به . وقد قلت أحياناً فالتزمها ، وإن جاوزتها عزلتك عن سخط ، ولم أكلمك حولاً ، وكتب إليه :

انصب نهاراً في طلاب الملا	واصبر على قد لقاء الحبيب
حتى إذا الليل أتى مقبلاً	واستترت فيهميون الرقيب
فباشر الليل بما تشتهي	فإنما الليل نهار الأريب
كم من فقى تحبه ناسكاً	قد لقي الليل بأمر عجيب
ألقى عليه الليل أنوابه	فبات في لحو وعيش خصب
ولذة الأحق مشهورة	يرصدنا كل حشود رقيب

فامتثل ما فيها حتى عزل عنها .  
وقال الخولاني في ضده :

أنت الذي قسم الزمان لنفسه	قسم بين رياسة ومتاب
أعطى لمرتبة الملاء نهاره	منها وجنح الليل للمحراب

وقال الفنجدي في قوله : أنا بالنهار خطيب وبالليل أطيّب ، معناه أنا صالح المنظر ، فاسد الحجة ، أنظر في مرآة المراعات ، وأشر مساواة المسادات ، وأديم المناجاة جلوة ، وأقيم الداجاة خلوة ، أمر الناس بلرشاد ، وأنا أنوسد وسادة الفساد .

وقال ابن عمر رضي الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَحْسَنَ الصَّلَاةَ حِينَ يَرَاهُ النَّاسُ ، ثُمَّ أَسَاءَهَا حِينَ يَخْلُو ، فَتَكَ اسْتِهَانَةً يَسْتَهِنُ بِهَا رَبِّهِ » .

قوله : تسليك عن أناسك ، أى اشتغالك عن أهلك وبهك ، وهو مستط  
 رأسه ، أى الموضع الذى سقط فيه رأسه عند ولادته . خطابك : فصاحتك  
 فى خطبتك . إدناسك : عيبك وتلطيع عرضك . مدار : دوراته فى أبدى  
 الشارين .

\*\*\*

فأشاح يوجِّه عَنِّي ، وقال : اسمع مِنِّي :

لَا تَبْكِ الْفَانَاىَ وَلَا دَارَا      وَدُزَمَعَ الدَّهْرُ كَيْفَمَا دَارَا  
 وَاتَّخِذِ النَّاسَ كُلَّهُمْ مَسْكَنًا      وَمَثَلِ الْأَرْضِ كُلَّهَا دَارَا  
 وَاصْبِرْ عَلَى خُلُقِي مَنْ تَمَاسِيرُهُ      وَدَارِهِ فَالَلَيْبُ مَنْ دَارَى  
 وَلَا تَضِيعْ فُرْصَةَ الشُّرُورِ فَآ      تَذَرِي : أَيَوْمًا تَعِيشُ أَمَ دَارَا  
 وَاعْلَمْ بِأَنَّ النُّونَ جَائِلَةٌ      وَقَدْ أَدَارَتْ عَلَى الْوَرَى دَارَا  
 وَأَقْسَمْتُ لَا نَزَالَ قَانِصَةٌ      مَا كَرَّ عَصْرُ الْحَيَا وَمَا دَارَا  
 فَكَيْفَ تُرْجَى النِّجَاةُ مِنْ شَرِّكَ  
 لَمْ يَنْجُ مِنْهُ كِسْرَى وَلَا دَارَا

\*\*\*

أشاح : نحى معرضاً ، وأشاح فى الأمر : صمم عليه .

إفاناً : صاحباً . فأنى : بقدر ، يقول له جواباً للومة : لا نيك صاحباً بقدر  
 عنك ، ولا منزلاً تترتب عنه ، وتقلب مع الدهر كما يتقلب مع أهله . ودز ،  
 من الدوران . سكتنا : أهلاً وإلفاً تسكن إليه . ومثل الأرض كلها داراً ، أى

بلداً ، والدار البلد في قوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿ وَتَمَتُّوا فِي دَارِكُمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> . داره : لايته وسايته . اليبب : العاقل . دارى : أحسن مخالطة الناس ، وأصلها الخلداع ، تقول العرب : دريت الصيد أدريه درياً ، وداريته أداريه مداراةً ، والدرية بغير يمد عنده الصائد ، يستتر به فيجىء الصيد فيأنس بالبعير ، فيرميه من قرب . وكان الحسن يقول : المداراة تستطب مودة التلوب فتخدعهم في عقولهم . وفي الحديث : « أحب الناس محبباً إلى الله أكثرهم محبباً إلى الناس » وفيه : « إذا أحب الله عبداً حبه إلى الناس » .

وقال ابن عبد ربه :

وجهٌ عليه من الحياء مهابةٌ ومحبةٌ تجرى مع الأنفاس <sup>(٣)</sup>  
وإذا أحبَّ الله يوماً عبده أتى عليه محبة للناس

كتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إلى سعد بن أبى وقاص : إن الله إذا أحبَّ عبداً حبه إلى الناس ، واعتبر منزلك من الله بمنزلك من الناس ، واعلم أن مالك من الله بمنزلة ما للناس عندك .

وقال بعضهم : أتيت الخليل فوجدته على طينفة صغيرة ، فوسَّع لى ، فكرهت أن أضيق عليه فأخرت ، فأخذ بعضدى ، وقدمنى إلى نفسه ، وقال : لا يضيق سم الخياط بمتعابين ، ولا تسع الأرض متباغضين ، أخذه ابن عبد ربه فقال :

ميلٌ من هويت وإن أبدى مباغضةً فاطيب الميش وصل بين إلفين <sup>(٤)</sup>  
واقطع حائل خدن لا تلائمهُ قللاً تسع الدنيا بفيضين

(٢) سورة هود ٦٥ .

(١) سورة التكبوت آية ٣٧

(٣) المقد ٢ : ٣١٦

ولأبي محمد بن أبي الوليد الماتى :

سَيرَ فؤادك للحبيب منزلةً      سَمَّ الخياطَ مجالَ للمعبين  
ولا تسامح بغياض في معاشره      قَلَمًا نَع الدنيَا بغيضين  
ولابن الزقاق :

ألا اذنُ وإن ضاق الندى فإنه      رحيب بوَدَ صُمْنَتُهُ الأضالع<sup>(١)</sup>  
بضيق القضاء صاحبين تباغضا      وسمَّ خياطَ بالحبيبين واسع  
وقال التهامي :

بين الحبتين مجلسٌ واسعٌ      والودَّ حالَ بِغَرَبِ الشاسع<sup>(٢)</sup>  
والبيتُ إن ضاق عن ثمانية      مَنَسَع بالوداد للتاسع  
فرصة : نهضة وغنيمة . دارا : دهرأ وقال السري<sup>(٣)</sup> .

قم فاتتصف من صروف الدهر والنوب  
واجمع بكأسك بين اللهو والعرب<sup>(٤)</sup>  
واخلع عذارك واشرب قهوة مُزِجَت      بقهوة الفلج الممول والشنب  
تَوَجَّ بكأسك قبل الحادثات يدي      فالكأس تاج يدِ المثرى من الأدب  
جائلة : دائرة .

[ ذكر كسرى ]

كسرى ، اسم ملك الفرس ، وكسرى ملك للوك أنوشروان بن قباد بن

(١) ملحق ديوانه ١٤١ . (٢) لم أجدهما في ديوانه

(٣) ديوانه ٢٦ (٤) بدمه في الديوان

أما ترى الضئيع قد قامت عساكره      في الشرق تنشر أعلاما من الذهب  
والجور يمثال في حجب مُمَسَّكة      كأنما البرق فيها قلب ذى رُعب

فيروز بن يزدجرد بن بهرام ، الملك العادل ، ملك العرب والعجم ، كان موصوفاً بالعدل ، معروفاً بحسن الرعاية والفضل ، وشهرته في كتب الآداب مغنية في ذكره عن الإطناب . قيل : كان مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لاثنتين وأربعين سنة مضت من ملكه ، وملك تسعاً وأربعين سنة .

وكسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان ، كان ملكاً شديد البطش ، ناهض الرأي ، قد بلغ من الظفر ومسالمة الدهر حداً لم يبلغه ملك من الملوك ، كان ملكه ثمانى وثلاثين سنة .

وفي سنة ثلاثين من ملكه بُعث نبينا صلى الله عليه وسلم .

وحدث خالد بن ربيعة - وكان رأساً في الجحوس ، فأسلم - قال : كان كسرى إذا ركب ركب معه رجلان ، فيقولان له ساعتئذ : أنت عبدولست برب ، فيشير برأسه أن نعم ، فركب يوماً ، فقالا ذلك له فلم يُسر برأسه ، فشكواه إلى صاحب الشرطة ، فركب ليعاقبه . وكان كسرى قد نام فلما وقع صوت حوافر الدواب في أذنه استيقظ ، فدخل عليه صاحب الشرطة ، فقال : أيقظتوني ، إني رأيت كأنه رُقي بي فوق سبع سموات ، فوَقَّعت بين يدي الله تعالى ، وإذا رجل بين يديه ، عليه إزار ورداء ، فقال لي : سلم مفاتيح خزائن الأرض إلى هذا ، أَلست بالأمور بكذا فلم أقبل ! وإني أردت أن أقولها فاستردَّ هامتني فأيقظتوني . وصاحب الإزار والرداء هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وبعث له رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة بن قيس ، وكتب له : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله النبي إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنِّي



رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ،  
فأسلم تسلم ، فإن أبيت فإن إثم الجحيم عليك .

فلما قرأ الكتاب شقه ، وقال : يكتب إلى بهذا وهو عبيد ! فبلغ الخبر  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « مرّقه مرّق الله ملكه » . أو قال : « اللهم  
مرّقه كل مرّقه » .

ثم كتب كسرى إلى باذان ، وهو على اليمن : أن ابث إلى هذا الرجل  
الذي بالحجاز رجلين جلدتين يأتياني به . فبث باذان قهرمانه - وكان كاتباً حاسياً ،  
وهو بابومة ، وبث معه برجل من القوس ، وكتب معهما إلى رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ، يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى ، وقال لبابومة : وبك ! انظر  
من الرجل ، وكلمه ، واتقن بخبره . فخرجا حتى قدما الطائف ، فألا عنه قتالوا :  
هو بالمدينة ، واستبشر أهل الطائف ، وقالوا : نصب له كسرى ، كقيم الرجل ،  
فخرجا حتى قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلّله بابومة . وقال :  
إن شاهنشاه ملك الملوك كسرى كتب إلى باذان يأمره أن يبعث إليك من  
يأتيه بك ، وقد بعث إليك لتتطلق ممي ، فإن قلت كتبت فيك إلى ملك  
الملوك بكتاب ينفعك ، ويكف عنك به ، وإن أبيت فهو من قد قلت ، وهو  
مهلكك ومهلك قومك ، ومخرّب بلادك . فقال لهما : ارجعا حتى تأتياني غداً .

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر أن الله تعالى قد سلط على كسرى  
ابنه شيرويه ، قتله في ليلة كذا في شهر كذا ، بعد ماضى من الليل كذا ، سلط  
الله عليه ابنه ، قتله . قالوا : هل تدري ماتقول ؟ فإننا قد خفنا منك ما هو أيسر  
من هذا ، أفنكتب به عنك ونخبر الملك ؟ قال : نعم ، أخبراء ذلك عني وقولا  
له : إن ديني وسلاطاني سيبلغ ما يبلغ ملك كسرى ، وقولا له : إن أسلمت أعطيتك  
الناس تحت يدك ، وملكتك على قومك من الأبناء . فخرجا من عنده حتى قدما  
على باذان ، فأخبراه الخبر ، قال : والله ما هذا بكلام ملك ، وإني لأرى الرجل

نبيًا ، فإن كان ما قال حقًا ، فهو نبي مرسل ، فإن لم يكن فسأرى فيه رأياً . فلم يلبث أن قدم عليه كتاب شيرويه ، وفيه : أمّا بعد ، فإنّي قد قتلت كسرى ولم أقتله إلا غضباً لفارس ، ثمّ كان استحلّ من قتل أشرافهم ؛ فإذا جاءك كتابي هذا فنخذلي الطاعة ممّن قبلك ، وانظر إلى الرجل الذي كتب لك فيه ، فلا تهجمه حتى يأتيك أمرى فيه ، قال باذان : إنّ هذا الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس .

وكسرى أنوشروان هو الذي بنى سور الأبواب وهو من عجائب الدنيا فلما بناه هادته للوك وكاتبته . وهو الذي افتتح كثيراً من بلاد الشام الرومية ، ونقل منها الرخام إلى العراق . وقيل : إنّ النبي صلى الله عليه وسلم ولد لاثنتين وعشرين سنة من ملكه ، وقيل : إنه ولد في آخر ملكه كما قدّمنا .

ثم ولى من بعده ابنه هرمز ، وكان مضطّفاً ، غزته اللوك وطمعت فيه ، ثم خلعت الفرس ، ومملّت عينيه .

وعقد الملك لابنه أبرويز في حياته ، فبعد حروب شديدة اجتمع لأبرويز أمره ، وكان وزيره بُزرجهر أكثر الفرس حكماً ومواعظ .

وفي ملكه كانت وقعة ذى قارين بكر بن وائل ، والهرمز صاحب أبرويز ، لأربعين سنة لمولد النبي صلى الله عليه وسلم . وقيل إنها كانت في غزوة بدر - وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « هذا يوم انتصفت فيه العرب من المعجم وبني نضيرت » .

وكان على مرتبط أبرويز خمسون ألف دابة وألف فيل ، فخرج في أحد أعياده ، وقد صفّت له الجيوش وأحدثت به مائة ألف فارس دون الرجال ، وصفّت له الفيلة ، فلما بعثت به سجدت له ، فما رفضت ردها حتى رفعت خراطيمها بالهاجن ، فأعلم بذلك وقال : وددت أنها فارسية ، ولم تكن هندية ، انظروا إلى

أدبها من بين سائر الدواب . ثم هدم الله تعالى هذا الملك العظيم بالإسلام .  
قال الأبيري :

فطف البلاد لكي ترى آثار مَنْ      قد كان يمرُّها من الأقيالِ  
عصفت بهم ربيعُ الرِّدَى فذرتهم      ذَرَوُ الرِّياحِ الهُوجَ حُفَ رمالِ  
فتفطمت أسبابهم وتَمَزَّقَتْ      ولطالما كانوا - كنظم لآلِ

قيل لأبرويز - وكان حكيماً : ماشهوءُ ساعة ؟ قال : الجاع ، قيل : فاشهوءُ  
يوم ؟ قال : دخول الحمام ، قيل : فاشهوءُ جمعة ؟ قال : غسل الثياب ، قيل :  
فاشهوءُ شهر ؟ قال : تجديد الثياب ، قيل : فاشهوءُ سنة ؟ قال : نزوج الأيتام .  
قيل : فاشهوءُ الأبد ؟ قال : أمّا في الدنيا فشاهدة الإخوان ، وأمّا في الآخرة  
فنميم الجنة .

ونظر إلى قذاة في طعام ، فدعا الطباخ فقال : ما هذا ؟ قال : حاولته بالليل  
في وقت لم يكن فيه ماء معين ، فأمر بضرب عنقه ، فنضب الطباخ ؛ وقال :  
يا ابن الأشعوربان - تفسيره يا ابن سائس الدواب - ففأعنه ، وقال : إنا معشر  
الملوك نأقب في الصغير ، ونعفو عن الكبير .

### [ ذكر دارا ]

وأما دار بن دارا بن بهمن ، وهو آخر ملوك الفرس الأول ، فإنه كان ضخم  
الملك ، ذا قدرة ومكانة ، وهو الذي بنى بأرض الجزيرة مدينة دارا مجرد ، وكانت  
جندة ستائة ألف ، ولقبه الإسكندر بالجزيرة ، فدارت بينهم الحروب أربعين يوماً ،  
وخلق دارا على عسكره خمس خنادق ، وجعل على كل خندق اثني عشر ألف  
رجل ، وكانت التوبة لانتصيب الرجل إلا يوماً في كل خمسة أيام ، فوجد  
الإسكندر من ذلك وجداً شديداً ، فبعث إلى دارا : إنا كدنا تنفاني ، ورأيت

رأيا فيه البقاء لنا ولك ، وذلك أن تفرج لى ، فأخرق صفك خرقا إلى جانب بلادك ، وأرجع إلى بلادى ، فإننا لآثرى الفرار من الزحف ، وهو عار لا يفسل . فأجابه دارا : لا سبيل إلى ذلك - فلما رأى الإسكندر ذلك وضع البرنس ، وحسر عن رأسه ، وقال : ياممشر الروم ، هذا هو العجز والذل عن الانتصار ، هل فيكم من يمثال لى فى هذا الأمر ، وله نصف مال الروم والمجم ، ونصف مافى بيوت الأموال ؟ فقد أدركتنى الحية . فبلغ الخبر إلى صاحب حرس دارا فقال : أنا أفضل ذلك وأخذ مالا عظيما . فلما التعم القتال حل على دارا فطمعته بحربة فى ظهره ، فوقع على الأرض وانهزم عسكر دارا . نجاه الإسكندر ووضع رأس دارا فى حجره ، ومسح التراب عن وجهه ، وقبّله وبكى ، وقال : الحمد لله الذى لم يجعل قتلك على يدى ، ولا على يد أحد من جنديى ؛ فسل ما بدا لك أقضيه ، فقال له دارا : من حاجتى عندك ألا تخرب بيوت النيران ، وأن تنصفنى من قتلى قبل موتى ، فإنه إن بقى عندك سيكفر معروفك ، كما كفر معروفى . فقال له الإسكندر : حاجتى عندك أن تزوجنى بنتك روشنك ، فقال دارا : على أن يجعل الملك من بعدك لولدك منها ، فأجابه إلى ذلك وزوجه ابنته ، وأخذ الإسكندر قاتله وقطعه أربع قطع ، واستولى على جميع مملكته .

وملك دارا أربع عشرة سنة ، وقيل : ست سنين ، وقسم الإسكندر غنائم عسكره فى ثلاثين يوما . وشاور الإسكندر معلمه أرسطاطاليس فى أن يقتل من بقى من الفرس ، فقال له : لا تقتل ، ولكن ولّ على كل جهة شريفا من أهلها فيقنأفون ، فلا يجمعهم ملك أبدا ، ففعل فهم ملوك الطوائف ، حتى انتزع أردشير عنهم الملك ، وقال : إن كلمة فرقتنا خمسمائة سنة وتسع عشرة سنة - يعنى كلمة أرسطاطاليس - لكلمة بالغة .

وملوك الفرس الأول ستة عشر ملكا ، وملوك الفرس الثانى اثنان وثلاثون ،

منهم امرأتان . وملك بعد أردشير سابور ، وهو من عظامهم ، قفتح الحصون ومدنً للدن ، وبني الإيوان وهو بالجانب الشرقى من الدائن ، وهو من عجائب البنيان ، وعجائب القرس كثيرة ، وفي هذه النبتة غنية توافق ما شرطنا .

• • •

قَالَ : فَلَمَّا اعْتَوَرْتَنَا الْكُتُوسُ ، وَطَرَبَتِ النَّفُوسُ ، جَرَعَنِي الْيَمِينُ النَّمُوسُ ، عَلَى أَنْ أَحْفَظَ عَلَيْهِ النَّامُوسُ . فَاتَّبَعْتُ مَرَامَهُ ، وَرَعَيْتُ ذِمَامَهُ ، وَنَزَلْتُ بَيْنَ الْمَلَأِ مَنَزِلَةَ الْفَضِيلِ ، وَسَدَلْتُ الدَّلِيلَ عَلَى تَخَازِي اللَّيْلِ ، وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَابَهُ وَدَابِي ، إِلَى أَنْ تَهَيَّأَ لِإِبَانِي . فَوَدَّعْتُهُ وَهُوَ مُصْرَعٌ عَلَى التَّدْلِيسِ ، وَمُسِرٌّ حَسَوًا الْخُنْدَرِيَسَ .

• • •

قوله : اعتورتنا ، أى قصدتنا ودارت علينا .

النَّمُوسُ : الشديدة ، وهى فى الجاهلية التى نفس صاحبها فى العار ، وفى الإسلام نفس صاحبها فى الأوزار ، والنفس ارتباط الشيء فى ماء ، أو صينغ حتى اللقمة فى الخلق .

والنَّمُوسُ قيل لأنها اليمين التى يقطع بها الرجل حق غيره . فيحلف كاذبا .  
الليث رحه الله : هى اليمين التى لا استثناء فيها ، وفى الحديث : « اليمين النَّمُوسُ تدع الديار بلائع » ، أى قرأ فارغة من كل رزق .

والنَّمُوسُ : إظهار فعل الخير ، وتنامس الرجل إذا ظهر بما لا يعتقد ، وأصل النَّمُوسِ السر ، وكل شيء سترت به شيئاً فهو ناموس له ، وناموس الرجل صاحب سره ، ويقال : لصاحب سر الخبير ناموس ولصاحب سر الشر جاسوس .  
قال أبو عبيدة : هما بمعنى .

غيره: الناموس: صاحب سر الملك، وقد نَمَسَ يَنمَسُ نَمَاساً، ونَامَسَتْهُ نَمَاسَةً.  
مراه: مطلبه ومراده. رَعَيْتُ ذِمَامَهُ: حَفِظْتُ حَقَّهُ، وما يَبْنِي وَيَبْنِيهَ مما يَجِبُ  
أن يراعى. اللأ: الجماعة.

### [ ذكر الفضيل ]

الفضيل: هو ابن عياض التميمي، كنيته أبو علي، وهو مَعْنَى شهر بالزهد  
والخير، وهو من رجال رسالة القشيري، قال صاحبها أبو علي: خراساني من  
ناحية مَرَوْ، ولد بسر قَنْد، ومات في الحرم سنة سبع وثمانين ومائتين.

وكان شاطرأً يقطع الطريق، وسبب توبته أنه عشق جارية فبينما هو ذات  
يوم يرتقي الجدار إليها، إذ سمع تالياً يقول: ﴿الْمَ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ  
لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ<sup>(١)</sup>﴾، قال: يارب قد آن، فرجع فأوى إلى خربة،  
فإذا فيها رقعة فقال بعضهم: نرتمل، وقال بعضهم: حتى نصبح، فإن فضيلاً في  
الطريق فيقطع علينا، فأَمْسَمهم وسار معهم حتى بلغوا، وجاور الحرم.

قال الفضيل: إذا أحب الله عبداً أكثرهم، وإذا أبغض عبداً وسَّع  
عليه دنياه.

وقال: الكامل المروءة من برّ والديه، وأصلح ماله، وأتقى ماله وأتقى  
من فضله، وأكرم لإخوانه، وحسّن خلقه، ولزم بيته.

وقال: إذا رأيتُ الليلَ مقبلاً فرحت، وقلت: أخلو برّبي، وإذا أبصرت  
الصباح استرجعت كراهة أن يمحي من يشغلي.

واطلع عليه بعض إخوانه من كوة ولحيته تقطر دموعاً، قال: يا هؤلاء،

ليس هذا زمن حديث إنما هو زمن : احفظ لسانك ، وعالج قلبك ، وأخف مكانك ، وخذ ما تعرف ، ودع ما تنكر .

وقال : لو أن الدنيا بمذاخيرها عُرِضَتْ عَلَىَّ لَا أَحَاسِبُ بِهَا لَكُنْتُ أَتَقَدَّرُهَا كَمَا يَتَقَدَّرُ أَحَدُكُمْ الْجِيفَةُ إِذَا مَرَّ بِهَا أَنْ تَصِيبَ ثِيَابَهُ .

وقال : ترك العمل لأجل الناس رياء ، والعمل لأجل الناس هو الشرك .

قال أبو علي سليمان الداراني : صحبت الفضيل ثلاثين سنة ، ما رُبُّهُ ضاحكا ولا متبسما إلا يوم مات ابنه علي ، فقلت له في ذلك ، فقال : إن الله تعالى إذا أحبَّ امرأً ابتلاه .

وقال : إني لأعصى الله فأعرف ذلك في خلق حمارى .

وأخباره كثيرة ، وهذه اللمة دالة عليها .

قوله : سددت ، أى أرخيت . مخازى : قبائح ، وما يخزى عليها فاعلها .  
لو أطلع على فعله . دأبه ودأبى : عادته وعادته . إياى : رجوعى . مصر : مقيم  
التدليس : تلبيس الأمر وكتمان العيب .

ويشبه غزل ابن همام السروجى في شرب الخمر ثم مساعدته إياه . بعد لومه  
وشربه معه ، قول ابن أبي ربيعة<sup>(١)</sup> ، وهو أحسن ما قيل في المساعدة :

وخلّ كنتُ عينَ النصح منه      إذا نظرتُ ومستعنا جميعاً  
أطاف بغيّه فنهيت عنها      وقلتُ له : أرى امرأ شنيعاً  
أردت رشادَه جَهْدِي فلّا      أبى وعصى أتيناها جميعاً

وقال أعرابي :

وصكت إذا عقت جبال قومٍ      صعبتهمُ وشيقي الوفاء  
فأحسنُ حينَ يحسنُ محنوم      وأجنبُ الإساءة إن أساءوا  
أشياء سوى مشيتهم فآني      مشيتهم وأترك ما أشاءُ



## المقامة التاسعة والعشرون وهي الواسطية

حكى الحارث بن همام قال : أُلجأتني حُكْمٌ دَهْرٌ قاسِطٌ ، إلى أنْ  
أَتَجِعَ أَرْضَ وَاسِطٍ ، فقصَدْتُها وأنا لا أعرفُ بها سَكَنًا ، وَلَا أَثْلًا  
فِيهَا مَسْكَنًا . وَلَمَّا حَلَلْتُهَا خُلُولِ الْحَوْتِ بِالْبِيداءِ ، وَالشَّعْرةِ الْبِيضاءِ  
فِي اللَّثَمَةِ السَّوْداءِ ، قَادَتِي الْحِطُّ التَّافِصُ ، وَاجْتَذَى النَّاكِصُ ، إِلَى خَانِ  
يَنْزِلِهِ شَذَازُ الْآفَاقِ ، وَأَخْلَاطُ الرِّفَاقِ ، وَهُوَ نِظَافَةٌ مَكَانِهِ ، وَظَرِافَةٌ  
سُكَّانِهِ ، يَرْغَبُ الْغَرِيبَ فِي إِيطَانِهِ ، وَيُنْسِيهِ هَوَى أَوْطَانِهِ .  
فَاسْتَفْرَدْتُ مِنْهُ بِحَجَرَةٍ ، وَلَمْ أَنَافِسْ فِي أَجْرَةٍ ، فَكَانَ إِلَّا كَلَمَحٍ  
طَرَفٍ ، أَوْ خَطِّ حَرْفٍ ؛ حَتَّى سَمِعْتُ جَارِي يَتَ يَتَ ، يَقُولُ لِنَزِيلِهِ  
فِي الْبَيْتِ :

...

أُلجأتني : اضطررتني : قاسط : جابر . أتجع : أقصد لطلب الرزق .

[ ذكر واسط ]

واسط : بلد معروف ببناء الحجاج وسط المسافة التي بين البصرة والكوفة ،  
منها إلى كل واحدة منهما خمسون فرسخًا ، وسكنه ، ومات فيه .

قال اليمتوي : واسط مدينتان على حافتَي دجلة ، فالمدينة القديمة التي هي :  
( ٢٤ - شرح مقامات المري ج ٣ )

منازل الدهاقين هي الشرقية من دجلة ، وهي مدينة كَنَكَر . وابتقى الحجاج مدينة في الجانب الغربي ، وجعل بينهما جسرا من السفن ، وبني بها قصر موالقبة الخضراء التي يقال لها خضراء واسط والمسجد الجامع ، وعليها سور ، ونزلتها الولاية بعد الحجاج . وهي بين البصرة والكوفة والأهواز متوسطة ، فسُمِّيت واسط بذلك .

قال الطبري<sup>(١)</sup> خرج الحجاج يرتاد منزلا لأهل الشام ، فأمن حتى نزل أطراف كَنَكَر ، فبينما هو كذلك ؛ إذ هو براهب قد أقبل على أتان له ، فبصر دِجْلَةَ ، فلما كان بموضع واسط ، تفاجت الأتان فبالت ، فنزل الراهب فاحتفر ذلك البول وحمله<sup>(٢)</sup> حتى رمى به دجلة ، وذلك بين الحجاج ، فقال : على به ، فلما أتاه<sup>(٣)</sup> قال : ما حلك على ما صنعت ؟ فقال : إنا نجد في كتبنا أنه يُبين في هذا الموضع مسجد يُبصد الله فيه<sup>(٤)</sup> ما دام أحد في الأرض يوحده ، فاخط الحجاج مدينة واسط ، وبني للمسجد في ذلك الموضع ، وذلك سنة ثلاث وثمانين .



قوله . سكنا ، أي صاحباً يُسكن إليه ويُؤنس به ، وللسكن : المنزل القبيح يُسكن فيه . البيداء : الصحراء ، أراد أنه غريب ليس له صاحب ولا منزل كالخوت في الصحراء . والقتة : الجُبَّة من الشعر تُلْم بالنعكس . قاذى : ساقى . الحظ : النصيب . والجُدْ : السد . الناكس : الراجع إلى خلقه ، يريد أن سعه يمشى إلى جهة خلف ، ونكس ينكس : رجع القهقري . خان : فندق . والشذاذ : الثَّرباء الذين شذوا عن أوطانهم ، أي فروا منها وبعدوا ، والشذاذ : التفرد ، وكلمة شاذة : مقترقة من جنسها ، وشذَّ الرجل : انفرد عن أصحابه .

(٢) الطبري : « احتله »

(٤) ط : « يوجد » تحريف

(١) تاريخ الطبري ٦ : ٣٨٤

(٣) الطبري : « قاتى به »

والآفاق : النواحي . أخلط الرفق : من لا يتنصص منهم ولا يمين .  
إبطانه : سكتاه . هوى أوطانه : حب بلاده . استفردت : سكتها مفرداً .  
والحجرة : البيت . أنافس : أغال ، من قولهم : نفستُ عليه بالشئ ، إذا ضفتَ  
به ، ولم تحب أن يصير إليه . لمح الطرف : نظر العين . بيت بيت ، أى يته ملاصق  
ببقي ، وهما اسمان جعلا كاسم واحد ، وبنيا على الفتح . نزله : النازل معه .

\*\*\*

قَمْ يَابِئْتِ ، لَا قَمَدَ جَدُّكَ ، وَلَا قَامَ صِدِّكَ ، وَاسْتَصْنَجِبْ ذَا الْوَجْهِ  
الْبَدْرِى ، وَاللَّوْنِ الثَّرَى ، وَالْأَصْلَ النَّقَى ، وَالْجَسْمَ الشَّقَى ، الَّذِى قُبِضَ  
وُثِيرَ ، وَسُجِنَ وَشِيرَ ، وَسُقِيَ وَقْطِيمَ ، وَأُدْخِلَ الثَّارَ بَدْدُ مَا لَطِمْ .  
ثم ازكض إلى السَّوقِ ، رَكْضَ الشَّوْقِ ، فَقَابِضْ بِهِ اللَّافِحَ  
الْمُلْقِحَ ، الْمَفْسَدَ الْمُصْلِحَ ، الْمَكِيدَ الْمُفْرِجَ ، الْمَعْنَى الْمَرْوَحَ ، ذَا  
الزَّفِيرِ الْمُحْرِقِ ، وَالْجَنِينَ الْمُشْرِقِ ، وَاللَّفْظَ الْمُقْنِعَ ، وَالتَّبْلِ الثَّمِينِ ،  
الَّذِى إِذَا طُرِقَ ، رَعَدَ وَبَرِقَ ، وَبَاحَ بِالْحَرْقِ ، وَنَفَثَ فِي الْحَرْقِ .

\*\*\*

جَدُّكَ : سمدك . صِدِّكَ : عدوك الخالف لك . البدرى : الأبيض السعدير  
كالبرد ، يريد الرغبة ، مشبهه بالبدر فى بياضه واستدارته . وقال ابن الرومى :  
مررتُ بجنّاز يسبط الرقاق كأسرع من رجوع الطرف ، ما بين أن ترى السجين  
فى يده كالسكرة حتى يندحى فيصير كالقمر ، إلا مقدار لحظة ، فشبهت سرعة  
انبساطها ، بسرعة الهائرة فى الماء تجلف فيه بالحبر فقلت :

مَا أَنَسَ لَا أَنَسَ خَبَازًا مَرَرْتُ بِهِ

يَدْحُو الرِّقَاقَ كَوْشَكَ اللَّحْمِ بِالْبَصْرِ<sup>(١)</sup>

مَا بَيْنَ رُؤْيَيْهَا فِي كَفِّهِ كَرَّةٌ      وَبَيْنَ رُؤْيَيْهَا قُورَاءٌ كَالْقَمَرِ

إِلَّا بِمَقْدَارِ مَا تَنْدَاحُ دَائِرَةُ      فِي صَفْحَةِ الْمَاءِ يُرْمَى فِيهِ بِالْحَجَرِ

...

[مما قيل من الشعر في الفيلان]

ويتعلق بهذا ما قيل من الشعر فيمن ليس له نهاية من الفيلان : كان ابن  
وضاح جالساً مع جملة من الأدباء ، فرأى بهم غلام نظيف يبيع الخبز ، فلم يتجده  
لأحدٍ فيه شيء إلا ابنُ وضاح ، فإنه قال :

خَبَزَ الْخَبِيزُ ظَرِيفٌ      عَذِبَتْ فِيهِ الْخُوفُ

خَاطِلُ الْأَنْسَابِ لَكِنْ      هُوَ فِي الْحَسَنِ شَرِيفٌ

خَهَرَهُ أَهْيَفُ شَعْتٍ<sup>(٢)</sup>      وَكَذَا الْفَزْلَانُ هَيْفٌ

مِنْ مَخْصَمٍ مَقْلَتِيهِ      حُكِّمَتْ فِيهِ السِّیُوفُ

ونظر إدريس بن اليماني إلى غلام وسيم بالحمام عليه أسمال ، قال :

تَوَشَّحَ بِالظُّلُمَاءِ وَهُوَ صَبَاحٌ      وَأَمْرَضَ بِالْأَجْنَانِ وَهُوَ صِحَاحٌ

وظَلَّ فَوَادِي طَائِرًا عَنْ جَوَائِمِي      وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا الْفَرَامُ جَنَاحُ

(١) نقله البارودي في مختاراته ٤ : ٧١

(٢) شعيت ، أي ضامر .

قُضِبُ صَبَاحٍ فِي وِشَاحٍ دُجَّتْهُ      أَلَا لَيْتِي تَحْتَ الْوِشَاحِ وَشَاحُ  
وَلَا عَجَبُ أَنْ أَفْسَدْتَنِي جُفُونُهُ      فَكُلَّ فِئَادٍ فِي هَوَاةٍ صَلَاحُ

وقال الرّصافي :

يقولون لي يوما وقد مرّ ضارباً      بمحوّله ضربَ المرجمَ بالقُضِبِ (١)  
تعلّمَ صَفَّاراً قُتِلَ : استعارها -      غَدَاةً رَفَاً مِنْ حَيِّثُهَا الْعَاشِقُ الصَّبُّ  
يعود النحاس الأحمر القبر عسجداً

بكفّيه عند السبك واللذّ والضرب  
غمرته مشتقة من حيائه      وصفرته مما يخاف من القُتبِ

قوله الدرّي : الأبيض الذي يشبه الدرّ في لونه ، ويقال : كوكب درّي  
منسوب إلى الدرّ ، مشبّهاً به لصفاته وحسنه ، بضمّ الدال وتشديد الياء ، ودُرّي  
بالضمّ والهمز ، ودِرّي بكسر الدال مع الياء ومع الهمزة ، ودُرّي بالفتح  
والهمز ، فن كسر وهمز فهو فُفيل ، من درأ الكوكب ، إذا جرى في أفق  
السماء ، ومن كسر بلا همز فلاجل الياء بمد الزاء ، ومن ضمّ وهمز فغَطَّاه  
الفراء ، قال : فُفيل ليس في أبنية العرب ، وأثبتته سيبويه . قال أبو عبيدة :  
أصله ذروى مثل سَبُوح ، فجلّوا الواو ياء ، وجعلوا الضمة قبلها كسرة ،  
ومثله عُثُوّ وعِثَى .

قوله : الأصل النقيّ ، يعني القمح الذي صنع منه كان نقياً من الزبل وغيره .  
وشفاء جسمه ، قد فسر في التاسعة عشر ، وهو الآن يبيّن بعض شقائه ، قبض  
ونشر . وقت المعجن ، أو وقت الخبز ، لأنه يقطع قبضة ثم يُدسّط المعجن . سجن :

خُزن قحّه في الخازن . وشُهر : أبرز منها للسوق وشُهر على الناس ، أو يكون  
سجته الثُزن ، وشهرته البيع في السوق ، أو عندما يُطاف به على الأسواق : وقال  
للعمري يُلغز في القمح :

وسمراء في بيع الحسان شريها      بصُفر من العين الشبيبة بالشمس  
وقد غيبت في الخلد عصراً مصونة      محجبة عن أعين الجن والإنس  
فلما بدت عنه بدت سيمه التّوى      عليها ولم تجزع لحادثة الأمس  
فأهلاً بأشئ لم ترد يد لامس      بسوء ولا أبدت قاراً من اللّمس

سُمِّيَ : جُمِلَ للاء عليه للمجيب . قُطِمَ : قُطِعَ عنه اللاء . لِعِم : سُوءَى  
بالكف ، وعامتنا تشدد الطاء . اركُض : أسرع . للشوق : الكثير الشوق .  
وشاقك الشيء يشوقك ، إذا هاجلك . قابض : عاوض ، وقابضت الرجل  
فعلتَ معه ما يفعل مملك . اللّاقح في الأصل : الناقة يملوها الفحل ، فتحمل منه .  
ولحمت : حملت ، وللملقح : الفحل يملوها عند السفاد ، وقد بيّن أنه يريد حجر  
الزّند ، جُمِلَ لاقحاً لأنه حامل بالنار ، وملقحاً لأنّ به تخرج النار من الزّند ،  
فكانه ألقحه بالنار ، أي جعلها فيه . والزّند أيضاً لاقح ملقح ، لأن النار لا توجد  
في واحد منهما على افراده ، والنار تصلح في موضع وتفسد في آخر ، فلذلك  
وصفه بهما . واللعن : اللعيب بإحراقه . للروّح : الدخّل الراحة بإصلاحه . وإن  
جعل للزّند ، فعناه إذا شخّ ، ومروّح إذا أوري ، ومحوه . المكيد ، أي الخزن .  
للمفرّح : ضده . والزّفير . التّنفس ، وزفرة الحجر هي النار ، وهي تحرق كلّ  
ما تلتقت به . وهو الجنين ، أي المستور في الحجر ، فإذا ظهر أشرق وأضاء .  
واللفظ : صوت الحجر في الزّند ، فإذا أبدى النار أفتك واكتفت به . وهو  
نيله ، أي عطاؤه . والمبتع : الكثير وقليل النار كثير ، وقد قال الأعرابي : إنّ  
السّقط يحرق الدوحة ، أراد ما يسقط من الزّند من النار الضميمة يحرق الشجر

الكثير للتلطف . طُرِقَ : ضُرب . رَعِدَ : صَوَّت . برق : لَمَعَت ناره . باح : أظهر ما يستر فيه . الحرق : التهاب القلب بالحمى ، فكفى به عتافى الحبر من النار . نَفَثَ : بَزَق . الخرق : التي تسقط فيها نار الزند ؛ وهذه ألفاظ كلها مقاربة ، بعضها يغتر بعضا ، لأنها من مליح الكلام .

\*\*\*

قال : فَلَمَّا قَرَّتْ شِقْشِقَةُ الْمَادِرِ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَدْرُ الصَّادِرِ ، رَزَزَ فَتَى يَمِيسُ ، وَمَا مَعَهُ أَئِيسُ ، فَرَأَيْتُهَا عَضَلَةً تَلْعَبُ بِالْمَقُولِ ، وَتُفَرِّي بِالذَّخُولِ فِي الْفُضُولِ ، فَاَنْطَلَقْتُ فِي أَتْرِ الْعَلَامِ ، لِأَخْبَرِ مَقْوَى الْكَلَامِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَسْمَى سَمَى الْعَفَارِيتِ ، وَتَفَقَّدُ نَصَائِدَ الْحَوَانِيتِ ، حَتَّى انْتَهَى عِنْدَ الرُّوْحِ ، إِلَى حَجَارَةِ الْقَدَاحِ . فَتَأَوَّلَ بِأَتَمِّ رَغِيفًا ، وَتَنَاوَلَ مِنْهُ حَجَرًا لَطِيفًا . فَمَجِبتُ مِنْ فُطَانَةِ الْمُرْسَلِ وَالْمُرْسَلِ ، وَعَلِمْتُ أَنَّهَا سَرُوجِيَّةٌ وَإِنْ لَمْ أَسْأَلْ ، وَمَا كَذَبْتُ أَنَّ بَادَرْتُ إِلَى الْخَانَ ؛ مُنْطَلِقَ الْعِنَانِ ؛ لِأَنْظُرَ كَنَّهُ فِهْمِي ، وَهَلْ قَرُطَسَ فِي التَّكْهِنِ سَهْمِي ؛ فَإِذَا أَنَا فِي الْفِرَاسَةِ قَارِسٍ ، وَأَبُو زَيْدٍ بَوْصِيدٍ الْخَانَ جَالِسٍ . فَهَذَا دَيْنًا بُشْرَى الْإِلْتِقَاءِ ، وَتَقَارَضْنَا تَحِيَّةَ الْأَصْدِقَاءِ .

\*\*\*

قَرَّتْ : سَكَنَتْ . المادِر : الفعل . وشِقْشِقَتُهُ : ما يخرج من لسانه . وتَقَدَّمَتْ فِي الْأَوَّلِ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا لَا تَوْجَدُ عِنْدَ نَحْرِ الْفِعْلِ ، وَكَذَلِكَ بِيضُهُ لَا يَوْجَدُ ، قَالَ : وَأَنْشَدَ بَشَرُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ :





ثُمَّ قَالَ : مَا الَّذِي نَأْبِكَ ، حَتَّى زَالَيْتَ جَنَابَكَ ؟ قُلْتُ : دَهْرٌ  
 هَاضٌ ، وَجَوْرٌ فَاضٌ . فَقَالَ : وَالَّذِي أَنْزَلَ الْمَطَرَ مِنَ السَّمَاءِ ، وَأَخْرَجَ  
 الشَّعْرَ مِنَ الْأَكْجَامِ ؛ لَقَدْ فَسَدَ الزَّمَانُ ، وَعَمَّ الْمَذْوَانُ ، وَعُدِمَ  
 الْمِعْوَانُ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ؛ فَكَيْفَ أَفَلَتَ ، وَعَلَى أَيْ وَصْفِكَ  
 أَجُفَلْتُ ؟ قُلْتُ : اتَّخَذْتُ اللَّيْلَ قَيْصًا ، وَأَدْلَجْتُ فِيهِ خَيْصًا . فَأُطْرَقَ  
 يَكْتُ فِي الْأَرْضِ ، وَيَفْكُرُ فِي ارْتِيَادِ الْقَرْضِ وَالْفَرْضِ . ثُمَّ  
 اهْتَزَّ هِزَّةً مِنْ أَكْثَبِهِ قَتَصَ ، أَوْ بَدَتْ لَهُ فُرْصَ ، وَقَالَ :  
 قَدْ عَلِقَ بِقَلْبِي أَنْ تُصَاهِرَ مَنْ يَأْسُو جِرَاحَكَ ، وَيَرِيئُ جَنَاحَكَ ،  
 قُلْتُ : وَكَيْفَ أَجْمَعُ بَيْنَ غَلٍّ وَقَلٍّ ، وَمَنْ الَّذِي يَرْغَبُ فِي .  
 ضَلَّ ابْنُ ضَلٍّ ! فَقَالَ : أَنَا الْمَشِيرُ بِكَ وَإِلَيْكَ ، وَالْوَكِيلُ لَكَ وَعَلَيْكَ ،  
 مَعَ أَنْ دِينَ الْقَوْمِ جَبْرُ الْكَسِيرِ ، وَفَكَّ الْأَسِيرِ ، وَاحْتِرَامُ الْمَشِيرِ ،  
 وَاسْتِنصَاحُ الْمَشِيرِ ؛ إِلَّا أَنَّهُمْ لَوْ خَطَبَ إِلَيْهِمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدُمَ ،  
 أَوْ جَبَلَةُ بْنُ الْأَيْهِمْ ؛ لَمَّا زَوْجُوهُ إِلَّا عَلَى خُسْمَانَةٍ دَرَمَ ، اقْتَدَاءً  
 بِمَا مَهَرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَوْجَاتِهِ ، وَعَقْدَةً بِدَأْسِ الْكَفَّةِ  
 بِنَاتِهِ ؛ عَلَى أَنَّكَ لَنْ تُطَالَبَ بِصَدَاقٍ ، وَلَا تُتَلَجَّأُ إِلَى طَلَاقٍ . ثُمَّ  
 إِنِّي سَأُخْطِبُ فِي مَوْقِفِ عَقْدِكَ ، وَبِجَمْعِ حَشْدِكَ ، خُطْبَةً لَمْ تَفْتَقِ  
 رَتَقَ تَمَنُّعَ ، وَلَا خُطِبَ بِمِثْلِهَا فِي تَجْمَعِ .

\* \* \*

نَابِكَ : نَزَلَ بِكَ . جَنَابُكَ : بِلْدُكَ وَنَاحِيَتُكَ ، وَالْجَنَابُ : فَنَاءُ الْفَارِ . هَاضٌ :

كسر . قاض : كثر . النعام : السحاب . والنثر : الثمار . وأكاملها : ما يكون فيها ثمرها ، وكل ما وارى شيئاً فهو كمال له . وكم : عم . شمل : المدوان : الفساد .  
للموان : ما يستعان به . وقال الشاعر :

لله دَرَأِيكَ أَيْ زَمَانٍ أَصْبَعَتْ فِيهِ وَأَيَّ أَهْلِ زَمَانٍ  
كُلُّ يَدَانِيكَ الْحَبَّةَ جَاهِلًا بَعِثْ وَيَأْخُذْ مِنْكَ بِاللِّزَانِ  
فَإِذَا رَأَى رُجْحَانًا حَبَّةَ خَرْدَلٍ مَالَتْ مَوَدَّتُهُ مَعَ الرَّجْحَانِ  
وقال ابن لنكك<sup>(١)</sup> :

نَحْنُ مَعَ الْعَمْرِ فِي أَعْجَبٍ قَسَّالِ اللَّهِ صَبْرَ أَيُّوبِ .  
أَقْرَبَ الْأَرْضُ مِنْ مَحَاسِنِهَا فَابْكِ عَلَيْهَا بِكَاءِ بِعُقُوبِ  
وَصَفَّيْكَ : حَالِيكَ مِنْ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَهِيَ حَالَةُ السَّفَرِ . أَجْلَفْتُ : هَرَبْتُ  
مَسْرِعًا ، وَالْإِجْفَالُ : الْهَرُوبُ ، ثُمَّ قَالَ : مَشَيْتُ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ ، فَصَارَ لِي  
كَالْقَمَيْصِ . أَدْبَجْتُ : مَشَيْتُ فِي السَّعْرِ . خَيْصًا : جَائِعًا . أَطْرُقُ : أُمَالُ رَأْسِهِ  
سَاكِنًا . بَنَكْتُ : يَخْطُ فِي الْأَرْضِ . ارْتِيَادُ : طَلَبُ . الْفَرَضُ مِنَ الْعَطِيَةِ :  
مَا فَرَضْتُ عَلَى نَفْسِكَ عَطَاءَهُ ، عَلَى الْأَلَا تَجَازَى عَلَيْهِ . وَالْقَرْضُ : مَا أُعْطِيَ مِنْ  
غَيْرِ فَرَضٍ .

قال الحريري : القرض بالثقاف : ما يستعاد عوضه ، والقرض بالقفاء : مالا  
عوض فيه ، وأنشد في الدرّة<sup>(٢)</sup> لأبي عبد الله التمرّی يرثي أبا عبد الله  
الأزدی :

مَضَى الْأَزْدِيُّ وَالتَّمَرِيُّ يَمُضِي وَبَعْضُ الشَّكْلِ مَقْرُونٌ يَمُضِي  
أَخِي وَالْمَجْتَنِي ثَمَرَاتٍ وَدَى وَلَمْ يَمُزْنِي قَرْضِي وَبِرَضِي

(١) هو محمد بن محمد بن لنكك البصري ، وله ترجمة في النبعة ٢ : ٢٣٠ - ٢٢٤ د  
وفيها البتان .

(٢) درة النواص ص ٤٧ .

وكانت يفتنا أبداً هنات توفّر عرّضه فيها وعرضي  
وما هانت رجال الأزدي بدي وإن لم تدن أرضهم من ارضي

الهفات : كناية عن للفكرات ، فأراد أنه أمال رأسه إلى الأرض مفكراً ،  
وجعل يخط فيها بيده أو يعود ، وهو فعل المهموم الكثير الفكر ، كما قال  
امرؤ القيس :

ظَلَلْتُ رِدَائِي فوق رَأْسِي قاعداً أَعَدَّ الحَصَى ما تنقضي عِبراني<sup>(١)</sup>

فلم يرد أنه بعدّها ليعلم كم فيها ، وحاله من البكاء والحيرة تنفي الثبات  
على العدد ، وإنما أراد أنه كان يمشي فيها بيده اشتغالا ، وفي قلبه من الهم  
ما غلب على الصبر ، وقد بالغ ذو الرمة في بيان هذا المعنى بقوله<sup>(٢)</sup> :

عَشِيَّةً مَالِي هَمَّةً غَيْرَ أَنِّي بَلَقْتُ الحَصَى وَاخْطُتُ فِي الدَّارِ مَوْلَعٌ<sup>(٣)</sup>  
أَخْطُ وَأَحْمُو تَارَةً وَأَعِيدُهُ<sup>(٤)</sup> بَكَتِي وَالْفَرْبَانِ فِي اللِّتَارِ وَقَعُ

وقال ابن جعيل في ذلك :

لَا يَنْكُتُونَ الْأَرْضَ عِنْدَ سَوَالِهِمْ لَتَطْلُبَ الْعَلَاتُ بِالْمِيسِدَانِ  
بَلْ يَبْسُطُونَ وُجُوهَهُمْ فَتَرَى لَهُمْ عِنْدَ السُّؤَالِ كَأَحْسَنِ الْأَلْوَانِ

وقال الشريف الرضي فأحسن :

فَرَى أَنَامِلَهُ التَّرَابُ تَحَلَّلًا وَأَنَامِلِي فِي سَيْئِ الْمَرْوَعِ<sup>(٥)</sup>

(١) ديوانه ٧٨

(٢) ديوانه ٣٤٢ ، ٣٤٤

(٣) في الديوان : « في التراب مولى » .

(٤) في الديوان : « وأحمو الخطم أعيد » .

(٥) ديوانه ١ : ٤٩٧ وفيه : « خلى أنامله » .

قوله : أكتبه ، أى دنا منه . فَنَصَّ : صيد . فرص : جمع فرصة ، وهى كالفتية . يَأْسُو : يَطْبُ . يرش : يجعل عليه الرش . الغُلَّ : الزوجة هنا .

وقالت عائشة رضى الله عنها : إنما النساء أغلال فلينظر أحدكم غلاً يحمل فى عنقه .

وتقول العرب للمرأة السيئة الخلق : غُلَّ قِيلَ<sup>(١)</sup> .

وعونب الكسافى فى ترك التزويج فقال : وجدت معاناة السِّمَةِ أيسر من معاناة العيال .

الغُلَّ : القِلَّة . وضُلَّ ابن ضُلَّ : مجهول لا يعرف ، وفلان ضُلٌّ إذا كان مجهولاً متمسكاً فى الضلال . المشير بك وإليك ، يقال : أشار به إذا رفضه وأشار النارَ وأشار بها وتشورها ، أى رفضها ، فعنى أنا للمشير بك ، أى أرفعُ قدرك ، وأعظم منزلتك ، أى أثنى عليك بخيرى غيبتك عند إصهارك ، والمشير إليك إذا حضرت ، أشرت إليك أن تتزوج فيهم إذا رأيتهم أكفأه .

والوكيل لك عليهم حتى يزوجوك ، والوكيل عليك ، لتمثل ما أمرك به من الزواج فيهم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . قيل فيه : الكافى هو ، قال الفراء : يكون المعنى : كافينا الله ونعم الكافى ، كقولك : رازقنا الله ونعم الرازق . ابن الأثير وهو أحسن فى اللفظ من قولك : كافينا الله ونعم الوكيل . دينهم : عاداتهم . جبر : إصلاح . فكَّ : حل . احترام : إعزاز وقريب ، وهو افتعال من الحرمة ، أى يحملونه فى حرمتهم ، المشير : الصاحب . استنصاح المشير ، أى مَنْ أشار عليهم بشئ رأوه ناصحاً .

(١) قال فى اللسان : «أمه أنهم كانوا يملون الأسير بالقد وعليه الشعر ، فيتمثل القد فى عنقه» .

## [ ترجمة إبراهيم بن آدم ]

إبراهيم بن آدم ، هو من شيوخ الصوفية ، وهو من رجال رسالة  
التشيرى<sup>(١)</sup> ، قال صاحبها : فنهج أبو إسحاق إبراهيم بن آدم بن منصور بن  
إسحاق البلخي من كورة بلخ ، من أبناء الملوك .

وحدث إبراهيم بن بشار ، قال : سمعت إبراهيم بن آدم بن منصور بن  
إسحاق البلخي بالشام ، قلت له : يا أبا إسحاق ، خبّرني عن بدء أمرك كيف  
كان ؟ فقال : كان أبي من ملوك خراسان ، وكنت شاباً ، فركبت يوماً على دابة  
ومعى كلب ، وخرجت إلى الصيد فأثرت ثعلباً ، فبينما أنا في طلبه ، إذ هتف  
بني هاتف : ألهذا خلقت أم بهذا أمرت ؟ فزعت ووقفت ، ثم عدت فركعت  
الثانية ، ففعل مثل ذلك ثلاث مرّات ، ثم هتف بي من قربوس السرج : لا والله  
ما لهذا خلقت ، ولا بهذا أمرت . قال : فنزلت وصادفت راعياً لأبي ، فأخذت  
منه جبة من صوف ، فلبستها وأعطيته الفرس ، وما كان معي . ثم دخلت البادية  
متوجّهاً إلى مكة ، فبينما أنا يوماً في مسيرى إذا برجل يسير ، وليس معه إناء  
ولا زاد ، فلما أمسى وصلى المغرب حرك شفتيه بكلام لا أفهمه ، وإذا أنا بإناء  
فيه طعام وإناء فيه شراب ، فأكلت وشربت ، وكنت على ذلك معه أياماً ،  
وعلمني اسم الله الأعظم ، ثم غاب عني ، وبقيت وحدي أنا ذات يوم  
مستوحش من الوحدة ، دعوت الله فإذا أنا بشخص أخذ بمحجرتي ،  
فقال لي : سل تعط ، فراعى صوته ، فقال : لاروعة عليك ولا بأس ، أنا أخوك  
الخضر ، إن أخي داود علمك اسم الله الأعظم فلا تدع على أحد بينك وبينه شغواء  
فتهلكه ، ولكن ادع الله به أن يقوى ضعفك ، ويؤنس وحشتك ، وتجدد به  
في كل يوم نيتك ورغبتك ، ثم تركني وانصرف .

ومحبه سفيان الثوري والفضل بن عياض ودخل الشام ومات بها . وكان  
يأكل من عمل يده ، مثل الحصاد وحفظ البساتين .

وكان كبير الشأن في الورع ، وقال : أطيب مطعمك ولا عليك ، ألا تقوم  
بالليل ولا تصوم بالنهار .

ركان عامة دعائه : اللهم اقلني من ذلك معصيتك إلى عز طاعتك .

وقال لرجل في الطواف : اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز  
ست عبات ، وهي أن تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة ، وتغلق باب المز  
وتفتح باب القل ، وتغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد ، وتغلق باب النوم  
وتفتح باب السهر ، وتغلق باب الفنى وتفتح باب الفقر ، وتغلق باب الأمن  
وتفتح باب الاستعداد للموت .

وقال محمد بن المبارك الصوري : كنت مع إبراهيم بن آدم في طريق بيت  
القدس ، فزلنا وقت القيولة تحت شجرة رمان ، فصلينا ركعات ، فسمعت  
صوتا من أصل الرمان : يا أبا إسحاق ، أكرمنا بأن تأكل مناشيتنا ، فطأ رأسه  
فقال ذلك ثلاث مرات ، ثم قال : يا محمد ، كن شفيما إليه ليقناول مناشيتنا ،  
فقلت : يا أبا إسحاق ، لقد سمعت ، فقام وأخذ رمانتين ، فأكل واحدة وناولني  
الأخرى ، فأكلتها وهي حامضة ، وكانت قصيرة ، فلما رجنا مررنا بها وهي  
شجرة عالية ورؤماتها حلوة ، وهي تتمر في كل عام مرتين ، وسموها رمانة  
العابدين .

وركب إبراهيم في مركب ، فهاجت ريح شديدة ، فلف إبراهيم رأسه  
بعباءة وطرح نفسه مع العاص ، فسمعوا صوتا من البحر يقول : لا تخافوا فتيك

إبراهيم بن آدم ، وصاح الناس في المركب : أين إبراهيم بن آدم ؟ ثم سكنت  
الريح ، فخرج وما عرفوه .

قال له رجل : من أين كسبك ؟ قال :

نرَقَم دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبق ، ولا ما نرَقَم

وأخباره في كتب التصوف كثيرة تطول .

[ ذكر جيلة بن الأيهم ]

وأما جيلة بن الأيهم بن جيلة بن الحارث الأوسط بن ثعلبة بن الحارث  
الأكبر بن عمرو بن جَفَنَة ، وفي نسبه اختلاف .

وهو آخر ملوك غسان ، وكان طوله اثني عشر شبراً ، فإذا ركب مسح  
الأرض بقدميه .

ولما أراد أن يُسَلِّم كتب إلى عمر ليستأذنه في القدوم عليه ، فُسِّرَ بذلك  
وكتب إليه : أن أقدم ، فلك مالنا وعليك ما علينا ، فخرج في مائة فارس من  
عَكَّ وجَفَنَة ، فلما دنا إلى المدينة ألبسهم ثياب الوشى المنسوجة بالذهب الأحمر  
والحرير الأصفر ، وجَلَّل الخيل بجلال الديباج ، وطوتها أطواق الذهب والفضة ،  
وليس تاجه وفيه قُرْطاً مارية ، فلم يبق في المدينة إلا من خرج إليه ، وفرح  
المسلمون بقدومه وإسلامه .

ثم حضر الموسم مع عمر ، فبينما هو يطوف بالبيت إذ وطئ على إزاره  
رجل من فرارة فعله ، فالتفت إليه جيلة منفضباً ، فظلمه فهشم أقمعه ، فاستمدى  
عليه القزاري عمر ، قال : ما دعاك إلى أن لطمت أخاك ؟ قال : إنه وطئ  
إزارى ، ولولا حرمة هذا البيت لأخذت القى فيه عيناه ، فقال له عمر : أما

أنت قد أقررت ، فلما أن تُرضيه وإما أن أُقيدَه منك ، قال : أتعيدُه مني ، وهو رجل سوقة ! قال : قد شملك وإياه الإسلام ، فما تفضله إلا بالعافية ، قال : قد رجوتُ أن أكون في الإسلام أعزَّ مني في الجاهلية ، قال : هو ذاك ، قال : إنَّما أنت نصر . قال : إن تنصرت ضربت عنقك . واجتمع وفد فزاره ووفد جبَّلة ، وكادت تكون فتنة ، فقال جبلة : أنظرنى إلى غد يا أمير المؤمنين . قال : ذلك إليك .

فلما كان في جُنتِ الليل خرج في أصحابه إلى القسطنطينية فنصَّروا ، وأعظم هرقلُ قدومه وسرَّ به وأقطع له الأموال والرباع ، فلما بعثَ عمر رضى الله عنه رسوله إلى هرقل بدعوه إلى الإسلام فأجابه إلى المصالحة ، ثم قال للرسول : أرايت ابن عمك الذي أتانا راغباً في ديننا ؟ يعنى جبلة ، قال : لا . قال : الله ثم اتفق وخذ الجواب . فذهب فوجد على باب جبلة من الجمع والحجباب والبهجة مثل ما على باب قيصر .

قال : فتطلفتُ في الأذن حتى دخلتُ عليه : فرأيت رجلاً أصهب اللحية فأنكرته ، فإذا هو قد دعا بسُحالة الذهب فنزَّها على لحيته ، حتى عاد أصهب ، وهو قاعد على سرير من قوادر . فلما عرفنى رضى منى معى على السرير ، وجعل يسألنى عن المسلمين ، قلت : قد أضيقوا إضماقاً على ما تعرف ، وسأل عن عمر رضى الله عنه ، قلت : بخير حال ، فأغتمَ بسلامة عمر ، فأعجبتُ عن السرير فقال : لِمَ تأبى الكرامة ؟ قلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا ، قال : نعم صلى الله عليه وسلم ، ولكن نقَّ قلبك من الناس ولا تبالِ علام فعلت ، فطمعت فيه عند صلته على النبي صلى الله عليه وسلم قلت : ويحك يا جبلة ألا تسلم ! وقد عرفت الإسلام وفضله ؟ قال : أبعد ما كان منى ! قلت : نعم ، قد فعل رجل من فزاره أكثر مما فعلت ، ارتدَّ وضرب أوجه المسلمين



بالسيف ثم أسلم ، وقبِل منه وخَلَقَتْهُ بالمدينة مسلماً .

قال : زدني من هذا ، إن كنت تضمن لي أن يزوجه لي عمر ابنته ويؤتييني الأمر من بعده ، رجعت إلى الإسلام . فضمنت له الزواجه ، ولم أضمن الخلافة . فأوماً إلى وصيف بين يديه ، فذهب مسرعاً فإذا موائد الذهب قد نُصبت بصحائف النفقة ، فقال لي : كُلْ ، قُبِضَتْ يدي ، وقلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الأكل في آنية الذهب والنفقة ، فقال : نعم صلى الله عليه وسلم ، ولكن نَقِ قلبك ، وكلْ فيما أحبت . فأكل في الذهب والنفقة ، وأكَلْتُ في الخَلَنَج<sup>(١)</sup> . ثم جِئَ بطشت من الذهب ، فغسل يديه فيها ، وغسلت في الصُفْر . ثم أوماً إلى خادم عن يمينه ، فذهب مسرعاً ، فسمعت حساً ، فإذا خدَمٌ معهم كراماً مرصمة بالجواهر ، فوَضِعَ عشرة عن يمينه وعشرة عن يساره . وإذا عشر جوار في الشهور ، عليهن ثياب الوشي ، مكشرات في الخَلِي ، قُصِدْنَ عن يمينه ، وقعد مثلهن عن يساره ، وإذا بحارية قد خرجت كالشمس حسناً ، وعلى رأسها ناج عليه طائر ، وفي يدها اليمنى جَام ، وفيه مسك وعنبر فقيت ، وفي يدها اليسرى جام فيه الورد ، فصفرت للطائر ، فوقع في جام ماء الورد ، فاضطرب فيه ، ثم وقع في جام المسك ، فخرغ فيه ، ثم طار فوقع على صليب في تاج جبلة ، فزفر حتى نفخ أهما في ريشه عليه ، ونحك جبلة من شدة السرور ثم قال للجواري اللاتي عن يمينه : يا الله أَصَحِّحَكُنَّا فاندفنن يفتنن ، تحقق عيدينهن  
يقُلْنَ :

لله درّ عصاة نادمتهم يوماً يحلّق في الزمان الأوّل<sup>(٢)</sup>

(١) الخنَج : حجر يتخذ منه الأواني .

(٢) ديوان حسان ص ٣٠٨ .

بُسُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمْ      بَرَدَى يَصْفَقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسِلِ<sup>(١)</sup>  
 أَوْلَادَ جَفْنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ      قَبْرُ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْفَضْلُ  
 يُنْفِسُونَ حَتَّى مَا تَهَرَّ كِلَابُهُمْ      لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْقَبِيلِ  
 يَبِضُّ الرِّجْوَهُ ثَقِيَّةً أَحْسَابُهُمْ      شَمَّ الْأَنْوَفَ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ  
 فَنَضَعُكَ ثُمَّ قَالَ : أَتَدْرِي مَنْ قَائِلُ هَذَا ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ  
 شَاعِرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ قَالَ لِلثَّانِي عَنْ يَسَارِهِ : يَا اللَّهُ أَبْكِينَا ، فَأَنْدَضْنَ بِمِيدَانِهِنَّ يَفْنَيْنِ :  
 لِمَنِ الدَّارُ أَقْرَبُ بُعْثَانِ      بَيْنَ أَعْلَى الْيَرْمُوكِ وَالْعَمَّانِ<sup>(٢)</sup>  
 ذَاكَ مَقْبَى لَّالِ جَفْنَةٍ فِي الدَّهْرِ      وَحَقٌّ تَعَاقُبُ الْأَزْمَانِ  
 قَدْ أَرَانِي هُنَاكَ دَهْرًا مَكِينًا<sup>(٣)</sup>      عِنْدَ ذِي التَّاجِ تَجَلَّيْسِي وَمَكَانِي  
 تَكَلَّمْتُ أُمَمَهُمْ وَقَدْ تَكَلَّمْتُهُمْ      يَوْمَ حَلُّوا بِحَارِثِ الْجَوْلَانِ  
 وَدَنَا الْقَيْصُ فَالْوَلَانْدُ يَنْظُرُ      نَ سَرَانَا أَكَلَةَ الْمَرْجَانِ  
 فَبَكَى حَتَّى سَالَتِ الدَّمُوعُ عَلَى لَحْيَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ لِي : وَهَذَا لِحَسَنِ أَيْضًا ،  
 ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

تَنْصَرَّتِ الْأَشْرَافُ مِنْ أَجْلِ لَطْمَةٍ      وَمَا كَانَ فِيهَا لَوْ صَبَرْتُ لَهَا ضَرْزُ  
 تَكْتَفِي فِيهَا لَجَاجٌ وَنَحْوَةٌ      وَبَعْتُ بِهَا الْعَيْنَ الصَّعِيجَةَ بِالتَّوَرُ  
 فَيَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي وَلَيْتَنِي      رَجَعْتُ إِلَى الْأَمْرِ الَّذِي قَالَ لِي عُزْرُ  
 وَيَا لَيْتَنِي أَرَعَى الْخَاضَ بِقَوْرَةٍ      وَكُنْتُ أُصِيرُ فِي رَيْبَةٍ أَوْ مُضَرِّ

(١) حسان بن ثابت ، ديوانه ٣٠٨ ، مع اختلاف في ترتيب الأبيات

(٢) البريس ويردى : نهران بالشام - ويصفى يمزج .

(٣) حسان ، ديوانه ٤١٤ ، وفيه : « أوحشت بعمان » وفيه أيضاً : « فالخام » بند  
 « الصمان » قال شارحه : وهي مواضع يأكلها دمعق .

(٤) الديوان « حق مكين »

وباليت لي بالشام أدنى ميثقة أجالس قومي ذاهب السم والبصر  
ثم سألني عن حسان ، أحي هو ؟ قلت : نعم . ثم أمر بمال وكسوة ونوق  
موقورة برءا ، وقال : أقرئه سلامي ، وادفع له هذا إن وجدته حيا ، وإن  
وجدته ميتا ، فادفنه إلى أهله ، وانحر الجمل على قبره .

قال : فلما قدمت على عمر أخبرته الخبر ، فقال : هلا ضمنت له الأمر ، فإذا أسلم  
قضى الله علينا بحكمه . ثم بعثت إلى حسان ، فأقبل وقد كُتف بصره ، فلما دخل  
قال : يا أمير المؤمنين إني وجدت ربيع آل جفنة ، قال : نعم ، هذا رجل أقبل من  
عنده قال : هات يا بن أخي ما بعث به إلى ملك ؟ قلت : وما علمك ؟ قال :  
إنه كريم من عصابة رجال كرام مدحهم في الجاهلية ، فحلف ألا يلقى أحدا  
يعرفني إلا أهدى إلى معه شيئا . فدفنته إليه وأخبرته بأمره في الإبل ، قال :  
وددت أني كنت ميتا فنحرت على قبري ، ثم أخذنا وانصرف وهو يقول :

إن ابن جفنة من بقة معشر لم يندم أباهم بالثوم

لم ينسني بالشام إذ هو ربها كلاً ولا متنصراً بالروم

يعطى الجزيل ، ولا يراه عنده إلا كبعض عطية المذموم

وأنيته يوما قَرَّب مجلسي وسقى وروائي من الخراطوم

وذكر أن رسول عمر لما أرسله إلى قيصر ، قال : وأمرني أن أضمن  
لجيلة ما شرط ، فلما قدمت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته ،  
فعلت أن الشقا قد غلب عليه<sup>(١)</sup>.

— وحُدثت أن صاحب برطونة<sup>(٢)</sup> اليوم من ذريته . وذكر الثعالبي  
أنه وجد للعتابي فصلا من كتاب استظرفه جدًا ، يذكر صلاة وصلت إليه

(١) برطونة : بلدة على الفرات مقابل رجلة مالك بن طوق — ياقوت .

(٢) انظر خزانة الأدب ٢ : ٢٤١ .

من صاحب ، وهو : وصل أطلال الله بقاء سيدنا أبو العباس أحمد بن الحسين ، وأبو محمد أحمد بن جعفر بن شبيب حاجين ، فمرّجا إلى مدّين ، وعاجا على مسلمين ، فعين عرفتهما ، وقيل أن أردّ السلام عليها مددت اليد إلى مامعها ، كما مدّها حسان بن ثابت إلى رسول جيلة بن الأيهم ، ثقة منى بصلته ، وشوقا<sup>(١)</sup> إلى تكريمته ، واعتمادا<sup>(٢)</sup> لإحسانه ، وألغا الموارد لإنعامه ، وتيقنا أن الخطرة منى على بالله ، مقرونة بالنصيب من ماله ، وأن ذكراه ، مشفوعة بمجدواه<sup>(٣)</sup>.

رجع ما اقطع . فيريد أنه لو خطب لهؤلاء القوم ابنُ آدم على زهده وفضله ، أو ابن الأيهم على ملوكيته وعزته لسوّوا بينهما في الصّدّاق اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم .

### [ ذكر مفاصلة الصّدّقات ]

وجاء في الترمذى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لاتنألوا في صدّقات النساء ، فإنها لو كانت مكسرة أو تقوى عند الله ، لكان أولام بها نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وما أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيئا من نسائه ، على أكثر من اثني عشرة أوقية .

قال ابن عينة : والأوقية عند أهل العلم أربعون درهما ، واثننا عشرة أوقية أربعمائة وثمانون درهما .

وفي غير الترمذى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تياسروا في الصّدّاق » وكانت صدقات أزواج النبي صلى الله عليه وسلم على عظم قدره ، وعلو مرتبته

(١) البتية : « تشوقا »

(٢) البتية : « واعتمادا »

(٣) بتية الدهر ٢ : ٢٢٢

انفتى عشرة أوقية ونشاً ، والنكش عشرون درهما ، فذلك خمسمائة درهم .

وروى عن عمر رضى الله عنه : أنه حد الله وأبى عليه ، ثم قال : ألا تلاحظوا في صدقات النساء ، فإنه لا يبلغنى عن أحد أنه ساق أكثر من شيء ساقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو سبق إليه إلا جعلت فضل ذلك في بيت المال . فرضت له امرأة قتالت : يا أمير المؤمنين ، كتاب الله أحق أن يُبقي أو يترك ؟ قال : كتاب الله تعالى . ثم قال : فبم ذلك ؟ قالت : الله تعالى يقول : ﴿ وَأَن تَمَّ إِحْدَاهُنَّ فَنُطْرًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ﴾ <sup>(١)</sup> . فقال عمر رضى الله عنه : كل أحد أقره من عمر اثم رجع إلى اللبر ، فقال : إني كنت نهيتكم عن أن تنالوا في صدقات النساء ، فليعمل كل رجل منكم في ماله ما أحب .

فرجع عمر عن اجتهاده إلى ما قامت عليه الحجة فأباحه للناس واستعمله في نفسه ، فأصدق أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضى الله عنهم أربعين ألفاً . والقنطار ألف دينار ومائتا دينار ؛ إلا أن لليامسة في الصداق أحب عند أهل العلم من للثلاثة .

ومن الملح في صداق خمسمائة ، ما حدث به ابن أبي شيبة قال : كان جبالج جارنا ، فسمعتة يقول لأبيه : تزوجت أُمى على خمسمائة درهم ، وبعيت أنا لك رجلاً ، فقال له أبوه : من سخنة عين هذا الربح أخشى .

\*\*\*

قوله : مهر : يقال : مهر المرأة بمهرها ، وأمهرها : عيّن لها مهرًا . لن تطالب بصداق ، أى أن القصة ليس لها حقيقة . فليس ثم من يطالبك بصداق ولا طلاق . حشدك : جمعك ، وأصله مصدر ، ثم استعمل لجماعة الناس . تفتق : تشق . رتق : غلق . والسمع : الأذن .

\*\*\*

قال الحارث بن همام : فازدھانی بوصف الخطبة المتلوة ، دون  
الخطبة المجلوة ؛ حتى قلت له : قد وكتلت إليك هذا الخطب ؛  
فدبره تذيير من طلب لمن حب . فنهض مهر ولا ، ثم عاد متهللاً ،  
وقال : أبشیر بإعتاب الدهر ، واحتلاب الدر ؛ فقد وكتلت العقد ،  
وأكفلت النقد ، وكان قد ثم أخذ في مواعد أهل الخان ،  
وإعداد حلواء الحيوان . فلما مدَّ الليل أطنا به ، وأغلق كل ذي  
باب بابه ، أذن في الجماعة : ألا احضروا في هذه الساعة ؛ فلم يبق  
فيهم إلا من أتي صوته ، وحضر بيته . فلما اصطفوا لذيته ، واجتمع  
الشاهد والمشهود عليه ، جعل يرفع الأضرلاب ويضعه ، ويلحظ  
التقويم ويدعه ، إلى أن تمس القوم ، وغشي النوم ، فقلت له :  
يا هذا ضاع الفاس في الراس ، وخلص الناس من الثعاس . فنظر  
نظرة في النجوم ، ثم انتشط من عقله الوجوم ، وأقسم بالطور ،  
والكتاب المسطور ؛ لينكشفن سر هذا الأمر المستور ،  
ولينتشرن ذكره إلى يوم النشور . ثم إنه جنأ على ركبته ،  
واسترعى الأسماع لخطبته ،

• • •

ازدھانی : دعاني إلى الزهو ، وهو المَجِب والكبر ، أي أعجبت بوصفها ،  
للتلوة : للقراءة . الخطبة : الزوجة المخطوبة . المجلوة : التي كشف وجهها لينظر  
إليها . وكتلت : أسندت إليك ، وجعلتلك القائم . الخطب : الأمر .  
طلب : أصلح حال العليل . فيقول : دبر هذا الأمر تذيير الطبيب أمر

حييه إذا كان عليلاً ، وطبّه أى عناه ، وقيل : معنى طبّ حلق بالشئ وجاد فيه ذهنه ، والطّبّ : الحاذق بالأمر ، فيكون معناه ، دبر أمرى تدبير المميز الحاذق أمرَ حييه .

قال ابن الأنباري : قولهم : مَنْ حَبَّ طَبَّ ، أى من أحب حَذَقَ وَفِطِنَ واحتال لمن يحب ، والطّبّ فى اللغة : الحِذْقُ والنَفْطَةُ ، ورجل طيب وطبّ ، إذا كان حاذقاً ، وسُمّي الطّيب لنعلمته .

ومعنى حَبَّ أَحَبَّ . وقال البصريون : لا يقال : حَبَّ يُحِبُّ ، وجاء عنهم : محبوب ، على فعل لا يتكامل به . الكسائى والقراء : يقال : حبيت وأحبيت ، وحبّ فى المثل يدل على صحته . والبصريون يقولون . حبّ إتباع لطبّ .

مهرولاً : مسرعاً . متبهِلاً : مستبشراً . إعتاب : إرضاء . الدّرّ : اللين . ولّيت المقد ، أى أعطيت النكاح ، أى جعلنى أبو الزوجة ولياً لها . أُكِنْتُ النقد ، أى جئت كفيلاً على أخذه ، والكفيل : الضامن ، أو يكون معنى أُكِنْتُ : ضمن لى وأعطيت كفيلاً . والنقد : المال الحاضر . وكان قد ، أى وكان قد أحضر المال ونيسر النكاح . الخوان : المائدة . أذن : صاح . لى : أجاب وقال : لبيك . الأصطلاب : آلة للمفجّمين يأخذون بها الأوقات . يلحظ : ينظر . التقويم : التعديل . غشّى النوم : غطى العيون وختمها . ضغ الفاس فى الراس ، أى اقصد إلى عين الخبير ، وهى كلمة قال عند التوكيد فى العزم على الأمر ، ومعناه : اقطع ما تريده من الأمر وافعله .

والذى نظر نظرة فى النجوم ، هو إبراهيم عليه السلام ، لأنه تفكر ما اتى بصرفهم عنه إذا كفّوه الخروج معهم ، قال : إني سقيم . انشط : انعمل . والثقة : ما ينشأ فيها الإئمان فحقه ، ويقال : لقنن عقلة يضل بها الناس ، وذلك إذا صارهم عقل أرجلهم . والوجوم : العبوس والحزن الشديد ، أراد

أنه كان في تقويمه طالع نحس ، فكان ممبسا حزينا ، فلما زالت ساعته ودخلت ساعة طالع سعد ، استبشر وزال عبوسه ، وإنما عقد هذا النكاح ليلاً لأن قصده المكر ، ولأنهم كانوا يختارون نكاح آخر النهار على أوله . قال بعض العلماء : ذهبوا في ذلك إلى اتباع السنة في الفأل ، فأثر الناس استقبال الليل بعقد النكاح ، تيمناً بما فيه من الهدوء والاجتماع على صدر النهار ، لما فيه من التفرق والانشطار ، وذهبوا إلى تأويل القرآن لأن الله سمى الليل في كتابه «سكناً» ، وجعل النهار «نشوراً» كما يستحبون النكاح يوم الجمعة للاجتماع ، وقال الشاعر :

ويوم الجمعة التهنيم فيه وتزويج الرجال من النساء

الطور : جبل موسى عليه السلام الذي آنس من جانبه النار وكلمه الله عنده . سرّ هذا الأمر ، أراد ما أضمره لهم من الخداع ، أى أنه سينكشف ويتحدث به إلى يوم القيامة . جثا : يحنو جُثُوًّا : جلس على ركبة . استرعى : استدعى . الأسماع : الأذان ، ويقال : أرعنى سمعك ، أى اسمع منى ، وأخل أذنيك لاستماع حديثى .

\*\*\*

وقال : الحمد لله الملك المحمود ، المالك الوَدود ، مصوّر كل مولود ، ومأل كل مطرود ، ساطع المهاد ، وموطد الأطواد ، ومرسل الأمطار ، ومُسَهِّلِ الأوطار ، عالم الأسرار ومُذَكِّرِهَا ، ومدبّرِ الأملاكِ ومُهْلِكِهَا ، ومكثّرِ الدهور ومكثّرِهَا ، ومُورِدِ الأمورِ ومُصَدِّرِهَا . عمّ سماحه وكَمَلْ ، وهَطَلْ رُكاهه وهَمَلْ ، وطَاوَعْ



السُّؤْلَ وَالْأَمْلَ . وَأَوْسَعَ الْمَرْمِلَ وَالْأَرْمِلَ . أَحْمَدُهُ حَمْدًا مَعْدُودًا مَدَاهُ ،  
وَأَوْحَدُهُ كَمَا وَحَدَهُ الْأَوَاهُ ، وَهُوَ أَفْهَى لَا إِلَهَ إِلَّا لَهُمُ سِوَاهُ ، وَلَا صَادِقَ  
لِمَا عَدَّ لَهُ وَسِوَاهُ . أَرْسَلَ مُحَمَّدًا عَلَمًا لِلْإِسْلَامِ ، وَإِمَامًا لِلْحُكَامِ ، وَمُسَدَّدًا  
لِلرَّعَاعِ ، وَمُعْطَلًا أَحْكَامَ وَدِّيَّ وَسُوءِ ، أَغْلَمَ وَعَلَمَ ، وَحَكَمَ وَأَحْكَمَ ،  
وَأَحْتَلَّ الْأَصُولَ وَمَهْدَ ، وَأَكْدَّ الْوَعْدَ وَأَوْعَدَ ؛ وَاصِلَ اللَّهِ لَهُ  
الْإِكْرَامُ ، وَأَوْدَعَ رُوحَهُ دَارَ السَّلَامِ ، وَرَحِمَ آلَهُ وَأَهْلَهُ  
الْكَرَامَ ؛ مَا تَعِ آلَ ، وَمَلَعَ رَالَ ، وَطَلَعَ هِلَالَ ، وَسَمِعَ  
إِهْلَالَ .

• • •

قوله : مَال ، أى ملجأ . مطرود : مَنَفَى . ساطع : باسط . للهاد : الأرض .  
موطن الأطلود : مثبت الجبال . والأوطار : الحاجات . مدمر الأملاك ، أى  
مهلك الملوك ، والأملاك : جمع ملك .

[ أشتار فى التطير من الدنيا والزهد فيها ]

وهذا كما قال عدى بن زيد :

أَبْنُ كَسْرَى كَسْرَى لِلْمَلِكِ أَنْوَشِرُ<sup>(١)</sup>    وَإِنْ أَمِ ابْنُ قَبْلَةَ سَابِرُ<sup>(٢)</sup>  
وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكَرَامُ مَلُوكُ الرُّومِ لَمْ يَسِقْ مِنْهُمْ مَذْكَورُ  
وَأَخُو الْخَضِرِ إِذْ بَنَاهُ    وَإِذَا دَجَلَةُ نَجَحَى إِلَيْهِ وَانْخَابِرُ<sup>(٣)</sup>

(١) الأغانى ٢ : ١٣٨ ، ١٣٩ من قصيدة مطلعها :

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْعَبِيرُ بِالْقَدْرِ    أَنْتَ الْمَبْرَأُ الْمَوْفُورُ

(٢) المايوز : اسم لنهر كبير فى أرض الجزيرة ، والخضر : قصر بكمرك .

وتفكر رب الخورق إذ أشرف يوما ولهدى تذكير<sup>(١)</sup>  
 لم يهتبه ربُّ اللّون فباد الملك عنه فبا به مهجور  
 ثم بمد القلاع وللّك والإمرّة وارنهم هناك القبور  
 ثم راحوا كأنهم قصب جفّ فألوت به الصّبا والدبور

وقال الأسود بن يعفر :

ولقد علمتُ لو أنّ عليّ نافيي أن السبيل سبيل ذي الأعواد<sup>(٢)</sup>  
 ماذا أؤمل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد إباد  
 جرت الرياح على محلّ ديارهم فكأنّهم كانوا على ميعاد<sup>(٣)</sup>  
 ولقد غنّوا فيها بأكرم غنية<sup>(٤)</sup> في ظلّ ملك ثابت الأوتاد  
 فإذا التعميم وكلّ ما يبتلى به يوما يصير إلى بلى ونفاد

الأسمي: أصيب في حفير حول الحيرة تابوت ، فيه رجل عليه خفان ، وعند  
 رأسه لوح فيه : « أنا عبد للشيخ بن حيان بن بقلّة .

حلبتُ الدهر أشطره حيّاتي ونلتُ من لئى فوق الزيد  
 وكأفتُ الأمور وكأفنتي ولم أخضع لمضيق كنود  
 وكدت أنال بالشرف الثريا ولكن لاسبيل إلى الخلود

(١) بعده الأغانى :

شاده مَرَمراً وجلّه كَلَساً فلطّير في ذُرَاهُ وَكُورُ

(٢) المفضليات ٢١٦ ، وروايته : « ولقد علمت سرى اقى بأتى »

(٣) المفضليات : « فكأنما كانوا » .

(٤) المفضليات : « عيشة » .

دخل أرطاة بنُ سَهْبَةَ على عبد الملك ، قال : كيف حالك ؟ - وكان قد أسن - قال : ضُفَّ حالي ، وقلَّ مالي ، وكثر مني ما كنت أحب أن يقل ، وقلَّ مني ما كنت أحب أن يكثر ، قال : فكيف أنت في شمرِك ؟ قال : والله ما أغضب ، ولا أطرب ، ولا أرهب ، وما الشمر إلا من نتائج هذه ، على أني القاتل :

رأيت المرم ناكلهُ الليالي      كما كل الأرض ساقطة الحديدِ  
وما تبني المنية حين تأتي      على نفس ابن آدم من مزيدِ  
وأعلم أنها عما قليلٍ      ستُوفى نذرهما بأبي الوليدِ  
فارتاع عبد الملك ، ثم قال : بل تُوفى نذرهما بك ، مالي ولك ا قال : يا أمير المؤمنين لا تُرَخَّ ، فما حَنَيْتُ إلا نفسي ، قال : أما والله لتُليَنَ بي .  
وأبو الوليد كنية لعبد الملك ولأرطاة .

• • •

والتكوير : إدخال الليل على النهار والنهار على الليل ، وكَوَّرْتُ الشيء رددته ، ولويتَ بضمه على بعض . هطل وهمل ، معناه صب . الركام : السحاب المتراكم . الشؤل : للطلوب . أوسع : أغنى . للرمل : الذي نَقِدَ زاده . الأرمِل : الفقير ، أو الذي ماتت زوجته ، أو التي مات زوجها . يقال لها أرمِل وأرملة ، ومنع قوم أن يقال للفاعد زوجته : أرمِل ، وأجازوه بعضهم .

مداه : غايته . الأواء : إبراهيم عليه السلام ، وهو من التأوّه ، وهو التوجع والتحرّز والنطق بأوّه أوّاه ا صادع : مفسد ، والصدع : الشق في زجاجة أو حائط . علما ، أي إماما يهتدى به . مسدداً : مصلحاً . والرعاغ : السقاط

والضَّعْفَةُ مِنَ النَّاسِ . وَذَ سُوَاع : صَنَان . حَكَم : قَضَى . أَتَقْن : أَصْلَ .  
نَبَتْ الْأَصُول . مَتَد : سَوَى وَوَعَلًا . الْوَعْدُ : جَمْعُ وَعْد . أَوْعَد : هَدَدَ وَخَوَّفَ .  
وَاصِل : دَاوَم . أَوْعِد رُوحَهُ دَارَ السَّلَام : أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ . آل : سَرَاب . مَلَعَ :  
أَسْرَعَ . رَال : فَرَخَ النَّعَام . إِهْلَال : رَفَعَ الصَّوْتَ بِالتَّلْبِيَةِ بِمَكَّةَ .

\*\*\*

اعْمَلُوا رِعَاكُمُ اللَّهُ أَصْلَحَ الْأَعْمَالِ ، وَاسْتَسْكُوا مَسَالِكََ الْحَلَالِ ،  
وَاطْرَحُوا الْحَرَامَ وَدَعُوهُ ، وَاسْتَمْتُوا أَمْرَ اللَّهِ وَعُوه ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ  
وَرَاعُواهَا ، وَعَاصُوا الْأَهْوَاءَ وَارْذَعُواهَا ، وَصَاهَرُوا لَحْمَ الصَّلَاحِ  
وَالْوَرَعِ ؛ وَصَارُمُوا رَهْطَ اللَّهْوِ وَالطَّمَعِ . وَمُصَاهِرُكُمْ أَطْهَرُ الْأَخْرَارِ  
مَوْلِدًا ، وَأَسْرَأُكُمْ سُودْدًا ، وَأَخْلَافُكُمْ مَوْرِدًا ، وَأَصْعَبُهُمْ مَوْعِدًا .  
وَهَاهُوَ أَمْرُكُمْ ، وَحَلَّ حَرَمُكُمْ ، مُثْلِكََا عَزُوسَ كُمْ الْمَكْرَمَةِ ،  
وَمَا هَرَأَلَهَا كَمَا مَهَرَ الرَّسُولُ أُمَّ سَلَمَةَ ، وَهُوَ أَكْرَمُ صِهْرٍ أَوْدَعَ  
الْأَوْلَادَ ، وَمُلْكٌ مَا أَرَادَ ، وَمَا سَهَا مُمْلِكُهُ وَلَا وَهَمٌ ؛ وَلَا وَكَيْسَ  
مُتْلَاحُهُ وَلَا وَصِيمٌ ، أَسْأَلُ اللَّهَ لَكُمْ إِحْمَادَ وَصَالَهُ وَدَوَامَ إِسْعَادِهِ ،  
وَأَلْهَمْ كُلًّا إِصْلَاحَ حَالِهِ وَالْإِعْدَادَ لِمَعَادِهِ . وَلَهُ الْحَمْدُ السَّرْمَدُ ،  
وَالْمَدْحُ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ .

...

اطْرَحُوا : اَتْرَكُوا وَارْمُوا بِهِ . عُوه : احْفَظُوهُ . الْأَرْحَامُ : الْقَرَابَاتُ ،  
الْوَاحِدُ رَجِيمٌ ، وَالْأَرْحَامُ مِنَ النِّسَاءِ الْوَاحِدِ رَحِمٌ ، رَاعُواهَا : احْفَظُوا وَحَامُوا  
عَلَيْهَا . الْأَهْوَاءُ : دَوَاعِي النَّفْسِ . ارْذَعُواهَا : كَفَّوْهَا . صَاهَرُوا : نَاكَهَرُوا .

لحم : قرابات ، ولحمة النسب : التعام القرابة وانضمامها . صارموا : قاطعوا .  
مصارمكم : خففكم للتزويج إليكم . أسرام : أشرفهم وأكثرم مروءة ، وقد  
سرى فهو سري . أتمكم : قصدكم . حل : نزل . حرملك : بلدكم وموضعكم ،  
الذي هو كالحرم في أمته . مملكا : متزوجا ، والإملاك : التزويج الذي تُملك  
به المرأة .

قال ابن هشام : أم سلمة بنت أمية بن المغيرة ، تزوج بها رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قبل وقعة بدر في سنة اثنتين من التاريخ ، واسمها هند بنت أمية زاد  
الركب بن المغيرة ، وفي حديث أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم  
تزوج أم سلمة على متاع قيمته عشرة دراهم .

سها : أخطأ . مُملِك : منكحه الذي أعطاه وليته . وكس : غبن ،  
وورم . في الحساب : غلط فيه ، وملاحه : أى مصاهره . وُصِم : عيب ،  
والوصم : العيب ، وأحد الرجل أحادًا ، أى صار أمره إلى الحد ، أراد أنه من  
أهل الأحساب فلا ينقص من مصاهره . الإعداد للمعاد ، أى الاستعداد لليوم  
الذي يمد فيه إلى نشأته الأولى . الترمد : الدائم . والرسول : الذي يتابع أخبار  
الذي بعثه ، أخفا من قولهم : جاءت الإبل أرسالا ، أى متتابعة ، ويثني  
رسولان ، ويجمع رسل . ومنهم من يوحد في كل حال ، قال الله تعالى :  
(أنا رسول رب العالمين)<sup>(١)</sup> وحده ، لأنه في معنى الرسالة ، وأنشد :

فأبلغ أبا بكر رسولا سريّة      فإلك يابن الحضرمي وماليا

قال القراء رحمه : الله وحده اكتفاء بالرسول من الرسولين ، وأنشد :

أَلَكُنِي إِلَيْهَا وَخَيْرَ الرِّسْوِ لَ أَعْلَهُمْ بِنَوَاحِي الْخَبْرِ<sup>(١)</sup>  
أَرَادَ الرِّسْلَ ، فَكَتَفَى بِالوَاحِدِ عَنِ الْجَمْعِ .

• • •

[ بمض خطب النكاح ]

وإذ كملت الخطبة فلتسق من خطب النكاح ما يحسن بالوضع .

ومن مشاهير الخطب فيه خطبة أبي طالب في تزويج النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة رضى الله عنها وهي :

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرع إسماعيل ،  
وجعل لنا حرماً آمناً ويتناحرجوا ، وجعلنا الحكماء على الناس . ثم إن محمد  
ابن عبد الله ابن أخي ، بمن لا يوازن فتى في قريش إلا رجح به برّاً ، وفضلاً ،  
وكرماً وعقلاً ، ومجداً ونبلًا ، وإن كان في المال قلّ فإنما للال ظلّ زائل ،  
وعارية مسترجعة ، وله في خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك وما أحببت  
من الصداق فقلّ .

فهذه الخطبة من أفضل خطب الجماهيلية .

وعن يحيى بن أكرم : أراد المؤمن أن يزوج ابنته من عليّ الرضا ، قال :  
يا يحيى تكلم ، فأجّلت أن أقول : أنكحت ؛ قلت : يا أمير المؤمنين ، أنت  
الحاكم الأكبر والإمام الأعظم ، وأنت أولى بالكلام ، قال :

(١) الهان - رسل ، ونسبة إلى أبي ذؤيب .

الحمد لله الذي تصاغت الأمور بشيئته ، ولا إله إلا الله إقرارا بربوبيته ،  
وصلى الله على سيدنا محمد عند ذكره وعترته . أما بعد ، فإن الله سبحانه قد  
جعل النكاح ديناً ، ورضيه حكماً ، وأثله حياً ، ليكون سبباً للمناسله وإني قد  
زوجت ابنة المأمون من علي بن موسى الرضا ، وأمهرتها أربعمائة دينار ،  
اقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتهاء إلى ما درج إليه السلف  
الصالح ، والحمد لله رب العالمين .

وحضر للمأمون إملاكاً وهو أمير ، فسأله مَنْ حضر أن يخطب ، قال :  
الحمد لله ، والصلاة على المصطفى رسوله ، وخير ما عمل به كتاب الله : ﴿ وأنكحوا  
الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ﴾<sup>(١)</sup> ، ولو لم يكن في النكاح آية منزلة  
ولا سنة متبعة إلا ما جعل الله في ذلك من تأليف البعيد ، وبرّ القريب ، تسارع  
إليه للوفيق المصيب ، وبادر إليه العاقل اللبيب .

وفلان قد عرفتموه في نسي لم تجهلوه ، خطب إليكم فاتكم فلانة ، وقد  
بذل لها من الصداق كذا ، فشققوا شافعنا ، وأنكحوا خاطبتنا ، وقولوا خيراً  
نحمدوا عليه وتزوجوا فيه .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم .

وخطب رجل من بني أمية إلى عمر بن عبد العزيز أخته ، فأطال ، قال عمر :  
الحمد لله ذي الكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء ، أما بعد فإن الرغبة  
منك دعت إلينا ، وإن الرغبة منا فيك أجابت بنا ، وقد أحسن بك علنا مَنْ  
أودعك كرمته ، وإخارك ولم يحقر عليك ، وقد زوجناك على كتاب الله تعالى ،  
إمساكاً بمعروف أو تسريحاً بإحسان .

وكان الحسن البصري رحمه الله يقول في خطبة النكاح بعد الحمد والثناء .  
 أما بعد فإن الله تعالى جمع لهذا النكاح الأرحام المنقطعة ، والأنساب  
 للفرقة ، وجعل ذلك في سنة من دينه ، ومنهاج من أمره ، وقد خطب فلان  
 إليكم ، وعليه وعليكم من الله نعمة ، وهو يبذل من الصدق كذا ، فاستخيروا  
 الله ، وردوا خيرا ، يرحمكم الله !

الأممى رحمه الله : كانوا يستحسنون من الخطيب أن يطيل ليدل على  
 الرغبة ، ومن المخطوب إليه الإيجاز ليدل على الإجابة .

\* \* \*

فلما فرغ من خطبته البديعة النظام ، التريّة من الإعجام ، عقد  
 العقد على الخمس المئين ، وقال لى : بالرفاء والبنين . ثم أحضر  
 الحلواء التي كان أعدّها ، وأبدي الأبدّة عندّها . فأقبلت إقبال  
 الجماعة عليّها ، وكذت أهوى يدي إليها ، فزجرني عن المؤاكلة ،  
 وأنهضني للسّأولة ؛ فوافقه ما كان بأسرع من تصافح الأجفان ، حتى  
 خرّ القوم للأذقان . فلما رأيتهم كأعجاز نخل خاوية ، أو كصرعى  
 بنت خاية ؛ علّنتُ إنّها لإحدى الكبر ، وأمّ العبر ؛ فقلتُ له :  
 يا عدىّ نفسي ، وعبيد قلبي ، أعددتُ للقوم حلوى ، أم بلوى ؟  
 فقال : لم أعدّ خبيص البنج ، في صحاف الخلنج . فقلتُ : أقسمُ بئن  
 أطلّنها زهراً ، وهديّ بها السارين طراً ؛ لقد جئتُ شبتاً نكراً ، وأقيت  
 لك في الخزيات ذكراً !

...



قوله : الهدية النظم : أى الترية التأليف . الترية من الإعجام ، أى الماطلة من النقط . الرثاء : السكون والالتعام ، ويدعى للمتزوج ، يقال له : بالرثاء والبنين ، أى بالاختلاق مع الزوجة ووجود البنين مما يكون منها ، وهو من رفات الثوب ، إذا ضمت بعضه إلى بعض ، ومن رفوت الرجل إذا سكنته ، قال أبو زيد رحمه الله : هو من المرافاة غير مهموز ، وهى للواقة .

تزوج عقیل بن أبی طالب قتیل له : بالرثاء والبنين ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا رفا أحدكم أخاه فليقل : على الخير والبركة ، بارك الله لك وبارك عليك » .

الآبدة : الداهية ، وجاء بأيدة ، أى بكلمة أو خصلة وحشية منكورة ، واشتقاقه من الأوابد ، وهى الوحش ، وكذلك الآبد ، يقال : أبد الشاعر ، إذا أتى بالويعس فى شعره ، فمضى أبدى الآبدة ، أى أظهر الداهية التى يبق ذكرها على الأبد . زجرنى : نهانى . أنهضى : أقامى وقدمنى . الناول : إعطاء الطعام . تصافح الأجفان : غلقها وفتحها بسرعة ، كتولاك : طرفة العيون . خرّوا للأذقان ، أى سقطوا على وجوههم ، والذقن جمع اللحين يعبر به عن الوجه ، لأن العرب تسمى الشئ ببعض ما فيه ، وإذا خرّ على وجهه ، فأقرب شئ إلى الأرض ذقنه ، نفخه بالذكرك لهذا ، قال الله تعالى : ﴿ يَخْرُجُونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّادًا ﴾<sup>(١)</sup> أعجاز : أصول . خاوية : فارغة متأكلة ، ويقال : خاوية ساقطة بالية . صرعى : قلى ، وأراد به السكرى ، . وبنت الخالية : ، هى الخمر ، ومعنى الخالية التى تمجأ فيها الأشياء ، مأخوذ من خبات ، فُبِنيت على ترك الهمز ، ويقال : خبات الشئ وخباته وخبيته ، وقرأت الشئ وقريته . إحدى الكبير : واحدة من الكبائر .

(١) سورة الإسراء آية ١٠٧ .

أم العبر : أى أعظم الدواهي ، وما يُتَظَّ به . لم أعد : لم أجتاوز . الخبيص : نوع من الحلواء . البنج : نبات يسكر منه ، وهو ابن الخشخاش البرئ المعروف بالأنفيون . والخلنج : ضرب من الخشب . زُهرها : مضيئة ، بنى الكواكب . السارين : اللشين بالليل . طرا : جما . نُكراً : منكراً . والخزيات : جمع خزية ، وهى الخصلة الرديئة يحتزى صاحبها متى ذكرت له ، والخزى الهوان .

\* \* \*

ثم حِرِثُ فِكْرَةٍ فى صَيُورِ أَمْرِهِ ، وخيفةً من عَدَوَى عَرَّةَ ،  
حتى طَارَتْ نَفْسِي شَمَاعًا ، وأُرْعِدَتْ فَرَائِصِي اِرْتِيَاعًا . فلما رأى  
استِطَارَةَ فَرَقِي ، واستِشَاظَةَ قَلْقِي ، قال : ما هذا الْفِكْرُ الْمُرِيسُ ،  
والرُّوعُ الْمُوِيسُ ؟ فإنْ يَكُنْ فِكْرُكَ فى أَجْلِي ، من أَجْلِي ؛ فأنا  
الآن أرتع وأطير ، وأقوى هذه الْبُقْعَةَ مِنِّي وأقير ، وكَمِّ مِثْلِهَا  
فارقُتها وهى تَصْغِرُ ؛ وإنْ يَكُنْ نَظْرًا لِنَفْسِكَ ، وحذرًا من حَبْسِكَ ،  
فتناولْ فُضَالََةَ الْخَبِيسِ ؛ وطبْ نَفْسًا عن الْقَمِيسِ ؛ حتى تَأْمَنَ الْمُسْتَعْدَى  
وَالْمُعْدَى ، وَتَهْدَكَ لَكَ الْمَقَامُ بَعْدِي ؛ وإلا فالمرءُ الْمُرَّ ؛ قبل أن تُسْحَبَ  
وتُجَرَّ : ثم عَمَدَ لاسْتِخْرَاجِ مَا فى الْبُيُوتِ ، من الْأَكْيَاسِ والتَّخَوُّتِ .  
وجعلَ يَسْتَخْلِصُ خَالِصَةَ كُلِّ غُخْزُونٍ ، ونَجْبةَ كُلِّ مَذْرُوعٍ  
وموزونٍ ؛ حتى غادر ما أُلْغَاهُ فَخُهُ ، كمَظْمٍ اسْتُخْرِجَ مُنْهُ .

...

صَيُور : آمال ورجوع ، أى ما يعير إليه أمره . عدوى عَرَّةَ ، أى اعتلال

ضرره ، والمرة : الجرب ، والتدوى انتقال المرض إلى الصحيح ، ومعناه عند العرب : إذا كان الجرب بواحدة من الإبل سرى في غيرها ، وفي الصحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هامة ، ولا يورد مريض على مصح » . فإعرابي : يارسول الله ، فإبال الإبل التي تكون في الرمل ، كأنها الغلباء فيجب . البير الأجرب فيدخل فيها فيجر بها كلها ؟ وقال : فمن أعدى الأول . وقال النابغة :

فلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطلي به القار أجرب<sup>(١)</sup>  
فأراد أنه خاف أن يؤخذ بذهب السروجي . شعاعا : متفرقة في كل جهة ، يقال فسر شعاع ، أي تفرقت همتها ، ورأي شعاع ، أي متفرق . والفرائض : جمع فريضة ، وهي بضعة عند الكبد ترعد عند الفزع ، قال مهز القيس :

• وترعد منهن الكلى والفريص •

ارتياحا : فزعا . استطارة فرقى : انتشار فرعى . واستشاة : التهاب واحتراق . المرمض : المحرق ، وهو من لفظ الرمضاء : والرموع : الفزع . المومض : الذي يدع صاحبه مبهوتا شاخص البصر من شدته ، وأومضت المرأة بعينها إذا برقت . الأجل ، بالتحريك : التأخير ؟ وبسكينها الجنابة يقول : إن تفصكرت في تأخيرى من الهرب بسبب جنائى ، فالآن أجمع أموالهم وأفر ، قال الفنجديسى : إن يكن فكرك في أجل ، أى في جنائى ، يقال : أجل الرجل عليهم شرأ بأجل وبأجل أجل أى جنابة . وهيجه من أجلى أى من جرأى . ارتع : آكل أموالهم . أظفر : أنز هاربا ، وظفر : وثب وسار مسرعا . أفوى

(١) ديوانه ١٣ .

(٢) ط : « الفرائض » ، والبيت لأمى . القيس ، ديوانه ١٨٣ ، وقوله :

• فيشرقن أخلاسا وهن خوائف •

وأقفر : ، معناها أخلى موضعى ، وأقفر الرجل من أهله : انفردهم وبى وحده والدار خلت وكذلك أقوت وقوت وأقوت الأرض من الكلال ، ورأسه من الشعر ، وجده من اللحم ، وأقوى وأقبر لا يتعديان . تصفر : تصوت ، وهذا عجز بيت لتأبط شراً ، وصدره :

• فابت إلى فَنهم وما كدت آيباً<sup>(١)</sup> •

تصفر ، أى تنفخ ندما على فوقى ، والنادم على الشيء يتاج الفخ ، يقول : كم مثل هذه الخصلة فارقتها ، وهى تصفر تنفخ على ما فاتها . تناول : خذ . فضالة : بقية . طب نسا ، عنه ، أى لتكن فـك طيبة على قدده ، فإنك إذا أكلت الخبيص ، سكرت فبردتك فصرت فى جملة من أكل ماله فأنم بذلك . المستمدى : هو الشاكى . والممدى : هو الحاكم ، ويقال : استمدت الحاكم فأعدائى ، أى استمته فأعاننى . يتمد : يتوطأ . المقر المقر : أى بادر القرار ، وتُسحب ، هو نجر . الأكيلس : أوعية الدرهم والدنانير . الثخوت : أوعية الثياب . يستخلص : يختار . خالصة : خيار ، وكذلك نخبة . منروع : مكبل بالذراع ، يعنى الثياب . موزون : ، يعنى الجواهر وما فى معناها مما يباع بالوزن ، مثل المعاريات وغيرها من شبهها . الفخ : آلة للصيد يحسن أن يكى به عن المكيدة .

• • •

فلما هن ما اصطفاه ورزَم ، وشمر عن ذراعَيْهِ وتحزَم : أقبل على إقبال من لبس الصفاقة ، وخلع الصداقة ، وقال : هل لك فى المصاحبة إلى البطيخة ، لأزوجك بأخرى مليحة . فأقسمت له بالذى جملة مباركاً

(١) الألفاظ ١٨ : ٢١٥ - ساسى ، وبقيته :

• وكَمَ مثلها فارقتها وهى تصفر •

أينما كان ، ولم يَحْمِلْهُ مِمَّنْ خَانَ فِي خَانَ ؛ إِنَّهُ لَا قِيلَ لِي بِنِكَاحِ حُرَّتَيْنِ ،  
وَمُعَاشِرَةِ ضُرَّتَيْنِ . ثُمَّ قُلْتُ لَهُ قَوْلَ الْمُتَطَلِّعِ بِطَبَاعِهِ ، السَّكَائِلُ لَهُ بِصَاعِهِ :  
قَدْ كَفَفْتَنِي الْأُولَى فُخْرًا ، فَاطْلُبِ آخَرَ لِلْآخَرَى .

فَتَبَسَّمَتْ مِنْ كَلَامِي ، وَدَلَفَ لِإِنِّزَامِي . فَلَوِيتُ عَنْهُ عِذَارِي ،  
وَأَبْدَيْتُ لَهُ اِزْوَرَارِي ، فَلَمَّا بَصُرَ بِاِقْبَاضِي ، وَتَجَلَّى لَهُ اِعْرَاضِي  
أُنْشَدَ :

...

مَمَّنْ : شَدَّهَ بِالْهَيْثِيَانِ وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الثَّقَلَةِ . اِصْطَفَاهُ : اخْتَارَهُ . رَزَمَ : جَمَعَهُ  
رُزْمَةً ، وَالرُّزْمَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ : الَّتِي فِيهَا ضُرُوبٌ مِنَ الثِّيَابِ وَأَخْلَاطُ يُقَالُ :  
رَازَمَ الرَّجُلُ فِي أَكْلِهِ ، إِذَا اخْلَطَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، وَرَازَمَتْ عُلْفُ الدَّابَّةِ : خَلَطَتْهُ ،  
وَقَدْ يُرِيدُ بِهِ مَا شَدَّ عَلَى وَسَطِهِ مِنَ الْمَالِ بَهْمِيَانَهُ . الصَّفَاقَةُ : صَلَابَةُ الْوَجْهِ .  
خَلَعَ : أَزَالَ

الْبَطِيحَةُ : قَرْيَةٌ عَامِرَةٌ بِقَرَبِ الْبَصْرَةِ مِنْ جِهَةِ الْوَاسِطِ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَصْرَةِ  
وَوَاسِطُ جِهَةٍ كَبِيرَةٍ ، تُعْرَفُ بِالْبَطْلَاحِ وَتَتَوَسَّطُهَا الْبَطِيحَةُ .

مُعَاشِرَةُ ضُرَّتَيْنِ : مُصَاحَبَةُ زَوْجَيْنِ . الْمُتَطَلِّعُ بِطَبَاعِهِ : الْمُتَعَلِّقُ بِخَلْقِهِ .  
السَّكَائِلُ لَهُ بِصَاعِهِ ، أَيِ الْقَتْلِ أَعْطَاهُ مِنَ الْهَزْلِ مِثْلَ مَا أَعْطَاهُ . دَلَفَ : أَسْرَعَ .  
الْإِنِّزَامِي : مُعَاثِقِي وَضِي لَهُ لَوِيتُ : عَطَفْتُ ، أَيِ أَعْرَضْتُ عَنْهُ بِوَجْهِهِ .  
اِزْوَرَارِي : اِقْبَاضِي . تَجَلَّى : ظَهَرَ . اِعْرَاضِي : تَرَكِي اِقْبَالَي عَلَيْهِ .

\*\*\*

يا صارفاً عني السودَ ة والزَّمانَ لَهُ صروف  
ومعني في فضع مَنْ جاوزتُ تعنيفَ السُّوف  
لا تلحني فيما أتيتُ فإنني بهم عروف  
ولقد نزلت بهم فلم أرهم يُراعون الضيوف  
ويلوئهم فوجدتهم لما سبكتهم زيوف  
ما فيهم إلاَّ خيف إن تمكَّن أو غوف  
لا بالصقي ولا الوقي ولا الحقي ولا المطوف  
فوبت فيهم ونبه الذئب الضري على الخروف  
وتركتهم صرعى كأنهم سُقوا كأس الخوف  
وتحكمت فيما اقتنوا ة يدي وم رُغم الأنوف

...

صارفاً : منحنياً: المودة: المحبة. صروف: دفع. معني: موبغي ولائحي. فضع: كشف. والسوف: الآخذ بجماله قبل التجربة. تلحني: تلمس. يُراعون: يحفظون حقوقهم. بلوئهم. خبرتهم، ومثله سبكتهم. زيوف: دراهم رديئة، يريد أنهم قوم لا خير فيهم. خيف: مضرّ مغزع. إن تمكَّن: ارتفع وكانت له مكانة. يخوف: لا يقدم عليه خوف ضرره. الصقي الوقي: الصادق الود. الحقي: المكرم لصديقه المتق به. المطوف: الرحيم. الضري: المناد الذي صرعى أخذ الخرفان. صرعى: مطروحون على الأرض. والخوف: جمع خُف وهو الهلاك. اقتنوا: اكتسبوه. رُغم: إذلال.

...

تَمَّ اثْنَيْتُ بِنْتَهُمْ حُلُوَ الْمَجَانِي وَالْقَطُوفُ  
 وَلَطَالَمَا خَلَفْتُ مَكْلُومَ الْحَشَا خَلْفِي يَطُوفُ  
 وَوَتَرْتُ أَرْبَابَ الْأَرَايِكِ وَالْذَّرَانِكِ وَالسُّجُوفِ  
 وَلَكُمْ بَلَفْتُ بِحَيْلَتِي مَا لَيْسَ يُبْلَغُ بِالسُّيُوفِ  
 وَوَفَّتْ فِي هَوْلٍ تَرَايَا عِ الْأَسَدُ فِيهِ مِنَ الْوُقُوفِ  
 وَلَكُمْ سَفَكْتُ وَكَمْ فَكْتُ وَكَمْ هَتَكْتُ حَتَّى أَنْوَفِ  
 وَكَمْ ارْتِكَاضٍ مُوَبِقٍ  
 لِي فِي الذَّنُوبِ وَكَمْ خُفُوفِ  
 لِكَيْتَنِي أَعْدَدْتُ حُسْنَ الظَّنِّ بِالْمَوْلَى الرَّعُوفِ

...

اثْنَيْتُ ، أَيْ رَجَعْتُ . الْمَجَانِي : مَا يَمُوتُ مِنَ الثَّمَارِ . وَالْقَطُوفُ : مَا يَنْتَعَفُفُ  
 مِنْهَا ، وَهِيَ جَمْعُ قُطْفٍ وَهُوَ الْمَنْقُودُ . خَلَفْتُ : تَرَكْتُ خَلْفِي . مَكْلُومٌ :  
 مَجْرُوحٌ . الْحَشَا : إِسْقَاطُ الْجُوفِ . وَتَرْتُ : أَخَذْتُ مِنْهُمْ ثَأْرِي وَحَقِّي . أَرْبَابُ  
 الْأَرَايِكِ : أَصْحَابُ الْأَسْرَةِ . وَالذَّرَانِكِ : الْبُسْطُ . السُّجُوفِ : جَمْعُ سُرْجَفٍ ،  
 وَهُوَ السَّرَّ ، وَالْأَرَايِكِ : جَمْعُ أَرِيكَةٍ ، وَالذَّرَانِكِ وَاحِدُهَا دَرْنُوكٌ . الْهَوْلُ :  
 الْأَمْرُ لِلْفَزَعِ . تَرَايَا : تَفَزَعُ ، وَفِيهِ : مَتَعَتُهُ وَقُوفٌ ، يُرِيدُ أَنْ الْأَسَدُ تَفَزَعُ أَنْ  
 تَتَفَّ فِي الْهَوْلِ الَّذِي وَقَفَ فِيهِ . سَفَكْتُ : قَتَلْتُ . فَكْتُ : عَتَيْتُ . هَتَكْتُ  
 قَطَعْتُ . رَجَعِي : مَا يَجِيئُ وَيَمْنَعُ . أَنْوَفِ : كَثِيرُ الْأَفْئَةِ وَالْحِمَى . ارْتِكَاضٍ : جَرِي  
 وَاضْطِرَابٌ وَتَحَرُّكٌ . مُوَبِقٌ : مَهْلِكٌ . خُفُوفٌ : إِسْرَاعٌ . الرَّعُوفُ : الْكَثِيرُ  
 الرَّفْقِ وَالرَّحَةِ .

[ بما قيل في الاعتراف بالقنوب والطمع في رحمة الله وعفوه ]

قال ابن رشيقي في معنى هذا الخروج بعد تمديد ذنوبه :

إذا أتى الله يوم المحشر في ظللٍ وجيء بالأمم للراضين والرسلى<sup>(١)</sup>  
وحاسب الخلق من أحصى بقدرته أنفسهم وتوفاهم إلى أجل  
ولم أجدي كتابي غير سيئة تسوءني وعسى الإسلام يسلم لي  
رجوت رحمة ربي وهي واسعة ورحمة الله أرحم لي من العمل  
ولا بن نسلك :

إذا خلق الله السواء على يوماً وقد أخذ امرؤ القيس اللواء<sup>(٢)</sup>  
رجوت الله لا أرجو سواه لعل الله يرحم من أساء

وقال ابن الزقاق :

يا عالم السر منى اصغح بفعلك عني<sup>(٣)</sup>  
متيت نفسي بغفرو مولاي منك ومنى  
وكان ظني جميلاً فكن إذا عند ظني

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكياً عن الله تعالى : « أنا عند ظنّ عبدي بي فليظنّ بي ما يشاء » .

توفي رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مسرقاً على نفسه ، فلما حضرته الوفاة رفع رأسه فإذا أبواه يبكيان عليه ، فقال لهما : ما يبكيكما ؟ قالوا : نبيك لإسرافك على نفسك ، قال : فلا تبكيا ، فوالله ما يسرنى أن الذي بيد الله من أمري بأيديكما . فأتى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم

(١) نقله صاحب التنف صفحة ٦٢ .

(٢) يتيبة الشعر ٢ : ٢٣٠ .

(٣) دتوانه ٢٧٤ .



فأخبره أن فتى توفى اليوم ، فاشهده فإنه من أهل الجنة ، فاستكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه عن عمله ، فقالا : ما علمنا عنده شيئاً من خير إلا أنه قال عند الموت كذا .

قال : من هاهنا أتى حسنُ الظنِّ بالله من أفضل الصل عنده .

وعن أنس رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يموتنَّ أحدكم حتى يُحسن ظنه بالله تعالى ، فإن حسنَ الظنِّ ثمن الجنة » .

أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « حسن الظنِّ من حسن العبادة » .

وكان محمد بن نافع الواعظ صديقاً لأبى نواس ، قال : فلما بلغنى موته أشققت عليه ، فرأيتُه فى النوم ، قلت : أبا نواس ، فقال : لاتَ حينَ كِناية ! قلت : الحسن ، قال : نعم ، قلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر الله لى ، قلت : بأى شيء ؟ قال : بتوبةٍ تبَّتها قبل موتى ، بأبياتٍ قلتها ، قلت : أين هى ؟ قال : عند أهلى . فسرت إلى أمِّه ، فلما رأتنى أجھشت بالبكاء ، قلت : إني رأيت كذا ، فكانها سَكَنتْ ، وأُخرجت إلى كُتُبا مقطعة ، فوجدت بخطه كأنه قريب :

يارب إن عظمت ذنوبى كثرةً      فلقد علمت بأن عفوك أعظم<sup>(١)</sup>  
 إن كان لا يرجوك إلا بحسن      فن الذى يدعو ويرجو المجرم<sup>(٢)</sup>  
 أدعوك رب كما أمرت تضرعاً      فإذا رددت يدى ، فن ذايرحم !  
 مان إليك وسيلة إلا الرجا      وجهل ظننى ثم أتى مسلم

وإنما قال: «لأن حين كناية» لأن العرب لا تنكى الميت إنما تدعوه باسمه،  
قال الراجز:

وقام نوسة بجانب حُفَرَتِي    بنات أخى وبنات إخوتي  
\* يدعون باسمي وتناسوا كنيتي \*

وقال آخر:

قد جملت تدعى كلاب بن جعفر    بأسمائها لا بالكنى لا تُجيبها

\*\*\*

قال: فلما انتهى إلى هذا البيت لَجَّ في الاستمبار، وألظَّ بالاستغفار، حتى استمال هوى قلبه المنحرف، ورجوت له ما يُرجى للمعترفِ المعترف. ثم إنه غيَضَ دمه الثمهل، وتأبطَ جِرابَهُ وأنسلَ، وقال لابنه: احتملِ الباقي، والله الواقى.

قال المخبر بهذه الحكاية: فلما رأيتُ أنسيابَ الحية والحَيَّة، وانهاء الداء إلى الكَيَّة، عَلِمْتُ أن تَرَيْتِي بالغان، مجلبة للهوان، فضمتُ رُحْلِي، وجمعتُ للرُحْلَةِ ذَبْلِي، وبِتَ ليلتي أُسرِي إلى الطَّيِّب، وأحدثِيبُ الله عَلَى الخطيب.

. . .

قوله: لَجَّ في الاستمبار، أى أكثر في البكاء. ألظَّ: ألحَّ، وألظَّ به: دار عليه. استمال: استعطف وأماله إليه. المنحرف: المائل عنه. المعترف: المكتسب

الإثم ، ويقال : قرَف فلان فلاناً ، إذا ألصق به ميباً وكسبه ذنباً ، واقرَف فلان ذنباً ، أى اكتسبه وألصقه بنفسه . المقرَف : المقر بذنبه .

أبو هريرة رضى الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله عز وجل ملائكة يترحمون على المقرئين على أنفسهم بالذنوب » .

وروى أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه : « ابن آدم إنك إن يبلغ ذنبك عنان السماء ، ثم تستغفرني أغفر لك ولا أبالي » . غِيض : جَفَ وغِيِب ، من غِيض الماء إذا انقصر وجف . التنهل : السائل . تأبط : أى جملة تحت إبطه . انسل : خرج مُخْفِياً نفسه متحزراً أن يراه أحد . انسياب : شى لا يحسُّ به . الحية : ، يعنى الشيخ ، سماه حية لإذايته أهل الخان بالبنج : فجمعه كسم الحبة فيمن ألقته ، ويقال أيضاً فى تصنهر الحية حُوَيَّة ، وأصلها الواو لأنها من تحوَّت أى تلوَّت ، وقيل : هى من الحياة لطول عمرها . انتهاء الماء إلى الكتية : ، مثل يضرب لانتهااء الماء إلى أقصاء ، تقول العرب : آخر الطبِّ الكى ، تريد أن المريض يعالج بكلِّ دواء فلا يواqqه فإذا عولج بالكى لم يبق بعده دواء ، وإلّا فهو الموت ، فيريد أنه إن أقام بعدها انتهى إلى هوان وعذاب . تريثى : تَبَطَّى ، وتربَّث بالمكان : أطلال الجلوس فيه . مجلبة ، أى سبب جلبه وسوقه رُحَيْلَه : يريد متاعه وصنَّره لقره وقلة ما عنده ، ورحل الإنسان ماله ومتاعه فى السفر . أسرى : أمشى بالليل . الطيب : قرية بالمراق بقبرة واسط بينها وبين البطيخة المتقدمة ، وسميت الطيب لطيب هوائها وخصبها .

احتسب : أدعو وأقول : حسيبه الله ، ومجازيه على قبيح أفعاله ، والاحتساب طلب الأجر ، فعنى أحتسب الله على الخطيئ ، طلب إلى الله تعالى الثواب بإنكارى على الخطيئ ، والله تعالى ربى عليه نوكت وإليه أنيب .

## المعاملة الثلاثون وهي الصورية

حكى الحارث بن همام، قال : ارتحلتُ من مدينة المنصور ، إلى بلدة صور ؛ فلما حصلتُ بها ذارِ فمةً وخَفَضَ ، ومالكَ رَفَعَ وخَفَضَ ؛ فَمَضَى إلى مَضَرِ تَوْقَانَ السَّقِيمِ إلى الأُساة ، والكريمِ إلى المَواساة ؛ فَرَفَضَتْ عَلائِقُ الاستِقامة ، ونَفَضَتْ عَلائِقُ الإقامة ، وأَعَرَوْرِيَتْ ظَهَرَ ابْنِ النِّعامة ، وأَجَفَلَتْ نَحْوَهَا إِجْفَالَ النِّعامة . فلَمَّا دَخَلْتُهَا بَعْدَ مُماناةِ الأَيْنِ ، وَمَداناةِ الحَيْنِ ، كَلَفْتُ بِهَا كَلَفَ النَّشْوانِ بِالاصْطِباحِ ، والحيرانِ بِتَنْفُسِ الصُّباحِ .

\*\*\*

[ترجمة للنصور]

قوله : مدينة المنصور ، هي بندا، والمنصور هو أمير المؤمنين أبو جعفر بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، استُخلف بعد أخيه السفاح ، وبويع له يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين ومائة . وهو ابنُ إحدى وأربعين سنة وعشرة أشهر ، وكان حليماً وقت وفاة السفاح ، فَمَقَّدَ له البيعة عُمهُ موسى بن علي بن عبد الله بالأنبار ، وورد الخبر على المنصور في أربعة عشر يوماً .

وقد بشر به النبي صلى الله عليه وسلم ، ونظر إلى عمه العباس ، قال :

هذا عى أبو الخلفاء الأربعين أجود قريش كفاً ، ومن ولده التفاح والمنصور .  
والمهدى .

وقال المنصور : رأيتُ في المنام كأني في السجدة الحرام ، فنودي : أين عبدُ الله ؟ فقلت أنا وعبد الله بن يحيى نستبق ، حتى وصلنا إلى الدرجة العليا ، فجلس هو وأخذ يدي ، فأصعدت ، وأدخلت الكعبة ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه أبو بكر وعمر وبلال . قال . فأقعدني وأوصاني بأمتي ، حميتي ، فكان كورهما ثلاثاً وعشرين كوراً ، وقال : خذها إليك أبا الخلفاء إلى يوم القيامة .

وقال المنصور : الخليفة لا يصاحبه إلاّ القصى ، والسultan لا يصليحه إلاّ الطاعة ، والرعية لا يصليحها إلاّ العدل ، وأولى الناس بالغو أقدرهم على العقوبة ، وأقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه .

وولد المنصور في سنة خمس وأسمين في اليوم الذي مات فيه الحجاج ، ومات بمكة بيئر ميمون لست خلوّن من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة .

• • •

### [ ذكر مدينة صور ]

صور : مدينة بالشأم ، بينها وبين دمشق ثلاثون فرسخاً .

وقال شيخنا ابن جبير<sup>(١)</sup> : مدينة صور يضرب بها المثل في الحصانة ، لأنّني لطالبتها بيد طاعة ولا استكافة ، قد أعدتها الإفرنج مغزعا لحادثة زماهم ،

(١) رحلة ابن جبير ٢٧٦ باختصار .

وجعلوها مثابةً لأمانهم . وحَصَانَتِهَا وَمَنَاقِبُهَا<sup>(١)</sup> أعجب ما يحدث به ، وذلك أنها راجعة إلى باين ، أحدها في البر والثاني في البحر ، والبحر يُحِيطُ بِهَا إلا من جهة واحدة ، فالبرى يُفِضُ إِلَيْهَا<sup>(٢)</sup> بعد ولوج ثلاث أبواب أو أربعة ، كلها في ستائر مشيدة محيطة بالبَاب ، والبحرى بُدْخِلُ إِلَيْهِ بَيْنَ بُرْجَيْنِ مشيدَيْنِ إلى مَرْمَى لَهُ ، ليس في البلاد أعجب منه وصفاً ، يحيط به سور المدينة من ثلاثة جوانب ، ويُحَلِّقُ بِهِ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ جِدَارٌ مَعْقُودٌ بِالْحَصَى ، والسفن تدخل تحت السور وتُرمى فيه ، ويمترض من التُّرْجِينِ لِلذَّكُورَيْنِ سلسلة عظيمة معقودة تمنع عند اعتراضها الداخل والخارج ، ولا مجال للراكب إلا عند إزالتها ، وعلى الباب حُرَّاسٌ ، لا يدخل الداخل ولا يخرج إلا على أعينهم ، فشان هذا للرَّمَى شَأْنٌ عَظِيمٌ ، وعند الباب البرى عين مَعِينَةٌ ، تنعذر إليها على أدراج ، والآبار والجباب بها كثيرة ، لا تخلو دار منها ، ولا بساتين بها إنما تُجَلِّبُ لَهَا الْقَوَاكِمَ مِنْ أَقْطَارِهَا الَّتِي بِالقرب منها .

ولها أعملة<sup>(٣)</sup> متصلة ، والجبال بالقرب منها معمورة بالضياء ، ومنها نجى الثمرات إليها ، وللمسلمين الباقيين بها مسجدان . وأعلمنى أحد أشياخنا أنها أخذت من أيديهم سنة ثمان عشرة وخمسة بعد محاصرة طويلة ، وبها كانت دار الصنعة ومنها تخرج مراكب المسلمين للغزو .

\* \* \*

قوله : ذارضة ، أى عزة ومكانة . خفض : طيب عيش ، ومعنى مالك رفع وخفض ، أى صاحب أحوال تُرْفَعُ عَلَى الْإِبِلِ فِي السَّفَرِ ، وتُحَطُّ عَنْهَا لِقَوْلِ ،

(١) ابن جبير : «ومنعها» (٢) ابن جبير : «إليه» (٣) ابن جبير : «ولها حلة منسمة»

ويريد أنه ذو قدرة وتمكّن يخفض ويرفع من أراد . قوله : مُنِيت ، أى اشتقت .

### [ ذكر مصر ]

مصر : قال الحمصاني : سميت بمصر بن هرمس بن هروس جد الإسكندر .  
وقال أهل اللغة : المصر الحذّ فسّيت مصر لأنها حد بين للشرق والغرب .  
ابن دريد كل بلد عظيم مصر ، نحو البصرة والكوفة .

طول مصر من الشجرتين اللتين بين أمج والعريش إلى أسوان ، وعرضها  
من برقة إلى أيلة ، فهي مسيرة أربعين ليلة . واقتضت كلها في خلافة عمرو بن  
الخطاب رضی الله عنه ، على يد عمرو بن العاص بن وائل السهمي .  
ولما اقتضت مصر ، أتى أهلها إلى عمرو ، فقالوا له : أيها الأمير ، إن لنيلنا  
هذا سنة لا يجرى إلا بها ، قال لهم : ما ذاك ؟ فقالوا له : إذا كان اثنتا عشرة  
ليلة تخلو من بثرة من أشهر الحج ، عدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا  
أبويها ، وحملنا عليها من الحلى والحلل أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها في النيل .  
قال لهم عمرو : إن هذا لا يكون في الإسلام ، وإن الإسلام يهدم ما قبله .  
فأقاموا بؤنة وأديب ومصرى . وهى أسماء ثلاثة أشهر للقبض . لا يجرى النيل فيها  
لا قليلا ولا كثيرا ، حتى هموا بالجللاء منها . فلما رأى ذلك عمرو بن العاص  
كتب بذلك إلى عمرو بن الخطاب رضی الله عنه . فكتب عمرو بطاقة ، وكتب  
إلى عمرو : إني بشت إليك بطاقة فألقها في النيل . فأخذ عمرو البطاقة فإذا فيها :  
من عبده عمرو أمير المؤمنين إلى نيل مصر ، أما بعد ، فإن كنت إنما تجرى من  
قبلك فلا تجر ، وإن كان الله الواحد القهار ، هو الذى يجرى بك ، فسأل الله الواحد  
القهار أن يجرى بك . فألقى البطاقة في النيل قبل يوم الصليب يوم وقد تهيأ أهل  
مصر للجللاء ، فلما ألقى البطاقة في النيل أصبحوا يوم الصليب ، وقد أجراه

الله تعالى ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة ، قَطَعَ اللهُ تعالى تلك السنة السوء من أهل مصر .

قال ابنُ جبير : ومدينة مصر كبيرة عامرة ، مخلفة الأسواق من المدن التي سارت بأوصافها الزقاق ، وهي على شط النيل ، وعلى النيل في مقابلتها قرية كبيرة الشأن ، كثيرة البنهان ، تعرف بالجيزة ، وتمتد بينهما جزيرة فيها مساكنُ حسان وعلالي مشرفة ، وهي يجتمع لها أهل مصر ومنزلهم ، وبينها وبين مصر خليج ينهب بطولها نحو الليل ، ولا يخرج له . وبالجزيرة جامع يُخطب فيه .

### [ ذكر القياس ]

ويتصل بهذا الجامع للقياس الذي يعتبر فيه قدر زيادة فيض النيل كل سنة ، واجداؤه من شهر بثوة ، ومُنْظَمَ انتهائه أغشت وآخرها أول أكتوبر .

والقياس : هود رخام مُثَمَّر في موضع ينحصر فيه الماء عند انتهائه إليه ، وهو مفعَّل على اثنتين وعشرين ذراعاً ، وكل ذراع مفصلة على أربعة وعشرين قما أقساماً متساوية تعرف بالأصابع ، فإذا استوى الماء تسع عشرة ذراعاً في الفيض ، فهي الناية عندهم في طيب العام ، وربما كان الماء فيها كثيراً لعموم الفيض ، والمتوسط ما استوى سبع عشرة ذراعاً ، وهو أحسن مما زاد عليه . والذي يستحق به السلطان خواجه ست عشرة ذراعاً فصاعداً ، وعليها تُعْطَى البشارة للذي يراقب الزيادة في كل يوم ، ويدل بها مياومة ، وإن قصر عن ست عشرة فلا يحق لذلك السلطان في ذلك العام ، ولا خراج إلا ما يعول عليه ، وبقرية الجيزة يوم الأحد سوق عظيمة يتحدث بها .



## [ ذكر الأهرام ]

وعلى نحو سبعة أميال في الصحراء التي يفضى منها إلى الإسكندرية ،  
الأهرامُ القديمة ، المعجزة البناء القريبة للنظر ، المربعة الشكل ، كأنها القباب  
المضروبة قد قامت في جو السماء ، لا سيما الاثنان منها في سعة الواحد منها من  
ركنه إلى ركنه ثلثائة خطوة ، وست وستون خطوة محدة الأطراف في رأى  
العين ، وربما أمكن الصمود إليها على خطر ومشقة ، فتلقى أطرافها المحدة كأوسع  
ما يكون من الرحاب ، قد أقيمت من الصخور العظام المنحوتة ، ورُكبت تركيباً  
بديع الإلصاق ، يكاد يسجز أهل الأرض تقص بانياتها .

## [ بعض معالم مصر ]

وبمصر أيضاً المسجد المنسوب إلى عمرو بن العاص ، وبها الجبانة المعروفة  
بالقرافة ، وهي من عجائب الدنيا ، لما تحتوى عليه من مشاهد الأنبياء ، وأهل  
البيت والصالحين والعلماء وذوى الكرامات من أهل الزهد .

وبها قبر آسية امرأة فرعون ، وبها مساجد معمورة بالليل والنهار ، يبيت  
بها الصالحون .

وبها قبر الشافعي محمد بن إدريس الإمام رضى الله عنه ، وهو من للشاهد  
العظيمة احتفالاً وانساعاً .

والشهد العظيم الشأن الذى بالقاهرة ، حيث رأس سيدنا الحسين بن عليّ  
رضي الله عنهما ، هو في تابوت من فضة مدفون ، قد بُني عليه بنيان يقصر الوصف  
عنه ، مجلّ بأنواع الديباج ، محفوف بأمثال العبد الكبار ، شهما أبيض أكثرها  
موضوع في أنوار الفضة ، وحُفّ أعلاه كله بأمثال التتافيح ذهباً في مصنع شبه  
الروضة ، يهر الأبصار حسناً وجالاً ، وفيه من أنواع الرخام المجرّع الغريب  
( ٢٢ - شرح مقامات الحريري ج ٢ )

الصنعة ، البديع ، للترصيع ، مالا يتخيله الخنثيون ، والمدخل إليها على مسجد على  
 حناها في التأتق ، حيطانه كلها رخام ، وأغرب ما فيه حجر موضوع في الجدار  
 الذي يستقبل الداخل ، شديد السواد والبصيص يصف الأشخاص كلها كأنه  
 المرأة الهندية ، وتزاحم الناس على القبر وانكباهم عليهم وتمسحهم به وبالكسوة  
 التي عليه مرأى هائل .

وأخبار مصر كثيرة فلنقتصر على هذه النبذة .



الأساة : الأطباء . المواساة : أن يحملك أسوة نفسه في ماله فيقاسمك فيه .  
 رفقت : تركت . علائق : أسباب تتعلق به فتحبسه . فقت : أزلت وأطرحت ،  
 وفتت ثوبى من الثياب : أزلته عنه . عوائق : موانع ، وهى ما يصرف  
 الإنسان عن وجهه الذى يمرّ فيه ويريد . امروريت : ركبت عربا .

ابن النعامة : الطريق ، وقيل صدر القدم قال هنتر :

\* وابن النعامة عند ذلك مرّ كفى <sup>(١)</sup> \*

وقيل : ابن النعامة الساق ، وقيل : عرق في الرجل . وقيل القرمس القارة  
 أجفت : أسرع . النعامة : واحدة النعام . معانة : مقاساة . الأئین :  
 القنور من الثعب مدانة الحين : مقاربة الهلاك . كلفت بها ، أى أحببتها وولمت  
 بها . النشوان : السكران ، يريد أنه فرح فرح السكران ، إذا أصبح للشرب ،  
 وهو الاصطباح والهموم بالليل إذا طلع ضوء النهار انجل همه ، فجعل يياض  
 النجر . تنفس أى انقشر في الظلام .

(١) صدره : « ويكون مركبك الطلوس ورحله » وهو الالان - نعم ، منسوب  
 لخز بن لوزان .

فبينما أنا يوماً بها أطوف ، وتحني قُرسُ قُطوف ؛ إذ رأيت  
على جُردٍ من الخيل ، عُصبةً كمصاييح الليل ؛ فسألتُ لانتِجاع  
الزَّهْمَة ، عن المصيبةِ والوجهة ؛ فقيلَ : أما القومُ فشهود ،  
وأما المقصِدُ فإملاكٌ مشهود ؛ فحدثني مِنهُ النَّشَاطُ ، على أن  
سيرتُ مع القُرَاطِ ؛ لأفوز بحلاوةِ اللُّقَاطِ ، وأحوزَ حُلَواءَ  
السَّمَاطِ ؛ فأفضيتُنا بَندَ مُكابدةِ الفناء ، إلى دارٍ رفيعةِ البناء ،  
وسِيعَةِ الفناء ، تشهدُ لبأنها بالثراءِ والسَّناء . فلما نزلنا عَن  
صَهَوَاتِ الخيولِ ، وقَدَّمنا الأقدامَ للدخولِ ، رأيتُ دِهليزَها  
مُجَلَّلاً بأطمارٍ خمرقة ، ومُكَلَّلَاً بِمخارِفٍ مُعلَّقة ، وهُنَاكَ شخصٌ  
على قُطيفة ، فوق دَكَّةٍ لَطيفة .

\*\*\*

قُطوف : متقارب الخطو ، كأنه يقطف خطوه ، أى يقطعه . جُرد :  
مُلس ، والأجُرد : القصير الشعر . عُصبة : جماعة . مصاييح : سُرُج ، ويريد  
بها النجوم . قوله : الوجهة كالجهة ، وهو كل موضع استقبلته وقصدته  
ونوَّجَّهتُ إليه . إِملاك : نكاح ، وأَمَلَكَ الرجلُ إِملاكاً : تزوج ، وأَمَلَكَه  
غَيْرُهُ : زوجه . وشهدنا إِملاكه ، أى عرسه .

ابن عمر رضى الله عنهما ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « مَنْ شَهِدَ  
إِمْلَاقَ امرئٍ مسلمٍ ، فكأنما صام يوماً في سبيل الله واليوم بسبعائة » . مشهود :  
أى محضور . حدثني . سَأَقْتَنِي . مِيتَةٌ : حدة ونشاط ، والمِيتة أولُ الشَّبابِ ،  
وأولُ جَرَمِ الفرس ، ومِيتة كلِّ شئٍ معظمه . والقُرَاط : السباق المتقدِّمون ،

الواحد فارط . القُطاط : ما يلتقط من العرس مما ينثر فيه للحاضرين ، نحو الكمكس والتليص ، وما يُنثر فيه يسمى نثراً ، وكان تثار العرب في عرسهم التمر . أخوز : أحصل . السباط : السوق التي جوانبها صفان متقابلان ، والسباط أيضاً أن يصطف المسكر صفين متقابلين ، والسباط في الطعام : أن تلعق مائدة بأخرى ، ويجلس الناس عليها صفين متقابلين ، والسباط الصف منه ، ومنه سبط الجوهر ، ومنه الشعر للسط ، وهو الذي ألياته منفصلة على أجزاء متقابلة ، وقد نهتينا عليه في الحادية عشرة <sup>(١)</sup> . مكابدة : مقاساة ، وهي من الكبد كأن الكبد يتعب بها . والتمناء : التمسب . ربيعة البناء ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا أراد الله بعبد خيراً ما ألقى إليه بناء » .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ بَنَى بِنَاءً فِي غَيْرِ ظِلِّ وَلَا اعْتِدَاء ، أَوْ غَرَسَ غَرْساً فِي غَيْرِ ظِلِّ وَلَا اعْتِدَاء ؛ فَإِنْ أَجْرُهُ جَارٍ مَا انْتَفَعَ بِهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ الرَّحْمَنِ » .

وقال بعض الحكماء : إذا أسير الرجل ابتلى بثلاثة أشياء : صديقه القديم يحفوه ، وامراته يتزوج عليها ، وداره يهدمها وينتفها .

وعلى قوله : أما التوم فشهود ، جاء فيهم حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَكْرَمُوا الشُّهُودَ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَخْرِجُ بِهِمُ الْحَقَّ ، وَيُدْفَعُ بِهِمُ الظَّالِمَ » .

قوله وسيرة ، أي واسعة ، والقياء : الساحة ، وهي ما حول الدار . الثراء : كثرة المال . السناء : الشرف والرفعة . صهوات : ظهور . دهليز : مدخل الدار ، الذي تسميه عامتنا الأسطوان ، والأسطوان عند العرب : السواري ، واحداً أسطوانة : وأنشد أبو موسى الخداح <sup>(٢)</sup> في نوادره وذكر الدهليز قال :

(١) في الجزء الثاني ص ١٧ (٢) ط ٥ الملاحظ تحريف .

أويت في البعلبزم مذ أربهر ولم أكني آوى الدماليزا<sup>(١)</sup>  
خبزي من السوق وشعري لكم تلك امرى قسمة ضياري

مجللاً : منطى . أطمار : ثياب خلقة . مكلاً : محلقاً . مخارف : قف أو  
نعاليق للأرباء ، يحملون فيها ما يأخذونه من الصدقة ، والمخارف عند العرب : جمع  
مخرف ، وهي قفيفة تشبه الزنبيل ، يُخْتَرَف فيها الإطاب ، أى يُجْتَنى فيها .  
قطيفة : نوع من البسط . ذكّة : هى الدكان .

• • •

فَرَابَنِي عُنْوَان الصَّحِيفَةِ ، وَمَرَأَى هَذِهِ الْبِدْعَةَ<sup>(٢)</sup> الطَّرِيفَةَ ،  
وَدَعَانِي التَّطْيِيرَ بِتِلْكَ الْمُنَاحِسِ ، إِلَى أَنْ عَمِدْتُ لِذَلِكَ الْجَالِسِ ؛ فَعَزَمْتُ  
عَلَيْهِ بِعَصْرِفِ الْأَقْدَارِ ، لِيَعْرِفَنِي مَنْ رَبُّ هَذِهِ الدَّارِ ، فَقَالَ :  
لَيْسَ لَهَا مَالِكٌ مُمَيَّنٌ ، وَلَا صَاحِبٌ مُبَيَّنٌ ، إِنَّمَا هِيَ مِصْطَبَةٌ  
الْمُقَيَّنِينَ وَالْمَدْرُوزِينَ ، وَوَلِيجَةُ الْمُشْقِيقِينَ وَالْمُجْلُوزِينَ . فَقُلْتُ  
فِي نَفْسِي : إِنَّا فَهَّمْنَا عَلَى ضَلَالَةِ الْمُسَمَى ، وَإِحْوَاحِ الْمَرْغَى ؛ وَهَمَمْتُ  
فِي الْحَالِ بِالرَّجْعِ ، لَسَكُنِي اسْتَهْجَنْتُ الْعَوْدَ مِنْ قَوْرِي ، وَالتَّهْقُرَةَ  
دُونَ غَيْرِي ، فَوَلَجْتُ الدَّارَ مُتَجَرِّعًا النَّصَصَ ، كَمَا يَلِجُ الْمَصْفُورُ  
الْقَقْصَ ، فَإِذَا فِيهَا أَرَاثُكَ مَنقُوشَةٌ ، وَطَنَافِسُ مَفْرُوشَةٌ ، وَغَارِقُ  
مَصْفُوفَةٌ ، وَسُجُوفٌ مَرْصُوفَةٌ ، وَقَدْ أَقْبَلَ الْمَلِكُ عَيْسَى فِي بُرْدَتِهِ ،  
وَيَتَبَهَّنَسُ بَيْنَ حَفْدَتَيْهِ ، فَحِينَ جَلَسَ كَأَنَّهُ ابْنُ مَاءِ السَّمَاءِ ،

(١) في اللسان : البعلبزم ، بالكسر : ما بين الدار والباب ؛ فارسي مررب .

(٢) هذه الكلية ساقطة من ط

نادى منادٍ من قِبَلِ الأحماء : وحُرْمَةِ سَاسَان ، أستاذِ الأمتّادين ،  
وقُدْوَةِ الشحّاذين ، لَاعَقَدَ هَذَا التَّمَقُّدَ المُبْجَل ، فى هَذَا اليوم  
الأغرَّ المَحْجَل ، إلّا الذى جال وجَاب ، وشبَّ فى الكُدْيَةِ  
وشاب .



رابعى : شككى وخوفى . عنوان : دليل . الصحيفة : الكتاب ، أراد  
تطيرت بتلك المخارف ، وأراد أنها دار خيبة وحرمان . وكان ابن همام فى هذه  
القصة طفيلياً على ما وصف به نفسه من الرهاية ، وربما يتولّع أهل الظرف  
والأدب بمثل هذا ، قد حكينا عن إبراهيم بن الهديّ وإسحاق الموصلى مثل  
هذا فى أخبار الطفيليين على منادمتها للخلفاء وكثرة أموالهما .

البدعة : الشئ المبدع الذى لم يفعل قبله مثله . والطريقة : الفرية المستخرقة .  
التطير : التشاؤم . المناحس : جمع منحوس وهو الذى لا يفارقه النحس ، وأراد  
به المخارق والأطمار التى قدم . مصترف الأقدار : هو الله تعالى . ربّ الدار :  
مالكها أو الناظر فى إصلاحها ما ذكره مما لا يفهم له معنى فهو بسطة  
المكدين . وقيل المقينون جمع مُقيف ، وهو الذى يقفوا آثار الناس ، أى يقبهم  
يطلب لهم شيئاً ، ويدعو لهم . والمدروزين : المكدين ، ودروزة كلمة أعجمية  
معناها الكُدْيَةِ . والمُشَقِّق : الذى يحاكي أصوات الطيور فتجتمع إليه فيصطادها .  
والجلوز والجلواز : الشُرطى الذى يصترف حول السلطان .

قوله : وليجة ، أى مدخل ، والوليجة : للوضع الذى يلج الإنسان فيه ، أى بدخله  
أو كهف يستتر فيه . التهمرة : الرجوع إلى خلف . ضلالة . المسمى : الشئ

بجيلة ، أراد أن يشبه كان لنير فائدة . اعمال : ييومه وجفوف . فَوْرِي :  
 حَتَّى من قبل أن أسكن . الفَصَص : جمع غصة ، وهي ما يمتدني بها ، وتجربها  
 صب . أرائك . مُرَّر مزينة . طنافس : بُسَط . وتمازق : غاذ . سجوف :  
 سُتُور . مرصوفة : مضومة ملتصقة ، وجعل البيت بهذه الأمتة الكثيرة لأنه  
 بيت عرس ، فهي تستمد له ، وإن كان قد رأى في دهليزه مرقعات تدل على  
 فقر ، فإن الغباء في البلاد يملكون مرقعاتهم في دهليز الفندق ، وبيت في غاية  
 الرفاهية ، والدار المذكورة ، إنما كانت فندقاً للفقراء الغباء والمكدين .  
 والجالس في دهليزها : خادم الفندق ، وحين سأل عنها أخبره أنها ليس لها رب  
 معين ، إنما هي دار المكدين والمحارفين <sup>(١)</sup> . وقيل لأحد المكدين : أتبيع  
 مرقعتك ؟ قال : هل رأيت صائداً يبيع شبكته !

المُلك : العروس . يمس : يفتخر ويقهنس ، مثله في المعنى . حَقَدته :  
 خدمه وأتباعه ، ويقال : حَقَد العبد يحفد حفداً ، إذا خدم . وفي الدعاء : « وإليك  
 نسعي ونحفد » ، أى نخدمك ونعمل لك ، وقال الشاعر :

حَفَدَ الْوَلَانْدُ يَنْهِنَ وَأَسْلَمْتُ بِأَكْفَرٍ - أَرْمَةُ الْأَجَالِ <sup>(٢)</sup>

أبو عبيدة ، يقال : حَفَد يحفد ، وأحفد يحفد ، وفسر طائوس قوله تعالى :  
 ﴿ بَيْنَ وَحَفْدَةٍ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، أى خدماً ، فهو مطابق للغة ، وفسره ابن مسعود  
 رضى الله عنه بالأختان ، وهو مطابق لما في القامة ، لأن المكدين لا خدم لهم .  
 وقال الفراء رحمه الله : الحفدة : جمع حافد ، ككامل وكاملة .

[ ذكر المنذر الملقب بابن ماء السماء ]

ابن السماء ، الجوهرى : ماء السماء لقب عامر بن حارثة الأزدي أبو عمرو  
 مزيقياء ، الذى خرج من اليمن لما أحسن بسيل العريم ، ومضى ماء السماء ،

لأنه كان إذا أُجذب قومه منهم ، أى كفاح مؤتيم ، حتى يأتهم الخصب ، فحكاكه خَلَفٌ من ماء السماء . وقيل لوفه : بنو ماء السماء ، وهم ملوك الشام ، والعرب تُسَمَّى أيضاً بنى ماء السماء ، لأنهم يعيشون بماء السماء ، قال الأزهري رحمه الله : السّاوة ماء بالبادية ، وكان اسم أمّ للنذر ماء السماء ، فسَمَّته العرب ابنَ ماء السماء .

وهو للنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى ، وأمه ماء السماء ، وهي امرأة من النّير بن قاسط ، سُمِّيت بذلك لجناها . ولما ملك كسرى الذى اسمه قباذ بن فيروز ، خرج فى أيامه رجل يقال له مَزْدَك ، فدعا الناس إلى الزندقة وإباحة الحرم ، وألاّ يمنع أحدٌ أخاه ما يريد . فدعا قباذ للنذر ليدخل فى هذا المذهب ، فأُنف ، وأبى للنذر هذا الفعل الخسيس ، فطرده قباذ من مملكته ، وغناه من الخيرة . ودعا الحارث بن عمرو بن حُجْر آكل المرار ، فأجابه . وكان الحارث شديد الملك ، فشدد له ملكه ، وكانت أم أنوشروان بين يدي قباذ يوماً ، فدخل عليه مَزْدَك ، فلما رآها قال لَقباذ : ادفعا إلىّ لأقضى حاجتى منها . قال له قباذ : دونكها ، فوثب إليه أنوشروان ، فلم يزل يسأله أن يهب له أمّه حتى قَبَّلَ رجله ، فتركها له . فلما هلك قُباذ وتولّى أنوشروان ، وجلس فى مجلسه أقبل للنذر إليه ، وأذِن للناس ، فدخل عليه مَزْدَك ، ودخل عليه للنذر ، فقال أنوشروان : كنت أتمنى أمنيّتين ، أرجو أن يكون الله تعالى قد جمعهما لى ، فقال مَزْدَك : وما هما أيها الملك ؟ قال : تمنيت أن أملك فأستعمل هذا الرجل الشريف - يعنى النذر - وأن أقتل هؤلاء الزنادقة ، فقال له مَزْدَك : أو تستطيع أن تقتل الناس كلهم ؟ فقال : إنك لها هنا يابن الزانية ! والله مذهب نين ربيع جَوْر بك من أنقى ، مذ قتلت رجلينك إلي يومى هذا ، وأمر به ، فقتل وصُلب . وقتل فى ضعوة واحدة من الزنادقة مائة ألف ، وصلّهم ، وطلب الحارث ، فخرج



حارباً بجميع مامنه ، وأخضر المنذر في طلبهم ، فأخذ من بهي آكل الرار ثمانية وأربعين رجلاً ، فغزب رقابهم وألح في طلب امرئ التيس ، فلقق بالسومل . وتعام القصة في الثالثة والعشرين<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

قوله : الأحاء ، أى الأختان . ساسان : شيخ المكدين ، قال الفنجديهى : ساسان هو أستاذ المكدين ومقدمهم ، وواضع طرائقهم ومعلمهم . قال أبو القنصع إسماعيل بن الفضل بن الإخشيد السراج المكدي في كتابه : حدثنا أبو بكر البطايرى المكدي ، حدثنا محمد بن علي بن أحد الفقيه المكدي ، حدثنا مالك ابن صالح المكدي ، قال : سمعت طراوة المكدي ، قال : قال ساسان : ألا أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟ قلت : بلى ، قال : هى الكدية .

وقوله : أستاذ الأستاذين ، حدث أحمد بن الحسن ، قال : كنت عند أبي الحسن ابن أبي الفضل ، فدخل رجل فذكر أنه شاعر ، قال : الشعراء ثلاثة : شاعر وشعور وشعرة ، فأما الشاعر فالملق ، والشعور المستلح ، والشعرة المستقل لرداءة شعره . والأستاذون ثلاثة : أستاذ في الدين كالعلماء والقضلاء ، وأستاذ في الدنيا كالوزراء والعمال والولاة ، وأستاذ لادين عنده يتعلم منه ولا دنيا ينقض بها ، كالخجاء ، يسمى أستاذاً والبناء والملاح . وبنو ساسان : ملوك القرمس .

قُدوة : مقدم . الشحاذين : المكدين والشحاذ : الملح في المسألة ، وشحذت السيف بالفت في مقاتله . المبجل : العظيم ، يقال : ببجلته تبجيلاً ، أى عظيماً تعظيماً ، مأخوذ من البجيل والتبجال ، وهو الرجل الضخم ، وفي الحديث : أصبح خيراً تبجيلاً ، أى كثيراً ضخماً . الأغر : المشهور لحسنه . الحجل : الأبيض . شب : ترعرع ونشأ .

(١) انظر ص ١٧٤ ، ١٧٣ من هذا الجزء

فأعجبَ رَهْطَ الصَّهْرِ ما أشارُو إليه ، وأذِنُوا في إحصاءِ  
النصوصِ عليه ، فَبَرَزَ حينئذٍ شيخٌ قدْ أَمَالَ المَلَوَانَ قَامَتَهُ ،  
ونَوَّرَ القَتِيانَ ثَمَامَتَهُ ، فتابَشتِ الجماعةُ بإقبالِهِ ،  
وتبادَرتْ إلى استقبالِهِ ، فلَمَّا جَلَسَ على زُرِّيَّتِهِ ، وسكنتِ  
الضوضاءُ لَهَيْئَتِهِ ، ازدَلَفَ إلى مَسْنَدِهِ ، وَمَسَحَ سَبْكَتَهُ يَدِهِ ،  
نم قال : الحمد لله المبتدئُ بالإفضالِ ، المبتدِعُ للتَّوَالِ ، المتقَرِّبُ  
إليه بالسؤالِ ، المؤمِّلُ لتحقيقِ الآمالِ ، الَّذِي شَرَعَ الزَّكَاةَ في  
الأموالِ ، وزَجَرَ عن نَهْرِ السَّوَالِ ، وَنَدَبَ إلى موااساةِ  
المضطرِّ ، وأَمَرَ بِإِطْطَامِ القَانِعِ والمُعْتَرِّ ، ووصَفَ عبادَهُ المقَرَّبِينَ ،  
في كتابهِ المبينِ ، فقال وهو أَصْدَقُ القائلينَ : ﴿ وَالَّذِينَ فِي  
أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مِّمَّا لِمَنُومٌ . لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝ ﴾ .

أُحْمَدُ عَلَى مَا رَزَقَ مِنْ طُمَعَةٍ هَنِيئَةٍ ، وَأَعُوذُ بِهِ مِنْ اسْتِمَاعِ  
دَعْوَةِ بِلَائِيَةٍ . وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ،  
إِلَّا بِأَنْ يَجْزِيَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ ، وَيَمَحُقُ الرُّبَا وَيَرْبِي  
الصدقات . . . .

• • •

المَلَوَانَ والقَتِيانَ : الليل والنهار . وَثَمَامَتُهُ : شَعْرَتُهُ . نَوَّرَهَا : بَيَّضَهَا .  
وَالثَّمَامُ : نَبْتُ أَيْبُضَ ، وهو ضرب من البُهْمَى ، منابته الجبال ، إِذَا تَبَيَّضَ بَيَضٌ  
بَيَاضًا شَدِيدًا .

أبو حنيفة : تثبت الثغامة خُيوطاً طَوَّالاً دِقَاقاً من أصل واحد، فإذا جُفَّت ابيضَّت كلها ، وإذا أعمل الثغام ، كان أشدَّ بياضاً ، ويشبَّه به الشيب ، قال المزار الفقيسي :

أَعْلَاقَةٌ أُمُّ الْوَلِيدِ بَعْدَ مَا أَفْئَانُ رَأْسِكَ كَالثَّغَامِ الْمُخْلِسِ<sup>(١)</sup>

وقال حسان رضى الله عنه :

إِنَّمَا نَرَى رَأْسِي تَغْيِرَ لَوْنُهُ شَمْعًا فَأَصْبَحَ كَالثَّغَامِ الْحَوِيلِ<sup>(٢)</sup>

والثغام : مرعى ، وتُغْلَقُه الخليل ، وقال بشر وذكر الخليل :

فَبَاتَتْ لَيْلَةً وَأَدِيمٌ يَوْمَ عَلَى الْبُتْنَى يَجْزُهَا الثَّغَامَا<sup>(٣)</sup>

قوله : زُرَّ يَبْتَه : طِنَفْتَه ، والجمع الزَّرَابِي ، وقيل هي الوسائد ، وقيل الثياب الموشاة . والضوضاء : الأصوات . ازدلف : قَرُبَ . مسنده : موضع إسناده . سبَلته : لحيته ، وقيل شاربته .

وهذه الخطبة التي ذكر ، ليس فيها لفظ إلا وهو يتضمن إشارة للكُذْبَةِ .

قوله : المبتدِع ، أى الفاعل له قبل أن يفعل . النَوَال : العطاء . المؤمِّل : المرجو . شرع : فرض : ونَهَزَ السَّوَال ، من قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾<sup>(٤)</sup> ، وقال ابن عمران :

(١) البان - تم : « المزار الأسدي »

(٢) ديوانه ٣١٠ .

(٣) لم أجده في ديوانه .

(٤) سورة الضحى .

إِنَّ ابْنَ آدَمَ حِينَ يُلْحِفُ سَائِلًا يَقْدُ مِنْ حَقِّي عَلَيْهِ فَيَهْرُهُ  
وَاللَّهُ إِنْ يَقْصِدُهُ عَبْدٌ مُلْحِفٌ بِسْوَائِهِ يَدْنِيهِ مِنْهُ وَيَشْكُرُهُ  
فَسَلِّ إِلَّا لَهُ وَلَذَّ بِهِ لَا تَنْفَسَهُ فَاللَّهُ يَذْكُرُ عَبْدَهُ إِذَا يَذْكُرُهُ  
وَقَالَ أَيْضًا :

سْأَلْنَا دَعَاؤُنَا لَجَنَّةً لَمْ عَلَيْنَا بِالْقَبُولِ مِنْهُ  
مَنْ سَأَلَ مِنْهُمْ وَبِكَ أَعْطَيْنَهُ وَلَوْ بِتَمْسِرَةِ فَوَاسِيتِهِ  
أَوْ أَجَلِ الزَّادِ لَا تَنْهَرْتَهُ وَإِنْ يَكُنْ يُلْحِفُ فَاعْذَرْتَهُ

• وَادْعَ لَهُ اللَّهُ وَصَبَّرْتَهُ •

قوله : نَدَبَ ، : أى دَعَا وحَرَضَ . للضطر : الشدِيد الحاجة . القانع : المتذلل  
عند السؤال . والمعتَر : للتعَرُّض للمعروف . والمحروم : الذى لا يَأْلُ أَحَدًا  
شَيْئًا وهو محتاج . طُلُمَةُ هَنِيئة : الكدية ، لأنَّ فَائِدَتَهَا تحصل بلا تَحْمَلِ تَكْلَفٍ  
ولا مشقة . دعوة بلا نِيَّة : قولك لسائل : اللَّهُ يعطيك ووسَّعَ اللَّهُ عليك  
ونحوه ، وأنشدوا فيهم :

ورجالٌ ونساءٌ وبناتٌ وبنونا  
وإذا بدعَى لهم يو ما ترام يفضونا

وقال آخر :

ألم ترى أبغضت لى وذكرها كما أبغض المسكين دعوة سائِلِهِ

لأن السائل لا يطلب من المستول الدعاء ، إنما يطلب ما يشبع الأعماء .

ومما يستغرف من هذا ماحكى الأعمى . قال : مرت بى أعرابى سائلاً ، قلت له : كيف حالك ؟ قال : أسأل الناس إلخافاً فيعطونى كُرْهاً ، فلا يؤجرون على ما يعطونى ، ولا يبارك لى فيما آخذ ، والمر بين ذلك فإن ، والأجل قريب والأمل بعيد .

سأل أعرابى رجلاً يكفى أبا عمرو عند داره ، قال : يرزقك الله ، فناد إليه يوماً آخر فقال بمثل ما قال أمس وتنتح ، قلتُ منه ضرورة ، قال الأعرابى :

إن أبا عمرو لكبوس الوسط إذا سألناه تعطى وضرط  
• إعطاؤه : يرزقك الله قط •

قوله : أشهد أن لا إله إلا الله ، أى أعلم وأبين ، ومنه : شهد الله ، أى أعلم وبين أنه لا إله إلا هو ، ومنه : شهد الشاهد عند الحاكم ، أى بين له ما عنده وأعلمه الخبر . يمحى : يزيل ويستأصل . الربا : الحرام وأصله تزيادة . ويربى : يزيد ويكثر ، أى يضعفها له .

\*\*\*

وأشهد أن محمداً عبده الرّحيم ، ورسوله الكريم ، ابتشه  
لِنَسَحِ الظُّلْمَةَ بِالضِّيَاءِ ، وَنَتَصِفَ لِلْفُقَرَاءِ مِنَ الْاَغْنِيَاءِ ، فَرَفَقَ  
صلى الله عليه وسلم بالمسكين ، وخَفَضَ جناحه للمُسْتَكِينِ ،  
وفَرَضَ الحقوق فى أموالِ المَثْرين ، وَبَيَّنَ ما يَجِبُ لِلْمَقْلِينِ  
على المكثرين ، صلى الله عليه صلاة تحظيه بالزُّلْفَةِ ، وعلى أَصْفِيَاءِ  
أهلِ الصُّفَّةِ . أما بعد :

فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَرَعَ النِّكَاحَ لَتَعَفُّوا ، وَسَنَ التَّنَاسُلَ لِكَيْ  
تَتَضَاعَفُوا ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ  
ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ . وَهَذَا أَبُو  
الدَّرَاجِ ، وَلَاجِ ابْنُ خِرَاجٍ ، ذُو الْوَجْهِ الْوَقَّاحِ ، وَالْإِفْكِ الصُّرَاحِ ،  
وَالْهَرِيرِ وَالصَّبِيحِ ، وَالْإِبْرَامِ وَالْإِلْحَاحِ ، يُخْطَبُ سَلِيطَةً أَهْلِهَا ،  
وَشَرِيطَةً بَغْلِيهَا ؛ قَبَسَ بِنْتُ أَبِي الْقَنْبَسِ ، لِمَا بَلَغَهُ مِنَ التَّحَاظِ  
بِالْحَافِهَا ، وَإِسْرَافِهَا فِي إِسْفَافِهَا ، وَإِنْكَامِشِهَا عَلَى مَعَاشِهَا ، وَاتْعَاشِهَا عِنْدَ  
هَرِاشِهَا . وَقَدْ بَذَلَ مِنَ الصَّدَاقِ شِلَاقًا وَعُكَّازًا ، وَصِقَاقًا وَكَرَّازًا ،  
فَأَنكَحُوهُ إِنْكَاحَ مِثْلِهِ ، وَصِلُوا حَبْلَكُمْ بِحَبْلِهِ ، ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ  
عِيْلَةَ فَسَوْفَ يَنْفِكُكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ .

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ  
يَكْثَرَ فِي الْمَصَاطِبِ نَسْلَكُمْ ، وَيَحْرُسَ مِنَ الْمَعَاطِبِ شَمْلَكُمْ .

\* \* \*

يُنْسَخُ : يَزِيلُ . الْمُسْكِينُ : الضَّعِيفُ الْقَلِيلُ . وَخَفَضَ جَنَاحَهُ : أَلَانَ جَانِبَهُ ،  
فَهُوَ مِثْلُ الْإِسْفَاقِ وَالْحَنَانِ ، وَأَصْلُهُ أَنَّ الطَّائِرَ إِذَا مَخِضَ جَنَاحَهُ عَلَى فِرَاحِهِ ،  
وَيُلْصِقُهَا بِهِ شَفْقَةً عَلَيْهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ  
الرَّحْمَةِ ﴾ <sup>(١)</sup> . وَاسْتَكَانَ : خَضَعَ وَذَلَّ ، وَهُوَ اسْتَغْلَمَ مِنْ كَانَ ، أَصْلُهُ اسْتَكُونُ ،  
فَقَلَّتْ حَرَكَةُ الْوَاوِ إِلَى السَّكَافِ ، فَاتَّخَذَتْ الْفَاءَ لِحَرَكَتِهَا فِي الْحَكْمِ وَافْتِتَاحِ مَا قَبْلَهَا

فهي في الأصل كاستقام وبابه ، أو يكون افضل من السكون لأن الخاضع يقلل الكلام ، وأصله استكن ، فوصلت فتحة الكاف بألف كقولہ :

• قلت وقد جرت على الكَلْكَالِ •

أراد الكل كل ، وقال تعالى : ( فَاَسْتَكَانُوا رَبَّهُمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ )<sup>(١)</sup> .

وأنشد أبو علي :

• فَاَسْتَكَانَ لِلْآقَى وَلَا خَضَمًا •

قوله : المترين : الأغنياء . الزلفة : القرية ، يُقَرَّبُ بها إلى الله تعالى .  
أصفياه : أحبابه .

الشفقة : تشبه : القبله ، والصفة كالسيفة ، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الغرباء يظعنون إليه من الجهات ، وليس عندهم شيء ، فيسكنون سقائف المسجد ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحترض الناس على الصدقة عليهم ، وكان يجلس لهم ، فيملئهم القرآن . وخصهم الحريرى بالذكور لأن لهم حالة يشبهون بها المكدين ؛ من لباس الخلقان ، والعيش من صدقات الناس ؛ فهم يتأثرون بأهل الشفقة ، ويحملونهم حجة على من زجرهم .

ومما يحسن أن ينشد في هذا المعنى قول ابن عمران :

السائلون عيال الله والمال لله فابذله فيهم خاب من كؤمها  
فبعد على قدر بالله من خلف يا ويح من كان للرحمن متيها  
واحذر من الرد إن الله يمتقه من غير عنبر وشوم الشح قد علما

الشعوب : جمع شَعب ، وهو أكبر من القبيلة . الخراج ، كناه بذلك لكثرة حركته . ولأج : كثير ألؤلج على الناس للكُدية . خراج : كثير الخروج في طلب رزقه ، والولأج : الخراج الذي يُحسن الدخول في أموره والخروج منها ، ويقال : فلان ولأج خراج ، إذا كان متصرفاً في أموره نقاعاً لأوليائه ، ضراراً لأعدائه . والإفك : سوء الكذب . الضراح : الظاهر البين ، يريد أنه إذا وصف حاله في كُديته لا يسكلم إلا بالكذب . الحرير : كثرة الصياح والشر ، وهرير الكلب : صوته دون ثبأحه من قلة صبره على البرد . والإبرام : الإقبال والإضجار ، يريد أنه يوالى الصياح على من يسكديهم ويثقل عليهم بالعتب على ترك الصدقة حتى يفتدوا منه . والإلحاح : للداومة والإكثار من السؤال .

وقدم الحليئة للدينة في سنة مجدبة ، فشى أشرافها بعضهم ليمض ، خوفاً من لسانه ، وقالوا : قدم علينا هذا الرجل ، وهو يأبى الشريف منا ، فإن أعطاه جهد نفسه ، وإن حرمه هبأه ، فجموا له بينهم أربمائه ديناراً فأنزه ، فقالوا : هذه صلة آل فلان ، وهذه صلة آل فلان ، فأخذها ، وغلنوا أنهم قد كفوه المسألة ، فإذا هو يوم الجمعة قد استقبل وهو يقول : مَنْ يحملنى على بتلين كفاه الله كية النار .

السليطة : الحديدية اللسان ، وقد سلطت فى سليطة . شريطة : موافقة . بعلها ، أى زوجها ، أى جاءت على شرط زوجها ، فى مثله فى خصالها كلها . قنيس : اسمها ، وهو من التيس ، وهى الشملة ، كأنها لحدتها شملة نار تحرق ما مرت به . عنيس : من العيوس ، ونوته ونون قنيس زائدتان . التحانفا : ارتدائها والتوائها فيه . إلحافها : إلحاحها فى السؤال . إسفافها : تساقطها على ما تجمع من الناس ، والإسفاف : التفتيح لداق الأمور ، والإسفاف : الدخول فى الأسرار الدنى ، وقد أسف : تعرض للأمر الدنى . انكاشها : انحفاها واجتهداها



تعايشها : قيامها وارتقاها . هراشا : مشارتها قرابتها ، وللهاشة أصلها للكلاب ، وهي أن يتراعى الكلبان ويقنابجا ، ويمض كل واحد صاحبه ، فيجمل مدافعتها عند الشر لأقوانها ومضاريتها كالمراش للكلاب ، ولا تنكل عندهم نجابتها ، حتى تفوق أقوانها في الشر والسب بالقباح وضرب الكف على ذلك ، وإلا فهي ناقصة . بذل : أعطى . شلاقا : ثوب مرقع ، وليس بعرق ، وقيل هو شبه المخلاة ، وقيل هو خريطة تجعل فيها كسر الخبز . عكازا : عصا تحرق بها الأبواب ، وتضرب بها الكلاب . صقاعا : خرقة بالية تجعلها على رأسها . كرازا : إناء تعلقه في ذراعها ، تحمل فيه الصدقة . وقيل : الكرازا إناء لشرب الماء ، وتسميه عامتنا الكرازة ، فكان صدق هذه المرأة ثوبا مرقعا تلبسه للكذبة . وخرقة بالية لرأسها وعصا تحرق بها الأبواب ، وإناء إما أن تجعل فيه ما يذوق من الصدقة أو تجعل فيه ماء لشربها عند طوافها للكذبة ، والكرازا هو الخرنج ، والكرازا : كبش يحمل عليه الراعي أدواته . عيلة : قرا . شملكم : عدكم . للماعب : المهالك .

وخطأ أبو محمد في الفرة<sup>(١)</sup> من يذهب من الخواص إلى العيلة ، وقال : إنما العيلة الفقر ، بدليل قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ﴾<sup>(٢)</sup> وتصريف الفعل منه عال يعمل فهو عائل ، والجمع عائلة ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ وَوَجَدَكَ عَانِلًا فَاغْنَى ﴾<sup>(٣)</sup> ، وفي الحديث : «لأن تدع ورتقت أغنياء خير من أن تتركهم عائلة يتكففون الناس» . وأما الذين يغالون فهم عيال ، واحد هم عيل كجئيد وجياد ، وجمع عيال على عيائل كركاب وركائب ، وأعال فهو معيل : كثر عياله ، وعالمهم بمولم . وفي الحديث : «أبدأ بمن تعول» ، ومن كلام العرب : والله

(٢) سورة التوبة ٢٨

(١) درة النواس ٣٩

(٣) سورة الضحى ٨

لقد عَلَتْ حَتَّى عَلَتْ أَى صَنَتْ عِيَالِي حَتَّى افْتَرَتْ . وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ ذَلِكْ أَذُنِي أَنْ لَا تَعْمَلُوا ﴾ <sup>(١)</sup> فَمَعْنَاهُ الْأَنْ تَجُورُوا . وَقَالَ بَعْضُ الْعَرَبِ لِحَاكِمِ حُكَيْمٍ عَلَيْهِ بِنَا لَمْ يَوَاقِهِ : وَاللَّهِ لَقَدْ عَلَتْ عَلَى فِي الْحَكْمِ ، أَى جَرَتْ ، وَمَنْ قَسَرَ فِي الْآيَةِ ﴿ تَعْمَلُوا ﴾ يَأْنٍ مَعْنَاهُ تَكَثَّرَ عِيَالُكُمْ قَدْ وَجَمَ .

. . .

### [رِسَالَةٌ لِلصَّابِي فِي التَّطْفِيلِ]

وَإِذْ فَرَعْنَا مِنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْخَطْبَةِ الْمَرْيُوتَةِ ، وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ ابْنَ هَمَامٍ فِي هَذِهِ الْمَقَامَةِ طَفِيلٌ ، فَذَكَرَ هُنَا الصَّهْدَ الَّذِي كَتَبَ الصَّابِي بِأَمْرِ مَعْرِ الدَّوْلَةِ لِمُحَمَّدِ ابْنِ فَرِيْمَةَ الطَّفِيلِ بِبَنْدَادٍ ، وَقَدْ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى التَّطْفِيلِ ؛ فَإِنَّ هَذَا الصَّهْدَ يُوَافِقُ خُطْبَةَ الْمَقَامَةِ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَغْرَاضِهَا .

وَذَلِكَ عَهْدُ عَهْدِهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ النُّعْمَانِ ، حِينَ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى سُنَّتِهِ ، وَاسْتَنْابَهُ عَلَى حِيَاطَةِ رِسُومِهِ وَسُنَّتِهِ ؛ مِنَ التَّطْفِيلِ عَلَى أَهْلِ مَدِينَةِ السَّلَامِ ، وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا مِنْ أَرْبَاضِهَا وَأَكْنَافِهَا ، وَمَا يَجْرَى مَعَهَا مِنْ سَوَادِهَا وَيَبَاضِهَا وَأَطْرَافِهَا ، لَا تَوَسُّعَ فِيهِ مِنْ قَلَّةِ الْحَيَاءِ ، وَشِدَّةِ الْإِقْدَانِ ، وَكَثْرَةِ الْقَمَمِ ، وَجُودَةِ الْخُضْمِ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَتَوَسَّمِ اسْمَ التَّطْفِيلِ وَمَعْنَاهُ ، وَيَعْرِفُ مَفْزَاهُ وَمَنْحَاهُ ، وَيَتَصَفَّحَهُ تَصَفُّحَ الْبَاحِثِ عَنْ حَقْلِهِ بِمَجْهُودِهِ ، غَيْرَ الْقَائِلِ فِيهِ بِتَسْلِيمِهِ وَتَقْلِيدِهِ ، لِإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ قَدْ نَسَبَ صَاحِبَهُ لِلشَّرِّ وَالنُّهْمِ ، وَحَمَلَهُ عَلَى الْجَشَعِ وَالْقَرَمِ ، فَهُمْ مِنْ غَلْطٍ فِي اسْتِدْلَالِهِ ، فَأَسَاءَ فِي مَقَالِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ شَحَّ بِمَالِهِ ، فَدَفَعَ عَنْهُ

باحتياله ، وكلا الفريتين مذموم ، وجميعهما مُلِم ملوم ، ولا يتطقان بمنز واضح ، ولا يتعريان من لباس فاضح . وقد عُرِفَت يا أخى بالتفليل ، ولا عار فيه عند ذوى التحصيل ، لأن التفليل شتى من الطُّفْل ، وهو وقت المساء وأوان المساء ، فضاكُثُر استعمل في صدر النهار وعجزه ، وأوله وآخره ، كما قيل :  
القران للشمس والقمر ، وكا قيل المران لأبى بكر وعمر .

وأمره أن يتمد موائد الكبرياء والعطاء برأياه ، ويسط الأمر برأياه ، فإنه يفقر من إرادته بالنسيمة الباردة ، ويصل بها إلى الغريبة الشاردة . فيجد بها من غرائب الألوان ، للذذة لسان ، وبدائع الطعوم ، السائفة في الحلقوم ، مالا يجد عند غيرهم ، ولا يناله إلا لديهم ، لحِذْق صناعتهم وجودة أدواتهم ، وخِصْب ناديمهم ، وكثرة ذات أيديهم ؛ والله يوفر من ذلك حظنا ، ويسدّد نحوه لحظنا ، ويوضح عليه دليلنا ، ويسهل إليه سبيلنا .

وأمره أن يطلب التَّسَكُّمَة عن يحصل منهم ودّه ، ويستدعى بالتلف نائه ويرفده ، وكثيراً ما يتفق ذلك للداخلين ، ويقسم المتوصلين .

وأمره أن يصادق قهارة الدور ومدّ تريبها ، ويرافق وكلاء المطايخ ومدّ تريبها ، فلم يملكون من أصحابهم أزمة مطاعهم وشارهم .

وأمره أن يتمد أسواق المتسوقين ومواسم المتبايعين ؛ فإذا رأى غليظة قد زيد فيها ، أو أطمعة قد احتشد منها ، أتبعها إلى القصد بها ، وشيئها إلى المنزل الحاوى لها ، واستلم ميقات الدعوة ، ومن يحضرها من أهل اليسار والثروة .

وأمره أن يجنب مجامع الموائم للقلين ، ومحافل الرّعاع للمقترين ، وألا ينقل إليها قدما ، ولا ينقر لما كلفها فناً ، فإنها عصابة تجتمع على مضى النفوس والأحوال . وقلة الأحلام والأموال ، وفي التفليل عليها إحجاف بها يؤلم . وإزراء بمروءة التفليل يثلم .

وأمر أن يحوز الخوان إذا حصل، والطعام إذا نُقل، حتى يعرف بالخدم  
والتمتعين عدد الألوان في الكثرة والقلّة، واقتنائها في الطيب واللذة، فيقدّر  
لنفسه أن يشبع مع آخرها، وينتهي عند انتهائها، فلا يفوته نصيب من كثيرها  
وقليلها، ولا يخطئه الحفظ من دقيقتها وجليلها. ومتى أحسن بنقله الطعام  
وحجّره، أمن في أوّله إيمان الكيس في سعيه، والرشيد في أمره، فإنه إذا  
فعل ذلك سلم من عواقب الأغوار الذين يكفون طرفاً، ويقفون نادباً، ويظنون  
أن المائدة تُبليهم إلى آخر حاجتهم، وتنهي بهم إلى حدّ غايتهم، فلا يلبثون  
أن ينجعلوا خجلة الوامق الراغب، وينقلبوا بحسرة الزاهق الخائب.

وأمره أن يروض نفسه، وينالط حسّه، ويضرب عن كثير مما يلحقه  
صنعاً، ويعطى دونه كشعاً، ويستحسن الصّمت عن القعشاء، ويغض عن اللقمة  
الخشناء، وإن أته الوكزة في حلقه، صبر عليها لأجل الوصول إلى حقه،  
وإن وقست الصفقة في راسه، عضّ عليها بمواقع أضراره، وإن لقيه لاقٍ بالجفاء،  
قابله باللعف والصفاء، إذا كان ولج الأبواب، وخالط الأصحاب، وجلس مع  
الحضور، واختلط بالجمهور، فلا بدّ أن يلقاه المنكر لأمره، ويمرّ به المستغرب  
لوجهه، فإن كان حراً حسناً أمسك وتذمّ، وإن كان فظلاً غليظاً تمهم  
وتكلم. وأن يستعمل مع الخاطب له الللاينة، وأن يحتجب عند ذلك الخاشنة.  
ليرد غيظه ويقلّ حده، ويكف غرّبه ويأمن سعيه. وأمره أن يعمد الجوارشات  
للمدة للمد، وللقوبة للمد، للشبهة للطعام، للسبهة للانضمام، وأن يكون  
في امتحانها كالكتاب الذي يخطّ أقلامه، والقارس الذي يصقل حسامه.

وأمره إذا غشى أبواب اللوك وأهل السلطان، أن يصانع البواب والحجاب،  
ويحذم التواد والكتّاب، فإذا دخل السواد الأعظم، توسط الجميع لا يتأخّر

ولا يتقدم ، بعد أن يحمل ثيابه ، ويمسح كلامه وجوابه ، فطعام الأمراء  
تُدعى إليه الحفلاء احتضالا ، ويُتَكَفَّل بالوفود على السوم اكضالا .

فهذا العهد مطابق لأحوال هذه القامة .

[ بعض الخطب الهزلية ]

ومما يتصل بمخطبة للقامة من الخطب الهزلية ما حدثوا :

أن رجلا خطب إلى قوم ، وجاء يخطب ، فاستفتح خطبة النكاح بحمد  
الله فأطال ، ثم ذكر خلق السموات والأرض واقتصر ، ثم ذكر القرون حتى  
شجر من حضر ، ثم التفت إلى الخاطب فقال : ما اسمك أعزك الله ؟ قال :  
والله قد نسيت اسمي من طول خطبتك ، وهى طالت ثلاثا إن تزوجتها بهذه  
الخطبة . فضحك القوم وعقدوا له في مجلس آخر .

أنكح خالد بن صفوان عبده أُمته ، فقال له العهد : لو دعوت الناس  
فخطبت . قال : ادمهم أنت ، فدعاهم ، فلما اجتمعوا تكلم خالد ، قال : إن  
الله أعظم وأجل من أن يذكر في نكاح هذين السكبين ، وأنا أشهدكم أنى  
قد زوجت هذه الزانية من هذا ابن الزانية .

خطب مُصعب بن حيان خطبة نكاح ، فحصر فقال : لقنوا موتاكم « لا إله  
إلا الله » . فقالت له الجارية : عَجَل الله موتك ، ألمنا دعوناك !

خطب قهيل في تزويج فأطال ، قام واحد من القوم ، وقال : إذا فرغ  
القتيل ، يارك الله لكم ، فإن على شغلا أريد المبادرة فيه .

وخطب رجل امرأة، فجعل يخطب ويُنظَر، فضرب رأس ذكره بيده وقال:  
 مَهْ! إليك يساق الحديث .

\*\*\*

فلما فرغ الشيخ من خطبته ، وأبزمَ للخنْ عَقْدَ خِطْبَتِهِ ،  
 تساقطَ من الثَّارِ ما استفرقَ حَدَّ الإِكْثَارِ ، وأغرى الشَّيْخَ  
 بالإِثَارِ . ثم نهض الشيخ يسحبُ دَلَاذِلَهُ ، ويقدمُ أَرَاذِلَهُ .

قال الحارث بن حمّام : تبعته لأنظرَ عُرْجَةَ القوم ، وأَكِيلَ  
 بِهَجَّةِ اليوم . فجاج بهم إلى سِمْطِ زَيْنَتِ طُهَاثِهِ ، وتناصفت في  
 الحُسْنِ جِهَاتِهِ . فحين رُبِعَ كلُّ شَخْصٍ في رِبْعِيَّتِهِ ، وطفِقَ  
 يَرْتَعُ في رَوْضَتِهِ ، انسلت من الصفِّ ؛ وفرت من الزحفِ .  
 فحانت من الشيخ لَفْتَةٌ إلى ، ونظرة هجم بها طرفُهُ عَلَى ، فقال :  
 إلى أينَ يا بُرْمَ ؟ هَلَّا عاشرتَ مَعَاشِرَةً مِنْ فِيهِ كَرَمَ ! فقلت :  
 والذي خلقها طِبَاقًا ، وطَبَّقها إِشْرَاقًا ، لاذتْ لِمَاقَا ، وَلَا لُسْتُ  
 رُقَاقَا ، أو تخبرني : أينَ مَدْبُ صِيَاك ، ومن أينَ مَهَبُ  
 صِيَاك ؟ فتنفس الصُّمَدَاءُ مرارًا ، وأرسل البكاء مِذْرَارًا ، حتَّى  
 إذا استنزفَ الدَّمْعُ ، استنصتَ الجمعُ ، وقال لي : أرعني السَّمْعُ .

...

قوله : أبرم ، أى أحكم وسدّد . وألّختن : ولّى الزوجة مثل الأب والأخ وابن العم ، فهم الأخوان ، وكل شيء من قبل الزوج ، فهم الأحباء ، واحدم حامئ قفاً ، وحمو مثل أبو ، وحمّ مهموز ، والأصهار بمجهم .

والخطبة : مراسلة المرأة للزوج . والنثار : ما نُثر عليه من الدرهم ، وقد نثرت الشيء نثراً إذا رميت به مفرقاً ، وأصحابُ الزوج تدخلهم حمية عند ذلك فينثر كل واحد منهم من الدرهم ما أمكنه ، فتمتّجع ويشتري منها أنواع الأطعمة ، ولذلك قال : أغرى الشيخ بالإيثار : أى حرّضه على أن يشكّرم . واستغرق : جاوز . وحدث ابن قتيبة عن أبي عثمان ، قال : مررت بمحضر قد اجتمع فيه خلق كثير ، فالتفت بهمهم : ما جهمهم ؟ قال : هذا سيد الحى تزوج مناةً ، فتكلّم الشيخ قال : الحمد لله وصلى الله على رسول الله ، أما بعد ؛ فإن الله جعل لنا كعبة التى رضى فيها فلا ، وأنزلها وحياً سبب للناسلة ، وإن فلانا ذكر فلانة ، وبذل لها من الصدّاق كذا ، وقد زوجته إياها ، وأوصيته بوصية الله فيها ، ثم قال : هاتوا نثاركم ، فقلبت على رؤوسنا غرائر التمر .

قوله : ذلاله ، أى أطراف ثوبه ، والقائل . ما لى الأرض من أسفل القميص ، أراذله : جمع أرذل ، وهو الدنى ، والأرذل والمرذل والتزليل : الدنون . والثرجة : التبريج ، ويقال : ما عليه عُرْجة ولا تبريج ، أى إقلمة . وبهجة الشيء : حسنه ونضارته . وعالج : مال . والسَّماط : كلُّ مُستَوٍ على نسق ، وصُفَّ الناس سماًطاً وأراد به المائدة . والطَّهاة : اللطباخون من الناس . تناصفت : اعتدلت ، وأنصف كل جزء منها صاحبه ، والتناصف : اعتدال الحسن . رَسَج : جلس ، يقال : ربت بالمكان : أقت به ، وربمت الحجر : رفعت باليد ، لأنظر شدتى . ورَسَج : وقف وتحمّس . ربضته : موضعه الذى يقعد فيه ، والرَبضة : القطة

التلظية من التريد . يرتع : يأكل ، وفلان يرتع ، أى هو مخصب لا يعدم شيئاً يريد . الروضة : موضع المشب ، وأراد بها ما بين أيديهم من الطعام . الزحف : الضرب والوثوب إلى الشر ، وأراد أنه لما جلس كل إنسان أن يأكل خشى هو إن جلس للأكل أن يفرم ويشهر بأنه طفيق ، فيحتاج أن يتدافع ، وأن يتوائب مع صاحب الخانوت في ثمن ما أكل ، فقر من ذلك . والزحف : مشى الأعمى . لفته : نظرة بالتواء ، كأنه يلوى عنقه فينظر ، ولقت إليه لفتاً وثلثت : صرّف وجهه إليه . وهجم : دَخَلَ عليه بفتة . برّم : بخيل ، وهو القى لا يدخل مع القوم فيما دخلوا فيه من المزم . والمعاشرة : ترك المخالفة في الصعبة . طباقاً : جمع طبق ، أى هى طبق فوق طبق ، يعنى السماء . وطبقها : ملاها وعمها ، يقال : طبّق النعم تطبيقاً إذا أصاب بمطره جميع الأرض . إشرافاً : نوراً وضوءاً . كشافاً ، الأصمى رحمه الله : هو ما يشرب ، فإن أردت نفيه ، قلت : ما دقت لَمَاقاً ، وأنشد :

كبرق لاح يُسجب مَنْ رآه ولا يشقى الحوائم من لَمَاقٍ<sup>(١)</sup>

الحوائم : العطاش ، وحكى يعقوب أن اللماق يصلح في الأكل والشرب ، قال ابن كيسان : هو الشيء اليسير من الطعام والشراب .

لُست رُقاقا : أكلت خبزاً مرتقاً ، والقوس : تتبع بقية الشيء الخلو في فك . ابن سيده : لاس لوساً : تتبع الخلاوة ، فأكلها ، وما ذاق لوساً ولا لواساً ، أى ذواقاً ، ولا يلوس كذا ، أى لا يتناوله .

أو تخبرنى : حتى تخبرنى . أين مدب صباك ، يريد أين ولدت فديت صغيراً . موب صباك : محب ربحك ، وأراد أين يهلك . الصعداء : التنفس بتوَجّع .

(١) اللسان - لقي ، ونسبه إلى نهم بن حرى .



وهي من فعل المهوم . استنزف البع : استفرغه بالبكاء حتى انقطع ، ونزف  
وأنزفه : أفناه بالبكاء ، واستقصت : أمرهم بالسكوت .

\* \* \*

مَسَقَطُ الرَّأْسِ سَرُوجٌ وَهِيَ كُنْتُ أُمُوجُ  
بَلَدُهُ يَوْجَدُ فِيهَا كُلُّ شَيْءٍ وَبُرُوجُ  
وَرَدَّهَا مِنْ سَلْسَبِيلٍ وَصَحَّارِيهَا مُرُوجُ  
وَبَنُوها وَمَغَانِيهِمْ مَجْرُومٌ وَبُرُوجُ  
حَبْذَا تَفْحَةُ رِيَّا هَا وَنَرَاها الْبَيْجُ  
وَأَزَاهِيرُ رُبَاهَا حِينَ تَنْجَلِبُ الثُّلُوجُ  
مَنْ رَاها قَالَ مَرَسَى جَنَّةِ الدُّنْيَا سَرُوجُ  
وَلَيْنَ يَنْزَاحَ عَنْهَا زَفَرَاتٌ وَنَشِيجُ  
مِثْلُ مَا لَاقَيْتُ مُنْذُ خَزَحْنِي عَنْهَا الثُّلُوجُ  
عَبْرَةٌ نَهَى وَشَجْوٌ كَلَّمَا قَرَّ يَهْيِجُ  
وَهُومٌ كُلُّ يَوْمٍ خَطْبُهَا خَطْبُ مَرِيحِ  
وَمَسَاحٍ فِي التَّرَجَّى قَاصِرَاتُ الْخَطْوِ عُوجُ  
لَيْتَ يَوْزِي حُمَّ لَنَا حُمَّ لِي مِنْهَا الْخُرُوجُ

مَسَقَطُ الرَّأْسِ ، يريد الموضع الذي سقط فيه رأسه عندما ولد . أموج :  
أنصرف وأتمرك ، والمائج : المضطرب . يروج : يتسجل . وردها : ماؤها .  
السلسيل . عين في الجنة ، والسلسيل المحمر . المروج : الموضع الخصب . مغانيهم :

منازلهم . والبروج : منازل القمر ، وأراد أنهم في الحسن والرفعة كالنجوم ، وأن دورهم في العلو والاستواء كالبروج .

[ بما قيل في الحنين إلى الأوطان ]

وسبقه الخلواني القيرواني إلى هذا التشبيه ، قال يشوق إلى القيروان  
بعد خرابها :

لَيْتَ شِعْرِي وَلَيْتَ حَرْفَ نَيْمٍ      رُبَّمَا عَلِلَ الْقِسْوَادُ السَّيْمَا <sup>(١)</sup>  
كَيْفَ يَا قَيْرَوَانُ حَالُكَ لَمَّا      تَرَى الْبَيْنَ سَلَكَكَ الْمَنْظُومَا  
كَنْتُ أُمَّ الْبِلَادِ شَرْقًا وَغَرْبًا      فَعَا الدَّهْرُ وَشَيْكَ الرِّقْصُومَا  
نَحْنُ أَوْلَادُهَا وَلَكِنْ عَقَمْنَا <sup>(٢)</sup>      بَعْدَ أَنْ لَمْ نَعْلُقْ بِهَا أَنْ نَقِيْمَا  
دِيْمَنْ كَانَتْ الْبُرُوجُ وَكُنْنَا      أُمُورًا فِي قِبَابِهَا وَنُجُومَا

وقال السري يشوق إلى الموصل وكان محلب :

أَحْلَى صَبُوتِنَا دَعَاءَ مَشُوقٍ      يَرْتَاحُ مِنْكَ إِلَى الْهَوَى الْمَوْمُوقِ <sup>(٣)</sup>  
فَتَى أَزُورُ قِبَابَ مَشْرِفَةِ الدَّرَا      فَأَدُورُ بَيْنَ النَّسْرِ وَالْعَيُوقِ  
وَأَرَى الصَّوَامِعَ فِي غَوَارِبِ أَكْمَهَا      مِثْلَ الْهَوَادِجِ فِي غَوَارِبِ نُوقِ  
عَمْرَةَ الْجُدُرَانِ يَدْنَحُ طَيْبُهَا      فَكَأَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ بِخَلُوقِ  
مُحَرَّمًا تَلُوحُ خِلَالَهَا بَيْضُ كَا      فَصَلَّتْ بِالْكَافُورِ بَيْنَ <sup>(٤)</sup> عَقِيْقِ  
كَفٍ تَذَكَّرَ قَبْلَ نَاهِيَةِ النَّهَى      ظَلَمِينَ : ظَلَمَ هَوَى وَظَلَمَ حَدِيقِ  
فَضَرَقَتْ عِيْرَانَهُ فِي خَدِهِ      إِذْ لَا يَجْعَلُ لَهْ مِنْ التَّفْرِيقِ

(١) الذخيرة ١/٤/ ٢٢٥ . (٢) الذخيرة : « نحن أبناؤها ولكن غنينا » .

(٣) ديوانه ١٨٦ مع اختلاف في الرواية وترتيب الأبيات .

(٤) الديوان : « سبط عتيق » .

وقال الثمالى : ما نظرت إلى الصوامع مذبذبة من نيسابور إلا ذكرت  
بيته ، فأرى الصوامع ، واستأنفت المعب من حسن هذا التشبيه وبراعته .

\*\*\*

قوله : نفعه رباها ، أى حركة راعيتها الطيبة . مرآها البهيج : منظرها  
الحسن . وأزاهير رباها : أنوار كدائها ، وهى جمع أزهار ، وأزهار جمع زهر ، وهو  
النور . تنجيب : تزول .

ثم قال : سروج هى للوضع التى أرست به جنة الدنيا ، أى ثبتت فيه فكانت  
قال : جنة الدنيا هى سروج . وسروج هذه بلد بقرى وعمارات ، وهى من  
بلاد الجزيرة وكورها المشهورة ، والجزيرة انقسمت قسمين : ديار ريمة وديار  
مضر ، وسروج من كور ديار مضر ، وهى ثغرية إذا كان للسلمين قوة يملكونها ،  
وإذا ضعف اغلبهم الروم ، عليها وهى كثيرة الثلج والبرد .

قوله : ينزاح : يبعد . التشيج : البكاء . والزفرة : تنفس الهموم . زحزحى :  
تغافى . تهمى : تسيل . شجوا : حزن . قر : سكن . بهيج : يتحرك . خطبها :  
أمرها مريج : غلط . مساع : مواضع تصرفه ، ويكون للسعى مصدراً بمعنى السعى .  
قامرات ، أى قصيرة ، وكذا استمالها لأن فعلها قصر ، واسم فاعلها قيل مثل  
غرف فهو ظرف . اخلطوا : جمع خطوة . عوج : منوجة . يومى حم : أى يوم  
موتى قدر ، أراد : ليت أنى مت ولا أرى خروجى منها .

أنس رضى الله عنه قال : النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يمتنين أحدكم الموت  
لفرض نزل به ، فإن كان لا بد فاعلا ، فليقل : اللهم أحينى ما كانت الحياة خيراً  
لى : وتوفى إذا كانت الوفاة خيراً لى » .

جابر رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تمنوا الموت فإن  
هول المطلاع شديد ، وإن من السعادة أن يطول عمر العبد ، وأن يرزقه الله  
الإثابة » .

وفي معنى وصفه سروج وبكائه عليها، قال الحصري<sup>(١)</sup> الأعمى يشوق إلى القبران:  
أبا سقى الله أرض القبروان حيا كأنه عبراني المستهلآت<sup>(٢)</sup>  
فإنما لقد الجنات تربتها مسكية وحصاها جوهريات  
أرض أريضة، أقطار مباركة لله فيها براهين وآيات

وحدثني الفقيه أبو عبد الله بن زرقون في بستانه بطريانة، أيام قراءتي عليه  
التواذر والكامل، وكان رحمه الله ذا كرا بالطريقة الأدبية، مع تميزه بالطريقة  
الفقهية، فدارت بيني وبينه في إحدى العشيات أنواع من المذاكرات في فنون  
أدبيات، فاهتز رحمه الله، وهش، وأظهر السرور بي - وأنا يومئذ غلام ما قبل  
عذارى - فقال: لقد علمت أن بيني وبينك أخوة، قلت: وكيف ذاك يا سيدي؟  
قال: إني ولدت ببلدك شريش؛ فزدت بالحديث غبطة، واستزدت منه،  
قال لي: ومع ذلك فتم قصة مستظرفة:

اعلم أي كنت اجتزت بشرش قافلاً من العدو، مع الفقيه أبي بكر  
عبد الله بن العربي رحمه الله. فلما صرنا في بطاحها، وبين كرماتها وجنانها،  
أخذ الفقيه أبو بكر ينثي عليها بكل لسان، على كثرة مارأى من البلدان،  
ويقول: إن الأشياء التي جمعت فيها لانكاد تجتمع في بلدة، من كثرة الزرع  
والفزع والزيت والصير والملح وغير ذلك، قلت له: أعلمت أي ولدت بها؟  
قال لي أبو بكر: أقول أنت الآن:

• مسقط الرأس شريش •

قلت له عجزا :

• وبها كنت أعيش •

قال أبو بكر :

• بلدة يوجد فيها •

قلت :

• كل شيء ويريش •

قال أبو بكر :

• وردعا من سلسيل •

قلت :

• ومحمار بها عريش •

ثم سرنا في طريقنا على قوافي الترويجية ، فرددناها شريشية ، وقطعنا بها الطريق ونحن لا نشعر ، فكانت أسمر عشتية رأيت ، بمجالسة مثل هذا الفاضل وسنه قد تيف على التمازين بسنتين ، يخدمني عن ابن عربي وابن عبدون الكاتب ونظرائهم ، في رياض كلها نزهة على نهر إشبيلية ، وهي أماننا على بهجتها وجملها ، مادحاً لي ولبلدي ، ليدخل على ذلك المسرة ، نسأل الله أن يملئه غاية السرور في دار البقاء .

قال : فَلَمَّا بَيْنَ بَلَدَهُ ، وَوَعَيْتُ مَا أَنْشَدَهُ . أَيقَنْتُ أَنَّهُ عَلَّامَتُنَا  
أبو زيد ، وإن كان الهرمُ قَدْ أَوْتَه بِقَيْدٍ . فَبَادَرْتُ إِلَى مُصَافَحَتِهِ ،  
وَاعْتَمَسْتُ مَوْأَلَائِهِ مِنْ صَفْحَتِهِ ، وَظَلْتُ مُدَّةَ مَقَامِي بِعَصْرِ  
أَعْشُو إِلَى شَوَاطِلِهِ ، وَأَحْشُو صَدَقَتِي مِنْ دُرِّ أَلْفَاظِهِ ، إِلَى أَنْ  
نَعَبَ يَبْنَا غُرَابَ الْبَيْنِ ، فَفَارَقْتُهُ مَفَارِقَةَ الْجَفْنِ لِلْعَيْنِ .

• \* •

قوله : وَوَعَيْتُ ، أَيْ حَفِظْتُ . عَلَّامَتُنَا : عَلَامَتُنَا لِلشُّهُورِ بِالْعِلْمِ . أَوْتَه : رِبَطَهُ  
وَحْدَهُ ، وَقَدْ قَدَّمَ هَذَا التَّجْوِيلَ مِنَ الْهَرَمِ فِي أَخْبَارٍ وَأَشْعارٍ حَسَنَةٍ . مُصَافَحَتُهُ :  
مُعَاقَفَتُهُ وَوَضْعُ كَفِّي عَلَى كَفِّهِ .

ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَيُّمَا  
أَمْرٍ يُصَافَحُ أَخَاهُ لَيْسَ فِي صَدْرٍ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى أَخِيهِ إِحْتَنَ لَمْ تَتَفَرَّقْ أَيْدِيهِمَا  
حَتَّى يَفْزَحَ اللَّهُ لِبَهِمَا مَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِهِمَا » .  
الإِحْنَةُ : الْحَقْدُ .

اغْتَمَسْتُ : حَسَبْتُهَا غَنِيمَةً . مَوْأَلَائِهِ : الْأَكْلَ مَعَهُ .

ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : طَعَامَ السَّخَى دِمَاءً ، وَطَعَامَ الشَّعِيحِ دَاءً .

ظَلْتُ ، أَيْ دُمْتُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ الَّذِي ظَلَّتْ عَافِيهِ عَاكِفًا ﴾ (١) ،  
أَيْ دُمْتُ عَلَيْهِ مَقِيمًا . قَالَ سَيَبَوِيه رَحِمَهُ اللَّهُ : أَصْلُهُ : ظَلَّتْ . الْإِثْنُ : يُقَالُ :  
ظَلَّ نَهَارَهُ صَائِمًا . وَلَا يَقُولُ الْعَرَبُ : ظَلَّ - إِلَّا لِكُلِّ - عَمَلٍ بِالنَّهَارِ ، كَمَا لَا يَقُولُ :

بات إلا للعمل بالليل . أعشُو : أنظر بيمر ضيف . شواظه . ناره ، والشواظ  
 لهب النار الذى لا دخان فيه . صدَقَى : أذنى . نعب : صاح . البين : الفراق ،  
 والفراق إذا صاح عندهم تشاموا به ، وقد تقدّم ذلك . مفارقة الجفن للعين ،  
 أى مسرعا بقد ما تفتح عينك .

---

تم الجزء الثالث من كتاب شرح المقامات للشربشى وبليه الجزء الرابع  
 وأوله شرح المقامة الحادية والثلاثين .

## فهرس المقامات

صفحة	
٣٧ - ٣	المقامة الحادية والمشرون الرازية ، تتضمن كون أبي زيد واعظا وتعميده بالأمر ينهاء عن الظلم
٧٥ - ٣٨	المقامة الثانية والمشرون القراتية ، تتضمن تفضيل أبي زيد لموضوعي الإنشاء والحساب
١٧٣ - ٧٦	المقامة الثالثة والمشرون الشمرية ، تتضمن كون أبي زيد مدعيا على ابنه أنه سرق شعره
٢٣٢ - ١٧٤	المقامة الرابعة والمشرون النحوية ، تتضمن إلقاء أبي زيد على جلسائه مسائل في النحو ، على سبيل الإنفاذ
٢٥٩ - ٢٣٣	المقامة الخامسة والمشرون الكرجية ، تتضمن كافات الشتاء ، وطلب أبي زيد ثيابا يكتسب بها
٢٩٦ - ٢٦٠	المقامة السادسة والمشرون الرقطاء ؛ تتضمن الرسالة التي حروفها على نوعين ، نوع فيها منقوط ، والآخر من غير نقط
٣٢٩ - ٢٩٧	المقامة السابعة والمشرون الويرية ، وتتضمن طلب الحارث ابن همام ناقته الضالة ، وما حصل من أبي زيد معه في ذلك
٣٦٨ - ٢٣٠	المقامة الثامنة والمشرون السمرقندية ، تتضمن وقوف أبي زيد ببروة يخطب خطبة عارية من الإعجام



المقامة التاسعة والعشرون؛ تتضمن اجتماع الحارث بأبي  
زيد في الخان، وكيف صرع أبو زيد أهل الخان بإطعامهم الخواء

٣٦٩ - ٤١١

وأخذه ما لهم

المقامة الثلاثون؛ تتضمن كون أبي زيد خطيباً في تزويج

٤١٢ - ٤٤٧

مكديبه لثلاثها

## فهرس الموضوعات(\*)

الطبع والتطبع	٥٤٤ . . . . .
الزعد	٦٤٥ . . . . .
ابن ميمون	٨٤٧ . . . . .
نيد من الأقوال الحكيمة	١٣ - ١١ . . . . .
نيد من الأقوال الحكيمة أيضا	١٤ . . . . .
الموت	٢٠ - ١٧ . . . . .
ذكر الولاية والمزل والتشكى من الولاية	٢٧ - ٢٣ . . . . .
مما قيل في الفخ من الشعر	٢٩ ، ٢٨ . . . . .
ذكر سام وحام وإفث	٣٣ ، ٣٢ . . . . .
أخبار عمرو بن عبيد	٣٦ - ٣٣ . . . . .
سقى الثرات	٤١ - ٣٨ . . . . .
ذكر بنى الثرات	٤٢ ، ٤١ . . . . .
التعاقب بن شور	٤٣ - ٤٢ . . . . .
أشعار في وصف الجليس	٤٤ ، ٤٣ . . . . .
الحور والكور	٤٥ ، ٤٤ . . . . .
في وصف السفن	٤٧ - ٤٥ . . . . .
ذكر التلاذ	٥٢ - ٤٩ . . . . .
ما جاء في البارذ	٥٣ ، ٥٢ . . . . .
ما جاء في تشميت العاطس	٥٤ ، ٥٣ . . . . .
أصل الثلث : عند جهينة الخير اليقين	٥٧ ، ٥٦ . . . . .

## صفحة

هالك الكلام . . . . .	٦٥ - ٦٢
السرقاا الشمرى وأنواعها . . . . .	٨٥ - ٨١
السرقاا للذمومة . . . . .	٩٥ - ٨٥
ذكر التحذير من الدنيا وغروها . . . . .	١٠١ - ٩٧
نبدى فى توارد الحواطر . . . . .	١٠٩ - ١٠٤
للساجلة ومثل منها . . . . .	١١٤ - ١١٠
أشعار فى وصف الفلمان . . . . .	١٢٣ - ١١٧
أنواع البلاغة فى صناعة الشعر . . . . .	١٢٣
التجنيس . . . . .	١٢٧ - ١٢٣
القشبه . . . . .	١٣٠ - ١٢٨
الاستمارة . . . . .	١٣١ ، ١٣٠
الإشارة . . . . .	١٣٢ ، ١٣١
الإيماء . . . . .	١٣٣ ، ١٣٢
التلويح . . . . .	١٣٣
التمريض . . . . .	١٣٣
النفخيم . . . . .	١٣٤
المطابقة . . . . .	١٣٦ ، ١٣٥
التقسيم . . . . .	١٣٧ ، ١٣٦
الكسيم . . . . .	١٣٨
التسيم . . . . .	١٣٩ ، ١٣٨
الترديد . . . . .	١٣٩
التجريد . . . . .	١٤١ ، ١٤٠
التكبيع . . . . .	١٤١

## صفحة

التبليغ .. .. .	١٤٢، ١٤١
الصدير .. .. .	١٣٢
الاحتناء .. .. .	١٤٣
الالتفات .. .. .	١٤٤
الاعتراض .. .. .	١٤٧ - ١٤٤
الاستطراد .. .. .	١٤٩ - ١٤٧
حكاية فرس الرشيد والأمن .. .. .	١٥٠، ١٤٩
مراتب الخيل في الحلبة .. .. .	١٥١، ١٥٠
أشعار في وصف الخيل .. .. .	١٥٥ - ١٥١
فصل في كفران الصليح .. .. .	١٥٧، ١٥٦
مختار من الشعر في إشارة اللحن .. .. .	١٦٥ - ١٦٣
قصة السمود .. .. .	١٧٣، ١٧٢
جذبة ونديما .. .. .	١٨٠ - ١٧٦
الزباء .. .. .	١٨٥ - ١٨٠
فصل في الرياض والبساتين وما ورد فيها من الشعر . . .	١٩٧ - ١٨٥
بما قيل في الشيب والشباب .. .. .	٢٠١ - ١٩٧
ترجمة سيويه .. .. .	٢٠٩ - ٢٠٦
بعض حكايات النحويين . . . . .	٢١٢ - ٢٠٩
السكرج . . . . .	٢٣٤، ٢٣٣
من مقامة البديع البخارية . . . . .	٢٤١ - ٢٤٠
ذكر طيبة . . . . .	٢٥٢ - ٢٥٠
ترجمة ابن سكرة . . . . .	٢٥٧ - ٢٥٤
قصص في الفرج بعد الشدة . . . . .	٢٦٨ - ٢٦٥
بما قيل في الحجرات . . . . .	٢٨٥ - ٢٨٢

## صفحة

منافرة بين عامر بن الطفيل وعاتمة بن علاثة . . . . .	٢٨٧ - ٢٨٩
أخبار ذى الرمة ومي . . . . .	٢٩٩ - ٣٠٤
ذكر أشعب وبعض نوادره . . . . .	٣١٤ - ٣١٦
مما قيل من الشعر في القباب والبعوض . . . . .	٣١٩ ، ٣٢٠
ذكر مرقند . . . . .	٣٣٠ ، ٣٣١
يوم عروبة . . . . .	٣٣١ ، ٣٣٢
ذكر الحلام وما ورد فيه من الشعر والحكايات . . . . .	٣٣٣ - ٣٣٥
مما قيل في الأمل والطمع من الشعر . . . . .	٣٣٢ - ٣٤٣
ذم الدهر ومما قيل فيه من الشعر والحكايات . . . . .	٣٤٣ - ٣٤٦
مما قيل في عجز الأطباء حين يحىء الأجل . . . . .	٣٥٠ - ٣٥١
ذكر كسرى . . . . .	٣٥٩ - ٣٦٢
ذكر دارا . . . . .	٣٦٣ - ٣٦٥
ذكر الفضيل . . . . .	٣٦٦ - ٣٦٧
ذكر واسط . . . . .	٣٦٩ - ٣٧٠
مما قيل من الشعر في الغلمان . . . . .	٣٧٢ - ٣٧٣
ترجمة إبراهيم بن آدم . . . . .	٣٨١ - ٣٨٣
ذكر جبة بن الأيهم . . . . .	٣٨٣ - ٣٨٨
ذكر المبالاة في الصدقات . . . . .	٣٨٨ ، ٣٨٩ .. .. .
أشعار في التطير من الدنيا والزهد فيها . . . . .	٣٩٣ - ٣٩٥
بعض خطب النكاح . . . . .	٣٩٨ - ٣٩٩
مما قيل في الاعتراف بالذنوب والطمع في رحمة الله وعفوه . . . . .	٤٠٨
ترجمة للنصور . . . . .	٤١٢ .. .. .

## صفحة

ذكر مدينة صور	٤١٣
ذكر مصر	٤١٥
ذكر القياس	٥١٦
ذكر الأهرام	٤١٧
بعض معالم مصر	٤١٧
أخبار النندر اللقب بابن ماء السماء	٤٢٣
رسالة للصابي في التطهيل	٤٣٤ - ٤٣٧
بعض الخطب الهزلية	٤٣٧
مما قيل في الحنين إلى الأوطان	٤٤٢





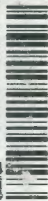








Bibliotheca Alexandrina



0580609